تبصرة أولي الألباب
في تفسير فاتحة الكتاب

جمع وترتيب
الفقيرة إلى عفو ربها
مفيدة بنت محمد زكي البكر

تفضل بمراجعته وتصحيحه

فضيلة الشيخ/ د. أبو البراء أسامة الأحمدي
فضيلة الشيخ/ د. ناجي إبراهيم فهد الدوسري
فضيلة الشيخ/ د. فرحان عبد العزيز الطائي
فضيلة الشيخ/ مصطفى حنفي القصاص
فضيلة الأستاذ/ هاشم سعيد وهب الشّماع

تدقيق ومراجعة لغوية وكمبيوتر
د. أمنية علي عبد الرزاق

تبصرة أولي الألباب
في تفسير فاتحة الكتاب

جمع وترتيب

الفقيرة إلى عفو ربها

مفيدة بنت محمد زكي البكر

تفضل بمراجعته وتصحيحه

فضيلة الشيخ/ د. أبو البراء أسامة الأحمدي

فضيلة الشيخ/ د. ناجي إبراهيم فهد الدوسري

فضيلة الشيخ/ د. فرحان عبد العزيز الطائي

فضيلة الشيخ/ مصطفى بن حنفي القصاص

فضيلة الأستاذ/ هاشم سعيد وهب الشماع

تدقيق ومراجعة لغوية وكمبيوتر

د. أمنية علي عبد الرزاق

إهـداء

إِلَى مَنْ لَسْتُ إِلَّا حَصَادَ غَرْسِهَا..

إِلِى مَنْ رَوَتْنِي بِعَطْفِهَا وَحَنَانِهَا وَدُعَائِهَا.. أُمِّي الْغَالِيَة

إِلَى مَنْ فارَقَنا وَنَحْنُ صِغارٌ..

وَافْتَقَدْنَاهُ فِي صِغَرِنَا وَحِينَ صِرْنَا كِبَارَا.. أَبِي الْغَالِي

إِلَى مَنْ كَانَ عَوْنِي – بَعْدَ اللهِ – فِي دِرَاسَاتِي..

إِلَى شَرِيْكِي فِي حَيَاتِي وَأَهْدَافِي وَطُمُوحَاتِي.. زَوْجِي الْحَبِيْبُ

إِلَى فَلْذَاتِ كَبِدِي وَقُرَّةِ عَيْنِي فِي حَيَاتِي..

إِلَى مَنْ رَجَوْتُ أَنْ يَكُونُوا ذُخْرِي غَدًا بَعْدَ مَماتِي.. ابْني وَابنْتَيَّ

إِلَى كل مَنْ مَنَحَنِي مِنْ عِلْمِهِ وَأَدَبِهِ وَفَضْلِهِ

شَيْوخِي وَأَساتذتي اْلأَفاضِل

أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَنْفَعَ بِهَذّا الْجَهْدِ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصًا صَوَابًا لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

تَقْدِيم فضيلة الشيخ

د. أَبِي الْبَرَاءِ أُسَامَة بن الأَحْمَدِيّ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الْبَشِيرِ النَّذِيرِ الذي اتَّبعَ قِرَاءَتَهُ، فَأَقْرَأَ بِهَا غَضَّةً طَرِيَّةً كَمَا سَمِعَهَا، فَأَعْطَاهُ اللهُ مِنْ نِعَمِهِ حَتَى يَرْضَى، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾؛ وَرَضِيَ اللهُ عَنِ الْأَهْلِ، وَالصَّحْبِ، وَالتَّابِعِينَ، وَتَابِعِيهِمْ، الَّذِينَ حَمَلُوا الْقُرْآنَ دِرَايَةً وَرِوَايَةً فَبَلَّغُوهُ كَمَا سَمِعُوهُ، فَحَقَّ فِيْهِمْ قَوْلُ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾.

وَأَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتُوبَ لِيَتُوبَ اللهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾، وَارْتَقَى الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الرَّفِيقِ ٱلأَعْلَى وَتَرَكَ فِينَا كِتَابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِتَابُ اللهِ هُوَ حَبْلُ اللهِ، مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ؛ وَإِنَّ أَعْظَمَ مَا يَنْشَغِلُ المُسْلِمُ بِهِ فِي الدُّنْيَا هَذَا الْكِتَابُ الْكَرِيمُ الذي ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ من بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

واسْتَفْتَحَ اللهُ سُبحانَهُ وتَعَالَى هَذَا الكِتَابَ الكَرِيمَ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ التي هِيَ السَّبعُ المَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، حَيثُ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْآنَ ٱلْعَظِيمَ﴾؛ وَخَرَّجَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ أُمُّ الْقُرْآنِ، وَأُمُّ الْكِتَابِ، وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي". وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَلَقَدْ كَانَ مِنْ تَوفِيقِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى الْأُخْتِ الْفَاضِلِةِ الْمُجْتَهِدَةِ الْنِحْرِيْرَةِ الْحَامِلَةِ لِكِتَابِ اللهِ/ مُفِيدَة بِنْت مُحَمَّد زَكِيّ بْن أَحْمَد البَكْرِ، "أُمُّ أَيْمَنَ، أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُيَمِّنَ كِتَابَهَا"، أَن اجْتَهَدَتْ فِي تَأْوِيلِ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَأَوْقَفَتْنِي عَلَيْهِ لِأُقَدِّمَ لَهُ، فَبَلَغَتْ سَعَادَتِي الآفَاقَ أَنْ وَجَدْتُهُ غَايَةً فِي التَّنَاسُقِ والْإِبْدَاعِ، وَوَقَفْتُ عَلَى مَجْهُودٍ رَائِعٍ غَايَةً فِي الْحُسْنِ وَالْإِمْتَاعِ، وَإِنِّي إِذْ أُزْجِي لَهَا الشُّكْرَ عَلَى هَذَا الْبَحْثِ الْقَيِّمِ، مُسْتَدِلًّا لِهَذَا الشُّكْرِ بِمَا خَرَّجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا يَشْكُرُ اللهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ"؛ فَرَأَيْتُ أَنْ أَزِيدَهُ ضَبْطًا، فَعَمَدتُّ إِلَى ذَلِكَ مِنْ حَيْثُ اللُّغَةِ، وَشَرَحْتُ مَا قَدْ يَحْتَاجُ إِلَى شَرْحٍ، وَخَرَّجْتُ الْأَحَادِيثَ وَأَعَدتُّهَا إِلَى مَصْدَرِهَا، وَبَيَّنْتُ دَرَجَتَهَا الْحَدِيثِيَّةِ، وَأَسْنَدتُّ الْحَدِيْثَ كَذَلِكَ إِلَى رَاوِيْةِ مِنَ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ. وَهُنَا يَجِبُ أَنْ أُبَيِّنَ مَسْأَلَةً فِي تَخْرِيْجِ أَحَادِيثِ هَذَا الْكِتَابِ الْقَيِّمِ؛ أَنِّي حِيْنَمَا أَقُولُ: مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، أَي اتَّفَقَ عَلَيْهِ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمُ، فَإِنْ رَوَاهُ أَحَدُهُمَا قُلْتُ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ؛ رَوَاهُ مُسْلِمُ؛ وَلَمْ أُقَدِّمْ عَلَى ذَلِكَ دَرَجَةَ الْحَدِيثِ، لأَنَّهُ كَوْن الْحَدِيثِ مُتَّفَقًا عَلَيْهِ، أَوْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، أَوْ رَوَاهُ مُسْلِمُ، فَهُوَ صَحِيحٌ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَصْحِيحِ مِمَّنْ أَتَى بَعْدَهُمْ، حَيْثُ إِنَّ السَّادَةَ الْعُلَمَاءَ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الصَّحِيحَينِ هُمَا أَصَحُّ كِتَابَيْنِ عَلَى أَدِيمِ الأَرْضِ بَعْدَ كِتَابِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ثُمَّ إِنِّي رَأَيْتُ أَنْ أَكْتُبَ نَصَّ بَعْضَ الأَحَادِيثِ لأَنِّي رَأَيْتُ فِيْهَا فَائِدَةً لِلْقَارِئِ إِنْ أَرَادَ الاسْتِزَادَةَ كَوْنُهُ طَالِبَ عِلْمٍ، وَأَشْكُرُ اللهَ الْمُتَنَعِّمَ عَلَى قَلِيلِي الْحَظِّ مِثْلِي أَنْ جَعَلَ لَهُمْ سَبِيلًا فِي

طَلَبِ الْعِلْمِ بِهِ، عَلَى قِلَّةِ الْبِضَاعَةِ وَرِقَّةِ الصَّنْعَةِ، وَطُولِ السَّفَرِ، وَوُعُورَةِ الطَّرِيقِ، وَتَنَادِي النَّفْسِ لِلْكَسَلِ عَنْ ذَلِكَ؛ وَحَسْبِي أَنْ أَتَلَقَّى دَعْوَةً بِظَهْرِ الْغَيْبِ مِنْ مُجْتَهِدٍ عَلَى طَرِيقِ اللهِ لَا يُؤْبَهُ بِهِ، يَرْفَعُ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ أَنْ يَجْمَعَنَا اللهُ فِي الْفِرْدَوْسِ الأَعْلَى كَمَا جَمَعَنَا عَلَى هَذِهِ الْمَائِدَةِ الْعَظِيمَةِ فِي الدَّنْيَا.

فَحَسْبِي أَنَّ هَذَا الْعَمَلَ حِسْبَةٌ للهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَأَسْأَلُ اللهَ الْعَلِيَّ الْأَعْلَى أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْعَمَلَ خَالِصًا لِوَجْهِهِ، صَوَابًا عَلَى هَدْيِ نَبِيِّهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَإِنِّي رَجَوْتُ فِيهِ السَّدَادَ وَالصَّوَابَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا اسْتَطَعْتُ.

وَالْكَمَالُ للهِ وَحْدَهُ. وَالْخَطَأُ، وَالنِّسْيَانُ، وَالنَّقْصُ، وَالتَّقْصِيرُ صِفَةُ الْبَشَرِ، فَكُلُّ تَوْفِيقٍ لِلصَّوَابِ فِي هَذَا الْعَمَلِ فَهُوَ مِنَ اللهِ وَحْدَهُ، وَبِهِ أَرْجُو ثَوَابَ الآخِرَةِ سَائِلًا الْمَوْلَى الْكَرِيمَ الصَّوَابَ وَالإِعَانَةَ، وَأُقِرُّ بِذَلِكَ إِقْرَارَ عَبْدٍ مُتَبَرِّئٍ مِنْ حَوْلِهِ، وَقُوَّتِهِ إِلَى مَنْ لَا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ، وَأَسْأَلُ اللهَ ذِي الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ أَنْ يَنْفَعَ بِهِ فِي الْحَالِ وَالْمَآلِ، وَأَنْ يَكُونَ تَذْكِرَةً لِنَفْسِي فِي حَيَاتِي لِيَرْضَى اللهُ عَنِّي وَيَغْفِرَ لِي، وَدَوَامَ عَمَلٍ صَالِحٍ لِي بَعْدَ مَمَاتِي.

وَإِنِّي أَقْتَبِسُ مِنْ شَيخِي وَسَيِّدِي الإِمَامِ الشَّاطِبِيِّ بِنْ فِيَرَة هَذِهِ الأَبْيَاتِ، وَلِيَسْمَحْ لي سَيِّدي وَسَادَتِي الأَشْيَاخُ إِنْ بَدَّلْتُ بَعْضَ كَلِمَاتِهَا:

أَخي أَيُّهَا الْمُرْتَادُ تَحْقِيقِي بِمَتْنِهُ [1].. يُنَادَى عَلَيْهِ كَاسِدَ السُّوْقِ أَجْمَلا

وَظُنَّ بِهِ خَيْرًا وَسَامِحْ نَسِيجَهُ... بِالإِغْضاءِ وَالْحُسْنَى وَإِنْ كانَ هَلْهَلا

وَسَلِّمْ لإِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ إِصَابَةٌ... وَالأُخْرَى اجْتِهادٌ رَامَ صَوْبًا فَأَمْحَلا

١ – أَصْلُ الشَّطْرِ عِنْدَ الشَّاطِبِيِّ: أَخِي أَيُّهَا الْمُجْتَازُ نَظْمِي بِبَابِهِ.

وَإِنْ كانَ خَرْقٌ فَادَّرِكْهُ بِفَضْلَةٍ... مِنَ الْحِلْمِ ولْيُصْلِحْهُ مَنْ جَادَ مِقْوَلا

وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالِمِينَ، وَصَلِّ اللهُمَّ عَلَى نَبِيِّنَا الأَمِينِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

كَتَبَهُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى رَبِّهِ الْغَنِيُّ

أَبُو الْبَرَاءِ أُسَامَةُ بْنُ الأَحْمَدِيّ

بِرِمْبَالِ الْقَدِيْمَةُ . الْمَنْصُورَةُ . مِصْرُ الآمِنَةُ

فِي لَيْلَةِ الاثْنَينِ السَّابِعْ عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ الآخَرِ ١٤٣٥هـ

الْمُوَافِقَ لِلسَّابِعِ عَشَرَ مِنْ فِبْرَايِرْ ٢٠١٤ م

مقدمة لفضيلة الشيخ
د. ناجي إبراهيم فهد الدوسري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، وبعد:

فإنَّ العلم بالقرآن الكريم من أجلّ ما يصرف له الأوقات، وتقضى به الطاعات، لأنَّه من أجلّ العلوم قدرًا، وأكرمها شرفًا، وأعظمها أجرًا. فالقرآن الكريم كلام الله عز وجل، وحبله المتين، وصراطه المستقيم، ومنه تستمد الشرائع والأحكام، وبه يعرف الحلال والحرام.

لذلك اعتنى به علماء الأمة إقراءً وتفسيرًا وتدبرًا، فكانوا ما بين مفسر لكلامه، ومستنبط لمعانيه، ومستخرج للطائفه وبدائعه، تفهيمًا للأمة، وترغيبًا لهم بكتاب ربهم عز وجل، ولنيل ما عنده من الأجر، وابتغاء المنزلة الرفيعة لأهل الذكر.

وقد اطلعتُ على مؤلف طيب لأختنا الفاضلة: مفيدة بنت محمد زكي البكر، في بيان تفسير فاتحة الكتاب، وقرأتُه وتتبعتُ فصوله وأعجبني فيه الترابط الموضوعي، والتناسق اللفظي، وإعطاء كل فصل حقه من غير إخلال فيه، وربما توسعت فيما يُحتاج إلى بيان، مع الأمانة في العزو فيما نقلته إلى مصادره الأصلية، فأجادت وأفادت.

هذا، وأسأل الله تعالى لأختنا الفاضلة التوفيق والسداد، والحرص على عقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم قولًا وعملًا، وأن تحرص على العلم النافع وتعليمه.

والحمد لله أولًا وآخرًا.

الدكتور
ناجي إبراهيم فهد الدوسري
٢٠ / /

وكتب

د. ناجي بن إبراهيم الدوسري

٩/ صفر/ ١٤٤٢هـ

تقديم لفضيلة الشيخ

د. فرحان عبد العزيز الطائي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ للهِ الذي ارتَفَعَتْ عَن مَطَارِحِ الفكرِ جَلالَتُه، وَجَلَّت عَن مَطَامِحِ الهِمَمِ عِزَتُهُ، وَتَعَالَت عَن مُشَابَهَةِ الأنَامِ صِفَتُهُ، وأعَجَزَت مَدَارِكَ الأفهَامِ قُدْرَتُهُ، وَفَاقَت مَبَالِغَ الأوهَامِ عَظَمَتُهُ، الأحَدُ الصَّمَدُ، الذَي لَم يَلِد، وَلَم يُولَد، وَلم يكن له كفوًا أحد، خلق الخلق وأحصاهم عدد، الحمد لله الذي جعل أهل الجنة في حدائقها، وجعل أهل النار في سرادقها.

والصلاة والسلام على سيِّد الأولينَ والآخرين وخاتم الأنبياء والمرسلين؛ محمد الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الغر الميامين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

الحمد لله الذي علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان.

الحمد لله على نعمة الدين واتباع الصادق الأمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

فما زالت عقول المفكرين تسجد في محراب آيات القرآن الكريم، وكلما اعتدلت من سجودها فسرعان ما تخر ساجدة لمنزّل هذا الكتاب الذي لا

يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ففقأ عين الحاسد وأرغم أنف الشانئ.

ومن منة الله على أختنا الفاضلة النحريرة: مفيدة بنت محمد زكي بن أحمد البكر –حفظها الله– بأن رزقها مما منَّ الله به على عباده الصالحين ففهموا من القرآن ما لم نفهم. وهذا الفهم هو مفتاح الدخول إلى كنوز القرآن والكشف عنها، وهذا ما أشار إليه الإمام البخاري في صحيحه فيما رواه عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: « قُلْتُ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِنَ الوَحْيِ إِلَّا مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ قَالَ: لاَ وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا فَهْمًا يُعْطِيهِ اللَّهُ رَجُلًا فِي القُرْآنِ، وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ. قُلْتُ: وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ؟ قَالَ: العَقْلُ، وَفَكَاكُ الأَسِيرِ، وَأَن لاَ يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ»[٢]، وهذا الفهم مختلف باختلاف العقول وباختلاف ما يمن الله به على عباده الصالحين، ولا غرابة أن تأتينا أختنا أم أيمن بسِفْرٍ جديد يضاف لمكتبة الإسلام عن أعظم سورة في كتاب الله، وقد درج السابقون على الكتابة في السور أو الآيات بمجلدات ضخمة، أو رسائل قصيرة، فهذا ابن عليش المالكي ألف رسالته [إيضاح إبداع حكمة الحكيم في بيان بسم الله الرحمن الرحيم]، وهذا القاضي عبد الجبار كتب تفسيرًا عن القرآن بمئة جزء سماه [المحيط] ولكنه فُقِدَ [٣]. ونقل عن الشيخ عبد

(٢) صحيح البخاري، حديث رقم: ٣٠٤٧ ـ ٣/١١٠.
(٣) القاضي عبد الجبار مفسرًا: ٣٧.

السلام القزويني أَنَّ تَفْسِيْره ثَلاَثُمائَةِ مُجلَّد، مِنْهَا سَبْعَةٌ فِي سُوْرَةِ الفَاتِحَة [٤]، وذكر ابن عاشور في مقدمته عن ابن العربي المالكي قوله إنه أملى ثمانمائة مسألة من آداب المعلم والمتعلم من قصة موسى والخضر عليهما السلام في سورةِ الكهف [٥].

ونقل الذهبي عن ابْنِ عَقِيْلٍ فِي [فُنونه] قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ مِصْرَ القَاضِي أَبُو يُوْسُفَ القَزْوِيْنِيّ، لَمْ يَكُنْ مُحققًا إِلَّا فِي التَّفْسِيْر، فَانَّه لَهِجَ بِذَلِكَ حَتَّى جمع كِتَابًا بلغَ خَمْسَمائَةِ مُجلَّد، فِيْهِ العَجَائِب، رأيت منه مُجلَّدَةً فِي آيَة وَاحِدَة، وَهِيَ: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ} [البَقَرَةُ: ١٠٢]، فَذَكَرَ السِّحْرَ وَالمُلُوْك الَّذِيْنَ نَفق عَلَيْهِم السِّحرُ، وَتَأْثيرَاتِه وَأَنْوَاعَهُ (٦).

فنسأل الله لعملها القبول في الترقي لمعارج الوصول إلى رضى ذي الطول في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

د. فرحان عبد عزيز الطائي

باحث في التفسير وعلوم القرآن

٤- الإمام فخر الدين الرازي حياته وآثاره: ١٥٧.
٥- التحرير والتنوير: ١/ ٤٠.
٦- سير أعلام النبلاء: ١٤/ ٩٧.

مقدمة لفضيلة الشيخ

مصطفى بن حنفي بن محمد القصاص

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه وعبده وعلى آله وصحبه وجنده، وبعد: فقد تصفحت كتاب تبصرة أولي الألباب في تفسير فاتحة الكتاب التي قامت بجمعه وترتيبه الأخت الفاضلة الشيخة أم أيمن مفيدة بنت محمد زكي أحمد البكر، فوجدته متضمنًا أهم مسائل هذا الفن مشتملًا على حبل دقائقه وفروعه.

ولقد عنيت الأستاذة حفظها الله عناية فائقة بتفسير فاتحة الكتاب وتناولت فيه فضل القرآن وتفسيره وصفاته وأسمائه وتطرقت فيه كذلك إلى علم العد وتجويد قراءة الفاتحة والوقوف على أهم الأخطاء الشائعة في تلاوتها مما زاد الكتاب رونقا وحسنا في عبارات طلية ممتعة وتراكيب رصينة مبدعة، فالكتاب يعد بحق من أنفس الكتب التي ألفت في هذا الشأن مع وجازته واختصاره. وأسأل الله سبحانه أن يعمم بهذا الكتاب النفع، ويعظم للقائمة على إعداده الأجر إنه نعم المولى ونعم النصير وصلى الله وسلم وبارك على خاتم النبيين والمرسلين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حرر في يوم الجمعة ١٤٣٦/٥/٢٤ هـ الموافق ٢٠١٥/٣/١٥

كتبه بقلمه الفقير إلى عفو ربه

مصطفى بن حنفي بن محمد القصاص

المقرئ بالقراءات العشر الصغرى والكبرى والشواذ

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة



تقريظ لفضيلة الشيخ الطبيب المقرئ:

سعيد صالح زعيمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله... وبعد فالإنسان ليس يشرف إلَّا بما يحفظ ويعرف، لذلك كان حاملو القرءان أشراف الأمة أولي الإحسان وإنهم في الناس أهل الله وإن ربنا بهم يباهي.

أما بعد، فقد أطلعتني الأخت الفاضلة الشيخة/ أم أيمن مفيدة بنت محمد زكي أحمد البكر على كتابها القيم "تبصرة أولي الألباب في تفسير فاتحة الكتاب"، فوجدته كتابًا قيمًا مفيدًا نافعًا ولا شك، فإن أجلَّ علم صرفت فيه الهمم، علم الكتاب المنزل، إذ هو كلام الله الذي لَا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فيه الهدى والشفاء، والرحمة والبيان، والموعظة الحسنة والتبيان، فلو أنفقت فيه الأعمار ما أدركت كل غوره، ولو بذلت الجهود كلها ما أنضبت من معينه شيئًا يذكر، ومن هنا اجتمعت كلمة علماء الأمة على العناية بتفسيره، وبيانه ودراسته، واستدرار كنوزه، والنهل من معينه العذب النمير، ولأجل انكبابهم على دراسته، تنوعت طرائقهم في عرض علومه، واختلفت مشاريعهم في إيضاح مكنوناته.

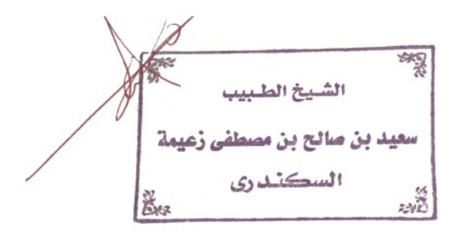
أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب وأن يجزل للقائمة على جمعه وإعداده المثوبة والأجر وأن يرزقنا جميعًا حفظ كتابه وحسن تلاوته.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه: الشيخ الطبيب المقرئ سعيد صالح زعيمة

مقرئ القرءان الكريم بالقراءات العشر الصغرى والكبرى

الإسكندرية في ٢/١/٢٠١٤م الموافق ٢٩صفر ١٤٣٥هـ



مقدمة لفضيلة الشيخ

أحمد بن محمد بن أحمد عبد العزيز السكندري

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد إلَّا إله إلَّا الله وحده لَا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ولَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

فالحمد لله الذي كرمنا بتصديقه، وشرفنا باتباعه، وجعلنا من أهل الإقرار والإيمان به وبما دعا إليه وجاء به، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أزكى صلواته، وأفضل سلامه، وأتم تحياته ثم أما بعد..

فإن من جسيم ما خص الله به أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من الفضيلة، وشرفهم به على سائر الأمم من المنازل الرفيعة، وحباهم به من

الكرامة السنية، حفظه ما حفظ عليهم جل ذكره وتقدست أسماؤه من وحيه وتنزيله، الذي جعله على حقيقة نبوة نبيهم صلى الله عليه وسلم دلالة، وعلى ما خصه به من الكرامة علامة واضحة، وحجة بالغة، أبانه به من كل كاذب ومفترٍ، وفصل به بينهم وبين كل جاحد وملحد، وفرق به بينهم وبين كل كافر ومشرك؛ الذي لو اجتمع جميع من بين أقطارها، من جنها وإنسها وصغيرها وكبيرها، على أن يأتوا بسورة من مثله لم يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا. فجعله لهم في دجى الظلم نورا ساطعا، وفي سدف الشبه شهابا لامعا وفي مضلة المسالك دليلا هاديا، وإلى سبل النجاة والحق حاديا، ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾. حرسه بعين منه لَا تنام، وحاطه بركن منه لَا يضام، لَا تنهي على الأيام دعائمه، ولا تبيد على طول الأزمان معالمه، ولا يجوز عن قصد المحجة تابعه ولا يضل عن سبل الهدى مصاحبه. من اتبعه فاز وهُدي، ومن حاد عنه ضل وغوى، فهو موئلهم الذي إليه عند الاختلاف يئلون، ومعقلهم الذي إليه في النوازل يعقلون وحصنهم الذي به من وساوس الشيطان يتحصنون، وحكمة ربهم التي إليها يحتكمون، وفصل قضائه بينهم الذي إليه ينتهون، وعن الرضى به يصدرون، وحبله الذي بالتمسك به من الهلكة يعتصمون.

فلقد جاءَتني الشيخة الفاضلة/ أم أيمن مفيدة بنت محمد زكي أحمد البكر حفظها الله ونفع بها وعرضت عليّ كتاب "تبصرة أولي الألباب في تفسير

فاتحة الكتاب" فوجدته كتابا مفيدا فيه فوائد طيبة لأهل هذا الفن عسى الله أن ينفع به والله تعالى أسال أن يطبع وينشر هذا الكتاب لتعم الفائدة ويعبق الأريج ويتمتع بشذاه كل محب للقرءان الكريم. بالقرءان حياة القلوب فمن أراد أن يحيا قلبه فعليه بالقرءان. اللهم فوفقنا لإصابة صواب القول في محكمه ومتشابهه، وحلاله وحرامه، وعامه وخاصه، ومجمله ومفسره، وناسخه ومنسوخه، وظاهره وباطنه، وتأويل آيِهِ وتفسير مشكله. وألهمنا التمسك به والاعتصام بمحكمه، والثبات على التسليم لمتشابهه. وأوزعنا الشكر على ما أنعمت به علينا من حفظه والعلم بحدوده. إنك سميع الدعاء قريب الإجابة. وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم تسليما.

كتبه العبد الفقير إلى مولاه

أحمد بن محمد بن أحمد عبد العزيز السكندري

مقرئ القرءان الكريم بالقراءات العشر الصغرى والكبرى والمشرف العام على دورة حفظ الوحيين بالإسكندرية

كفر الشيخ في ٢/١/٢٠١٤ م، ٢٩ صفر ١٤٣٥



مقدمة

الحمد للهِ ربِّ العالمِين منَّ فأَفضل وأَعطى فأَجزل وأَنعم فتكرَّم، له المِنَّة على من هداه ولا إِله لنا سِواه. والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين، ومنة للمؤمنين ومحجّة للسالكين، وحجة على المعاندين، ﴿لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، وعلى آله وأَصحابه ومن تبعهم بإحسان إِلى يوم الدِّين.

أَمَّا بعد، فإِنَّ اللهَ سبحانه وتعالى قَد أَنزل كتابه وجعله الحبل الواصل بينه وبين عباده والطَّريق المُوصِل إِليه جلَّ جلاله ليخرج به النَّاس من الظُلُمات إِلى النُّور ويهديهم إِلى الصِّراط المستقِيم.

واللهُ عزَّ وجلَّ قَد أَمرنا بالتَعبد بتلاوة كتابه الكريم، كما قال سبحانه: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾. وأَمرنا بتدبر القرآن الكريم، كما قال جلَّ ذكره: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾. وأَمرنا باتباعه والعمل به: ﴿اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، ولقد اهتم أهل العلم بدءًا من الصحابة رضوان الله عليهم، ثم التابعين ومن بعدهم، وتتابع العلماء في بيان هذا القرآن الكريم وتفسيره على اختلاف مشاربهم

وتخصصاتهم فيه. فإن أجلَّ علم صرفت فيه الهمم، علم الكتاب المنزل، "كتاب الله تبارك وتعالى، الذي لَا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فيه الهدى والشفاء، والرحمة والبيان، والموعظة الحسنة والتبيان، فيه نبأُ مَنْ قَبلكم، وخبر ما بعدكم، وحُكمُ ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الْهُدَى في غيره أضله الله. هو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكرُ الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لَا تَزِيغُ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعَّب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَمله الأتقياء، ولا يَخْلقُ على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه.

ذلك هو القرآن الكريم، وقد أنزله الله على نبيه صلى الله عليه وسلم ليتلوه المؤمنون فتنشرح بتلاوته صدورهم، وتستنير أفئدتهم وقلوبهم، وينالوا به مثوبة الله يوم القيامة. وما تقرب أحد إلى الله تبارك وتعالى بمثل كلامه، ثم ليكون بعد ذلك دستور حياتهم، ونظام مجتمعهم، يرسم لهم طرائق الحياة السعيدة في هذه الحياة الدنيا، وطرائق الفوز والنجاة في العقبى ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾.

فليس المقصود من القرآن مجرد التلاوة، أو التماس البركة – وهو مبارك حقًّا – ولكن بركته الكبرى في تدبره وتفهم معانيه ومقاصده، ثم تحقيقها في

الأعمال الدينية والدنيوية على السواء، ومن لم يفعل ذلك أو اكتفى بمجرد التلاوة بغير تدبر ولا عمل فإنه يخشى أن يحق عليه الوعيد الذي يرويه البخاري عَنْ حُذَيْفَةَ، قالَ: يا مَعْشَرَ القُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا فقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، فإنْ أخَذْتُمْ يَمِينًا وشِمالًا، لقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلالًا بَعِيدًا (٧).

لقد أدرك الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، ومن سار على دربهم من سلفنا الصالح رحمهم الله تعالى هذا الشرف العظيم الذي امتن الله تعالى به عليهم بهذه الأهلية، وبحمل راية الإسلام، وبتنزل القرآن الكريم على خير الأنام نبينا وحبيبنا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فأقبلوا عليه يتلونه آناء الليل وأطراف النهار، جعلوا منه غذاء لأرواحهم، وقرَة لأعينهم، تعلموا حلاله وحرامه، ونفَذوا أحكامه، وأقاموا حدوده، وطبَقوا شرائعه، فكان شفاءً لأرواحهم وأجسادهم، أعلى الله تعالى به شأنهم، وزكت نفوسهم وسَمَتْ أخلاقهم وَصلُحَتْ سرائرهم واستحقوا أن يكونوا أهل القرآن الكريم "أهل الله وخاصته".
عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّ للَّهِ أَهْلينَ منَ النَّاسِ قالوا: يا رسولَ اللَّهِ ، من هُم ؟ قالَ: هم أَهْلُ القرآنِ ، أَهْلُ اللَّهِ وخاصَّتُهُ (٨). فكانت أهلية تكليفٍ وتشريفٍ وتكريم، بأن أضيفوا إلى الله تبارك وتعالى فرفعهم الله تعالى بها، وأعلى شأنهم قبل أن يرفعهم بأحسابهم وأنسابهم، وأعزَ

---

٧. الراوي : همام بن الحارث المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٧٢٨٢ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح].
٨. الراوي : أنس بن مالك | المحدث : الألباني | المصدر : صحيح ابن ماجه الصفحة أو الرقم: ١٧٩ | خلاصة حكم المحدث : صحيح.

بهم الإسلام، ففتحوا البلاد وقلوب العباد، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. فعن عُمَرُ: أَما إنَّ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ قدْ قالَ: إنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بهذا الكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ به آخَرِينَ (٩).

وقد عزَّ علينا أن نكتفي بتلاوة القرآن وحِفظه واستظهاره ونحرَم من فَهْمه وتدبُّره، ومعرفة ما تَحويه آياته من معانٍ ومضامين رائعة، فلو أنفقنا فيه الأعمار ما أدركنا كل غوره، ولو بذلنا الجهود كلها ما أنضبنا من معينه شيئًا يذكر، ومن خلال الفقه الصحيح الرشيد بالآيات القرآنية، يتحقَّق قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾. ولا يستطيع الاستظهار وحده أن يتحقق هذه الغاية. وعلم التفسير جزء من علوم القرآن الكريم، إذا تدبَره القارئ، يعرف به ربه تبارك وتعالى فيزداد محبة له، وإيمانًا به، وخشية وتعظيمًا له، وخوفًا ورجاءً وإخلاصًا، ويوحَده حق توحيده على نور من ربه بألوهيته وربوبيته وأسمائه الحسنى وصفاته العلى.

لقد صبَّ الله حبّ كتابه الكريم في قلبي منذ طفولتي وزرع فيَّ رغبة لتعلمه ودراسته دراسة جيدة متقنة تؤهلني لأسلك درب الدعوة إلى الله وأستثمر من هذا العلم عملا صالحًا ينفعني والأمة الإسلامية ويكون صدقة جارية لي

٩- مختصر مسلم ٢١٠٢ وصحيح الجامع ١٨٩٦. .الراوي : عمر بن الخطاب | المحدث : مسلم | المصدر : صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٨١٧ | خلاصة حكم المحدث : [صحيح].

بعد مماتي فهداني الله لإعداد هذا الكتيب المتواضع فاستخرت الله واستعنت به وعزمت وتوكلت عليه عز وجل وبدأت على بركة الله. فباسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى، أستفتح كتابي "تبصرة أولي الألباب في تفسير فاتحة الكتاب"، والذي أتوجَّه به إلى نفسي وأهلي خاصة، وإلى المسلمين عامة، وأنا آمِلة في الله تعالى أن يجد فيه كل المسلمين فوائدَ كثيرة لدنياهم وآخرتهم.

وهذا الكتاب الذي بين يديك أخي القارئ وأختي القارئة "تبصرة أولي الألباب في تفسير فاتحة الكتاب" يمثل محاضرات ألقيتها على عدة مواقع ومنتديات أشرت إليها في نهاية الكتاب فرأيت إقبالا شديدا عليها من قبل الأخوات ولمست الفائدة المنشودة منها حتى طلبت مني إدارة بعض المواقع طباعتها ونشرها لتعم الفائدة. وبعد الاستخارة توكلت على الله في طباعتها سائلة المولى جل وعلا أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، موافقًا لمرضاته، نافعًا لعباده، ويبقيه ذخرا الى يوم الدين ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾. الشعراء: ٨٩

ولا يفوتني أن أتقدم بالثناء العاطر والشكر الجزيل لشيوخي الأفاضل الشيخ د. ماهر ياسين الفحل، والشيخ مصطفى حنفي القصاص، والأستاذ هاشم سعيد وهب الشماع، والدكتورة الفاضلة أمنية علي عبد الرزاق، وكل من ساهم في مراجعته وتدقيقه وطباعته، سائلة المولى جل وعلا أن يجزيهم عن

الإسلام والمسلمين خير الجزاء، ويضاعف لهم المثوبة والأجر ويعلي درجتهم في المهديين، إنه سميع قريب.

ربنا فقهنا في كتابك واكشف عن قلوبنا ظلمات الذنوب لكي نتفهم آياتك وأزح عن بصائرنا غشاوة الدنيا وبريقها الكاذب لكي تمتلئ قلوبنا بهداك واجعلنا من حملة قرآنك وسنة نبيك والسائرين على طريق طاعتك. ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير، ربنا لَا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لَا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين، ربنا واغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أخرج الكتاب الآن بصورة مرضية، وليعلم أنَّ الكمالَ لم يحظَ به كتابٌ قط إِلَّا القرآن الكريم، ويأبى الله العصمة لكتاب غير كتابه، والمنصف من اغتفر قليلَ خطأِ المرءِ في كثير صوابه، والله المسؤول أن يوفقنا لصواب القول والعمل، وأن يرزقنا اجتناب أسباب الزيغ والزلل، إنه قريب مجيب لمن سأل، لَا يخيب من إياه رجا وعليه توكل.
وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله، خاتم النبيين، وإمام المتقين، وسيد الأولين والآخرين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأرجو ممن وجد خطأ أن يبلغني به على الواتس أب أو الإيميل.

هاتف:

- الأردن/ ٠٠٩٦٢٧٩٦٩٧٤٢٨٣
- ليبيا/ ٠٢١٨٩٢٨٠٥١٨٦٨

om.eiman.albaker@gmail.com

alhamdulillah572@Yahoo.com

alhamdulillah572@hotmail.com

الراجية رحمة ربها ومغفرته

مفيدة محمد زكي أحمد البكر " أم أيمن"



مَدْخَــلٌ

الْحَمْدُ للهِ حَمْدًا يَليقُ بِجَلالِ وَجْهِهِ وَعَظِيمِ سُلطَانِهِ، الْحَمْدُ للهِ الَّذِي افْتَتَحَ كِتَابَهُ بِالْحَمْدِ، فَقَالَ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الفاتحة: ٢، وَافْتَتَحَ الْإخبَارَ عَنْ خَلْقِهِ بالْحَمْدِ فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ﴾ الأنعام: ١، وَاخْتَتَمَ بالْحَمْدِ، فَقَالَ بَعدَ أَنْ سِيقَ أَهْلَ النَّارِ إِلَى النَّارِ، وَسِيقَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ عَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾. ﴿وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ (٧٤) وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٧٥)﴾ الزمر: ٧٤–٧٥، الحَمْدُ للهِ الْقَائِلُ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ الإسراء: ٩. فَلِلَّهِ الحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالثَّنَاءُ، الذي جعل كتابه هُدًى وشِفَاءً وَرَحْمَةً ونُورًا، وتبصرةً وتذكرةً، وبركةً، ﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ (١) هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢)﴾ النمل: ١–٢.

وَالصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، النَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلأَمِينِ، وَعَلَى آلهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ السَّائِرِينَ عَلَى هُدَاهُمْ إِلَى يَومِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ.. فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ اللهِ، وَخَيرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمْ، وَشَرَّ الْأُمُورِ محْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٍ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ.

فَصلٌ

فِي فَضْلِ تَعَلُّمِ الْقُرْآنِ وَفَضْلِ تَفْسِيرِهِ

للقرآنِ الكريمِ فضلٌ على من تعلَّمهُ، وَكذلكَ للقُرآنِ الكريمِ فضلٌ على مَنْ فسَّرَهُ، لأنَّه بِذلكَ أصبَحَ مِن حمَلةِ كِتابِ الله، وحَمَلةُ كِتابِ اللهِ هُمْ سَادةُ البشَرِ، قَالَ ابْنُ الْجَزَرِيّ فِي طَيِّبَةِ النَّشْرِ فِي القِرَاءَاتِ الْعَشْرِ:

فَالإِنْسَانُ لَيْسَ يَشْرُفُ........ إِلَّا بِمَا يَحْفَظُهُ وَيَعْرِفُ
لِذَاكَ كَانَ حَامِلو الْقُرآنِ... أَشْرَافَ الأُمَّةِ أُولِي الإحْسانِ
وَإِنَّهُمْ فِي النّاسِ أَهْلُ اللهِ......... وَإِنَّ ربَّنا بِهِمْ يُباهِي
وقَالَ فِي الْقُرآنِ عَنْهُمْ وَكَفَى... بأَنهُ أَوْرثَهُ مَنِ اصْطَفَى
وَهْوَ فِي الأُخْرَى شَافِعٌ مُشَفَّعُ... فِيهِ وَقَوْلُهُ عَليْهِ يُسْمَعُ
يُعْطَى بِهِ المُلْكَ مَعَ الْخُلْدِ إِذَا.... تَوَّجَهُ تَاجَ الْكَرامَةِ كَذَا
يَقْرَا وَيَرْقَى دَرَجَ الجِنانِ............ وَأَبَوَاهُ مِنْهُ يُكْسيَانِ
فَلْيَحرصِ السَّعِيدُ فِي تَحْصِيْلِهِ... وَلا يَمَلَّ قَطُّ مِنْ تَرْتِيلِهِ

وليَجْتَهِدْ فَيهِ وَفِي تَصحِيحِهِ... عَلى الذي نُقِلَ مِنْ صَحِيحِهِ

وَإِنَّ مِنْ أَعظَمِ نِعَمِ اللهِ عَلَى العَبْدِ هِدَايتُه إلى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وتثبيتُه على الْمَنْهَجِ القَويمِ؛ وإنَّ مِن أعظمِ ما يُهتدَى بهِ، القرآنُ الكريمُ؛ فالقرآنُ كلامُ اللهِ جلَّ وعَلا، وهذا أعظم دليل على إعْجازِ القرآنِ الكريمِ، فمَصدَريَّة القرآنِ الكريمِ دليلٌ على إعجازهِ، فهو كَلامُ اللهِ الَّذِي يَصِلُ فَضْلُهُ عَلَى كُلِّ الكَلامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَى كُلِّ الْخَلْقِ، فَهُو الكِتابُ الَّذِي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت: ٤٢.

القُرآنُ هُوَ كَلامُ اللهِ تَعَالَى، وَوَحْيُهُ المنزَّلُ على خَاتمِ أنبيائِهِ مُحَمَّدٍ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المكتوبُ فِي المُصحفِ، المنقولُ إلينا بالتَّواتُرِ، المُتَعَبَّدُ بِتِلاوَتِهِ، المُتَحَدَّى بِإعْجَازِهِ.

رَوَى الإِمَامُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ".

تَعريفُ القُرآنِ فِي اللُّغةِ:

لفْظُ القُرآنِ فِي اللُّغةِ مَصْدرٌ مُرادِفٌ للقِراءَة، ويشير إليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨)﴾ القيامة: ١٧-١٨.

وقِيلَ: إنَّهُ مُشتَقٌّ مِن قَرأَ بِمعنَى تَلَا، وقِيلَ: إنَّهُ مُشتقٌّ مِن قَرأَ بِمعنَى جَمَعَ، ومِنهُ قُرِئَ الماءُ فِي الحَوضِ، إذا جَمَعهُ.

قَالَ الطَّبَرِيُّ: فَأَمَّا الْقُرْآنُ: فَإِنَّ الْمُفَسِّرِينَ اخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِهِ، وَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ تَأْوِيلُهُ عَلَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ، مِنَ التِّلَاوَةِ وَالْقِرَاءَةِ، وَأَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ: قَرَأْتُ الْقُرْآنَ، كَقَوْلِكَ الْخُسْرَانَ: مِنْ خَسِرْتُ، وَالْغُفْرَانَ: مِنْ غَفَرَ اللهُ لَكَ، وَالْكُفْرَانَ: مِنْ كَفَرْتُكَ. وَالْفُرْقَانَ: مِنْ فَرَّقَ اللهُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ؛ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ القيامة: ١٨، يَقُولُ: "بَيَّنَّاهُ؛ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، يَقُولُ: اعْمَلْ بِهِ"؛ وَمَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ هَذَا، فَإِذَا بَيَّنَّاهُ بِالْقِرَاءَةِ، فَاعْمَلْ بِمَا بَيَّنَّاهُ لَكَ بِالْقِرَاءَةِ. وَمِمَّا يُوَضِّحُ صِحَّةَ مَا قُلْنَا فِي تَأْوِيلِ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ القيامة: ١٧، قَالَ: أَنْ نُقْرِئَكَ فَلَا تَنْسَى، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ القيامة: ١٨، عَلَيْكَ، فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ القيامة: ١٨، يَقُولُ: إِذَا تُلِيَ عَلَيْكَ، فَاتَّبِعْ مَا فِيهِ؛ قَالَ الطَّبَرِيُّ: فَقَدْ صَرَّحَ هَذَا الْخَبَرُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ مَعْنَى الْقُرْآنِ عِنْدَهُ الْقِرَاءَةُ، فَإِنَّهُ مَصْدَرٌ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ قَرَأْتَ [١٠].

---

١٠ - رَاجِع تَفْسِير الطَّبَرِيّ ج ١/ ٩٥، تَحْقِيق: أَحْمَد بْن مُحَمَّدِ شَاكِرٍ، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَة، الطَّبْعَةُ الْأُولَى ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠م.

تَعْرِيفُ القُرآنِ فِي الشَّرعِ:

هُو كَلامُ اللهِ سُبحَانهُ وتعَالى، غَيرُ مَخْلُوقٍ، كَلامُ مَنْ لَيْسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ، وَصِفَةُ مَنْ لَيْسَ لَهُ شَبِيهٌ وَلَا نِدٌّ فَهُوَ مِنْ نُورِ ذَاتِهِ جَلَّ وعلا، الْمُنزَّلُ علَى النَّبِيّ مُحَمَّدٍ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باللُّغةِ العَربيَّةِ الْمُعجِزَةُ الْمُؤيّدَةُ لَهُ، الْمُتحدَّى بِهِ العَربَ الْمُتَعبَّدُ بِتِلاوتِهِ، الْمَنْقُولُ إِلَينَا بالتَّواترِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الزمر: ٢٨.

ورَوَى السُّيُوطِيُّ عَن عُمَر بن الْخطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، وَعبْدِ اللهِ بن عَبَّاسٍ رَضِي الله عَنْهُمَا، وَأَنَسِ بن مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، وَأَبِي الدَّرْدَاءَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ، قَالُوا "الْقُرْآنُ كَلَامُ اللهِ غَيرُ مَخْلُوقٍ" [١١].

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥)﴾ الشعراء: ١٩٢-١٩٥.

فَالقُرآنُ هُو كَلامُ اللهِ الَّذِي تَحَدَّى بِهِ الْبَشَرِيَّةَ جَمْعَاءَ، وَتَحَدَّى بِهِ الْمُشْرِكِينَ خَاصَّةً، وَمَا زَالَ التَّحَدِّي قَائِمًا، وَسَيَظَلُّ إِلَى يومِ الْقِيَامَةِ، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ الإسراء: ٨٨. فَمَنْ رَأَى فِي نَفسِهِ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ جَاءَ بِهَذَا الْكِتَابِ مِنْ عِندِ نَفسِهِ، فَتَحَدَّاهُ اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِحَدِيثٍ

١١ - رَاجِع تَفْسِير الدُّرّ الْمَنْثُور فِي التَّفْسِيرِ بِالْمَأْثُورِ، للسُّيُوطِيّ ج ٧/٢٢٣، دَارُ الْفِكْرِ، بَيْرُوت.

يُشَابِهُهُ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤)﴾ الطور: ٣٣-٣٤.

وَأَهلُ الجَاهِلِيَّةِ يَتَغَايَرُونَ فِي أسمَائِهِمْ وَأَزمَانِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ يَتَشَابَهُونَ فِي مَاهِيَّاتِهِمْ، فَأَلْسِنَتُهُمْ مُتَشَابِهَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ مُتَشَابِهَةٌ، فَكَانَ حَالُ أَهَلِ الجَاهِلِيَّةِ حِينَ يَسْمَعُونَ الْقُرآنَ العَزِيزَ، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ الأنفال: ٣١. وَعَلِمَ اللهُ أَنَّهُمْ سَيَعجَزُونَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ هود: ١٣.

وَعَلِمَ اللهُ أَنَّهُمْ سَيَعجَزُونَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة: ٢٣. وَعَلِمَ اللهُ أَنَّهُمْ سَيَعجَزونَ، فَجَاءَ الْوَعْدُ وَالْوَعِيد مِن الله لَهُمْ، إِنْ هُمُ افْتَرَوا عَلَى اللهِ فَيَقُولُون إِنَّهُمْ رَسُلٌ يُوحَى إِلَيهِمْ، أَو يَقُولُونَ عَنْ غَيرِهِمْ إِنَّهُم رُسُلٌ يُوحَى إِلَيْهِمْ، وَتَوعَّدَ سُبْحَانَهُ مَنْ يَقُولُ إِنَّه يُمكِنُ أَنْ يَكْتُبَ قُرْآنًا، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ الأنعام: ٩٣. ولْيَعلَمْ كُلُّ مُسلِمٍ أَنَّ أهْلَ البَاطِلِ جَمِيعًا مِنْ كَافِرينَ ومُشرِكينَ

ومُنَافِقِينَ سيَعمَلُونَ عَلَى تَبدِيلِ كَلامِ اللهِ، إمَّا بِتَحْرِيفِ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ، أو بِتفْسِيرِهِ عَلى غَيرِ تَأويلِهِ، فَفِي الْمُنافِقِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الفتح: ١٥، فَليَستبْشِرْ كُلُّ مُسلِمٍ أَنَّ اللهَ حَافِظٌ لهذَا الْكِتَابِ الْعَزِيزِ.

وَأَنزَلَ اللهُ القُرآنَ الكرِيمَ ليَكُونَ مَنهجَ حَياةٍ، وَيكُونَ دُستُورًا لِلمُسلِمينَ فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَادِهِمْ، حَتَّى يَرِثَ اللهُ الأَرْضَ ومَن عَليْهَا، فَالقُرآنُ الكَريمُ نُورٌ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٦)﴾ المائدة: ١٥-١٦.

وَالقُرآنُ الكَرِيمُ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ يونس: ٥٧. وَالقُرآنُ الكَرِيمُ شِفَاءٌ لِلمُؤمِنِينَ، وَخُسرَانٌ عَلَى الظَالِمينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ الإسراء: ٨٢.

فَالقُرآنُ الكَريمُ نُورٌ للبَشريَّةِ جَمعَاءَ، ودُستورٌ أَنزلَهُ رَبُّ الأَرضِ والسَّماءِ، ونِبْراسٌ يُضِيءُ جَوانِبَ الأَرضِ والفَضَاءِ، أَخرَجَ اللهُ بِهِ المسلِمينَ مِن غَياهِبِ الجَهْلِ والشِّركِ والظُّلمَاتِ، إلَى نُورِ الحقِّ والهِدايَةِ؛ والقُرآنُ الكَريمُ عِصمةٌ لِمَنْ تَمسَّكَ

بِهِ، ونجاةٌ لِمَنِ اتَّبعَه كَمَا أَخبَرَ اللهُ عَنِ الْجِنِّ لَمَّا سَمِعَتْهُ، حَيثُ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢)﴾ الجن: ١-٢.

وَالقُرآنُ هُو أَسَاسُ رِسَالَةِ التَّوحِيدِ؛ وَحُجَّةُ الرَّسُولِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّامِغَةِ، وَآيَتِهُ الكُبرَى، وَهُوَ الْمَصْدَرُ الْقَوِيمُ لِلتَّشْرِيعِ، وَمَنْهَلُ الْحِكْمَةِ وَالْهِدَايَةِ، وَهُوَ الرَّحْمَةُ الْمُهْدَاةُ، والنِّعْمَةُ الْمُسْدَاةُ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَهُوَ الْمَحَجَّةُ الْبَيْضَاءُ الَّتِي لا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ، قال الله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ هود: ١. وقال الله تعالى: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت: ٤٢.

وَقَدْ تَكفَّلَ اللهُ تَعَالَى لِمَنْ قَرَأَ القُرآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ إِلَّا يُضَلَّ فِي الدُّنيَا، وَلا يَشْقَى فِي الآخِرة، وَتوعَّدَ الذي يُعرِضُ عَنْ ذِكرِ اللهِ بِالضَّنَكِ فِي المَعِيشَةِ والعَمَى فِي الآخِرَةِ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى غَضَبِ اللهِ عَلَيهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى (١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (١٢٧)﴾ طه: ١٢٣-١٢٧.

فَصْلٌ فِي هَجْرِ الْقُرْآنِ

ذَكَرَ الإمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ، خَمسَةَ أنْواعٍ مِنْ هَجْرِ الْقُرْآنِ:

- ❖ أَحَدُهَا: هَجْرُ سَمَاعِهِ وَالْإِيمَان بِهِ والإصغاء إِلَيْهِ.
- ❖ وَالثَّانِي: هَجْرُ الْعَمَل بِهِ وَالْوُقُوفِ عِنْدَ حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ وَإِنْ قَرَأَهُ وآمن بِهِ.
- ❖ وَالثَّالِث: هَجْرُ تَحْكِيمِهِ وَالتَّحَاكُمِ إِلَيْهِ فِي أُصُولِ الدّينِ وَفُرُوعِهِ وَاعْتِقَادُ أَنّهُ لَا يُفِيدُ الْيَقِينَ، وَأَنَّ أَدِلَّتَهُ لَفظِيَّةٌ لَا تُحَصّلُ الْعِلْمَ.
- ❖ وَالرَّابِع: هَجْرُ تَدَبُّرِهِ وَتَفَهُّمِهِ وَمَعْرِفَةِ مَا أَرَادَ الْمُتَكَلّمُ بِهِ مِنْهُ.
- ❖ وَالْخَامِس: هَجْرُ الاسْتِشْفَاءِ وَالتَّدَاوِي بِهِ فِي جَمِيعِ أَمْرَاضِ الْقَلْبِ وَأَدْوَائِهَا، فَيَطْلُبُ شِفَاءَه مِنْ غَيْرِهِ، وَيَهْجُرُ التَّدَاوِي بِهِ، وَكُلُّ هَذَا دَاخلٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ الفرقان: ٣٠؛ وَإِنْ كَانَ بَعضُ الْهَجْرِ أَهْوَنَ مِنْ بَعضٍ [١٢]. نَسْأَلُ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَّا يَجْعَلَنَا مِنَ الَّذِينَ هَجَرُوا الْقُرْآنَ.

---

١٢ - رَاجِع كِتَابَ الْفَوائِدِ لابْنِ الْقَيِّمِ ص ٨٢، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ - بَيْرُوتُ، الطَّبْعَةُ الثَّانِيَةِ ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م.

الْقُرْآنُ فِي الْقُرْآنِ

أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى عَن الْقُرآنِ بِأَنَّهُ هُدَى لأَهْلِ الإِيمَانِ الْمُتَّقِينَ، وَأَنَّه بُشرَى لَهُمْ فِي الآخِرَةِ، وَأَنَّهُ موعِظَةٌ لَهُمْ فِي حيَاتِهِمُ الدُّنْيَا، وَأَنَّهُ تَذكِرَةٌ لَهُمْ فَهُم الخَاشِعُون الَّذِينَ يَخْشَونَ رَبَّهُمْ، وَأَنَّه الْمُخْرِجُ لَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ البقرة: ٢. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ البقرة: ٩٧. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ آل عمران: ١٣٨، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ إبراهيم:١، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (١) إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى (٢)﴾ طه: ١-٣.

وَالْقُرآنُ الْكَرِيمُ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ، الْجِنِّ والإِنْسِ، وَأُمِرَ النَّبِيُّ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبَلِّغَهُ وَلا يَنْتَظِرَ جَزَاءً وَلا شُكُورًا مِنْ خَلْقِ اللهِ الْمُبَلَّغِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ يوسف: ١٠٤. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٨٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ (٨٨)﴾ ص: ٨٦-٨٨.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ القلم: ٥٢، وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨)﴾ التكوير: ٢٧-٢٨.

وَالْقُرْآنُ هُوَ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ الذي يَنْتُجُ عَنْهُ عِندَ أَهْلِ الْخَشيَةِ مِنَ اللهِ قَشْعَرِيرَةً فِي جُلُودِهِمْ، وَخَشْيَةً فِي قُلُوبِهِم، فَيَتَوَلَّدُ مِنْ ذَلِكَ الْوَرَعُ الَّذِي يَكُونُ مَعَهُ الْهُدَى وَالتَّقْوَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاء وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ الزمر: ٢٣.

وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ هُوَ خَيْرُ جَمْعٍ يَجْمَعُهُ الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّ الْقُرْآنَ يَأْخُذُ جَامِعَهُ إِلَى خَيْرٍ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ يونس: ٥٨. فَالْقُرْآنُ أَفْضَلُ الْعُلُومِ عَلَى الإِطْلَاقِ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، وَابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: "فَضْلُ اللهِ الْقُرْآنُ، وَرَحْمَتُهُ الْإِسْلَامُ". وَعَنْهُمَا أَيْضًا: "فَضْلُ اللهِ الْقُرْآنُ، وَرَحْمَتُهُ أَنْ جَعَلَكُمْ مِنْ أَهْلِهِ". وَقَالَ الْحَسَنُ: "كُنَّا نَطْلُبُ الْعِلْمَ لِلدُّنْيَا فَجَرَّنَا إِلَى الآخِرَةِ" (١٣).

وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مَصْدَرُ الشِّفَاءِ وَالْهُدَى لِلّذِينَ آمَنُوا، كَمَا أَنَّهُ مَصْدَرٌ لِلإِضْرَارِ بِالظَّالِمِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ فصلت: ٤٤. وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ الإسراء: ٨٢.

١٣ – رَاجِعْ تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيّ ج ٣٥٣/٨، دَارُ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّة، الْقَاهِرَة، الطَّبْعَةُ الثَّانِيَة ١٣٨٤هـ– ١٩٦٤م.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي كَوْنِهِ شِفَاءً عَلَى قَوْلَيْنِ:

- أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ شِفَاءٌ لِلْقُلُوبِ بِزَوَالِ الْجَهْلِ عَنْهَا وَإِزَالَةِ الرَّيْبِ، وَلِكَشْفِ غِطَاءِ الْقَلْبِ مِنْ مَرَضِ الْجَهْلِ لِفَهْمِ الْمُعْجِزَاتِ وَالْأُمُورِ الدَّالَّةِ عَلَى اللهِ تَعَالَى.
- الثَّانِي: شِفَاءٌ مِنَ الْأَمْرَاضِ الظَّاهِرَةِ بِالرُّقَى وَالتَّعَوُّذِ وَنَحْوِهِ [١٤].

مَا يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ فِعْلُهُ

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "يَنْبَغِي لِقَارِئِ الْقُرْآنِ أَنْ يُعْرَفَ بِلَيْلِهِ إِذِ النَّاسُ نَائِمُونَ، وَبِنَهَارِهِ إِذِ الناس مستيقظون، وببكائه إِذِ النَّاسُ يَضْحَكُونَ، وَبِصَمْتِهِ إِذِ النَّاسُ يَخُوضُونَ، وَبِخُضُوعِهِ إِذِ النَّاسُ يَخْتَالُونَ، وَبِحُزْنِهِ إِذِ النَّاسُ يَفْرَحُونَ". وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: "لَا يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَخُوضَ مَعَ مَنْ يَخُوضُ، وَلَا يَجْهَلُ مَعَ مَنْ يَجْهَلُ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ لِحَقِّ الْقُرْآنِ، لِأَنَّ فِي جَوْفِهِ كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى. وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَأْخُذَ نَفْسَهُ بِالتَّصَاوُنِ عَنْ طُرُقِ الشُّبُهَاتِ، وَيُقِلَّ الضَّحِكَ وَالْكَلَامَ فِي مَجَالِسِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهَا بِمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ، وَيَأْخُذَ نَفْسَهُ بِالْحِلْمِ وَالْوَقَارِ. وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَوَاضَعَ لِلْفُقَرَاءِ، وَيَتَجَنَّبَ التَّكَبُّرَ وَالْإِعْجَابَ، وَيَتَجَافَى عَنِ الدُّنْيَا وَأَبْنَائِهَا إِنْ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ الْفِتْنَةَ، وَيَتْرُكَ

١٤ – رَاجِعْ تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيّ ج ١٠/ ٣١٦.

الْجِدَالَ وَالْمِرَاءَ، وَيَأْخُذَ نَفْسَهُ بِالرِّفْقِ والأدب. وينبغي له أن يكون ممن يُؤْمَنُ شَرُّهُ، وَيُرْجَى خَيْرُهُ، وَيُسْلَمُ مِنْ ضَرِّهِ، وَأَلَّا يَسْمَعَ مِمَّنْ نَمَّ عِنْدَهُ، وأن يُصَاحِبَ مَنْ يُعَاوِنُهُ عَلَى الْخَيْرِ، وَيَدُلُّهُ عَلَى الصِّدْقِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَيُزَيِّنُهُ وَلَا يَشِينُهُ، وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَعَلَّمَ أَحْكَامَ الْقُرْآنِ، فَيَفْهَمَ عَنِ اللَّهِ مُرَادَهُ وَمَا فَرَضَ عَلَيْهِ، فَيَنْتَفِعَ بِمَا يَقْرَأُ وَيَعْمَلَ بِمَا يَتْلُو، فَكَيْفَ يَعْمَلُ بِمَا لَا يَفْهَمُ مَعْنَاهُ؟ وَمَا أَقْبَحَ أَنْ يُسْأَلَ عَنْ فِقْهِ مَا يَتْلُوهُ وَلَا يَدْرِيهِ؟ فَمَا مَثَلُ مَنْ هَذِهِ حَالَتُهُ إِلَّا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا" [١٥].

أَسْمَاءُ الْقُرْآنِ الكريمِ

قَالَ الزَّرْكَشِيُّ: مَعْرِفَةُ أَسْمَائِهِ وَاشْتِقَاقَاتِهَا [١٦]: وَقَدْ صَنَّفَ فِي ذَلِكَ الْحَرَالِيُّ جُزْءًا [١٧]، وَأَنْهَى أَسَامِيَهُ إِلَى نَيِّفٍ وَتِسْعِينَ؛ وَقَالَ الْقَاضِي أَبُو الْمَعَالِي عَزِيزِيُّ

١٥ – رَاجِعْ تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيّ ج ١/ ٢١.

١٦. للتوسع في هذا النوع انظر: مقدمة تفسير الطبري ٣٤/١ والإتقان للسيوطي ١٤٣/١–١٦٣، النوع السابع عشر: معرفة أسمائه وأسماء سوره، ومفتاح السعادة لطاش كبري ٣٥٥/٢، علم معرفة أسمائه وأسماء سوره، وكشف الظنون لحاجي خليفة ٨٩/١، وترتيب العلوم للمرعشي: ٢١٩، وأبجد العلوم للقنوجي ٤٩٠/٢، علم معرفة أسماء القرآن، مقال لحسن حسين في مجلة الأزهر ج١٧، ع٩، عام ١٣٤٥هـ–١٩٤٦م.

بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ رَحِمَهُ اللهُ [18]: اعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى سَمَّى الْقُرْآنَ بِخَمْسَةٍ وَخَمْسِينَ اسْمًا:

سَمَّاهُ كِتَابًا، فَقَالَ: ﴿حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢)﴾ الزخرف: ١-٢.

وَسَمَّاهُ قُرْآنًا، فَقَالَ: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ الواقعة: ٧٧.

وَسَمَّاهُ كَلَامًا، فَقَالَ: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ﴾ التوبة: ٦.

وَسَمَّاهُ نُورًا، فَقَالَ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ النساء: ١٧٤.

وسَمَّاهُ هُدَىً، فقال: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ لقمان: ٣.

وَسَمَّاهُ رَحْمَةً، فَقَالَ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ يونس: ٥٨.

وَسَمَّاهُ فُرْقَانًا، فَقَالَ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ الفرقان: ١.

وَسَمَّاهُ شِفَاءً، فَقَالَ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ الإسراء: ٨٢.

وَسَمَّاهُ مَوْعِظَةً، فَقَالَ: ﴿قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ يونس: ٥٧.

وَسَمَّاهُ ذِكْرًا، فَقَالَ: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾ الأنبياء: ٥٠.

ومن الكتب المؤلفة فيه سوى كتاب الحراليّ: أسماء القرآن الكريم لابن قيم الجوزية شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ)، ذيل طبقات الحنابلة ٢/٤٤٩، ويسمى أيضًا: "شرح أسماء القرآن" لصالح البليهي. رسالة جامعية بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض (معجم مصنفات القرآن ٣/٢٦٨).

١٧ . علي بن أحمد بن الحسن التجيبي الحراليّ.

١٨ . المعروف بشيذلة صاحب "البرهان في مشكلات القرآن".

وَسَمَّاهُ كَرِيمًا، فقال: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ الواقعة: ٧٧.

وَسَمَّاهُ عَلِيًّا، فَقَالَ: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ الزخرف: ٤.

وَسَمَّاهُ حِكْمَةً، فقال: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ﴾ القمر: ٥.

وَسَمَّاهُ حَكِيمًا، فَقَالَ: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ يونس: ١.

وَسَمَّاهُ مُهَيْمِنًا، فَقَالَ: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ المائدة: ٤٨.

وَسَمَّاهُ مُبَارَكًا، فَقَالَ: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾ ص: ٢٩.

وَسَمَّاهُ حَبْلًا، فَقَالَ: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ آل عمران: ١٠٣.

وَسَمَّاهُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، فَقَالَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ الأنعام: ١٥٣.

وَسَمَّاهُ الْقَيِّمَ، فَقَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا﴾ الكهف: ١-٢.

وسماه فصلا فقال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ الطارق: ١٣.

وَسَمَّاهُ نَبَأً عَظِيمًا: ﴿عَمَّ يَتَسَاءلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢)﴾ النبأ: ١-٢.

وَسَمَّاهُ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ، فَقَالَ: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ﴾ الزمر: ٢٣.

وَسَمَّاهُ تَنْزِيلًا، فَقَالَ: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الشعراء: ١٩٢.

وَسَمَّاهُ رُوحًا، فَقَالَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ الشورى: ٥٢.

وَسَمَّاهُ وَحْيًا، فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾ الأنبياء: ٤٥.

وَسَمَّاهُ الْمَثَانِيَ، فَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ الحجر: ٨٧.

وَسَمَّاهُ عَرَبِيًا، فَقَالَ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يوسف: ٢، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

وَسَمَّاهُ قَوْلًا، فَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ القصص: ٥١.

وَسَمَّاهُ بَصَائِرَ، فَقَالَ: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ﴾ الجاثية: ٢٠.

وَسَمَّاهَ بَيَانًا، فَقَالَ: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ آل عمران: ١٣٨.

وَسَمَّاهُ عِلْمًا، فَقَالَ: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ الرعد: ٣٧.

وَسَمَّاهُ حَقًّا، فَقَالَ: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ آل عمران: ٦٢.

وَسَمَّاهُ الْهَادِيَ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ الإسراء: ٩.

وَسَمَّاهُ عَجَبًا، فَقَالَ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ الجن: ١.

وَسَمَّاهُ تَذْكِرَةً، فَقَالَ: ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الحاقة: ٤٨.

وَسَمَّاهُ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، فَقَالَ: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ البقرة: ٢٥٦.

وَسَمَّاهُ مُتَشَابِهًا، فَقَالَ: ﴿كِتَابًا مُّتَشَابِهًا﴾ الزمر: ٢٣.

وَسَمَّاهُ صِدقًا، فقال: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ الزمر: ٣٣، أَيْ بِالقُرْآنِ.

وَسَمَّاهُ عَدْلًا، فَقَالَ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ الأنعام: ١١٥.

وَسَمَّاهُ إِيمَانًا، فَقَالَ: ﴿إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ آل عمران: ١٩٣.

وَسَمَّاهُ أَمْرًا، فَقَالَ: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾ الطلاق: ٥.

وَسَمَّاهُ بُشْرَى، فَقَالَ: ﴿هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ النمل: ٢.

وَسَمَّاهُ مَجِيدًا، فَقَالَ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ البروج: ٢١.

وَسَمَّاهُ زَبُورًا، فَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ الأنبياء: ١٠٥.

وَسَمَّاهُ مُبِينًا، فَقَالَ: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ يوسف: ١.

وَسَمَّاهُ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، فَقَالَ: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ فصلت: ٣- ٤.

وَسَمَّاهُ عَزِيزًا، فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ فصلت: ٤١.

وَسَمَّاهُ بَلاغًا، فَقَالَ: ﴿هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ﴾ إبراهيم: ٥٢.

وَسَمَّاهُ قَصَصًا، فَقَالَ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ يوسف: ٣.

وَسَمَّاهُ أَرْبَعَةَ أَسَامِي فِي آيَتين، فَقَالَ: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤)﴾ عبس: ١٣- ١٤. انْتَهَى [١٩].

وَذَكَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَسْمَاء أُخْرَى [٢٠].

---

١٩ - رَاجِعْ كِتَابَ الْبُرْهَانِ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ ج ٢٧٦/١. مِطبَعَة عِيَسى البَابِي الحَلَبِي، القَاهِرةُ، الطَّبعَة الأُولَى ١٣٧٦هـ- ١٩٧٥م.

٢٠ - ذَكَرَ العُلَمَاءُ أَسْمَاء كَثِيرَةً لِلقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي بُحُوثِهِم وَكُتُبِهِمْ، كَشَيْخِ الإِسْلامِ ابْنِ تَيْمِيَةَ فِي كِتَابِ "مُقَدِّمَةٌ فِي أُصُول التَّفْسِيرِ" ص ١٢، دَارُ مَكْتَبَة الحَيَاة - بَيْرُوت، ١٤٩٠هـ، ١٩٨٠م. وكَذلِكَ الإِمَامُ الزَّرْكَشِيُّ فِي كِتَابِ "البُرهَانُ فِي عُلُومِ القُرآنِ" ج ٢٧٣/١، مِطبَعَة عِيَسى البَابِي الحَلَبِي - القَاهِرةُ، الطَّبعَة الأُولَى ١٣٧٦هـ- ١٩٧٥م.

فَصْلٌ فِي عَدِّ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

اتَّفَقَ أَهْلُ الْعِلْمِ قَاطِبَةً عَلَى أَنَّ القَرْآنَ الْكَرِيمَ هُوَ كَلامُ اللهِ المُنَزَّلُ عَلَى رَسُولِه الكَرِيمِ عَنْ طَرِيقِ وَحْيِ السَّمَاءِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَهُوَ الذي بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ، وَيَحْتَوِي عَلَى مِئَةٍ وَأَرْبَعَةَ عَشْرِ سُورَةٍ، أَوَّلُهَا سُورَةُ الْفَاتِحَةِ وَآخِرُهَا سُورَة النَّاسِ، مِنْهَا سَبْعَةٌ وَثَمَانونَ سُورَةً مَكِّيَّةً، وَسَبْعَةٌ وَعِشْرونَ سُورَةً مَدَنِيَّةً. وَالقَرْآنُ الْكَرِيمُ مُقَسَّمٌ إِلَى ثَلاَثِينَ جُزْءًا، وَكُلُّ جُزْءٍ مُقَسَّمٌ إِلَى حِزْبَينِ، وَكُلُّ حِزْبٍ مُقَسَّمٌ إِلَى أَرْبَعَةِ أَرْبَاعٍ، يُسَمَّى كُلُّ رُبْعٍ مِنْهَا "رُبْعَ الْحِزْبِ"، فَيَكُونُ عَدَدُ أَحْزَابِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ سِتِّينَ حِزْبًا، وَعَدَدُ أَرْبَاعِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِئَتَينِ وَأَرْبَعِينَ رُبْعًا.

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ مِنَ الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ فِي عَدَدِ آيِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَعَدُّوهُ آيَةً آيَةً، وَكَانَ لِهَذَا الْعَدَدِ عُلَمَاءُ، لُقِّبُوا بِعُلَمَاءِ الْعَدَدِ، وَهُمْ سَبْعَةٌ عَلَى الْمَشْهُورِ [٢١]:

❖ **العدد المَدَنِي الأَوَّلُ:** هُوَ مَا يَرْوِيهِ الإِمَامُ نَافِعٌ عَنْ شَيْخَيْهِ، أَبِي جَعْفَرَ يَزِيدِ بْنِ القَعْقَاعِ، وَشَيْبَةِ بْنِ نَصَّاحِ، وَهَذَا الْعَدَدُ يَرْوِيهِ أَهْلُ الْكُوفَةِ عَنْ

وكَذلِكَ الفَيْرُوز أبَادِي فِي كِتَابِ "بَصَائِرُ ذَوِي التَّمْيِيز فِي لَطَائِفِ الكِتَابِ العَزِيزِ" ج ٨٨/١، إحيَاءُ التُّرَاثِ الإِسْلامِيّ – القَاهِرَة، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

٢١ – ذَكَرَ ذَلِكَ عُلَمَاءُ الْقِرَاءَاتِ فِي كُتبِهِم، كَالإِمَامِ الدَّانِيّ فِي كِتَابِهِ "الأَحْرُفِ السَّبْعَةِ فِي القُرْآنِ"، وابْنِ مُجَاهِدٍ فِي كِتَابِه "السَّبْعَةِ فِي القِرَاءَاتِ"، وَالسِّيُوطِيّ فِي كِتَابِ "الإِتْقَانِ فِي عُلُومِ القُرآنِ"، وَالزُّرْقَانِي فِي كِتَابِ "مَنَاهِلِ العِرفَانِ"، وَغَيْرِهِم، وَهَذا النَّص بِتَصَرُّفٍ ذَكَرَهُ شَيْخُنَا عَبْدُ الْفَتَّاحِ الْقَاضِي فِي كِتَابِهِ "الفَرَائِدِ الحِسَانِ فِي عَدِّ آيِ الْقُرْآنِ" ص ٢٥: ٢٧. مَكْتَبَةِ الدَّارْ – الْمَدِيْنَةِ الْمُنَوَّرَةِ – الطَّبْعَةُ الأُولَى ١٤٠٤ هـ.

أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِدُونِ تَعْيِينِ أَحَدٍ مِنْهُمْ، بِمَعْنَى أَنَّهُ مَتَى رَوَى الْكُوفِيُّونَ الْعَدَدَ عَنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِدُونِ تَسْمِيَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ فَهُوَ عَدَدُ الْمَدَنِيِّ الْأَوَّلُ. وَرَوَى أَهْلُ الْبَصْرَةِ عَدَدَ الْمَدَنِيِّ الْأَوَّلِ عَنْ وَرْشٍ عَنْ نَافِعٍ عَنْ شَيْخَيْهِ، وَعَدَدُ آيِ الْقُرْآنَ فِي رِوَايَةِ الْكُوفِيِّينَ عَنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ٦٢١٧ آيَةً. وَفِي رِوَايَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ عَنْ وَرْشٍ ٦٢١٤ آيَةً. وَالَّذِي اعْتَمَدَهُ الْإِمَامُ الشَّاطِبِيُّ رِوَايَةَ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَقَدْ تَبِعَ فِي ذَلِكَ الْإِمَامَ الدَّانِي.

❖ **الْعدد المَدَنِيُّ الْأَخِيرُ:** هَوَ مَا يَرْوِيهِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ جَعْفَر عَنْ يَزِيدَ، وَشَيْبَةَ، بِوَاسِطَةِ نَقْلِهِ عَنْ سُلَيْمَانَ بْن جَمَّازٍ. وَعَدَدُ آيِ الْقُرْآنِ عِنْدَهُ ٦٢١٤ آيَةً.

❖ **الْعَدَدُ الْمَكِّيُّ:** هُوَ مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ الدَّانِيُّ بِسَنَدِهِ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ كَثِيرٍ الْقَارِئ عَنْ مُجَاهِدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَعَدَدُ آيِ الْقُرْآنِ عِنْدَهُ ٦٢١٠ آيَةً.

❖ **الْعَدَدُ الْبَصْرِيُّ:** هُوَ مَا يَرْوِيهِ عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ، وَعَاصِمُ الْجَحْدَرِيُّ. وَهُوَ مَا يُنْسَبُ إِلَى أَيُّوبِ بْنِ الْمُتَوَكِّلِ. وَعَدَدُ آيِ الْقُرْآنِ عِنْدَهُ ٦٢٠٤ آيَةً.

❖ **الْعَدَدُ الدِّمَشْقِيُّ:** هُوَ مَا رَوَاهُ يَحْيَى الذُّمَارِيُّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَامِرٍ الْيَحْصُبِيِّ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَيُنْسَبُ هَذَا الْعَدَدُ إِلَى

عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَعَدَدُ آيِ الْقُرْآنِ عِنْدَه ٦٢٢٧ آيَةً، وَقِيلَ: ٦٢٢٦ آيَةً.

❖ **الْعَدَدُ الْحِمْصِيُّ:** هُوَ مَا أُضِيفَ إِلَى شُرَيْحِ بْنِ يَزِيدٍ الْحِمْصِيّ الْحَضْرَمِيّ، وَعَدَدَ آيِ الْقُرْآنِ عِنْدَه ٦٢٣٢ آيَةً.

❖ **الْعَدَدُ الْكُوفِيُّ:** هُوَ مَا يَرْوِيهِ حَمْزَةُ، وَسُفْيَانُ عَنْ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي اللهُ عَنْهُ بِوَاسِطَةِ ذَوِي عِلْمٍ وَخِبْرَةٍ، وَهَذَا الْعَدَدُ هَو الَّذِي اشْتَهَرَ بِالْعَدَدِ الْكُوفِيّ فَيَكُونُ لِأَهْلِ الْكُوفَةِ عَدَدَانِ: أَحَدُهُمَا: مَرْوِيٌّ عَنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَهوَ الْمَدَنِيُّ الْأَوَّلُ السَّابِقُ ذِكْرُهُ؛ وَثَانِيهِمَا: مَا يَرْوِيهِ حَمْزَةُ، وَسُفْيَانُ كَمَا تَقَدَّمَ، وَالْحَاصِلُ أَنَّ مَا يُرْوَى عَنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ مَوْقُوفًا عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَهُو الْمَدَنِيُّ الْأَوَّلُ، وَمَا يُرْوَى عَنْهُمْ مَوصُولًا إِلَى عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي اللهُ عَنْهُ فَهُوَ الْمَنْسُوبُ إِلَيْهِمْ وَعَدَدُ آيِ الْقُرْآنِ عِنْدَه ٦٢٣٦ آيَةً. انْتَهَى.

وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِيهِ أَرْبَعْمَائَةُ آيَةً تَحْتَوى عَلَى أَحْكَامٍ فِقْهِيَّةٍ، وَبَاقِي آيَاتِ الْقُرْآنِ آيَاتٌ لِتَزْكِيةِ النُّفُوسِ، وَتَطْهِيرِ الْقُلُوبِ، وَالْوَعْدِ والْوَعِيدِ، وَأَخْبَارِ الأُمَمِ السَّابِقَةِ، فَسُبْحَانَ اللهِ الَّذِي أَنْزَلَ الكِتَابَ مَنْهَجَ حَياةٍ لِلْمُسْلِمِينَ، وَرِفْعَةً لِشَأْنِهِمْ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ.

وَعَدَدُ كَلِمَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ٧٧٩٣٤ كلمةً قرآنيةً، وَعَدَدُ أَحُرفِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ٣٢٣٦٧٠ حَرْفًا عَلَى الْعَدِّ الْكُوفِيّ. وعَدَدُ النَّقْطِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ١٠١٥٠٣٠ نُقْطَة عَلَى الْتَقْرِيبِ.

كُلُّ السُّورِ يُسْتَحَبُّ فِيهَا كِتَابَةُ الْبَسْمَلَةِ وَبِدْءُ الْقِرَاءَةِ بِهَا، سِوَى سُورَةِ "التَّوبَةِ"، وَفِي سُورَةِ "النَّمْلِ" بَسْمَلَتَانِ، الْبَسْمَلَةُ الأُولَى المُسْتَحَبَّة فِي فَوَاتِحِ السُّورِ، والبَسْمَلَةُ الثَّانِيَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ النمل: ٣٠.

وَالْمَقَاطِعُ وَالْجُمَلُ التي فِي السُّورَةِ تُسَمَّى آيَةً، وفِي أَسْمَاءِ الْقُرْآنِ سِتُّ سُورٍ تَحْمِلُ أَسْمَاءَ سِتَّةِ أَنْبِيَاءَ، وَهَذِهِ السُّورُ هِيَ: سُورَةُ يُونُسَ، سُورَةُ هُودٍ، سُورَةُ يُوسُفَ، سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ، سُورَةُ مُحَمَّدٍ، سُورَةُ نوُحٍ، عَلَيْهِمْ جميعًا أَزْكَى الصَّلَوَاتُ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ.

وَأَطْوَلُ سُورِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَعَدَدُ آيَاتِهَا مَائَتَانِ وَسِتٌّ وَثَمَانونَ آيةً، وَأَقْصَرُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ سُورَةُ الْكَوثَر، وَعَدَدُ آيَاتِهَا ثَلَاثُ آيَاتٍ.

لَفْظُ الْجَلالَةِ "الله" وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ٢٧٠٧ مَرَّةً، فَوَرَدَ لَفْظُ الْجَلالَةِ مَرْفُوعًا ٩٨٠ مَرَّةً، وَوَرَدَ لَفْظُ الْجَلالَةِ مَنْصُوبًا ٥٩٢ مرةً، وَوَرَدَ لَفْظُ الْجَلالَةِ مَجْرُورًا ١١٣٥ مرةً.

وَجَاءَتِ الآيَاتُ فِي مَكَانِهَا لِتُعْطِيَ لأَهْلِ الاعْتِبَارِ الْحِكْمَةَ والْعِلْمَ والتَّبَصُّرَ، فَجَاءَتْ كَلِمَةُ ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ الكهف: ١٩، مُتَوَسِّطَةً كَلِمَاتِ الْقُرْآنَ الْكَرِيمِ، وَجَاءَ حَرْفُ التَّاءِ فِيهَا مُتَوسِّطًا أَحْرُفِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كُلِّهَا. وَجَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ البقرة: ١٤٣، مُتَوَسِّطةً آيَاتِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، حَيْثُ إنَّ آيَاتِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ٢٨٦ آيَةً. واسْتَنْبَطَ الْعُلَمَاءُ سِنَّ الْقَوَاعِدِ مِنَ النِّسَاءِ بِرَقَمِ الآيَةِ التي جَاءَ النَّصُّ تَحْتَهَا، حَيْثُ وَرَدَتْ فِي الآيَةِ السِّتِّينَ مِنْ سُورَةِ النُّور، حَيْثُ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاء اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ النور: ٦٠. فَقَالُوا إذَا بَلَغَتِ الْمَرْأَةُ سِنَّ السِّتِّينَ عُدَّتْ مِنَ الْقَوَاعِدِ {اللاَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكاحًا}. وَكَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ اللَّطَائِفِ الْعَظِيمَةِ فِي كِتَابِ اللهِ لَا تَخْفَى عَلَى مَنْ يَسَّر اللهُ لَهُ الْعِلْمَ بِهَا؛ وَأَسْأَلُ اللهَ أَنْ نَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِهِ.

وَلِكُلِّ سُورَةٍ مِنْ سُوَرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ اسْمٌ خَاصٌّ بِهَا؛ وَأُطْلِقَ عَلَى بَعْضِ السُّورِ أَكْثَرُ مِن اسْمٍ، وَعَدَّ الْعُلَمَاءُ لِسُورَةِ الْفَاتِحَةِ أكثر مِنْ عِشْرِينَ اسْمًا فَقَالُوا:

- ❖ الْفَاتِحَةَ، وَهُوَ اسْمُهَا، والَّذِي عَرَفَهَا الْعَامَّةُ بِه، وَيُقْصَدُ بِهِ فاتحة الكتاب، فَبِهَا افْتُتِحَ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ، وَبِهَا تُفْتَتَحُ الِقرَاءَةُ فِي الصَّلاةِ.
- ❖ وَهِيَ "أُمُّ الْكِتَابِ" [٢٢] وَهَذَا قَولُ الجمهور.

٢٢ - بَوَّبَ الإمَامُ الْبُخَارِيُّ بَابًا فِي كِتَابِ "تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ"، قَالَ: بَابُ مَا جَاءَ فِي فَاتِحَةِ الكِتَابِ، وَسُمِّيَتْ أُمَّ الكِتَابِ لأَنَّهُ يُبْدَأُ بِكِتَابَتِهَا فِي المَصَاحِفِ، وَيُبْدَأُ بِقِرَاءَتِهَا فِي الصَّلاَةِ.

❖ وقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ" [٢٣].

❖ وَهِيَ سُورَةُ "الْحَمْدِ".

❖ وَهِيَ سُورَةُ "الصَّلاَةِ" لأَنَّهُ لَا تَصِحُّ الصَّلاةُ إِلَّا بِهَا، ولِقَوْلِ رَبِّ الْعِزَّةِ وَالْجَلالِ: "قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ" [٢٤].

❖ وَهِيَ سُورَةُ "الشِّفَاءِ"، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ" [٢٥].

❖ وَهِيَ سُورَةُ "الرُّقْيَةِ"، لِقَوْلِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: "وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ" [٢٦].

❖ وَهِيَ سُورَةُ "أَسَاسِ الْقُرْآنِ".

❖ وَهِيَ سُورَةُ "الْوَافِيَةِ" لأَنَّهَا تُوَفِّي لِلْمُسْلِمِينَ طَلَبَهُمْ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ بِأَمْرِ رَبِّهِمْ.

---

٢٣ – رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ رَقَمَ ٤٤٧٤، فِي كِتَابِ "تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ"، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَاتِحَةِ الكِتَابِ، وَسُمِّيَتْ أُمَّ الكِتَابِ لأَنَّهُ يُبْدَأُ بِكِتَابَتِهَا فِي المَصَاحِفِ، وَيُبْدَأُ بِقِرَاءَتِهَا فِي الصَّلاَةِ.

٢٤ – رَوَاهُ مُسْلِمُ رَقْمَ ٣٨ – ٣٩٥، فِي كِتَابِ الصَّلاةِ، بَابُ: وُجُوبِ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، وَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يُحْسِنِ الْفَاتِحَةَ، ولَا أَمْكَنَهُ تَعَلُّمُهَا قَرَأَ مَا تَيَسَّرَ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا.

٢٥ – حَدِيثٌ مُرْسَلٌ حَسَنٌ لِغَيْرِهِ، رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ رَقَم ٣٤١٣، فِي كِتَابِ الصَّلاة، بَابُ: فَضْلِ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَاخْتُلِفَ فِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، وَثَّقَهُ البُخَارِيُّ، وَهُوَ مِنْ رِجَالِ مَسْلِمْ.

٢٦ – رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ رَقَمْ ٢٢٧٦، فِي كِتَابِ الإِجَارَةِ، بَابُ: مَا يُعْطَى فِي الرُّقْيَةِ عَلَى أَحْيَاءِ العَرَبِ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ.

❖ وَهِيَ سُورَةُ "الْكَافِيَةِ"، لأَنَّهَا تَكْفِي عَمَّا عَدَاهَا، ولَا يَكْفِي مَا سِوَاهَا عَنْهَا.

❖ وَهِيَ سُورَةُ "الكنز" لأَنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ.

❖ وَهِيَ سُورَةُ "الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ" ذُكِرَتْ بِهَذَا الاسْمِ لأَنَّهَا تَضَمَّنَتْ جَمِيعَ عُلُومِهِ [٢٧].

وَبَعْضُ السُّوَرِ سُمِّيَتْ بِمَطْلَعِهَا الَّتِي افْتُتِحَتْ بِهِ، وَهِيَ سُورَةُ طَهَ، يَس، ص، ق، الطُّور، النَّازِعَات. وَالسُّوَرُ وَالآيَاتُ الْمَكِّيَّةُ هِيَ الَّتِي نَزَلَتْ فِي مَكَّةَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ، وَالسُّوَرُ وَالآيَاتُ الْمَدَنِيَّةُ هِيَ التي نَزَلَتْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ؛ وَفِي هَذَا عِنْدَ عُلَمَاءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بَسْطٌ.

قَالَ الزَّرْكَشِيُّ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ النَّيْسَابُورِيُّ، فِي كِتَابِ التَّنْبِيهِ عَلَى فَضْلِ عُلُومِ الْقُرْآنِ: مِنْ أَشْرَفِ عُلُومِ الْقُرْآنِ، عِلْمُ نُزُولِهِ، وَجِهَاتِهِ، وَتَرْتِيبُ مَا نَزَلَ بِمَكَّةَ ابْتِدَاءً، وَوَسَطًا، وَانْتِهَاءً، وَتَرْتِيبُ مَا نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ كَذَلِكَ، ثُمَّ مَا نَزَلَ بِمَكَّةَ وَحُكْمُهُ مَدَنِيٌّ، وَمَا نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ وَحُكْمُهُ مَكِّيٌّ، وَمَا نَزَلَ بِمَكَّةَ فِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَمَا نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ فِي أَهْلِ مَكَّةَ، ثُمَّ مَا يُشْبِهُ نُزُولَ الْمَكِّيِّ فِي الْمَدَنِيِّ، وَمَا يُشْبِهُ نُزُولَ الْمَدَنِيِّ فِي الْمَكِّيِّ، ثُمَّ مَا نَزَلَ بِالْجُحْفَةِ، وَمَا نَزَلَ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَمَا نَزَلَ بِالطَّائِفِ، وَمَا نَزَلَ بِالْحُدَيْبِيَةِ، ثُمَّ مَا نَزَلَ لَيْلًا، وَمَا نَزَلَ نَهَارًا، وَمَا نَزَلَ مُشَيَّعًا، وَمَا نَزَلَ مُفْرَدًا، ثُمَّ الآيَاتِ الْمَدَنِيَّاتِ فِي السُّوَرِ الْمَكِّيَّةِ،

٢٧ - رَاجِع تَفسِيرَ ابْن كَثِيرٍ ج ١/١٠١، دَارُ طِيْبَة لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ، الطَّبْعَةُ الثَّانِيَة ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

وَالْآيَاتِ الْمَكِّيَّةِ فِي السُّوَرِ الْمَدَنِيَّةِ، ثُمَّ مَا حُمِلَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَمَا حُمِلَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ، وَمَا حُمِلَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، ثُمَّ مَا نَزَلَ مُجْمَلًا، وَمَا نَزَلَ مُفَسَّرًا، وَمَا نَزَلَ مَرْمُوزًا، ثُمَّ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَدَنِيٌّ؛ هَذِهِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ وَجْهًا مَنْ لَمْ يَعْرِفْهَا وَيُمَيِّزْ بَيْنَهَا لَمْ يَحِلَّ لَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى [٢٨].

وَأَقْصَرُ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ هِي قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يس﴾ يس: ١، وَأَطْوَلُ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ آيَةَ الدَّيْنِ، وَهِيَ الآيَةُ الثَّانِيَةُ وَالثَّمَانونَ بَعْدَ الْمَائَتَيْنِ مِنْ سُورَةِ البَقَرَةِ.

وَفِي القُرْآنِ الكَرِيمِ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ سُورَةً تَبْدَأُ بِالْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ، وَخَمْسُ سُوَرٍ تَبْدَأُ بِالْحَمْدِ، وَهِيَ سُورَةُ الفَاتِحَةِ، وَسُورَةُ الأَنْعَامِ، وَسُورَةُ الْكَهْفِ، وَسُورَةُ سَبَأٍ، وَسُورَةُ فَاطِرٍ.

وَسَبْعُ سُوَرٍ تَبْدَأُ بِتَسْبِيحِ الْخَالِقِ جَلَّ وَعَلا، وَهِيَ، سُورَةُ الإِسْرَاءِ "سُبْحَانَ"، وَسُورَةُ الأَعْلَى "سَبِّحِ"، وَسُوَرُ التَّغَابُنِ وَالْجُمْعَةِ وَالصَّفِّ، وَالْحَشْرِ، وَالْحَدِيدِ "يُسَبِّحُ".

وَثَلاَثُ سُورٍ تَبْدَأُ بِـ "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ"، وَهِيَ سُوَرُ الأَحْزَابِ وَالطَّلاقِ وَالتَّحْرِيمِ.

وَثَلاَثُ سُورٍ تَبْدَأُ بِـ "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا"، وَهِيَ سُوَرُ "الْمَائِدَةِ وَالْحُجُرَاتِ وَالْمُمْتَحَنَةِ".

---

٢٨ - رَاجِع كِتَاب "البُرهَان فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ"، لِلزَّرْكَشِيُّ، ج ١/١٩٢، دَارُ إِحْيَاء الكُتُبِ العَرَبِيَّةِ، عِيسَى الحَلَبِي - القَاهِرَةُ، الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧م.

وَسُورَتَانِ تَبْدآنِ بِـ "يَا أَيُهَا النَّاسُ"، وَهُمَا سُورَتَا النِّسَاءِ، وَالْحَجِّ.

وَخَمْسُ سُوَرٍ تَبْدَأُ بِـ "قُلْ"، وَهِيَ سُوَرُ الْجِنِّ، وَالْكَافِرُونَ، وَالإِخْلاَصِ، وَالْفَلَقِ، وَالنَّاسِ.

وَأَرْبَعُ سُوَرٍ تَبْدَأُ بِـ "إِنَّا"، وَهِيَ سُورُ الْفَتْحِ، وَنُوْحٍ، وَالْقَدْرِ، وَالْكَوْثَرِ.

وَخَمْسَةُ عَشَرَةَ سُورَةً تَبْدَأُ بِصِيغَةِ الْقَسَمِ، وَهِيَ سُورِ: الذَّارِيَاتِ، وَالطُّورِ، وَالشَّمْسِ، وَاللَّيْلِ، وَالضُّحَى، وَالتِّينِ، وَالْعَادِيَاتِ، وَالْعَصْرِ، وَالصَّافَّاتِ.

وَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ خَمْسَ عَشَرَةَ آيَةَ سَجْدَةٍ: أَرْبَعٌ مِنْهَا وَاجِبَةٌ، وَرَدَتْ فِي سُوَرِ "فُصِّلَتْ" و"السَّجْدَةِ" وَ"النَّجْمِ" و"الْعَلَقِ"، وَإِحْدَى عَشَرةَ سَجْدَةً مُسْتَحَبَّةً وَرَدَتْ فِي سُوَرِ "الأَعْرَافِ" و"النَّحْلِ" و"مَرْيَمِ"، و"النَّمْلِ" و"الانْشِقَاقِ" و"الرَّعْدِ" و"الإِسْرَاءِ" و"الْفُرْقَانِ" و"ص"، وَفِي سُورَةِ "الْحَجِّ" سَجْدَتَانِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: "كَلَّا"، وَرَدَ فِي نِصْفِ الْقُرْآنِ الثَّاني، وَلَمْ تَرِدْ فِي النِّصْفِ الأَوَّلِ.

وَسُورَةُ الْمُجَادَلَةِ هِي السُّورَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي وَرَدَ لَفْظُ الْجَلاَلَةِ {الله} فِي كُلِّ آيَةٍ مِنْ آيَاتِهَا.

أَطْوَلُ كَلِمَةٍ فِي الْقُرآنِ هِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: "فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ" الحجر: ٢٢، وَعَدَدُ أَحْرُفِهَا أَحَدَ عَشَرَ حَرْفًا [٢٩].

وَمِنْ أَعْظَمِ حُقُوقِ الْقُرْآنِ عَلَى الأُمَّةِ التي أَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّهَا الْقُرآنَ، أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ بِتَدَبُّرٍ، وَتَفَهُمٍ، وَتَعَقُّلٍ، قَالَ اللهُ مُحَذِّرًا مَنْ أُغْلِقَتْ قُلُوبُهُمْ عَنِ الْقُرْآنِ: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ محمد: ٢٤، فَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ قُرْبَةٌ مِنْ أَعْظَمِ الْقُرُبَاتِ، وَعِبَادَةٌ مِنْ أَجَلِّ الْعِبَادَاتِ، يُعْطِي اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهَا مِنَ الأَجْرِ وَالثَّوَابِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى غَيْرِهَا، وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: "سُورَةُ الْفَاتِحَةِ هِيَ أَوَّلُ سُورَةٍ فِي تَرْتِيبِ الْمُصْحَفِ، وَسُورَةُ النَّاسِ آخَرُ سُورَةٍ فِي تَرْتِيبِ الْمُصْحَفِ"، وَهَذَا وِفْقا لِلتَّرْتِيبِ الْمَعرُوفِ فِي الْمُصْحَفِ الْعُثْمَانِيِّ؛ وَلْيَعْرِفْ طَالِبُ الْعِلْمِ أَنَّ تَرْتِيبَ الْمُصْحَفِ يَخْتَلِفُ عَنْ تَنْزِيلِ السِّوَرِ؛ فَمِنَ الثَّابِتِ أَنَّ سُورَةَ الْعَلَقِ أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ [٣٠]، وَسُورَةَ النَّصْرِ آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ عَلَى قَلْبِ الْحَبِيبِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

٢٩ – بَعْضُ النَّاس يَعُدُّ قَوْلَهُ تَعَالَى: {أَنُلْزِمُكُمُوهَا (٢٨)} سُورَةِ هَودٍ، فَعَدَدُ أَحْرُفِهَا عَشَرَةُ أَحْرُفٍ، وَلَكِنْ أَطْوَلُ كَلِمَةٍ فِي الْقُرْآنِ {فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ (٢٢)} سُورَةُ الْحِجْرِ، وَعَدَدُ أَحْرُفِهَا أَحَدَ عَشَرَ حَرْفًا.

٣٠ – الثَّابِتُ أَنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَطْلَعُ سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ، لِمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ: سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَوَّلِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرآنِ، قَالَ: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ}، قُلْتُ: يَقُولُونَ: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}؟ فَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ: سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ ذَلِكَ، وَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ الَّذِي قُلْتَ: فَقَالَ جَابِرٌ: لَا أُحَدِّثُكَ إِلَّا مَا

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللهِ، فَتَعَلَّمُوا مَأْدُبَةَ اللهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حَبْلُ اللهِ وَالنُّورُ الْمُبِينُ النَّافِعُ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، وَنَجَاةٌ لِمَنْ تَبِعَهُ، لَا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ، وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبُ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَخْلَقُ عَن كَثْرَةِ الرَّدِّ، فَاتْلُوهُ فَإِنَّ اللهَ يَأْجُرُكُمْ عَلَى تِلَاوَتِهِ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، أَمَا إِنِّي لَا أَقُولُ: ﴿الم﴾، وَلَكِنِ بالْأَلِفِ، وَاللَّامِ، وَالْمِيمِ". وَفِي رِوَايَةِ الْعَلَوِيِّ: "لَا أَعْنِي ﴿الم﴾ عَشْرًا، وَلَكِنِ الْأَلِفُ عَشْرًا، وَاللَّامُ عَشْرًا، وَالْمِيمُ عَشْرًا" (٣١).

حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "جَاوَرْتُ بِحِرَاءٍ، فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي هَبَطْتُ فَنُودِيتُ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ عَنْ شِمَالِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ أَمَامِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، وَنَظَرْتُ خَلْفِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ شَيْئًا، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي وَصُبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا، قَالَ: فَدَثَّرُونِي وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا، قَالَ: فَنَزَلَتْ: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣)} سُورَةُ المدثر". الْحِدِيثُ رَقَم ٤٩٢٢، فِي كِتَابِ التَّفْسِير، بَابُ: سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ.

٣١ - حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ رَقَمْ ١٨٣٢، بَابُ: فَصْل فِي إِدْمَانِ الْقُرْآنِ، وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ رَقَمْ ٢٠٤٠، فِي كِتَابِ فَضَائِلُ الْقُرْآنِ، بَابُ: أَخْبَار فِي فَضَائِلِ الْقُرْآنِ جُمْلَة؛ وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ. وَقَالَ الأَلْبَانِيُّ: هَذَا إِسْنَادٌ لَا بَأْسَ بِهِ فِي الْمُتَابَعَاتِ، رِجَالُهُ كُلُّهُمْ ثِقَاتٌ غَيْرَ إِبْرَاهِيمَ بْن مُسْلِمٍ وَهُوَ لَيِّنُ الْحَدِيثِ، وَمِنْ طَرِيقِهِ أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ ج ٥٥٥/١، وَقَالَ: صَحِيحُ الإِسْنَادِ. وَرَدَّهُ الذَّهَبِيُّ بِقَوْلِهِ: إِبْرَاهِيمُ ضَعِيفٌ. وَلَهُ مُتَابِعٌ آخَرُ أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ ج ٥٦٦/١، عَنْ عَاصِمِ بْنِ أَبِي النُّجُودِ عَنْ أَبِي الأَحْوصِ بِهِ نَحْوَ حَدِيثِ عَطَاءٍ، وَقَالَ: صَحِيحُ الإِسْنَادِ، وَأَقَرَّهُ الذَّهَبِيُّ.

والثَّابِتُ الْمَعْلُومُ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ هُوَ أَفْضَلُ مَا يُتَعَلَّمُ، وَأَفْضَلُ مَا يُعَلَّمُ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ قوْلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: "خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ" (٣٢). وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يَحُثُّ عَلَى الاجْتِمَاعِ عَلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَمُدَارَسَتِهِ، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ" (٣٣).

وَالْمُؤْمِنُ مَأْمُورٌ بِتَدَبُّرِ هَذَا الْكِتَابِ الْعَظِيمِ، فلَا بُدَّ لِلْمُسْلِمِ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَمُدَارَسَتِهِ وَتَدَبُّرِ مَعَانِيهِ وَالاجْتِمَاعِ عَلَى مَائِدَتِهِ. فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ، كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ قَالَ: "اقْرَؤوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ" (٣٤). وَيَرْتَقِي أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي دَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، عَلَى قَدْرِ مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُ النبيُّ صَلَّى اللهُ

---

٣٢ – تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ، وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ رَقْمْ ٥٠٢٧، فِي كِتَابِ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَابُ: "خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ".

٣٣ – رَوَاهُ مُسْلِمُ مِنْ حدَيثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رَقَمْ ٣٨ – ٢٦٩٩، فِي كِتَابِ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ، بَابُ: فَضْلُ الاجْتِمَاعِ عَلَى تِلاَوَةِ الْقُرْآنِ، وَعَلَى الذِّكْرِ.

٣٤ – رَوَاهُ مُسْلِمُ مِنْ حَدِيثِ أبي أُمَامَةَ البَاهِلِيُّ، رَقَمْ ٢٥٢ – ٨٠٤، فِي كِتَابِ صَلَاة المسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ: فَضْل قِرَاءَةِ القُرْآنِ وَسُورَةِ البَقَرَةِ.

عَلَيهِ وَسَلَّمَ: "يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ في الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا" [٣٥].

وَيَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ الْعَمَلُ بِمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَذَلِكَ بِأَنْ يُحِلَّ حَلالَهُ، وَيُحَرِّمَ حَرَامَهُ، وَأَنْ يَكُونَ وَقَّافًا عِنْدَ حُدُودِ اللهِ فِيهِ، وَيُحَقِّقَ فِي حَيَاتِهِ كُلِّهَا أَنَّ الْقُرْآنَ دُسْتُورٌ أَنْزَلَهُ اللهُ لِيُنَظِّمَ الْعَلاقَةَ التي بَيْنَ الْعَبْدِ وَخَالِقِهِ، وَبَيْنَ الْنَّاسِ بَعْضَهُمْ بَعْضًا، ولَا يُمْكِنُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَتَحَصَّلَ عَلَى هَذَا الْعِلْمِ إِلَّا بِتَعَلُّمِهِ وَفَهْمِهِ، فَيَتَحَصَّلُ لَهُ مَعْرِفَةُ معَانِيهِ، وَإِدْرَاكُ أَلْفَاظِهِ، وَمُرَادُ اللهِ فِيهَا، وَأَنْ يَعْرِفَ أَسْبَابَ نُزُولِهِ، وَأَنْ يَعْرِفَ عِلْمَ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ، وَأَنْ يَتَعَلَّمَ تَفْسِيرَهُ، وَكُلُّ ذَلِكَ لَا بُدَّ لَهُ فِيهِ أَنْ يَخْتَارَ لِتَعْلِيمِهِ الثِّقَاتُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ.

وَلْيَعْلَمْ طَالِبُ الْعِلْمِ أَنَّ مِنْ أَجَلِّ فُنُونِ الْعِلْمِ وَأَشْرَفِهَا عِلْمُ التَّفْسِير، لأَنَّهُ عِلْمٌ مُتَعَلِّقٌ بِكِتَابِ اللهِ الَّذِي هُوَ تَبْيِينُ مَعَانِي كَلاَمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيُفْهَمُ بِهِ كِتَابُ اللهِ الْمُنَزَّلُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّ أَحوَجَ مَا يَحْتَاجُهُ الْمُسْلِمونَ هَذَا الْعِلْمَ، كَوْنَهُ مِنْ أَعْظَمِ الْعُلُومِ وَأَفْضَلِهَا، وَأَنَّهُ يَجْعَلُهُمْ عَلَى اسْتِقَامَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ كَمَا يُحِبُّ اللهُ لَهُمْ.

---

٣٥ – حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيث عَبْدِ اللهِ بْن عَمْرُو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، رَقَمْ ١٤٦٤، فِي كِتَابِ الصَّلَاة، بَاب: اسْتِحْبَاب التَّرْتِيلِ فِي القِرَاءَةِ، وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ رَقَمْ ٢٩١٤، فِي كِتَابِ فَضَائِلِ القُرْآنِ، بَابُ ١٨، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَوَافَقَهُ الأَلْبَانِيُّ.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيّ: لَمَّا كَانَ الْقُرْآنُ الْعَزِيْزُ أَشْرَفَ الْعُلُومِ، كَانَ الْفَهْمُ لِمَعَانِيْهِ أَوْفَى الْفُهُومِ، لأَنَّ شَرَفَ الْعِلْمِ بِشَرَفِ الْمَعْلُومِ [٣٦].

وَنَحْمَدُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى مَا مَنَّ بِهِ عَلَيْنَا مِنَ الانْشِغَالِ بِكِتَابِهِ الْكَرِيمِ، وَتَفْسِيرِهِ، وَتَدَّبُّرِ مَعَانِيْهِ، وَإِنَّهَا لَنِعْمَةٌ كَبِيرَةٌ مِن اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَنَسْأَلُهُ أَنْ يُدِيْمَهَا عَلَيْنَا وَيَرْزُقَنَا الإِخْلاَصَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَنَسأَلُهُ الْقَبولَ وَأَنْ يَغْفِرَ الزَلَلَ.

والتدبر في آيات الله وَاجِبٌ، وَدَلِيلُهُ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ ص: ٢٩، فَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَيَّنَ أَنَّ الْحِكْمَةَ مِنْ إِنْزَالِ هَذَا الْقُرْآنِ الْمُبَارَكِ، أَنْ يَتَدَبَّرَ النَّاسُ آيَاتِهِ، وَأن يَتَذَكَّرَ أَهْلُ الْعَقْلِ وَالْحِكْمَةِ كَلِمَاتِهِ وَأَحْكَامَهُ؛ وَالتَّدَبُّرُ هُوَ التَّأَمُّلُ فِي الأَلْفَاظِ للوُصُولِ إِلَى مَعَانِيها.

قَالَ الطَّبَرِيُّ: لأَنَّ الَّذِي يَتْلُوهُ، إِذَا تَدَبَّرَهُ عَلِمَهُ. وَلا يَسْتَحِقُّ الَّذِي يَتْلُو كِتَابًا قَرَأَهُ، وَإِنْ لَمْ يَتَدَبَّرْهُ بِتَرْكِهِ التَّدَبُّرَ أَنْ يُقَالَ: هُوَ ظَانٌّ لِمَا يَتْلُو، إِلَّا أَنْ يَكُونَ شَاكًّا فِي نَفْسِ مَا يَتْلُوهُ، لَا يَدْرِي أَحَقٌّ هُوَ أَمْ بَاطِلٌ [٣٧]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ محمد: ٢٤. وعَن قَتَادَة: {أَفلا يتدبرون الْقُرْآن}،

---

٣٦ - رَاجِعْ زَاد الْمَسِيرِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ لابْنِ الْجَوزِيّ ج ١/ ١١، دَار الْكِتَابِ الْعَرَبِيّ - بَيْرُوتِ، الطَّبْعَةُ الأُولَى ١٤٢٢هـ.

٣٧ - رَاجِع تَفْسِير الطَّبَرِيّ ج ٢/ ٢٦٢.

قَالَ: إِذن وَاللهِ فِي الْقُرْآنِ زَاجِرٌ عَنْ مَعْصِيّةِ اللهِ، قَالَ: لَمْ يَتَدَبَّرْهُ الْقَوْمُ وَيَعْقِلُوهُ، وَلَكنهُمْ أخذُوا بِمُتَشَابِهِهِ فَهَلَكُوا عِنْدَ ذَلِكَ [٣٨].

وَكَانَ سَلَفُ الأُمَّةِ حِينَ يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ يَتَعَلَّمُونَ أَلْفَاظَهُ وَمَعَانِيهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩)﴾ القيامة: ١٧-١٩. قَالَ البُقَاعِيُّ: {إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ}، أي بيان ألفاظه ومعانيه [٣٩]. وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ: حَدَّثَنَا الَّذِينَ كَانُوا يُقْرِئُونَنَا: أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَقْرِئُونَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يَخْلُفُوهَا، حَتَّى يَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا مِنَ الْعَمَلِ، فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا [٤٠].

---

٣٨ - رَاجِع تَفْسِير ج ١٣/ ٤٤٦، دَار هَجْرٍ - مِصْرَ، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٣٩ - رَاجِع "نَظْمُ الدُّرَرِ في تَنَاسُبِ الآيَاتِ وَالسُّوَرِ" لِلْبُقَاعِيِّ، ج ٨/ ٣٧٨، دَارُ الكُتُب العِلْمِيَّة - بَيْرُوت، الطَّبْعَة الثَّانِيَة ٢٠٠٢م - ١٤٢٤هـ.

٤٠ - رَاجِعْ "أُصُول فِي التَّفْسِيرِ" لابْن عُثَيْمِينَ، ص ٢٣، المَكْتَبَة الإسْلَامِيَّة، الطَّبْعَةُ الأُولَى ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

مَرَاجِعُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

قَالَ الْحَافِظُ بْنُ كَثِيرٍ فِي مُقَدِّمَةِ تَفْسِيرِهِ: فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا أَحْسَنُ طُرُقِ التَّفْسِيرِ؟ فَالْجَوَابُ: إِنَّ أَصَحَّ الطُّرُقِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُفَسَّرَ الْقُرْآنُ بِالْقُرْآنِ [٤١]. أَيْ أَنَّ أَفْضَلَ التَّفْسِيرِ لِلْقُرْآنِ أَنْ يَكُونَ بِالْقُرْآنِ نَفْسِهِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة: ٣٧، فَسَّرَتْهَا الآيَةُ فِي سُورَةِ الأَعْرَافِ، وَبَيَّنَت الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَلَقَّاهَا آدَمُ مِنْ رَبِّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الأعراف: ٢٣.

ثُمَّ يُفَسَّرُ الْقُرْآنُ بِالسُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ، سُنَّة الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْحَدِيث الشَّرِيف، لأَنَّهُ مُبَلِّغٌ عَنِ اللهِ تَعَالَى، وَهُوَ أَعْلَمُ النَّاسِ بِمُرَادِ اللهِ تَعَالَى فِي كِتَابِ اللهِ، وَالْقُرْآنُ جَاءَ مُجْمَلًا فِي أَكْثَرِ مَوَاضِعِهِ، وَالسُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ جَاءَتْ مُفَصِّلَةً وَمُوَضِّحَةً وَمُبَيِّنَةً لما جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ. وَالَّذِي يَرْجِعُ إِلَى كُتُبِ السُّنَّةِ يَجِدُ أَنَّهَا قَدْ أَفْرَدَتْ لِلتَّفْسِيرِ بَابًا مِنَ الأَبْوابِ تَذْكُرُ فِيهَا مَا وَرَدَ مِنْ الأَحَادِيثِ، وَمِثَالُ ذَلِكَ: "إِنَّ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمُ الْيَهُودُ، وَالضَّالِّينَ النَّصَارَى" [٤٢].

---

٤١ - رَاجِعْ "تَفْسِير ابْن كَثِيرٍ" ج ١/٩، دَارُ الكُتُب العِلْمِيَّة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٤٢ - حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ ابْنُ حِبَانِ فِي صَحِيحِهِ، رَقَم ٧٢٠٦، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ، رِجَالُ الشَّيْخَينِ غَيْرَ سَمَّاكْ فَهُوَ مِنْ رِجَالِ مُسْلِمُ، وَفِيهِ عَبَّادَ بْنُ بِشْرٍ وَثَّقَهُ ابْنُ حِبَّانِ، وَرَوَاهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدُ رَقَمْ ١٩٣٨١، وَذَكَرَهُ الْهَيْثَمِيُّ فِي مُجْمَعِ الزَّوَائِدِ ج ٥/ ٣٣٥، وَقَالَ: رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ عَبَّادِ بْنُ حُبَيْشٍ وَهُوَ ثِقَةٌ. وَذَكَرَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي حَدِيث رَقَمْ

ثُمَّ يُفَسَّرُ الْقُرْآنُ بِأَقْوَالِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ، فَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ، وَأَهْلُ الرِّوَايَةِ وَالدِّرَايَةِ وَالتَّأْوِيلِ، وَهُمْ أَصْحَابُ الْعِنَايَةِ بِالتَّفْسِيرِ، وَهُمْ أَفْهَمُ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ، وَالْقُرْآنُ نَزَلَ بِلُغَتِهِمْ، وَنَزَلَ طَرِيًّا عَلَى النَّبِيِّ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ حُضُورٌ يَتَعَلَّمُونَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا عَلَّمَهُ رَبُّهُ، فَهُمْ أَعْرَفُ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ.

ثُمَّ يُؤْخَذُ بِرَأْيِ كِبَارِ التَّابِعِينَ، وَعُلَمَاءِ السَّلَفِ، الَّذِينَ اعْتَنَوا بِالْقُرْآنِ وَأَخَذُوا عِلْمَ أُصُولِ التَّفْسِيرِ عَنِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، ثُمَّ مَنْ حَمَلَهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ مَنْ حَمَلَهُ مِنْهُمْ، فَيُؤْخَذُ الْعِلْمُ مِنَ السَّائِرِينَ عَلَى مَنْهَجِ السَّلَفِ الَّذِينَ هُمْ أَعْرَفُ النَّاسِ بِاللُّغَةِ، وَعَادَاتِ الْعَرَبِ، وَيَعْلَمُونَ أَسْبَابَ نُزُولِ آيَاتِ الْقُرْآنِ، وَيَعْلَمُونَ مَقَاصِدَ الشَّرِيعَةِ.

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ: "إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ" (٤٣).

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَرِثُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَحْرِيفَ الْغَالِينَ" (٤٤).

٢٩٥٤، فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ، بَابُ: وَمِنْ سُورَةِ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ سَمَّاكِ بْنِ حَرْبٍ. وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

٤٣ – رَوَاهُ مسلمُ فِي الْمُقَدِّمَةِ، بَابُ: في أَنَّ الْإِسْنَادَ مِنَ الدِّينِ، وَأَنَّ الرِّوَايَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا عَنِ الثِّقَاتِ، وَأَنَّ جَرْحَ الرُّوَاةِ بِمَا هُوَ فِيهِمْ جَائِزٌ بَلْ وَاجِبٌ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْغَيْبَةِ الْمُحَرَّمَةِ، بَلْ مِنَ الذَّبِّ عَنِ الشَّرِيعَةِ المُكَرَّمَةِ.

التَّفْسِيرُ لُغَةً وَاصْطِلاحًا [٤٥]

التَّفْسِيرُ لُغَةً: مِنْ الفَسْرِ، وَهُوَ: الْكَشْفُ عَنْ الْمُغَطَّى، وَهُوَ مَصْدَرٌ عَلَى وَزْنِ تَفْعِيل، فِعْلُهُ الثُّلاثِيُّ "فَسَر"، وَالْفِعْلُ الْمَاضِي الخماسي مِنْ الْمَصْدَرِ " تَفَسُّرٌ" مَضَعَّفٌ بِالتَّشْدِيدِ، وَهُوَ "فسَّرَ يُفَسِّرُ تفسَيرًا" أَيْ هُوَ الْكَشْفُ، وَالْبَيَانُ، وَالتَّوْضِيحُ لِلْمَعْنَى الْمَعْقُولِ، وَإِزَالَةُ إِشْكَالِهِ، وَكَشْفُ مُرَادِ اللهِ فِيهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ الفرقان: ٣٣. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤)﴾ النحل: ٤٣- ٤٤.

التَّفْسِيرُ اصْطِلاحًا: بَيَانُ مَعَانِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَهُوَ عِلْمٌ يَبْحَثُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ حَيْثُ دِلاَلَتِهِ عَلَى مُرَادِ اللهِ بِقَدْرِ وُسْعِ الْبَشَرِ، لِيُفْهَمَ مُرادُ اللهِ تَعالَى مِنْهُ، فَيُطَاعَ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَيُؤْخَذَ بِهِدَايَتِهِ وَإِرْشَادِهِ وَيُعْتَبَرَ بِقَصَصِهِ وَيُتَّعَظَ بِمَوَاعِظِهِ

٤٤ – حَدِيثٌ صَحِيحٌ. أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي السُنَنِ الْكُبْرَى رَقَمْ ٢١٤٣٩، مِنْ حَدِيثِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعُذْرِيِّ، بَابُ: الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الْفِقْهِ يُسْأَلُ عَنِ الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ فَيَقُولُ كُفُّوا عَنْ حَدِيثِهِ لأَنَّهُ يَغْلَطُ أَوْ يُحَدِّثُ بِمَا لَمْ يَسْمَعْ، أَوْ أَنَّهُ لَا يُبْصِرُ الْفُتْيَا؛ قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: لَيْسَ هَذَا بِعَدَاوَةٍ وَلَا غِيْبَةٍ إِذَا كَانَ يَقُولُهُ لِمَنْ يَخَافُ أَنْ يَتْبَعَهُ فَيُخْطِئُ بِاتِّبَاعِهِ وَهَذَا مِنْ مَعَانِي الشَّهَادَاتِ. وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي مِشْكَاةِ الْمَصَابِيحِ رَقَمْ ٢٤٨.

٤٥ – رَاجع "الْمُحَرَّر الْوَجِيز فِي تَفْسِيرِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ" لابْنِ عَطِيَّة ج ١/٣، دَار الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ – بَيْرُوت، الطَّبْعَة الأُولَى١٤٢٢هـ. وَ"الْجَوَاهِرُ الْحِسَان فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ" لِلثَّعَالِبِي ج ١/ ٧، دَارُ إِحْيَاءِ التُّرَاث العَرَبِيّ – بَيْرُوت، الطَّبْعَةُ الأُولَى ١٤١٨هـ.

[٤٦]. والتدبر في آيات الله وَاجِبٌ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ ص: ٢٩، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ محمد: ٢٤.

التَّأْوِيلُ لُغَةً وَاصْطِلاحًا [٤٧]

التَّأْوِيلُ لُغَةً: مِنَ الإِيَالَةِ وَهِيَ السِّيَاسَةُ، فَكَأَنَّ الْمُؤَوِّلَ يَسُوسُ الْكَلامَ وَيَضَعُهُ فِي مَوْضِعِهِ. وَقِيْلَ: مِنَ الأَوَلِ وَهُوَ الرُّجُوعُ، فَكَأَنَّ الْمُؤَوِّلَ أَرْجَعَ الْكَلاَمَ إِلَى مَا يَحْتَمِلُهُ مِنْ الْمَعَانِي. وَأَوَّلَ الْكَلاَمَ وَتَأَوَّلَهُ: دَبَّرَهُ وَقَدَّرَهُ. وَأَوَّلَهُ وَتَأَوَّلَهُ: فَسَّرَهُ.

التَّأْوِيلُ اصْطِلاحًا: عَلَى مَعْنَيَيْنِ عِنْدَ السَّلَفِ:

❖ الأَوَّل: بِمَعْنَى التَّفْسِيرِ، فَهُوَ تَفْسِيرُ الْكَلاَمِ وَبَيَانُ مَعْنَاهُ، سَوَاءً وَافَقَ ظَاهِرَهُ أَمْ خَالَفَهُ.

---

٤٦ – رَاجِعْ "أَيْسَرَ التَّفَاسِيرِ" لأَبِي بَكْرٍ الْجَزَائِرِي ج ١/٩، مَكْتَبَةُ العُلُومِ وَالحِكَمِ، المَدِينَةُ المُنَوَّرَةُ، الطَّبْعَةُ الخَامِسَةُ ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م. وَكِتَاب "مُفْرَدَاتُ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ" لِلأَصْفَهَانِي، ص ٥٩١، دَارُ القَلَمِ – دِمَشْقُ ١٤١٢هـ.

٤٧ – رَاجع "الْمُحَرَّر الْوَجِيز فِي تَفْسِيرِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ" لابْنِ عَطِيَّة ج ١/ ٥، دَارُ الكُتُبِ العِلْمِيَّة – بَيْرُوت، الطَّبْعَةُ الأُولَى١٤٢٢هـ.

❖ الثَّانِي: نَفْسُ الْمُرَادِ بِالْكَلاَمِ فَإِنْ كَانَ الْكَلامُ طَلَبًا كَانَ تَأْوِيلُهُ نَفْسَ الْفِعْلِ الْمَطْلُوبِ. وَإِنْ كَانَ خَبَرًا كَانَ تَأْوِيْلُهُ نَفْسَ الشَّيءِ الْمُخْبَرِ بِهِ، وَبَيْنَ هَذَا الْمَعْنَى وَالَّذِي قَبْلَهُ فَرْقٌ ظَاهِرٌ.

وَعِنْدَ الْخَلَفِ: هُوَ صَرْفُ اللَّفْظِ عَنْ الْمَعْنَى الرَّاجِحِ إِلَى الْمَعْنَى الْمَرْجُوحِ لِدَلِيلٍ يَقْتَرِنُ بِهِ.

الْفَرْقُ بَيْنَ التَّفْسِيرِ وَالتَّأْوِيلِ [٤٨]

اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي بَيَانِ الْفَرْقِ بَيْنَ التَّفْسِيرِ وَالتَّأْوِيلِ:

فَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ التَّفْسِيرَ وَالتَّأْوِيلَ بِمَعْنًى وَاحِدٍ. وَهَؤُلاءِ يُمَثِّلُهُمْ أَبُو عُبَيْدَةَ، وَطَائِفَةٌ مَعَهُ.

وَقِيلَ: التَّفْسِيرُ أَعَمُّ مِن التَّأْوِيلِ، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ التَّفْسِيرُ فِي الأَلْفَاظِ، وَالتَّأْوِيلُ فِي الْمَعَانِي، كَتَأْوِيلِ الرُّؤْيَا. وَالتَّأْوِيلُ يُسْتَعْمَلُ أَكْثَرُهُ فِي الْكُتُبِ الإِلَهِيَّةِ. وَالتَّفْسِيرُ يُسْتَعْمَلُ فِيْهَا وَفِي غَيْرِهَا. وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ. وَالرَّاجِحُ: أَنَّ التَّفْسِيرَ مَا كَانَ رَاجِعًا إِلَى الرِّوَايَةِ، وَالتَّأْوِيلَ: مَا كَانَ رَاجِعًا إِلَى الدِّرَايَةِ، وَذَلِكَ: لأَنَّ التَّفْسِيرَ مَعْنَاهُ:

---

٤٨ – رَاجع "الْمُحَرَّر الْوَجِيز فِي تَفْسِيرِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ" لابْنِ عَطِيَّة ج ١/٥، دَارُ الْكُتُبِ العِلْمِيَّة – بَيْرُوت، الطَّبْعَةُ الأُولَى١٤٢٢هـ.

الْكَشْفُ وَالبَيَانُ، وَالْكَشْفُ عَنْ مُرَادِ اللهِ تَعَالَى لَا نَجْزِمُ بِهِ إِلَّا إِذَا وَرَدَ بِطَرِيقٍ مَأْثُورٍ.

وَالتَّأْوِيلُ: مَلْحُوظٌ فِيْهِ تَرْجِيحُ أَحَدِ احْتِمَالاتِ اللَّفْظِ بِالدَّلِيلِ، وَالتَّرْجِيحُ يَعْتَمِدُ عَلَى الاجْتِهَادِ.

فَضْلُ عِلْمِ التَّفْسِيرِ

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: قَالَ عُلَمَاؤُنَا رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ: وَأَمَّا مَا جَاءَ فِي فَضْلِ التَّفْسِيرِ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، فَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ذَكَرَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ وَوَصَفَهُ بِالْعِلْمِ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: جُعِلْتُ فِداءَكَ! تصف جابر بِالْعِلْمِ وَأَنْتَ أَنْتَ! فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ تَفْسِيرَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ القصص: ٨٥. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: أَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَعْلَمُهُمْ بِمَا أُنْزِلَ. وَقَالَ الْحَسَنُ: وَاللهِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ آيَةً إِلَّا أَحَبَّ أَنْ يُعْلَمَ فيما أُنزِلَتْ وما يعني بها. وقال الشهبي: رَحَلَ مَسْرُوقٌ إِلَى الْبَصْرَةِ فِي تَفْسِيرِ آيَةٍ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَ الَّذِي يُفَسِّرُهَا رَحَلَ إِلَى الشَّامِ: فَتَجَهَّزَ وَرَحَلَ إِلَى الشَّامِ حَتَّى عَلِمَ تَفْسِيرَهَا. وَقَالَ عِكْرِمَةُ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ النساء: ١٠٠، طلبتُ اسمَ هذا الرجل الَّذِي خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً حَتَّى وَجَدْتُهُ. وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ

الْبَرِّ: هُوَ ضَمْرَةُ بْنُ حَبِيبٍ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَكَثْتُ سَنَتَيْنِ أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ عَنِ الْمَرْأَتَيْنِ اللَّتَيْنِ تَظَاهَرَتَا عَلَى رسول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا يَمْنَعُنِي إِلَّا مَهَابَتُهُ، فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: هِيَ حَفْصَةُ وَعَائِشَةُ. وَقَالَ إِيَاسُ بْنُ مُعَاوِيَةَ: مَثَلُ الَّذِينَ يَقْرَؤونَ الْقُرْآنَ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ تَفْسِيرَهُ، كَمَثَلِ قَوْمٍ جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ مَلِكِهِمْ لَيْلًا وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ مِصْبَاحٌ، فَتَدَاخَلَتْهُمْ رَوْعَةٌ وَلَا يَدْرُونَ مَا فِي الْكِتَابِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَعْرِفُ التَّفْسِيرَ كَمَثَلِ رَجُلٍ جَاءَهُمْ بِمِصْبَاحٍ فَقَرَؤوا ما في الكتاب [٤٩].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: فَالْوَاجِبُ عَلَى الْعُلَمَاءِ الْكَشْفُ عَنْ مَعَانِي كَلَامِ اللهِ، وَتَفْسِيرُ ذَلِكَ، وَطَلَبُهُ مِنْ مَظَانِّهِ، وتَعلُّمُ ذَلِكَ وَتَعْلِيمُهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ ولَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ آل عمران: ١٨٧، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ولَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ آل عمران: ٧٧ [٥٠].

وَمِنْ خِلَالِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ نَعْرِفُ أُمُورًا تَتَلَخَّصُ فِي الآتِي:

- ❖ أَوَّلًا: معرفة حقائق الإيمان، كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْعَصَبِيَّةِ وَالشِّرْكِ وَالْكُفْرِ، أَهْلَ فِسْقٍ وَفُجُورٍ، كَانُوا أَهْلَ انْحِرَافٍ وَأَهْوَاءٍ، فَأَرْسَلَ اللهُ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، فَأَسَّسَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيْمَانَ، وَتَأَسَّسَ الإِيْمَانُ عَلَى قَاعِدَةٍ جَدِيدَةٍ مَتِيْنَةٍ مِنْ عَقِيدَةِ التَّوْحِيدِ، وَمَعْرِفَتِهِم لِحَقَائِقِ

---

٤٩ - رَاجِع تَفْسِير الْقُرْطُبِي ج ١/ ٢٦.

٥٠ - رَاجِعْ تَفْسِير ابْن كَثِيرٍ ج ١/ ٦.

الإِيْمَانِ وَتَأْثِيرِهِ فِي النُّفُوسِ. فَتَوَلَّدَ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِهِمْ، فَغَيَّرَ هَذَا الإِيْمَانُ حَيَاتَهُمْ، فَطَهُرَتْ قُلُوبُهُمْ، وَزُكِّيَتْ نُفُوسُهُمْ، وَرَشَدَتْ عُقُولُهُمْ، وَحَسُنَتْ أَقْوَالُهُمْ، وَصَحَّتْ أَعْمَالُهُمْ، وَصَلُحَتْ أَحْوَالُهُمْ؛ فَحَقِيْقَةُ الإِيْمَانِ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَسْتَقِرَّ فِي النُّفُوسِ إِلَّا مِنْ أَسَاسٍ صَحِيحٍ لاعْتِقَادٍ صَحِيْحٍ يَرْسُخُ فِي هَذِهِ النُّفُوسِ، لأَنَّ كُلَّ قَضِيَّةٍ إِصْلاَحِيَّةٍ يُؤَسَّسُ لَهَا بِصَلاَحِ الإِيْمَانِ، وَصِحَّةِ الاعْتِقَادِ، وَصِدْقِ التَّعَلُّقِ بِاللهِ، وَكَمَالِ الرَّجَاءِ فِيْهِ، وَعِظَمِ الْخَوْفِ مِنْهُ، وَحُسْنِ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَدَوَامِ الإِنابَةِ إِلَيْهِ، هَذِهِ الأُسُسُ شَرْطٌ لِتَحَسُّنِ أَحْوَالِ النَّاسِ فِي دُنْيَاهُمْ، وَيَنَالُوا بِهَا رِضَوَانَ اللهِ فِي أُخْرَاهُمْ. أَمَّا أَهْلُ الْغَفْلَةِ فَقُلُوبُهُمْ مُغْلَقَةٌ، لَا يَهْتَدُونَ بِهَدْيٍ، ولَا يَتَوَرَّعُونَ عَنْ مُحَرَّمٍ، لأَنَّهُمْ أَغْلَقُوا قُلُوبَهَمْ عَنْ كَلاَمِ اللهِ، فلَا إِيْمَانَ لَهُمْ وَلا خَلاَقَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيْهِم: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ محمد: ٢٤، إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الْقُلُوبَ وَجَعَلَ عَلَيْهَا أَقْفالًا، وَجَعَلَ مَفَاتَيْحَ هَذِهِ الأَقْفَالِ حَقَائِقَ الإِيْمَانِ، فَفَتَحَ بِهَذِهِ الْمَفَاتِيحِ قُلُوبَ أَولِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَا وَقُلُوبُهُم مُغْلَقَةٌ بِأَقْفَالِهَا، وَبَعْضُ الْعُلَمَاءُ خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا وَقُلُوبُهُمْ مُغْلَقَةٌ لأَنَّهُمْ طَلَبُوا مَفَاتِيحَهَا مِنْ إِدْرَاكِ عُقُولِهِم، فَضَلُّوا الطَّرِيقَ، وَلَوِ اجْتَهَدُوا فِي طَلَبِ حَقِيقَةِ الإِيمَانِ لَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ عِلْمِهِ مَا اسْتَحَقُّوا بِهِ رَحْمَتَهُ وَرِضْوَانَهُ، فَلْيَعْلَمْ كُلُّ مُسْلِمٍ أَنَّ اللهَ قَائِمٌ عَلَيْهِ، رَقِيبٌ عَلَى جَوَارِحِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَعْمَالِهِ، وَلِيَعْلَمْ أَنَّ الْعَمَلَ لَا يَكْمُلُ إِلَّا بِالإِخْلاصِ للهِ وَحْدَهُ، وَأَنْ يَكُونَ عَلَى هَدْيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

❖ ثَانِيًا: مَعْرِفَةُ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّة، وَالأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ فِي عُرْفِ الشَّرِيعَةِ هِيَ الْفِقْهُ الذي يُفْهَمُ بِهِ مَا يَتَعَلَّقُ بِأَفْعَالِ الْمُكَلَّفِينَ، فَيُفْهَمُ مِنْهُ التَّحْلِيلُ، وَالتَّحْرِيمُ، وَالإِيْجَابُ، وَالإِجْزَاءُ، وَالصِّحَّةُ، وَالْفَسَادُ، وَالْغُرْمُ، وَالضَّمَانُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ (٥١). وَالسَّبِيلُ إِلَى فَهْمِ أَحْكَامِ الشَّرِيْعَةِ هُوَ عِلْمُ أُصُولِ الْفِقْهِ، فَإِنَّهُ يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى اسْتِنْبَاطِ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ أَدِلَّتِهَا التَّفْصِيلِيَّةِ، مَعَ اشْتِمَالِهِ عَلَى بَيَانِ قَوَاعِدِ اللُّغَةِ الْكُلِّيَّةِ، مَعَ الْعِلْمِ أَنَّ أَكْثَرَ الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الظَّنِّ، كَالْقِيَاسِ، وَخَبَرِ الْوَاحِدِ، وَدِلاَلَةِ الْعُمُومِ، وَلَكِنْ هَذَا الظَّنَّ الَّذِي يَجِبُ الْعَمَلُ بِهِ قَدْ قَوِيَ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ الْمُوجِبَةِ لِلْعَمَلِ بِهِ فَارْتَفَعَ عَنِ الشَّكِّ وَالتُّهْمَةِ. قَالَ الزَّجَّاجُ: هُوَ أَنْ يُظَنَّ بِأَهْلِ الْخَيْرِ سُوْءًا، فَأَمَّا أَهْلُ السُّوءِ وَالْفُسُوقِ قُلْنَا إِنْ نَظُنّ بِهِمْ مِثْلَ الَّذِي ظَهَرَ مِنْهُمْ. قَالَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ، وَمُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ: هُوَ أَنْ يَظُنَّ بِأَخِيْهِ الْمُسْلِمِ سُوْءًا، ولَا بَأْسَ بِهِ مَا لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ، فَإِنْ تَكَلَّمَ بِذَلِكَ الظَّنِّ وَأَبْدَاهُ أَثِمَ. وَحَكَى الْقُرْطُبِيُّ عَنْ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ: أَنَّ الظَّنَّ القَبِيحَ بِمَنْ ظَاهِرُهُ الْخَيرُ لَا يَجُوزُ، وَأَنَّهُ لَا حَرَجَ فِي الظَّنِّ الْقَبِيحِ بِمَنْ ظَاهِرُهُ الْقَبِيْحُ، وَجُمْلَةُ ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ الحجرات: ١٢، تَعْلِيلٌ لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الأَمْرِ بِاجْتِنَابِ كَثِيرٍ مِنَ الظَّنِّ، وَهَذَا الْبَعْضُ هُوَ ظَنُّ السُّوءِ بِأَهْلِ الْخَيْرِ (٥٢).

---

٥١ – رَاجِعْ تَفْسِير "زَاد الْمَسِيرِ" لابْنِ الْجَوْزِيّ ج ٢/٢٨٥.

٥٢ – رَاجِعْ تَفْسِيرَ "فَتْح الْقَدِيرِ" لِلشَّوْكَانِيّ ج ٤/١٧٧، ج ٥/٧٦، دَارُ ابْنِ كَثِيرٍ، دَارُ الكَلِمِ الطَّيِّبِ – دِمَشْقِ، بَيْرُوت، الطَّبْعَةُ الأُوْلَى ١٤١٤ هـ.

❖ ثَالِثًا: مَعْرِفَةُ مَنْهَجِ اللهِ، فَإِنَّ مَنْهَجَ اللهِ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ لَيْسَ نَافِلَةً ولَا تَطَوُّعًا ولَا مَوْضِعَ اخْتِيَارٍ، إِنَّمَا هُوَ الإِيْمَانُ، وَتَرْكُهُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا إِيْمَانَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ الأحزاب: ٣٦، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩)﴾ الجاثية: ١٨-١٩، ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ ص: ٢٩. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الحشر: ٢١. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ الزمر: ٢٣.

الاسْتِعَاذَةُ

أَمَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالاسْتِعَاذَةِ عِنْدَ الْقِرَاءَةِ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ النحل: ٦٨. وَأَمَرَهُ بِالاسْتِعَاذَةِ عِنْدَ نَزْغِ الشَّيْطَانِ، وَنزْغُ الشَّيْطَانِ: وَسَاوِسهُ. قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الأعراف: ٢٠٠. وعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ، قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلاَنِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ، وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ، مُغْضَبًا قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً، لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ؛ فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: إِلَّا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ" (٥٣).

قَالَ الطَّبَرِيُّ: وَالِاسْتِعَاذَةُ: الِاسْتِجَارَةُ، وَتَأْوِيلُ قَوْلِ الْقَائِلِ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: أَسْتَجِيرُ بِاللَّهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، أَنْ يَضُرَّنِيَ فِي دِينِي، أَوْ يَصُدَّنِي عَنْ حَقٍّ يَلْزَمُنِي لِرَبِّي، تَأْوِيلُ قَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ آل عمران: ٣٦.

٥٣ – مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ – وَاللَّفْظُ لَهُ – رَقَم ٦١١٥، فِي كِتَابِ الأَدِبِ، بَابُ الحَذَرِ مِنَ الغَضَبِ، وَرَوَاهُ مُسْلِمُ رَقَمْ ١٠ – ٢٦١٠، فِي كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ: فَضْلِ مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ وَبِأَيِّ شَيْءٍ يَذْهَبُ الْغَضَبُ.

قَالَ أَبُو جَعْفَر: وَالشَّيْطَانُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، كُلُّ مُتَمَرِّدٍ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالدَّوَابِّ وَكُلِّ شَيْءٍ، وَكَذَلِكَ قَالَ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ الأنعام: ١١٢، فَجَعَلَ مِنَ الْإِنسِ شَيَاطِينَ، مِثْلَ الَّذِي جَعَلَ مِنَ الْجِنِّ [٥٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ النحل: ٩٨، عُرِفَ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا اسْتَعْمَلُوا "إِنْ" يَكُونُ احْتِمَالُ وُقُوعِ مَا بَعْدَهَا قَلِيلٌ، وَإِذَا اسْتَعْمَلُوا "إِذَا" يَكُونُ احْتِمَالُ وُقُوعِ مَا بَعْدَهَا قَوِيًّا أَوْ وَاسِعًا أَوْ كَثِيرًا. فَلَمَّا جَاءَتْ كَلِمَةُ "إِذَا" فَمَعْنَاهَا أَنَّ الأَصْلَ أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ النحل: ٩٨. فَإِذَا دَخَلَتْ "إِذَا" عَلَى الْفِعْلِ الْمَاضِي، وَهِيَ لَمْ تُسْتَعْمَلْ فِي الزَّمَانِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ النصر: ١، قَرَّبَت الْفِعْلَ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ إِلَى وَاقِعِ الْحَالِ، يَعْنِي النَّصْرُ أَمْرٌ قَرِيبٌ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ النحل: ٩٨ يَعْنِي: قِرَاءَتُكَ لِلْقُرْآنِ قَرِيبَةٌ وَقَائِمَةٌ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: "فَاسْتَعِذْ"، الْفَاءُ وَاقِعَةٌ فِي جَوَابِ "إِذَا". وَإِعْرَابُ الْفَاء: اسْتِئْنَافِيَّةٌ، وَإِذَا: ظَرْفٌ لِمَا يُسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَنِ مُتَعَلِّقٌ بِاسْتَعِذْ، وَجُمْلَةُ {قَرَأْتَ} مُضَافٌ إِلَيْهَا الظَّرْفُ، وَالْقُرْآنَ مَفْعُولٌ بِهِ، أَيْ إِذَا أَرَدْتَ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ؛ وَالْفَاءُ

---

٥٤ - رَاجِعْ تَفْسِيرَ الطَّبَرِي ج ١/ ١١١. تَحْقِيقُ أَحْمَد شَاكِر، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَة، الطَّبْعَةُ الأُولَى، ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠ م.

رَابِطَةٌ لِلْجَوابِ، وَاسْتَعِذْ فِعْلُ أَمْرٍ وَفَاعِلُهُ أَنْتَ، و{بِاللهِ} مُتَعَلِّقَانِ بِاسْتَعِذْ، وَكَذَلِكَ يَتَعَلَّقُ بِـ {اسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطانِ}، و{الرَّجِيمِ} صِفَةٌ (٥٥).

مَعْنَى الاسْتِعَاذَةِ وَالْفَرْقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللِّيَاذ

وَالاسْتِعَاذَةُ هِيَ الاسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ وَالاعْتِرَافُ لَهُ بِالْقُدْرَةِ وَلِلْعَبْدِ بِالضَّعْفِ وَالْعَجْزِ عَنْ مُقَاوَمَةِ هَذَا الْعَدُوِّ الْمُبِينِ الْبَاطِنِيّ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَى مَنْعِهِ وَدَفْعِهِ إِلَّا اللهُ الَّذِي خَلَقَهُ، وَلَا يَقْبَلُ مُصَانَعَةً، وَلَا يُدَارَى بِالْإِحْسَانِ، بِخِلَافِ الْعَدُوّ مِنْ نَوْعِ الْإِنْسَانِ كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ فِي ثَلَاثٍ مِنَ الْمَثَانِي، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ الإسراء: ٦٥، وَقَدْ نَزَلَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمُقَاتَلَةِ الْعَدُوّ الْبَشَرِيِّ يَوْمَ بَدْرٍ، وَمَنْ قَتَلَهُ الْعَدُوُّ الْبَشَرِيُّ كَانَ شَهِيدًا، وَمنْ قَتَلَهُ الْعَدُوُّ الْبَاطِنِيُّ كَانَ طَرِيدًا، وَمَنْ غَلَبَهُ الْعَدُوُّ الظَّاهِرُ كَانَ مَأْجُورًا، وَمَنْ قَهَرَهُ الْعَدُوُّ الْبَاطِنُ كَانَ مَفْتُونًا أَوْ مَوْزُورًا، وَلَمَّا كَانَ الشَّيْطَانُ يَرَى الْإِنْسَانَ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَاهُ اسْتَعَاذَ مِنْهُ بِالَّذِي يَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ الشيطان (٥٦).

---

٥٥ – رَاجِعْ "إِعْرَاب الْقُرْآن وَبَيَانه"، مُحْيِي الدِّينِ دَرْوِيش ج ٥/ ٣٦٤، دَارُ ابْن كَثِيرٍ– بَيْرُوت، الطَّبْعَةُ الرَّابِعَةُ ١٤١٥هـ.

٥٦ – رَاجِعْ تَفْسِير ابْن كَثِيرٍ ج ١/ ١١٤. وَرَاجِع تَفْسِير الْقُرْطُبِي ج ١/١١٤.

وَمَعْنَاهَا: الامْتِنَاعُ، وَالالْتِجَاءُ، وَالاسْتِجَارَةُ، وَالالْتِصَاقُ، وَالاحْتِمَاءُ بِجَنَابِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍ، فَكَأَنَّ الْمُسْتَعِيذَ حِينَ يَقُولُ: أَعُوذُ بِاللهِ، يَقُولُ: أَعْتَصِمُ بِاللهِ، وَأَلْجَأُ إِلَى اللهِ، وَأَمْتَنِعُ بِرَحْمَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَأَسْتَجِيرُ بِاللهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ، وَأَحْتَمِي بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ الْقَوِيِّ الْقَاهِرِ مِمَّا أَخْشَاهُ مِن الشيْطَانِ أَنْ يَضرَّنِي في دِينِي، أَوْ يَصُدَّنِي عنْ حقٍّ يَلزَمُني لِرَبِي.

وَالْعِيَاذُ: يَكُونُ لِدَفْعِ الشَّرِّ، وَاللِّيَاذُ: يَكُونُ لِطَلَبِ جَلْبِ الْخَيْرِ، كَمَا قَالَ الْمُتَنَبِّي:

يَا مَنْ أَلوذُ بِهِ فِيمَا أُؤَمِّلُهُ............ وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّا أُحَاذِرُه

لَا يَجْبُرُ النَّاسُ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ... وَلَا يَهِيضُونَ عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ (٥٧)

وَهَذِهِ الاسْتِعَاذَةُ لَا تَنْفَعُ إِلَّا بِمَعْرِفَتَيْنِ: مَعْرِفَةِ الْمُسْتَعِيذِ بقُدْرَةَ رَبِّهِ، وَمَعْرِفَتِهِ قَدْرَ نَفْسِهِ؛ فَيُقَرِّرُ فِي نَفْسِهِ أَنَّ اللهَ هُوَ الْقَادِرُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَيُقَرِّرُ عَجْزَ نَفْسِهِ، وَيُقَرِّرُ فِي نَفْسِهِ أَنَّ اللهَ هُوَ الْقَوِيُّ، وَيُقَرِّرُ ضَعْفَ نَفْسِهِ، وَيُقَرِّرُ فِي نَفْسِهِ أَنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ، وَيُقَرِّرُ فَقْرَ نَفْسِهِ، وَيُقَرِّرُ فِي نَفْسِهِ أَنَّ اللهَ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى جَلْبِ

---

٥٧ - الْبَيْتَان مِنْ دِيْوَانِ أبي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي ص ١٩٣. وَذَكَرَ الَحُافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ الْبَيْتَيْنِ فِي الْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ ج ١١/ ٢٩٢، وَقَالَ: "وَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ شَيْخِنَا الْعَلَّامَةِ شيخ الإسلام أَحْمَدَ بْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّهُ كَانَ ينكر على المتنبي هذه المبالغة في مخلوق ويقول: إنما يصلح هذا لجناب الله سبحانه وتعالى. وَأَخْبَرَنِي الْعَلَّامَةُ شَمْسُ الدِّينِ بْنِ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ الله أنه سمع الشيخ تقي الدين المذكور يَقُولُ: رُبَّمَا قُلْتُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ فِي السُّجُودِ أَدْعُو اللهَ بِمَا تَضَمَّنَاهُ مِنْ الذُّلِّ وَالخُضُوعِ.

الْمَنَافِعِ الدِّيْنِيَّةِ والدُّنْيَوِيَّةِ، وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى دَفْعِ الْمَضَارِّ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ، وَيُقَرِّرُ عَجْزَ نَفْسِهِ عَن دَفْعِ الْمَضَارِّ وجَلْبِ الْمَنَافِعِ. فَإِذَا تَحَقَّقَتْ هَاتَانِ الْمَعْرِفَتَانِ، تَحَقَّقَت الْغَايَةُ مِنَ الاسْتِعَاذَةِ.

صِيغَةُ الاسْتِعَاذَةِ

الأَمْرُ فِي صِيغَةِ الاسْتِعَاذَةِ وَاسِعٌ، فَأَيُّ صِيغَةٍ فِي مَعْنَى الاسْتِعَاذَةِ تَكُونُ حَسَنَةً، لِقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ النحل: ٩٨. قَالَ الإِمَامُ الدَّانِيُّ: اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ تَعَالَى أَنَّ الرِّوَايَةَ فِي الاسْتِعَاذَةِ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ وَرَدَتْ عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلَفْظَيْنِ:

- أَحَدُهُمَا: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. رَوَى ذَلِكَ عَنْهُ جُبَيْرُ بْنُ مُطْعَم (٥٨).
- وَالثَّانِي: أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ. رَوَى ذَلِكَ عَنْهُ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ (٥٩).

---

٥٨ – حَدِيْثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ رَقَم ١٧٨٠، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الصَّلاَةَ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا – ثَلاَثًا – سُبْحَانَ اللهِ بَكْرَةً وَأَصِيلًا – ثَلاَثًا – أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ نَفْخِهِ، وَهَمْزِهِ، وَنَفْثِهِ. قَالَ عَمْرو بْنِ مُرَّةَ – أَحَدَ الرُّوَاةُ: نَفْخُهُ الكبر، وهمزه الموتة، ونفثه: الشعر. قَالَ شَيْخُنَا الأَلْبَانِيُّ فِي مِشْكَاةِ الْمَصَابِيحِ: صَحِيحٌ لِغَيرِهِ.

❖ قُلْتُ: وَالصِّيغَةُ الثَّالِثَةُ: أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ، عَنْ أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ كَبَّرَ ثُمَّ قَالَ: "سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ ولَا إِلَهَ غَيْرُكَ". ثُمَّ يَقُولُ: "لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ". ثَلاَثًا ثُمَّ يَقُولُ: "اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا" ثَلاثًا. "أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ" ثُمَّ يَقْرَأ [٦٠].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَقَدْ فسر الْهَمْزَ بِالْمَوْتَةِ وَهِيَ الْخَنْقُ، والنَّفخَ بِالْكِبْرِ، وَالنَّفْثَ بِالشِّعْرِ [٦١].

وَجُمْهُورُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ صِيَغَ الاسْتِعَاذَةِ، أَدْنَاهَا "أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ". وَأَكْمَلُهَا مَا جاءَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ [٦٢].

---

٥٩ – حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ رَقَم ٢٤٢، فِي كِتَابِ الصَّلاةِ، بَابُ: مَا يَقُولُ عِنْدَ افْتِتَاحِ الصَّلَاةِ. وَلَفْظُهُ: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ بِاللَّيْلِ كَبَّرَ، ثُمَّ يقول: "سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، ولَا إِلَهَ غَيْرُكَ"، ثُمَّ يَقُولُ: "اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا"، ثُمَّ يَقُولُ: "أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ". وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

٦٠ – حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ رَقَم ٥٧٥، فِي كِتَابِ الصَّلاةِ، بَابُ: مَنْ رَأَى الاسْتِفْتَاحَ بِسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ. وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

٦١ – رَاجِعْ تَفْسِيرَ ابْنِ كَثِيرٍ ج ٢٧/١، دَارُ الكُتُبِ العِلمِيَّةِ، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٦٢ – حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، رقم ٢٤٢، فِي كِتَابِ الصَّلاةِ، بَابُ: مَا يَقُولُ عِنْدَ افْتِتَاحِ الصَّلاةِ، وَفِي البَابِ عَنْ عَلِيٍّ، وَعَائِشَةَ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ

وَذَهَبَ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الاسْتِعَاذَةَ تَكُونُ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ، وَيَدُلَّ عَلَى ذَلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ النحل: ٩٨، وَالْمَعْنَى: إِذَا أَرَدتَّ الْقِرَاءَةَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ.

قَالَ الشَّنْقِيطِيُّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ النحل: ٩٨، أَظْهَرُ الْقَوْلَيْنِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّ الْكَلَامَ عَلَى حَذْفِ الْإِرَادَةِ، أَيْ: فَإِذَا أَرَدتَ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ. وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنَّهُ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَتِهِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ كَمَا يُفْهَمُ مِنْ ظَاهِرِ الْآيَةِ، وَذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ. وَالدَّلِيلُ عَلَى مَا ذَكَرْنَا تَكَرُّرُ حَذْفِ الْإِرَادَةِ فِي الْقُرْآنِ وَفِي كَلَامِ الْعَرَبِ لِدَلَالَةِ الْمَقَامِ عَلَيْها، كَقَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ المائدة: ٦، أَيْ: أَرَدْتُمِ الْقِيَامَ إِلَيْهَا كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ. وَقَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المجادلة: ٩، أَيْ: إِذْ أَرَدتُمْ أَنْ تَتَنَاجَوْا فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ؛ لِأَنَّ النَّهْيَ إِنَّمَا هُوَ عَنْ أَمْرٍ مُسْتَقْبَلٍ يُرَادُ فِعْلُهُ، وَلَا يَصِحُّ النَّهْيُ عَنْ فِعْلٍ مَضَى وَانْقَضَى كَمَا هُوَ وَاضِحٌ. (٦٣)

مَسْعُودٍ، وَجَابِرٍ، وَجُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، وَابْنِ عُمَرَ، "وَحَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ أَشْهَرُ حَدِيثٍ فِي هَذَا البَابِ، وَقَدْ أَخَذَ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ بِهَذَا الحَدِيثِ". وَالحّدِيثُ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

٦٣ – رَاجِعْ أَضْوَاءَ الْبَيَانِ فِي إِيْضَاحِ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ ج ٤١٩/٣، دَارُ الْفِكْرِ لِلطِّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ – بيروت، ١٤١٥ هـ– ١٩٩٥ م.

وَكَمَا تُشْرَعُ الاسْتِعَاذَةُ بِاللهِ مِن الشَيْطَانِ الرَّجِيمِ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّهَا كَذَلِكَ تَشْرُعُ في مَوَاضِعَ أُخْرَى:

❖ تُشْرَعُ الاسْتِعَاذَةُ عِنْدَ دُخُولِ الْخَلاءِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ مِنَ السُّنَّةِ إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ دُخُولَ الْخَلاءِ أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللهِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الخُبُثِ وَالْخَبَائِث. لأَنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ هَذِهِ الْحُشُوش مُحْتَضَرَةٌ فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الْخَلاَءَ فَلْيَقُلْ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ" [٦٤]. الْحُشُوشُ: أَمَاكِنُ الْخَلاءِ، سَواءً كَانَتْ مَبْنِيَّةً أَوْ فَضَاءً. إنَّ هَذِهِ الْحُشُوشَ مُحْتَضَرَةٌ؛ أَي: تَحْضرُهَا الشَّيَاطِينُ. فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الْخَلاَءَ فَلْيَقُلْ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ. وَالْمُرَادُ: ذُكْرَانُ الشَّيَاطِين وَإِنَاثُهُمْ.

❖ وَعِنْدَ إِرَادَةِ الرَّجُلِ مُبَاشَرَةَ زَوْجَتِهِ كَمَا في الْحَدِيثِ: "لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا" [٦٥].

---

٦٤ – حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ رَقَمْ ٢٩٦، فِي كِتَابِ الصَّلاةِ وَسُنَنِهَا، بَابُ: مَا يَقُولُ الرَّجُلُ إِذَا دَخَلَ الْخَلاَءَ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

٦٥ – مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ رَقَمْ ٧٣٩٦، فِي كِتَابِ التَّوْحِيد، بَاب: السُّؤَال بِأَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى وَالاسْتِعَاذَة بِهَا، وَرَوَاهُ مُسْلِمُ رَقَمْ ١١٦. ١٤٣٤، فِي كِتَابِ النِّكَاحِ، بَابُ: مَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَهُ عِنْدَ النِّكَاحَ.

❖ و "مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ" [٦٦].

❖ وَفِي كُلِّ صَبَاحٍ ومَسَاءٍ، وعِنْدَ النَّوْمِ؛ فَقَدْ عَلَّمَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ يَقُولَ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى وَإِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ: "قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا أَوْ أَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ" [٦٧].

وَأَجْمَعَ العُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الاسْتِعَاذَةَ لَيْسَتْ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَلِهَذَا لَمْ تُكْتَبْ فِي المَصَاحِفِ. وَقَدْ وَرَدَ لَفْظُ التَّعَوُّذُ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ البقرة: ٦٧. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ هود: ٤٧. وَقولُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ مريم: ١٨.

---

٦٦ – رَوَاهُ مُسْلِمُ مِنْ حَدِيثِ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ، رقم ٥٤-٢٧٠٨، فِي كِتَابِ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ، بَابُ: "فِي التَّعَوُّذِ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ وَدَرَكِ الشَّقَاءِ وَغَيْرِهِ".

٦٧ – حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ رَقَم ٣٥٢٩، فِي كِتَابِ الدَّعَواتِ، بَابُ: مَا جَاءَ فِي جَوَامِعِ الدَّعَواتِ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

حُكْمُ قِرَاءَتِهَا وَمَحَلُّهَا

يُسْتَحَبُّ لِقَارِئِ الْقُرْآنِ الكَرِيمِ أَنْ يَفْتَتِحَ التِّلَاوَةَ بِالاسْتِعَاذَةِ سَوَاءٌ أَكَانَتِ التِّلَاوَةُ مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ أَمْ مِنْ وَسَطِهَا. فَجَمْهُورُ العُلَمَاءِ عَلَى أَنَّهَا مُسْتَحَبَّةٌ عِنْدَ القِرَاءَةِ وَلَيْسَتْ وَاجِبَةٌ، وَإِنْ كَانَتِ الآيَةُ جَاءَتْ بِصِيْغَةِ الأَمْرِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ النحل: ٩٨. وقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الأعراف: ٢٠٠.

وَأَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ التَّعَوُّذَ لَيْسَ مِنَ القُرْآنِ ولَا آيَةٍ مِنْهُ، وَهُوَ قَوْلُ القَارِئِ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ [٦٨].

قَالَ عَطَاءُ: الِاسْتِعَاذَةُ وَاجِبَةٌ لِكُلِّ قِرَاءَةٍ، سَوَاء كَانَتْ فِي الصَّلَاةِ أَوْ فِي غَيْرِهَا، وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ: إِذَا تَعَوَّذَ الرَّجُلُ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي عُمُرِهِ فَقَدْ كَفَى فِي إِسْقَاطِ الْوُجُوبِ وَقَالَ الْبَاقُونَ: إِنَّهَا غَيْرُ وَاجِبَةٍ. حُجَّةُ الْجُمْهُورِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُعَلِّمِ الْأَعْرَابِيَّ الِاسْتِعَاذَةَ فِي جُمْلَةِ أَعْمَالِ الصَّلَاةِ.

وَلِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ ذَلِكَ الْخَبَرَ غَيْرُ مُشْتَمِلٍ عَلَى بَيَانِ جُمْلَةِ وَاجِبَاتِ الصَّلَاةِ، فَلَا يَلْزَمُ مِنْ عَدَمِ ذِكْرِ الِاسْتِعَاذَةِ فِيهِ عَدَمُ وُجُوبِهَا.

---

٦٨ - رَاجِعْ تَفْسِيرَ القُرْطِبيّ ج ٨٦/١، دَارُ الكُتبِ المِصْرِيَّةِ القَاهِرَةِ، الطَّبْعَةُ الثَّانِيَةُ، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤ م.

وَاحْتَجَّ عَطَاءٌ عَلَى وُجُوبِ الِاسْتِعَاذَةِ بِوُجُوهٍ:

- ❖ الْأَوَّلُ: أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاظَبَ عَلَيْهَا، فَيَكُونُ وَاجِبًا لِقَولِهِ تعالى: وَاتَّبِعُوهُ.
- ❖ الثَّانِي: أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: "فَاسْتَعِذْ" أَمْرٌ، وَهُوَ لِلْوُجُوبِ، ثُمَّ إِنَّهُ يَجِبُ الْقَوْلُ بِوُجُوبِهِ عِنْدَ كُلِّ الْقِرَاءَاتِ، لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ النحل: ٩٨، وَذِكْرُ الْحُكْمِ عُقَيْبَ الْوَصْفِ الْمُنَاسِبِ يَدُلُّ عَلَى التَّعْلِيلِ، وَالْحُكْمُ يَتَكَرَّرُ لِأَجْلِ تَكَرُّرِ الْعِلَّةِ.
- ❖ الثَّالِثُ: أَنَّهُ تَعَالَى أَمَرَ بِالِاسْتِعَاذَةِ لِدَفْعِ الشَّرِّ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، لِأَنَّ قَوْلَهُ: {فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجِيمِ}، مُشْعِرٌ بِذَلِكَ، وَدَفْعُ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَاجِبٌ، وَمَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ، فَوَجَبَ أَنْ تَكُونَ الِاسْتِعَاذَةُ وَاجِبَةً.
- ❖ الرَّابِعُ: أَنَّ طَرِيقَةَ الِاحْتِيَاطِ تُوجِبُ الِاسْتِعَاذَةَ، فَهَذَا مَا لَخَّصْنَاهُ في هذه المسألة [٦٩].

وَأَمَّا في الصَّلاةِ، فَهَلْ يُجْهَرُ بِهَا في الصَّلاةِ الْجَهْرِيَّةِ أَمْ يُسَرُّ؟

إِذَا أَرَادَ الإِمَامُ أَنْ يَقْرَأَ في الصَّلاةِ الْجَهْرِيَّةِ فَهَلْ يَجْهَرُ بِالاسْتِعَاذَةِ أَمْ يُسِرُّ؟

الرَّاجِحُ، أَنَّهُ يُسِرُّ بِهَا وَلَا يَجْهَرُ إِنْ كَانت الْقِرَاءَةُ جَهْرِيَّةً.

٦٩ – رَاجِعْ تَفْسِير الْفَخْر الرَّازِيّ ج ٦٧/١، دَارُ إِحْيَاءِ التُّرَاث الْعَرَبِيّ – بَيْرُوت، الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ ١٤٢٠هـ.

وَهَلْ يَسْتَعِيذُ في كُلِّ رَكْعَةٍ، أَمْ يَكْتَفِي بِالاسْتِعَاذَةِ فِي أَوَّلِ رَكْعَةٍ؟ وَالرَّاجِحُ أَنَّهُ يَسْتَعِيذُ فِي الرَّكْعَةِ الأُوْلَى وَتَكْفِيهِ، وَإِذَا اسْتَعَاذَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فلَا مَانِعَ ولَا حَرَجَ عَلَيْهِ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَهُ الاسْتِعَاذَةَ [٧٠].

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَقَالَ لِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ هَكَذَا أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عَنِ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ عَنِ الْقَلَمِ" [٧١].

قَالَ الشَّوْكَانِيُّ: ﴿فَإِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ﴾، والفاء لترتيب الاستعاذة على الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَقِيلَ: هَذِهِ الْآيَةُ مُتَّصِلَةٌ بِقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ النحل: ٨٩، وَالتَّقْدِيرُ: فَإِذَا أَخَذْتَ فِي قِرَاءَتِهِ فَاسْتَعِذْ. قَالَ الزَّجَّاجُ وَغَيْرُهُ مِنْ أَئِمَّةِ اللُّغَةِ: مَعْنَاهُ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ اسْتَعِذْ بَعْدَ أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ، وَمِثْلُهُ: إِذَا أَكَلْتَ فَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ. قَالَ الْوَاحِدِيُّ: وَهَذَا إِجْمَاعُ الْفُقَهَاءِ أَنَّ الِاسْتِعَاذَةَ

---

٧٠ – رَاجِعْ تَفْسِيرَ الطَّبْرِيِّ ج ١/١١٣، تَحقِيقُ أَحْمَد مُحَمَّد شَاكِر، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ، الطَّبْعَةُ الأُوْلَى، ١٤٢٠ هـ– ٢٠٠٠ م.

٧١ – رَاجِعْ تَفْسِيرَ القُرْطِبيّ ج ١/٨٧، دَارُ الكُتبِ المِصْرِيَّةِ، القَاهِرَة، الطَّبْعَةُ الثَّانِيةُ، ١٣٨٤هـ– ١٩٦٤ م.

قَبْلَ الْقِرَاءَةِ، إِلَّا مَا رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَابْنِ سِيرِينَ وَدَاوُدَ وَمَالِكٍ وَحَمْزَةَ مِنَ الْقُرَّاءِ فَإِنَّهُمْ قَالُوا: الِاسْتِعَاذَةُ بَعْدَ الْقِرَاءَةِ، ذَهَبُوا إِلَى ظَاهِرِ الْآيَةِ (٧٢).

فَضْلُ التَّعَوُّذِ

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ، قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ، وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ، مُغْضَبًا قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً، لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" (٧٣).

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي العَاصِ، أنه أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي وَقِرَاءَتِي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ خَنْزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ

---

٧٢ - رَاجِعْ تَفْسِيرَ فَتْحِ الْقَدِيرِ لِلشَّوْكَانِي ج ٣/ ٢٣١. دَارُ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ - بَيْرُوت، الطَّبْعَةُ الأُولَى ١٤١٤هـ.

٧٣ - مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، رَوَاهُ البُخَارِيُّ رَقَم ٦١١٥، فِي كِتَابِ الأَدَبِ، بِابُ: "الْحَذَرِ مِنَ الغَضَبِ"، وَرَوَاهُ مُسْلِمُ. وَاللَّفْظُ لَه. رَقَم ١١٠ - ٢٦١٠، فِي كِتَابِ البِرِّ وَالصِّلَةِ وَالأَدَبِ، بَابُ: فَضْل مِنْ يَمسِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ وَبِأَيِّ شَيءٍ يَذْهَبُ الغَضَبُ.

فَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْهُ، وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا"، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللهُ عَنِّي (٧٤).

وَعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ السُّلَمِيَّةِ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ" (٧٥).

الْحِكْمَةُ مِنَ الاسْتِعَاذَةِ قَبْلَ القِرَاءَةِ

لِيَعْلَمَ المُسْلِمُ أَنَّهُ لَا نَجَاةَ مِنْ شَيَاطِينِ الْجِنِّ إِلَّا بِالاسْتِعَاذَةِ، أَمَّا شَيَاطِينُ الإِنْسِ فَحُكْمُ اللهِ تَعَالَى فِيهِم كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الأعراف: ١٩٩، وقال تعالى: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥)﴾ فصلت: ٣٤-٣٥.

---

٧٤ - رَوَاهُ مسلمُ رَقَم ٦٨ - ٢٢٠٣، فِي كِتَابِ السَّلامِ، بَابُ: التَّعَوُّذ مِنَ شَيْطَانِ الوَسْوَسَةِ فِي الصَّلاةِ.

٧٥ - رَوَاهُ مسلمُ رَقَم ٥٤ - ٢٧٠٨، فِي كِتَابِ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ، بَابُ: فِي التَّعَوُّذِ مِنْ سُوءِ القَضَاءِ وَدَرَكَ الشَّقَاءِ وَغَيْرِهِ.

قال ابن كثير: وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِمُصَانَعَةِ الْعَدُوِّ الْإِنْسِيِّ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، لِيَرُدَّهُ طبعُهُ الطَّيبُ الْأَصْلِ إِلَى الْمُوَادَّةِ وَالْمُصَافَاةِ، وَيَأْمُرُ بِالِاسْتِعَاذَةِ بِهِ مِنَ الْعَدُوِّ الشَّيْطَانِيِّ لَا مَحَالَةَ؛ إِذْ لَا يَقْبَلُ مُصَانَعَةً وَلَا إِحْسَانًا وَلَا يَبْتَغِي غَيْرَ هَلَاكِ ابْنِ آدَمَ، لِشِدَّةِ الْعَدَاوَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ آدَمَ مِنْ قَبْلُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ الأعراف: ٢٧، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ فاطر: ٦، وَقَالَ: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ الكهف: ٥٠، وَقَدْ أَقْسَمَ لِلْوَالِدِ إِنَّهُ لَمِنَ النَّاصِحِينَ، وَكَذَبَ، فَكَيْفَ مُعَامَلَتُهُ لَنَا وَقَدْ قَالَ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣)﴾ ص: ٨٢-٨٣، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠)﴾ النحل: ٩٨-١٠٠ [٧٦].

٧٦ - رَاجِعْ تَفْسِيرَ ابْنِ كَثِيرٍ ج ١/٢٦.

أَرْكَانُ الاسْتِعَاذَةِ

قَالَ النَّيْسَابُورِيُّ: اعْلَمْ أَنَّ الكَلامَ فِي مَعْنَى قَوْلِ القَائِلِ: "أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ"، يَتَعَلَّقُ بِخَمْسَةِ أَرْكَانٍ: الاسْتِعَاذَةُ، وَالمُسْتَعِيذُ، وَالمُسْتَعَاذُ لَهُ، وَالمُسْتَعَاذُ مِنْهُ، وَمَا لأَجْلِهِ الاسْتِعَاذَةُ. فَهَهُنَا أَبْحَاثٌ:

❖ **البَحْثُ الأَوَّلُ:** مَعْنَى العَوذُ، الالْتِجَاءُ أَوْ الالْتِصَاقُ. قَالَ الجَوْهَرِيُّ: أَطْيَبُ اللَّحْمِ عَوَذُهُ وَهُوَ مَا الْتَصَقَ مِنْهُ بِالْعَظْمِ. أَيْ أَلْتَجِئُ إِلَى رَحْمَةِ اللهِ، أَوْ أَلْتَصِقُ بِفَضْلِهِ. وَالباءُ فِي "بِاللهِ" للإِلْصَاقِ، كَمَا أَنَّ "مِنَ" فِي "مِنَ الشَّيْطَانِ" للابْتِداءِ، لِأَنَّهُ ابْتَدَأَ بِالتَّبَرُّئِ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَالْتَصَقَ بِرَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى وَإِعَانَتِهِ. وَالاسْتَعَاذَةُ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِأَنْ يَعْلَمَ الْعَبْدُ كَوْنَهُ عَاجِزًا عَنْ جَلْبِ الْمَنَافِعِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ، وَدَفْعِ الْمَضَارِّ العَاجِلَةِ وَالآجِلَةِ، وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى إِيصَالِ الْمَنَافِعِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ، لَا قُدْرَةَ عَلَى ذَلِكَ لأَحَدٍ سِوَاهُ تَعَالَى. وَيُتَوَلَّدُ عَنْ هَذَا الْعِلْمِ فِي الْقَلْبِ حَالَةٌ هِيَ انْكِسَارٌ وَخُضُوعٌ، وَيَحْصُلُ مِنْهَا فِي الْقَلْبِ أَنْ يَصِيرَ الْعَبْدُ مُرِيدًا لأَنْ يَصُونَهُ اللهُ تَعَالَى عَنِ الآفَاتِ، وَيَفِيضَ عَلَيْهِ بِالخَيْرَاتِ، ثُمَّ يَصِيرَ بِلِسَانِهِ طَالِبًا لِذَلِكَ فَيَقُولَ: "أَعُوذُ باللهِ". فَالرُّكْنُ الأَعْظَمُ فِي الاسْتِعَاذَةِ هُوَ أَنْ يَعْلَمَ الْعَبْدُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى عَالِمٌ بِكُلِّ الْمَعْلُومَاتِ، وَإِلَّا جَازَ إِلَّا يُعْلَمَ حَالُهُ فَتَقَعَ الاسْتِعَاذَةُ عَبَثًا؛ وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى جَمِيعِ الْمُمْكِنَاتِ، وَإِلَّا فَرُبَّمَا كَانَ عَاجِزًا عَنْ تَحْصِيلِ مُرَادِ الْعَبْدِ؛ وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ جَوَّادٌ مِعْطَاءٌ، وَإِلَّا لَجَازَ أَنْ يَبْخَلَ بِمَقْصُودِهِ؛ وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ سِوَى اللهُ عَلَى تَحْصِيلِ مُرَامِهِ، وَإِلَّا

لَمْ يَكُنْ صَادِقَ الرَّغْبَةِ فِي الاسْتِعَاذَةِ بِهِ. وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْعَبْدَ مَا لَمْ يَعْرِفْ عِزَّةَ الرُّبُوبِيَّةِ وَذِلَّةَ الْعُبُودِيَّةِ لَمْ تَصِحَّ مِنْهُ الاسْتِعَاذَةُ.

❖ **الْبَحْثُ الثَّانِي:** الْمُسْتَعِيذُ لَيْسَ شَخْصًا مُعَيَّنًا بَلْ كُلُّ مَخْلُوقٍ مُفْتَقِرٌ إِلَى الاسْتِعَاذَةِ بِهِ.

❖ **الْبَحْثُ الثَّالِثُ:** الْمُسْتَعَاذُ لَهُ إِنَّمَا هُوَ اللهُ، أَوْ كَلِمَاتُ اللهِ، كَمَا جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ "أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ" [٧٧]. أَمَّا كَلِمَاتُ اللهِ فَالْمُرَادُ بِهَا الْمُبْدِعَاتُ الصَّادِرَةُ عَنْهُ تَعَالَى بِكَلِمَةِ {كُنْ} سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ٢١٧، سورة آلُ عِمْرَانَ: ٤٧ و٥٩، سُورَةُ الْأَنْعَامِ: ٧٣، سُورَةُ النَّحْلِ: ٤٠، سُورَةُ مَرْيَمَ: ٣٥، سُورَةُ يَس: ٨٢، سُورَةُ غَافِرِ: ٦٨. مِنْ غَيْرِ مَادَّةٍ وَمُدَّةٍ، فَكَأَنَّ الْأَرْوَاحَ البَشَرِيَّةَ تَسْتَعِيذُ وَتَسْتَعِينُ بِالْأَرْوَاحِ الْعُلْوِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ فِي دَفْعِ شُرُورِ الْأَرْوَاحِ الْخَبِيثَةِ. وَإِنَّمَا تَحْسُنُ الاسْتِعَاذَةُ بِالْكَلِمَاتِ إِذَا كَانَ قَدْ بَقِيَ فِي نَظَرِهِ الْتِفَاتٌ إِلَى مَا سِوَى اللهِ تَعَالَى. وَأَمَّا إِذَا تَغَلْغَلَ فِي بَحْرِ التَّوْحِيدِ لَمْ يَسْتَعِذْ إِلَّا بِاللهِ وَمِنَ اللهِ كَمَا قَالَ: "أَعُوذُ بِكَ مِنْكَ" [٧٨]، وَإِذَا فَنِيَ عَنْ

---

٧٧ – رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيْثِ ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، رَقَمْ ٣٣٧١، فِي كِتَابِ "أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ"، بَاب: ١٠. وَلَفْظُهُ: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَوِّذُ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ، وَيَقُولُ: "إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ".

٧٨ – حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، أَخْرَجَهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ فِي صَحِيْحِهِ مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، رَقَمْ ٦٧١، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي "مَصَابِيْح التَّنْوِيرِ عَلَى صَحِيْحِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ"، رَقَمْ

نَفْسِهِ وَفَنِيَ أَيْضًا عَنْ فَنَاءِ نَفْسِهِ قَالَ: "أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ". وَلِهَذَا قَالَ نُوحٌ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ هود: ٤٧، فَأَعْطَى السَّلَامَ وَالْبَرَكَاتِ فِي قَوْلِهِ: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ هود: ٤٨، وَقَالَ يُوسُفُ: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ يوسف: ٢٣، فَصَرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ؛ ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ غافر: ٢٧. فَأَغْرَقَ اللهُ تَعَالَى عَدُوَّهُ وَأَوْرَثَهُ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ؛ وَقَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ آل عمران: ٣٦ ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ آل عمران: ٣٧. وَقَدْ أَمَرَ نَبِيَّنَا: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ الفلق: ١، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ الناس: ١، فَوُقِيَ شَرَّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ، وَكُفِيَ شَرَّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ.

❖ **الْبَحْثُ الرَّابِعُ:** الْمُسْتَعَاذُ مِنْهُ، الشَّيْطَانُ، وَمَا لِأَجْلِهِ الاسْتِعَاذَةُ دَفْعُ شَرِّهِ.

فَنَقُولُ: أَمَّا اشْتِقَاقُهُ فَمِنْ "شَطَنَ"، وَيُقَالُ شَطَنَ الدَّارُ أَيْ بَعُدَتْ، وَالشَّيْطَانُ بَعِيدٌ عَنِ السَّدَادِ وَالرَّشَادِ، وَقَدْ يُسَمَّى كُلُّ مُتَمَرِّدٍ مِنْ إِنْسٍ أَوْ

١٢٨٠. وَلَفْظُهُ: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: "فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي الْفِرَاشِ، فَجَعَلْتُ أَطْلُبُهُ بِيَدِي، فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَاطِنِ قَدَمَيْهِ وَهُمَا مُنْتَصِبَتَانِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ".

دَابَّةٍ شَيْطَانًا. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ الأنعام: ١١٢. وَرَكِبَ عُمَرُ بَرْذُونًا فَطَفِقَ يَتَبَخْتَرُ، فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ وَلَا يَزْدَادُ إِلَّا تَبَخْتُرًا، فَنَزَلَ عَنْهُ، فَقَالَ: مَا حملتموني إِلَّا عَلَى شَيْطَانٍ [٧٩]. هَذَا أَحَدُ قَوْلَيْ سِيبَوَيْه. وَعلى هَذَا "فَنُونُهُ" أَصْلِيَّةٌ، وَوَزْنُهُ "فَيْعَالٍ"، وَقَدْ جَعَلَ سِيبَوَيْه فِي مَوْضِعٍ آخَرَ النُّونَ زَائِدَةً، وَجَعَلَهُ "فَعْلَانَ" مِنْ شَاطَ يَشِيطُ إِذَا بَطَلَ. وَلَمَّا كَانَ كُلُّ مُتَمَرِّدٍ كَالْبَاطِلِ فِي نَفْسِهِ لِأَنَّهُ مُبْطِلٌ، لِوُجُوهِ مَصَالِحَ نَفْسِهِ سُمِّيَ شَيْطَانًا؛ وَالرَّجِيمُ مَعْنَاهُ الْمَرْجُومُ، كَاللَّعِينُ بِمَعْنَى الْمَلْعُونُ.

---

٧٩ – رِوَايَةٌ مَشْهُورَةٌ. ذَكَرَهَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ فِي "تَارِيْخُ الْمَدِيْنَةِ" ج ٣/٨٢٢، وَذَكَرَهَا ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ج ١/٣١ وَصَحَّحَ إِسْنَادَهَا. وَالْقِصَّةُ بِتَمَامِهَا كَمَا فِي "تَارِيْخِ الْمَدِيْنَةِ": عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الشَّامِ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ نَزَلَ لِلصُّبْحِ، وَنَزَلْتُ مَعَهُ، فَذَهَبَ لِحَاجَتِهِ وَكَانَ إِذَا ذَهَبَ أَبْعَدَ ثُمَّ جَاءَ فَنَاوَلْتُهُ إِدَاوَةً مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ صَلَّى، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَرْكَبَ قَالَ: "هَلْ لَكَ أَنْ تَرْكَبَ جَمَلِي وَأَرْكَبَ جَمَلَكَ يَا أَبَا خَالِدٍ؟" وَلَكِنَّهُ جَعَلَ يَقْبِضُ، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا يَقْبِضُ؟ قَالَ: يَضْرِبُ بِيَدَيْهِ فَلَا يُنْشِبُ – أَيْ يُنَقِّبُ – وَهُوَ جَمَلُ رَجُلٍ أَقَثَّ لَمْ يُثْقِلْ حَوَايَاهُ الشَّحْمُ. قَالَ: ثُمَّ لَقِينَا أَهْلَ الْأَرْضِ يَنْشُدُونَ، قَالُوا: أَيْنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: أَمَامَكُمْ، قَالَ: فَانْصَرَفُوا. قَالَ: مَا أَخَالُنَا إِلَّا قَدْ كَرَبْنَاهُمْ، نَادِهِمْ، فَنَادَيْتُهُمْ فَرَجَعُوا، فَقُلْتُ: هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَكَأَنَّمَا ضَرَبْتُ وُجُوهَهُمْ، فَانْصَرَفُوا، فَقَالَ: هَلْ تَرَى مَا أَرَى يَا أَبَا خَالِدٍ؟ فَقُلْتُ: وَمَا أَرَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: "لَمْ يَرَ هَؤُلَاءِ عَلَى صَاحِبِكَ ثِيَابَ قَوْمٍ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِيهَا، ثُمَّ تَزْدَرِينَا أَعْيُنُهُمْ"، قَالَ: فَلَقِينَا النَّاسُ فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَعَلَى قَوْمٍ حَدِيثِي عَهْدٍ بِكُفْرٍ، فَلَوْ رَكِبْتَ دَابَّةً غَيْرَ دَابَّتِكَ هَذِهِ؟ قَالَ: فَأُتِيَ بِبِرْذَوْنٍ فَرَكِبَهُ، فَجَعَلَ يَتَبَخْتَرُ بِهِ، فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ فَلَا يَزْدَادُ إِلَّا تَبَخْتُرًا فَنَزَلَ عَنْهُ، وَقَالَ: مَا حَمَلْتُمُونِي إِلَّا عَلَى شَيْطَانٍ، مَا نَزَلْتُ عَنْهُ حَتَّى أَنْكَرْتُ نَفْسِي، إِيتُونِي بِقَعُودِي، فَرَكِبَهُ".

وَمَعْنَى الْمَرْجُومُ إِمَّا الْمَلْعُونُ مِنْ قِبَلِ اللهِ تَعَالَى، وَإِمَّا لِأَنَّهُ تَعَالَى أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِرَمْيِ الشَّيْطَانِ بَالشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ، ثُمَّ وَصَفَ بِذَلِكَ كُلَّ شِرِّيرٍ مُتَمَرِّدٍ. وَأَمَّا مَنْ ضَمَّ إِلَى الاسْتِعَاذَةِ قَوْلَهُ: {السَّمِيع الْعَلِيم} فَوَجَّهَ ذَلِكَ بَعْدَ الاقْتِدَاءِ بِمَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ أَنَّ الْعَبْدَ كَأَنَّهُ يَقُولُ: يَا مَنْ يَسْمَعُ كُلَّ مَسْمُوعٍ، وَيَعْلَمُ كُلَّ سِرٍّ خَفِيٍّ أَنْتَ تَسْمَعُ وَسْوَسَةَ الشَّيْطَانِ، وتَعْلَمُ غَرَضَهُ فِيهَا، وَأَنْتَ الْقَادِرُ عَلَى دَفْعِهَا عَنِّي، فَادْفَعْهَا عَنِّي بِفَضْلِكَ" [٨٠]

فَالاسْتِعَاذَةُ تَكُونُ باللهِ، وَتَكُونُ كَذَلِكَ بِاسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ، أَوْ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ.

وَدَلِيلُ ذَلِكَ مَا جَاءَ في قِصَّةِ مَرْيَمَ عَلَيهَا السَّلامُ لَمَّا تَمَثَّلَ لَهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ بَشَرًا سَوِيًّا، ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ مريم: ١٨.

وَالنَّبِيُّ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَنَا الاسْتِعَاذَةَ بِكَلِمَاتِ اللهِ فَقَالَ: "إِذَا نَزَلَ أَحَدُكُمْ مَنْزِلًا، فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ" [٨١].

وَعَلَّمَ مَنْ يَجِد أَلَمًا في بَدَنِهِ أَنْ يَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى مَوْضِعِ الْأَلَمِ، وَيَقُولُ: "بِسْمِ اللهِ، أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ"، سَبْعَ مَرَّاتٍ [٨٢].

---

٨٠ – رَاجِعْ كِتَابَ "غَرَائِب الْقُرْآنِ وَرَغَائِب الْفُرْقَانِ" لِلْنَيْسَابُورِي ج ١/١٥، دَارُ الْكُتُبِ العِلْمِيَّةِ – بَيْرُوت، الطَّبعَةُ الأُولَى ١٤١٦هـ.

٨١ – تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ، رَوَاهُ مسلمُ رقم ٥٤ – ٢٧٠٨، فِي كِتَابِ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ، بَابُ: فِي التَّعَوُّذِ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ وَدَرَكِ الشَّقَاءِ وَغَيْرِهِ.

٨٢ – حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ عُثْمَانِ بْنِ أبي الْعَاص رضي اللهُ عَنْهُ، رَقَمْ ٣٥٢٢، فِي كِتَابِ الطِّبِّ، بَابُ: مَا عَوَّذَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا عُوِّذَ بِهِ.

وَكَانَ يَرْقِي الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ويُعَوِّذُهُمَا، فَيَقُولُ: "أُعِيذُكُمَا بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ" [٨٣].

وَالاسْتِعَاذَةُ عِبَادَةٌ، لَا يَجُوزُ صَرْفُهَا لِغَيْرِ اللهِ، فَمَن اسْتَعَاذَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِأَنَّهُ لَا أَحَدَ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ يَمْلِكُ نَفْعًا وَلَا ضَرًا لَا لِنَفْسِهِ وَلَا لِغَيْرِهِ.

وَالاسْتِعَاذَةُ مَعْنَاهَا الالْتِجَاءُ إِلَى منْ يَمْلِكُ جَلْبَ النَّفْعِ وَدَفْعَ الضُّرِّ، وَلَا يَمْلِكُ ذَلِكَ إِلَّا اللهُ، فَكَانَ الالْتِجَاءُ إِلَى غَيْرِ اللهِ طَلَبًا لِجَلْبِ نَفْعٍ أَوْ دَفْعِ ضُرٍّ شِرْكٌ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَلِذَلِكَ حَكَى اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْ مؤْمِنِي الْجِنِّ، أَنَّهُمْ قَالُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ الجن: ٦. أَيْ كُنَّا نَرَى أَنَّ لَنَا فَضْلًا عَلَى الْإِنْسِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعُوذُونَ بِنَا حَيْثُ كَانَ الْعَرَبُ في الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا نَزَلُوا مَنْزِلًا لِلاسْتِرَاحَةِ كَانَت الْجِنُّ الَّتِي في الْوَادِي سَاعَةَ أَنْ يَرَوا الْعَرَبَ يَجْرُونَ هَرَبًا مِنْهُمْ وَخَوْفًا.

وَلَفْظُهُ: عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبِي وَجَعٌ، قَدْ كَادَ يُبْطِلُنِي، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اجْعَلْ يَدَكَ الْيُمْنَى عَلَيْهِ، وَقُلْ بِسْمِ اللَّهِ أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ، وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ، سَبْعَ مَرَّاتٍ؛ فَقُلْتُ ذَلِكَ، فَشَفَانِي اللَّهُ". وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

٨٣ – حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رضي اللهُ عَنْهُمَا، رقم ٣٥٢٥، فِي كِتَابِ الطِّبِّ، بَاب: مَا عَوَّذَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا عُوِّذَ بِهِ. وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

قَالَ الطَّبَرِيُّ: عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: كَانَ الْجِنُّ يَفْرَقُون مِنَ الْإِنْسِ كَمَا يَفرَق الْإِنْسُ مِنْهُمْ أَوْ أَشَدَّ، وَكَانَ الْإِنْسُ إِذَا نَزَلُوا وَادِيًا هَرَبَ الْجِنُّ، فَيَقُولُ سَيِّدُ الْقَوْمِ: نَعُوذُ بِسَيِّدِ أَهْلِ هَذَا الْوَادِي. فَقَالَ الْجِنُّ: نَرَاهُمْ يَفْرَقُونَ مِنَّا كَمَا نَفْرَقُ مِنْهُمْ. فَدَنَوْا مِنَ الْإِنْسِ فَأَصَابُوهُمْ بِالْخَبَلِ وَالْجُنُونِ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ الجن: ٦؛ وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ، وَالرَّبِيعُ، وَزَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: {رَهَقًا} أَيْ: خَوْفًا. وَقَالَ الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: {فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} أَيْ: إِثْمًا. وَكَذَا قَالَ قتادة. وقال مجاهد: زَادَ الكُفَّارُ طُغيَانًا. وَعَنْ كَردم بْنِ أَبِي السَّائِبِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ أَبِي مِنَ الْمَدِينَةِ فِي حَاجَةٍ، وَذَلِكَ أَوَّلَ مَا ذكرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ، فَآوَانَا الْمَبِيتُ إِلَى رَاعِي غَنَمٍ. فَلَمَّا انْتَصَفَ اللَّيْلُ جَاءَ ذِئْبٌ فَأَخَذَ حَمَلًا مِنَ الْغَنَمِ، فَوَثَبَ الرَّاعِي فَقَالَ: يَا عَامِرَ الْوَادِي، جَارَكَ. فَنَادَى مُنَادٍ لَا نَرَاهُ، يَقُولُ: يَا سِرْحَانُ، أَرْسِلْهُ. فَأَتَى الحملَ يَشْتَدُّ حَتَّى دَخَلَ فِي الْغَنَمِ لَمْ تُصِبْهُ كَدْمَةٌ. وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ بِمَكَّةَ ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ الجن: ٦ (٨٤).

{فَزَادُوهُمْ رَهَقًا}: أَيْ إِثْمًا، وَزَادَ الْكُفَّارَ طُغْيَانًا وَخَوْفًا وَعَنَتًا وَحَرَجًا وَمَشَقَّةً، وَازْدَادَتِ الْجِنُّ عَلَيْهِمْ جُرْأَةً (٨٥).

---

٨٤ – رَاجِعْ تَفْسِيرَ ابْنِ كَثِيرٍ ج ٢٣٨/٨.

٨٥ – رَاجِعْ تَفْسِيرَ الطَّبَرِيِّ ج ٣٢٣/٢٣، وَتَفْسِيرَ زَادِ الْمَسِيرِ لابْنِ الجَوْزِيِّ ج ٣٤٧/٤، وَ"الدُّرُّ المَنْثُورُ" للسِّيُوطِيِّ ج ٢٩٩/٨، وَتَفْسِيرَ القُرْطُبِيِّ ج ١٠/١٩، وَتَفْسِيرَ ابْنِ كَثِيرٍ ج ٢٥٢/٨.

وَالْخُلَاصَةُ: أَنَّ الْمُسْتَعِيذَ لَيْسَ شَخْصًا مُعَيَّنًا، وَإِنَّمَا كلُّ مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللهِ مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ، أَوْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ، أَوْ وَلِيٍّ صَالِحٍ يَكُونُ مُسْتَعِيذًا. وَالْمُسْتَعَاذُ بِهِ هُوَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَحْدَهُ.

"**الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ**": الشَّيْطَانُ فِي لُغَةِ العَرَبِ اسْمٌ لِكُلِّ جِنِّيٍ كَافِرٍ وَهُوَ الْمُتَمَرِّدُ الْعَاتِيُّ، مُشْتَقٌّ مِنْ شَطَنَ إِذَا بَعُدَ لِبُعْدِهِ عَنْ الْخَيْرِ وَالرَّحْمَةِ؛ وَقِيلَ: مِنْ شَاطَ إِذَا احْتَرَقَ وَهَلَكَ؛ قَوْلُهُ: "الرَّجِيمِ" الْمَطْرُودُ الْمُبْعَدُ الْمَرْجُومُ بِالشُّهُبِ (٨٦)، وَيُقَالُ: شَطَنَت الدَّارُ، إِذَا بَعُدَتْ. وَسُمِّيَ الشَّيْطَانُ شَيْطَانًا لِأَنَّهُ بَعُدَ بِطَبْعِهِ عَنْ طِبَاعِ الْبَشَرِ، وَبِفِسْقِهِ وَتَمَرُّدِهِ علَى رَبِّهِ وَبُعْدِهِ عَنْ كُلِّ خَيْرٍ. وَالشَّطَنُ: الْحَبْلُ الَّذِي يُشْطَنُ بِهِ الدَّلْوُ. أي يَمُدُّهُ فِي الْبِئْرِ. قَالَ: والْمُشَاطِنُ: الَّذِي يَنْزِعُ الدَّلْوَ مِنَ الْبِئْرِ بحَبلَيْنِ (٨٧). يَعْنِي أَنَّ هَذَا الشَّيْطَانَ يَمْتَدُّ إِلَيْكَ، فَكُنْ حَذِرًا مِنْهُ. وَقِيلَ: مُشْتَقٌّ مِنْ شَاطَ لِأَنَّهُ مخْلُوقٌ مِنْ نَارٍ.

وَقِيْلَ كِلَاهُمَا صَحِيحٌ فِي الْمَعْنَى، وَلَكِنَّ الْأَولَ أَصَحُّ، وَعَلِيْهِ يَدُلُّ كَلَامُ الْعَرَبِ؛ قَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ فِي ذِكْرِ مَا أُوتِيَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيُّمَا شَاطِنٍ عَصَاهُ عَكَاهُ ثُمَّ يُلْقَى فِي السِّجْنِ وَالأَغْلَالِ (٨٨) فَقَالَ: أَيُّمَا شَاطِنٍ، وَلَمْ يَقُلْ:

---

٨٦ – رَاجِعْ كِتَابَ "تَحَرّي أَلْفَاظِ التَّنْبِيهِ" للنَّوَوِيّ ص ٦٤، دَارُ القَلَمِ – دِمَشْق، الطَّبْعَةُ الأُولَى ١٤٠٨هـ.

٨٧ – رَاجِعْ "تَهْذِيب اللُّغَة" للهَرَوِيّ، ج ٢١٣/١١، دَارُ إحيَاء التُّرَاثِ العَرَبِي. بَيْرُوتْ، الطَّبْعَةُ الأُولَى ٢٠٠١م.

٨٨ – رَاجِع "الصِّحَاح تَاج اللُّغَة" وَ"صِحَاح العَرَبِيَّة" ج ٢١٤٥/٥، دَارُ العِلْمِ للمَلَايِينِ، بَيْرُوت، الطَّبعَةُ الرَّابِعَة ١٤٠٧ هـ– ١٩٨٧ م.

أَيُّمَا شَائِطٍ. وَالعَرَبُ تَقُولُ: تَشَيْطَنَ فُلَانٌ إِذَا فَعَلَ فِعْلَ الشَّيْطَانِ، وَلَوْ كَانَ مِنْ شَاطَ لقَالُوا: تَشَيَّطَ [٨٩].

فَالشَّيْطَانَ مُشْتَقٌّ مِنَ البُعْدِ عَلَى الصَّحِيحِ؛ وَلِهَذَا يُسَمُّونَ كُلَّ مَا تَمَرَّدَ مِنْ جِنِّيٍ أَوْ إِنْسِيٍ أَوْ حَيَوَانٍ شَيْطَانًا. وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ لَفْظَ الشَّيْطَانِ يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مَنْ خَالَفَ طَبِيعَةَ بَنِي جِنْسِهِ مِنَ الإِنْسِ وَمِنَ الْجِنِّ، حَتَى الدَّوَابِّ.

قالَ الطَّبَرِيُّ: وَالشَّيْطَانُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: كُلُّ مُتَمَرِّدٍ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالدَّوَابِّ وَكُلِّ شَيءٍ.

وَكَذَلِكَ قَالَ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ الأنعام: ١١٢، فَجَعَلَ مِنَ الإِنْسِ شَيَاطِينَ، مِثْلَ الَّذِي جَعَلَ مِنَ الْجِنِّ [٩٠].

وَالرَّجِيم: رَجِيمٌ عَلَى وَزْنِ فَعِيلٌ؛ بِمَعْنَى مَرْجُومٌ. سُمِّيَ الشَّيْطَانُ رَجِيمًا، أَوْ وُصِفَ الشَّيْطَانُ بِالرَّجِيمِ، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ (١٧) إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ (١٨)﴾ الحجر: ١٧-١٨؛ وَالرَّجِيم: أَيْ الْمَلْعُونِ، فَاللَّعْنُ يُسَمَّى رَجْمًا. وَاللَّعْنُ أَوِ السَّبُّ بِاللِّسَانِ يُسَمَّى رَجْمًا. فَالْمَلْعُونُ، الْمَشْتُومُ. وَكُلُّ مَشْتُومٍ بِقَوْلٍ رَدِيءٍ أَوْ سَبٍّ، فَهُوَ مَرْجُومٌ. وَأَصْلُ الرَّجْمِ: الرَّمْيُ، بِقَوْلٍ كَانَ أَوْ بِفِعْلٍ، وَمِنَ الرَّجْمِ بِالْقَوْلِ قَوْلُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ،

---

٨٩ - رَاجِعْ "لِسَانَ العَرَبِ" لابْنِ مَنْظُورٍ ج ٢٠٨/١٣، دَارُ صَادِر، بيَرْوُت، الطَّبعَةُ الثَّالِثَةُ ١٤١٤ هـ.

٩٠ - رَاجِع تَفْسِيرَ الطَّبَرِيِّ ج ١/ ١١١.

لِإِبْرَاهِيمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ مريم: ٤٦ [٩١] أَيْ لأَسُبَّنَّكَ وَأَلْعَنَكَ، فَسُمِّيَ اللَّعْنُ رَجْمًا.

وَقَد يَكُونُ رَجْمُ اللِّسَانِ بِالسَّبِّ وَالشَّتَائِمِ أَشَدَّ عَلَى الإِنْسَانِ مِنْ رَجْمِهِ بِالحِجَارَةِ، وَيَجُوزُ فِي وَصْفِ الشَّيْطَانِ بِالرَّجِيمِ لأَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ طَرَدَهُ مِنْ سَمَاوَاتِهِ، وَرَجَمَهُ بِالشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ [٩٢]. لأَنَّهُ وَأَتْبَاعَهُ يُرْجَمُونَ بِالشُّهُبِ الثَّاقِبَةِ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ الملك: ٥. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ (٧) لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ (٨)﴾ الصافات: ٦-٨.

٩١ - رَاجِعْ تَفْسِيرَ الطَّبَرِيِّ ج ١/١١٢.

٩٢ - رَاجِعْ تَفْسِيرَ الطَّبَرِيِّ؛ وَالشُّهُبُ: جَمْعُ شِهَابٍ وَهُوَ الْقِطْعَةُ الَّتِي تَنْفَصِلُ عَنْ بَعْضِ النُّجُومِ فَتَسْقُطُ، وَتَكُونُ مُضَاءَةً عِنْدَ انْفِصَالِهَا ثمَّ يَزُول ضَوْؤُهَا، وَيُسَمَّى الْوَاحِدُ مِنْهَا نَيْزَكًا بِمَعْنَى الرُّمْحِ الْقَصِيرِ، وَالثَّوَاقِبُ، جَمْعُ ثَاقِبَ: وَهُوَ المُضِيءُ الْمُشْتَعِلُ.

الْفَرْقُ بَيْنَ الرَّجِيمِ وَالْمَرْجُومِ

الرَّجِيم: صِفَةُ الرَّجْمِ لَاصِقَةٌ بِهِ، أَمَّا الْمَرْجُومِ فَقَدْ يَكُونُ مَرْجُومًا الآنَ، لَكِنْ لَا يَكُونُ مَرْجُومًا بَعْدَ سَاعَةٍ، أَمَّا الرَّجِيم فهِيَ صِفَتُهُ اللاصِقَةُ بِهِ، وَالرَّجِيمُ بَيَانُ أَنَّ عَلَيْهِ هَذَا الرَّجْمُ (٩٣).

وَلِكَيْ لَا يُبَالِغَ الإِنْسَانُ فِي الْخَوفِ مِنْهُ جَاءَ وَصْفُهُ بِالرَّجِيمِ، وَمَجِيءُ هَذَا الْوَصْفِ هُنَا كَانَ أَنْسَبَ الْأَوْصَافِ لِلشَّيْطَانِ فِي هَذَا المَعْنَى، يَعْنِي لَمْ يَقُل "الشَّيْطَانِ اللَّعِينِ"، أَوْ غَيْرِهَا مِنْ الصِّفَاتِ، فَجَاءَتْ "الرَّجِيمِ" وَكَأَنَّنَا نَرَاهُ وَهُوَ يُرْجَمُ حَتَّى انْشَغَلَ فِي نَفْسِهِ. فَمَعْنَى كَلِمَةِ شَيْطَانٍ تَدُلُّ عَلَى حَبْلِه الْمُمْتَدِّ إِلَيْنَا حَتَى لَا يَتَهَاوَنَ الإِنْسَانُ فِي شَأْنِهِ؛ وَكَلِمَةُ رَجِيمٍ طُمَأْنِينَةٌ لِلْمُسْلِمِ حَتَى لَا يَبْلُغَ الْخَوفُ مِنْهُ مَبْلَغَهُ؛ فَهُوَ رَجِيمٌ مَرْجُومٌ، أَيْ مَقْهُورٌ.

لِمَ شُرِعَتِ الاسْتِعَاذَةُ؟

قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ الإسراء: ٨٢. وقال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فصلت: ٣٦.

٩٣ – رَاجِعْ كِتَابَ "لَمَسَات بَيَانِيَّة فِي نُصُوصٍ مِنَ التَّنْزِيل" للسَامَرَائِيِّ ص ٤٤.

قَالَ قَتَادَةُ فِي قَوْلِهِ تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾: إِذَا سَمِعَهُ الْمُؤْمِنُ انْتَفَعَ بِهِ وَحَفِظَهُ وَوَعَاهُ ﴿وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾، أي أَنَّهُ لَا يَنْتَفِعُ بِهِ وَلَا يَحْفَظُهُ وَلَا يَعِيهِ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ هَذَا الْقُرْآنَ شِفَاءً، وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ [٩٤].

فَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ شِفَاءٌ، وَوَسْوَسَةُ الشَّيْطَانِ دَاءٌ. وَحَتَّى يَنْتَفِعَ الْعَبْدُ بِالدَّواءِ، لَا بُدَّ أَنْ يَحْمِيَ نَفْسَهُ مِنَ الدَّاءِ. وَهَذَا يَكُونُ بِالقِرَاءَةِ بِالتَّدَبُّرِ وَحُضُورِ الْقَلْبِ، وَصَفَاءِ الذِّهْنِ لِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اشْتَرَطَ في الانْتِفَاعِ بِالْقُرْآنِ حُضُورَ الْقَلْبِ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ق: ٣٧، أَيْ: قَلْبٌ حَيٌّ. كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يس: ٧٠. فَلَمَّا كَانَتْ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ شِفَاءً، وَوَسْوَسَةُ الشَّيْطَانِ دَاءً، وَكَانَ لَا بُدَّ لِلانْتِفَاعِ بِالدَّوَاءِ مِنْ قَطْعِ مَادَّةِ الدَّاءِ، فأُمِرَ الإِنْسَانُ أَنْ يَسْتَعِيذَ بِاللهِ مِن الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ عِنْدَ الْقِرَاءَةِ؛ وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَنْ يَضُرَّنِي في دِيْنِي وَدُنْيَايَ، أَوْ أَنْ يَشْغَلَ قَلْبِي، أَوْ أَنْ يَقْطَعَ فَهْمِي عَمَّا أَرَدْتُّ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وَقَالُوا إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يُحْيِي الْقُلُوبَ؛ كَمَا أَنَّ الْمَاءَ يُحْيِي الْأَرْضَ الْمَيْتَةَ. فَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مَادَةُ حَيَاةِ الْقَلْبِ؛ كَمَا أَنَّ الْمَطَرَ مَادَةُ حَيَاةِ الْأَرْضِ وَإِنْبَاتِهَا، لِذَلِكَ

---

٩٤ – رَاجِعْ تَفْسِيرَ ابْنِ كَثِيرٍ ج ٥/ ١١٣.

أُمِرَ الْمُسْلِمُ أَنْ يَسْتَعِيذَ بِاللهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَذَلِكَ حَتَى لَا يُفْسِدَ عَلَيهِ مَا دَخَلَ فِي قَلْبِهِ مِنْ وَرَعٍ ومن مَعَانِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

وَالْمَلَائِكَةُ تَتَنَزَّلُ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، كَمَا قَالَ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ" [٩٥].

وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: "أُمِرْنَا بِالسِّوَاكِ" [٩٦]، يَعْنِي أَنَّ النَّبِيَّ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَنَا بِالسِّوَاكِ فَقَالَ: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ يُصَلِّي أَتَاهُ

---

٩٥ – رَوَاهُ مُسْلِمُ مِنْ حَدِيثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي اللهُ عَنْهُ، رَقَمْ ٣٨ – ٢٦٩٩، فِي كِتَابِ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ، بَاب: فَضْل الاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ. وَلَفْظُهُ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ".

٩٦ – حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي "شُعَبِ الإيمَانِ" رَقَمْ ١٩٣٧، وَصَحَّحَهُ الضِّيَاءُ الْمَقْدِسِيُّ فِي "الأَحَادِيثِ الْمُخْتَارَةِ" رَقَمْ ٥٨٠. وَدَلِيلُهُ مِنَ الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أبي هُرَيْرَةَ عِنْدَ البُخَارِيِّ رَقَمْ ٨٨٧، فِي كِتَابِ الجُمُعَةِ، بَابُ: السِّوَاكِ يومَ الجُمُعَةِ، وَرَوَاهُ مُسْلِمُ رَقَمْ ٤٢–٢٥٢، فِي كِتَابِ الطَّهَارَةِ، بَابُ: السِّوَاك. وَلَفْظُهُ عِنْدَ البُخَارِيِّ: "لولا أن أشق على أمتي (أو على الناس) لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة".

الْمَلَكُ فَقَامَ خَلْفَهُ، فَيَسْمَعُ الْقُرْآنَ وَيَدْنُو فَلَا يَزَالُ يَسْتَمِعُ وَيَدْنُو حَتَّى يَضَعَ فَاهُ عَلَى فِيهِ فَلَا يَقْرَأُ آيَةً إِلَّا كَانَتْ فِي جَوْفِ الْمَلَكِ".

وَالْمَلَائِكَةُ تَنْزِلُ عَلَى قَارِئِ الْقُرْآنِ، وَلَا تَجْتَمِعُ المَلَائِكَةُ وَالشَّيَاطِينُ في مَكَانٍ وَاحِدٍ؛ فَأُمِرَ الْقَارِئُ أَنْ يَسْتَعِيذَ بِاللهِ قَبْلَ الْقِرَاءَةِ، حَتَّى تُطْرَدَ الشَّيَاطِينُ بِنُزُولِ الْمَلَائِكَةِ لِسَمَاعِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. وَهَذَا مِنْ مَعَانِي الاسْتِعَاذَةِ.

نُكَتٌ فِي الاسْتِعَاذَةِ (٩٧)

الأُولَى: "أَعُوذُ بِاللهِ"، عُرُوجٌ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى الْحَقِّ، وَمِنْ الْمُمْكِنِ إِلَى الْوَاجِبِ، لِأَنَّ "أَعُوذُ" إِشَارَةٌ إِلَى الْحَاجَةِ التَّامَّةِ؛ وَ"بِاللهِ" إِشَارَةٌ إِلَى الْمَعْبُودِ الْقَادِرِ عَلَى تَحْصِيلِ كُلِّ الْخَيْرَاتِ، وَدَفْعِ كُلِّ الْآفَاتِ. وَمَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ بِالضَّعْفِ وَالْقُصُورِ عَرَفَ اللهَ بِأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى كُلِّ مَقْدُورٍ. وَمَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ بِاْخِتلَالِ الْحَالِ عَرَفَ رَبَّهُ بِالْجَلَالِ وَالْكَمَالِ، وَمَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ بِالْإِمْكَانِ عَرَفَ رَبَّهُ بِالْوُجُوبِ.

الثَّانِيَةُ: سِرُّ الاسْتِعَاذَةِ الالْتِجَاءُ إِلَى قَادِرٍ يَدْفَعُ عَنْكَ الْآفَاتِ؛ وَقِرَاءَةُ الْقِرْآنِ مِنْ أَعْظَمِ الطَّاعَاتِ، فَلِهَذَا خُصَّتِ الاسْتِعَاذَةُ بِالْقِرَاءَةِ.

---

٩٧ – رَاجِعْ تَفْسِيرَ غَرَائِبِ القُرْآنِ وَرَغَائِبِ الفُرْقَانِ للنَيْسَابُورِي ج ١/ ٢١: ٢٣، دَارُ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ – بَيْرُوت، الطَّبْعَةُ الأُوْلَى ١٤١٦هـ.

الثَّالِثَةُ: عِنْدَ الْفِرَارِ مِنْ الْعَدُوِّ الْغَدَّارِ، يَقُولُ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. وَبَعْدَ الاسْتِقْرَارِ فِي حَضْرَةِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ، يَقُولُ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

الرَّابِعَةُ: الاسْتِعَاذَةُ تُطَهِّرُ اللِّسَانَ عَمَّا جَرَى عَلَيْهِ مِنْ ذِكْرِ غَيْرِ اللهِ، وَإِذَا حَصَلَ الطَّهُورُ اسْتَعَدَّ لِلصَّلَاةِ الْحَقِيقِيَّةِ وَهِيَ ذِكْرُ اللهِ، فَيَقُولُ: بِسْمِ اللهِ.

الْخَامِسَةُ: الْعَبْدُ مَأْمُورٌ بِمُحَارَبَةِ الْعَدُوِّ الظَّاهِرِ: ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ التوبة: ٢٩، وَبِمُحَارَبَةِ الْعَدُوِّ الْبَاطِنِ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ فاطر: ٦، فَإِذَا حَارَبْتَ الْعَدُوَّ الظَّاهِرَ كَانَ مَدَدَكَ الْمَلِكُ: ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ آل عمران: ١٢٥، وَإِذَا حَارَبْتَ الْعَدُوَّ الْبَاطِنَ كَانَ مَدَدَكَ الْمَلِكُ ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ الحجر: ٤٢. وَمُحَارَبَةُ الْعَدُوِّ الْبَاطِنِ أَوْلَى لِأَنَّ الْعَدُوَّ الظَّاهِرَ إِنْ غَلَبَ بَقِيَ الدِّينُ وَالْيَقِينُ وكُنَّا مَأْجُورِينَ، وَإِنْ غَلَبَ الْعَدُوُّ الْبَاطِنُ كُنَّا مَفْتُونِينَ، وَمَنْ قَتَلَهُ الْعَدُوُّ الظَّاهِرُ كَانَ شَهِيدًا، وَمَنْ قَتَلَهُ الْعَدُوُّ الْبَاطِنُ كَانَ طَرِيدًا، وَلَا خَلَاصَ مِنْ شَرِّهِ إِلَّا بِأَنْ يَقُولَ: "أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ".

السَّادسة: أَقْسَمَ فِي حَقِّ أَبَوَيْكَ أَنَّهُ لَمِنَ النَّاصِحِينَ {فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ}، وَأَقْسَمَ فِيكَ {لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}. فَمَا ظَنُّكَ بِعَاقِبَةِ مُعَامَلَتِهِ مَعَكَ، فَقُلْ: "أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ".

السابعةُ: إِنَّمَا اخْتُصَّ اسْمُ اللهِ لِلاسْتِعَاذَةِ بِهِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأَسْمَاءِ لِأَنَّ الْعَدُوَّ كُلَّمَا كَانَ أَشَدَّ، احْتِيجَ إِلَى عُدَّةٍ أَكْثَرَ، وَالاسْمُ الْجَامِعُ لِجَمِيعِ الصِّفَاتِ الْكَمَالِيَّةِ إِنَّمَا هُوَ اللهُ، فَكَأَنَّ الْعَبْدَ قَالَ: أَعُوذُ بِالْقَادِرِ العَالِمِ الحَكِيمِ الَّذِي لَا يَرْضَى بِشَيءٍ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.

الثامنة: الشَّيْطَانُ اسْمٌ، وَالرَّجِيمُ صِفَةٌ لَهُ. ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى الِاسْمِ بَلْ ذِكْرُ صِفَتِهِ تَنْبِيهًا لِلْعَبْدِ أَنَّ الشَّيْطَانَ بَقِيَ فِي الْخِدْمَةِ أُلُوفًا مِنَ السِّنِينِ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى مَضَرَّتِنَا، وَمَعَ ذَلِكَ رَجَمْنَاهُ وَطَرَدْنَاهُ. وَأَنْتَ لَوْ صَاحَبَكَ الشَّيْطَانُ لَحْظَةً وَاحِدَةً أَخْلَدَكَ فِي النَّارِ، فَكَيْفَ لَا تَشْتَغِلْ بِطَرْدِهِ فَقُلْ: "أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ".

التاسعةُ: يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: "عَبْدِي إِنَّهُ يَرَاكَ وَأَنتَ لَا تَراهُ فَيُنفِذُ كَيدَهُ فِيكَ" [٩٨]، فَتَمَسَّكْ بِمَنْ يَرَى الشَّيْطَانَ وَلَا يَرَاهُ الشَّيْطَانُ، وَقُلْ: "أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ".

---

٩٨ – هَذَا الْقَوْلُ جَوابٌ لِمَنْ يَقُولُ: مَا السَّبَبُ فِي أَنَّ اللهَ جَعْلَ ذِكْرَ الشَّيْطَانِ فِي مُقَابَلَةِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى؟ وَالْجَوابُ: كَأَنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: عَبْدِي إِنَّهُ يَرَاكَ وَأَنْتَ لَا تَرَاهُ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنَّهُ يَراكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ (٢٧)} سُورَةُ الْأَعْرَافِ. فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: تَمَسَّكُوا بِمَنْ يَرَى الشَّيْطَانَ ولَا يَرَاهُ الشَّيْطَانُ، وَهُوَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَقُولُوا: "أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ". من كتاب (ومضات من سورة الفاتحة) للأستاذ/ محمد الصالح الصديق (ص:٦٨–٦٩) الشيخ محمد الصالح الصديق رحمه الله: ولد يوم ١٩ديسمبر عام ١٩٢٥م حيث نشأ وتربى في كنف عائلته المتشبعة بالقيم الدينية والوطنية .

العاشرةَ: الأَلِفُ وَاللَّامُ فِي "الشَّيْطَانِ" لِلْجِنْسِ، لِتُفِيدَ الاسْتِعَاذَةَ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ مُطْلَقًا؛ مَرْئِيًا وَغَيْرَ مَرْئِيٍّ، وَلَوْ جُعِلَ لِلْعَهْدِ جَازَ، وَتَدْخُلُ ذُرِّيَّتُهُ فِيهِ تَبَعًا.

الحادية عَشَرَة: الشَّيْطَانُ بَعِيدٌ وَأَنْتَ قَرِيبٌ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ق: ١٦، فَكَمَا أَنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَجْعَلُهُ اللهُ قَرِيبًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ الأحزاب: ٦٢، وَالآيَةِ ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا﴾ الفتح: ٢٣، فَاعْرِفْ أَنَّهُ لَا يَجْعَلُكَ اللهُ تَعَالَى بَعِيدًا حِينَ جَعَلَكَ قَرِيبًا ٩٩.

الثَّانيةُ عَشَرَةُ: إِنَّ الشَّيْطَانَ رَجِيمٌ، وَإِنَّ اللهَ رَحْمَانٌ رَحِيمٌ، فَاحْذَرْ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ لِتَصِلَ إِلَى الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ.

حفظ القرآن في الثامنة من عمره ، كافأه والداه على ذلك بزيارة الجزائر حيث التقى حلاله بالشيخ ابن باديس الذي تلى على رأسه آية قرآنية.

٩٩. من كتاب (ومضات من سورة الفاتحة) للأستاذ/ محمد الصالح الصديق (ص:٦٨-٦٩) الشيخ محمد الصالح الصديق رحمه الله: ولد يوم ١٩ ديسمبر عام ١٩٢٥م حيث نشأ وتربى في كنف عائلته المتشبعة بالقيم الدينية والوطنية .
حفظ القرآن في الثامنة من عمره ، كافأه والداه على ذلك بزيارة الجزائر حيث التقى حلاله بالشيخ ابن باديس الذي تلى على رأسه آية قرآنية.

الثالثةُ عَشَرَةُ: الشَّيْطَانُ عَدُوٌّ غَائِبٌ ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ الأعراف: ٢٧، وَاللهُ تَعَالَى حَبِيبٌ غَالِبٌ. ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ يوسف: ٢١، فَإِذَا قَصَدَكَ الْعَدُوُّ الْغَائِبُ فَافْزَعْ إِلَى الْحَبِيبِ الْغَالِبِ.

تَأْوِيْلُ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا سَبْعٌ بِالإِجْمَاعِ، وَسُمِّيَتِ الْفَاتِحَةَ لافْتِتَاحِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ بِهَا، فَهِيَ أَوَّلُ الْقُرْآنِ تَرْتِيبًا لَا تَنْزِيلًا.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ (١٠٠) رَحِمَهُ اللهُ: للإِنسَانِ قُوَّتان، قُوَّة عِلْمِيَّةٌ نَظَرِيَّةٌ، وَقُوَّةٌ عَمَلِيَّةٌ إِرَادِيَّةٌ، وَسَعَادَتُهُ التَّامَّةُ مَوْقُوفَةٌ عَلَى اسْتِكْمَالِ قُوَّتَيْهِ الْعِلْمِيَّةِ الإِرَادِيَّةِ. وَاسْتِكْمَالُ الْقُوَّةِ الْعِلْمِيَّةِ إِنَّمَا يَكُونُ بِمَعْرِفَةِ فَاطِرِهِ وَبَارِئِهِ وَمَعْرِفَةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَمَعْرِفَةِ الطَّرِيقِ الَّتِي تُوَصِّلُ إِلَيْهِ وَمَعْرِفَةِ آفَاتِهَا وَمَعْرِفَةِ نَفْسِهِ وَمَعْرِفَةِ عُيُوبِهَا.

وَاسْتِكْمَالُ الْقُوَّةِ الْعِلْمِيَّةِ الإِرَادِيَّةِ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِمُرَاعَاةِ حُقُوقِهِ سُبْحَانَهُ عَلَى العَبْدِ وَالْقِيَامِ بِهَا إِخْلَاصًا وَصِدْقًا وَنُصْحًا وَإِحْسَانًا وَمُتَابَعَةً وَشُهُودًا لِمِنَّتِهِ عَلَيْهِ وَتَقْصِيرِهِ هُوَ فِي أَدَاءِ حَقِّهِ. فَهُوَ مُسْتَحْيٍ مِنْ مُوَاجَهَتِهِ بِتِلْكَ الْخدمَةِ لِعِلْمِهِ أَنَّهَا دُونَ مَا يَسْتَحِقُّهُ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى اسْتِكْمَالِ هَاتَيْنِ الْقُوَّتَيْنِ إِلَّا بِمَعُونَتِهِ

١٠٠ - رَاجِعْ كِتَابَ الفَوائِدِ لابْنِ القَيِّمِ - بِتَصَرُّف - ص ١٩، ٢٠، مَكْتَبَة المُتَنَبِّي، القَاهِرَة.

فَهُوَ مُضْطَّرٌ إِلَى أَنْ يَهْدِيَهُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ الَّذِي هُدِيَ إِلَيْهِ أَوْلِيَاؤُهُ وَخَاصَّتُهُ، وَأَنْ يُجَنِّبَهُ الْخُرُوجَ عَنْ ذَلِكَ الصِّرَاطِ إِمَّا بِفَسَادٍ فِي قُوَّتِهِ الْعِلْمِيَّةِ فَيَقَعُ فِي الضَّلَالِ، وَأَمَّا فِي قُوَّتِهِ الْعَمَلِيَّةِ فَيُوجِبُ لَهُ الْغَضَبَ، فَكَمَالُ الْإِنْسَانِ وَسَعَادَتُهُ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِمَجْمُوعِ هَذِهِ الْأُمُورِ، وَقَدْ تَضَمَّنَتْهَا سُورَةُ الْفَاتِحَةِ وَانْتَظَمَتْهَا أَكْمَلَ انْتِظَامٍ. ا هـ.

إِذَن نَحْتَاجُ وَيَحْتَاجُ كُلُّ سَالِكٍ للهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى تَقْوِيَةِ الْجَانِبِ الْعِلْمِيِّ الْمَعْرِفِيِّ بِالتَّعَرُّفِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا وَالتَّحَقُّقِ بِهَا، ثُمَّ الْجَانِبِ الْعَمَلِيِّ بِالْمُتَابَعَةِ وَتَنْفِيذِ أَوَامِرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالإِخْلَاصِ وَالإِحْسَانِ في الْعَمَلِ، وَمَعَ كُلِّ هَذَا، الاسْتِعَانَةِ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَا مُنَجٍّ وَلَا مُوَصِّلٌ لِلطَّرِيقِ إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَدْ تَضَمَّنَتْ سُورَةُ الْفَاتِحَةِ، وَاحْتَوَتْ عَلَى قِصَرِهَا مَا لَمْ تَحْتَوِ عَلَيْهِ سُورَةٌ مِنْ سُوَرِ الْقُرْآنِ مِنْ مَعَانِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَاشْتَمَلَتْ مَقَاصِدَهُ الأَسَاسِيَّةَ بِالإِجْمَالِ؛ فَهِيَ تَتَنَاوَلُ أُصُولَ الدِّينِ وَفُرُوعَهُ: الْعَقِيدَةَ، الْعِبَادَةَ، التَّشْرِيعَ، الاعْتِقَادَ بِالْيَومِ الآخِرِ، والإِيْمَانَ بِصِفَاتِ اللهِ الْحُسْنَى وَإِفْرَادَهُ بِالعِبَادَةِ وَالاسْتِعَانَةِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوَجُّهِ إِلَيْهِ جَلَّ وَعَلَا بِطَلَبِ الْهِدَايَةِ إِلَى الدِّينِ الْحَقِّ، وَالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ بِالثَّبَاتِ عَلَى الإِيْمَانِ، وَاتِّبَاعِ نَهْجِ وسَبِيلِ الصَّالِحِينَ، وَتَجَنُّبِ طَرِيقِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّآلِّينَ، وَفِيهَا الإِخْبَارُ عَنْ قَصَصِ الأُمَمِ السَّابِقِينَ وَالاطِّلَاعُ عَلَى مَعَارِجِ السُّعَداءِ وَمَنَازِلِ الأَشْقِيَاءِ، وَفِيهَا التَّعَبُّدُ بِأَمْرِ اللهِ سُبَحَانَهُ، وَنَهْيِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَقَاصِدَ وَأَهْدَافٍ، فَهِيَ كَالْأُمِّ بِالنِّسْبَةِ لِبَاقِي السُّوَرِ

الْكَرِيمَةِ، وَلِهَذَا تُسَمَّى بِأُمِّ الْكِتَابِ. إِذن اشْتَمَلَتْ سُورَةُ الْفَاتِحَةِ عَلَى كُلِّ مَعَانِي الْقُرْآنِ.

هَدَفُ السُّوْرَةِ: الاشْتِمَالُ عَلَى كُلِّ مَعَانِي وَأَهْدَافِ الْقُرْآنِ الكَرِيمِ

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤)﴾ الفاتحة: ٢-٤. تَعْرِيفٌ لِلنَّفْسِ بفَاطِرِهَا وَبَارِئِهَا وَخَالِقِهَا، بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة: ٥، تعريفٌ لِلنَّفْسِ بِحَقِّ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهَا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الفاتحة: ٦، تَعْرِيفٌ لِلنَّفْسِ بِالطَّرِيقِ الْمُوَصِّلَةِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَّ النَّفْسَ في فَقْرٍ دَائِمٍ إِلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، لِيَهْدِيَهَا الطَّرِيقَ الْمُوَصِّلَةَ إِلَيهِ، وَيُثَبِّتَهَا عَلَيْهِ.

وقوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الفاتحة: ٧، تَعْرِيفٌ لِلنَّفْسِ بِآفَاتِ الطَّرِيقِ، التي يَجِبُ أَنْ تَحْذَرَهَا وهي في سَيْرِهَا إِلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

كَمَا تَضَمَّنَتْ سُورَةُ الفاتحةِ التَّوْحِيدَ بِأَنْوَاعِهِ الثَّلَاثَةِ، كَمَا تَضَمَّنَتِ الإِيْمَانَ بِالنُّبُوَّة وَالرِّسَالَةِ، وَالإِيْمَانَ بِالْمَبْدَأِ وَالمَعَادِ، كَمَا تَضَمَّنَت التَّحْذِيرَ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالضَّلَالِ عَلَى كَثْرَةِ طُرُقِهِمْ وَمِلَلِهِمْ:

- أَمَّا توْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ، فَدَاخِلٌ في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.
- وَأَمَّا تَوْحِيدُ الْأُلُوهِيَّةِ، فَدَاخِلٌ في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.
- وَأَمَّا تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، فَدَاخِلٌ فِيمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ مِنَ الْأَسْماءِ الْحُسْنَى، وَالصِّفَاتِ الْعُلَى: اللهُ، الرَّبُّ، الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، مَالِكُ. هَذِه أَنْوَاعُ التَّوْحِيدِ الثَّلَاثَةُ.
- وَأَمَّا الْمَبْدَأُ وَالْمَعَادُ فَهُوَ دَاخِلٌ في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.
- وَأَمَّا الْإِيمَانُ بِالنّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ، فَدَاخِلٌ في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، حَيْثُ إِنَّ الْهِدَايَةَ إِنَّمَا تَتِمُّ أَصْلًا وَأَسَاسًا عَلَى يَدِ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى لِلنَّبِيِّ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ الرعد: ٧.

أَسْمَاءُ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ

لِهَذِهِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ أَسْمَاءٌ كَثِيرَةٌ؛ وَكَثْرَةُ الْأَسْمَاءِ تَدُلُّ عَلَى شَرَفِ الْمُسَمَّى.

- ❖ **الاسْمُ الْأَوَّلُ:** سُورَةُ الصَّلاةِ، وَهَذَا الاسْمُ ثَبَتَ بِالسُّنَّةِ. حَيْثُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: "قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ" (١٠١).
- ❖ **الاسْمُ الثَّانِي:** سُورَةُ الْحَمْدِ، لِأَنَّ فِيهَا ذِكْرُ الْحَمْدِ، كَمَا نَقُولُ: سُورَةُ الْأَعْرَافِ، وسُوْرَةُ الأَنْفَالِ، وسُوْرَةُ التَّوْبَةِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ.
- ❖ **الاسْمُ الثَّالِثُ:** فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، مِنْ غَيْرِ خِلَافٍ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ؛ وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ تُفْتَتَحُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ بِهَا لَفْظًا، وَتُفْتَتَحُ بِهَا الْكِتَابَةُ فِي الْمُصْحَفِ خَطًا، فَقَدِ افْتُتِحَ الْقُرْآنُ بِهَا فَهِيَ مِفْتَاحُ الْقُرْآنِ، وَتَحْوِي كُلَّ كُنُوزِ الْقُرْآنِ. وَتُفْتَتَحُ بِهَا الصَّلَوَاتُ، فَهِيَ فَوَاتِحُ لِمَا يَتْلُوهَا مِنْ سُوَرِ الْقُرْآنِ فِي الْكِتَابَةِ وَالْقِرَاءَةِ. وَقِيْلَ: إِنَّهَا أَوَّلُ سُورَةٍ نَزَلَتْ كَامِلَةً.

---

١٠١ – رَوَاهُ مُسْلِمُ رَقَمْ ٣٨-٣٩٥، فِي كِتَابِ الصَّلَاة، بَابُ: وُجُوبِ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، وَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يُحْسِنِ الْفَاتِحَةَ، ولَا أَمْكَنَهُ تَعَلُّمُهَا قَرَأَ مَا تَيَسَّرَ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا.

❖ **الاسْمُ الرَّابِعُ:** أُمُّ الْكِتَابِ [١٠٢]، وَفِي هَذَا الاسْمِ خِلَافٌ جَوَّزَهُ الْجُمْهُورُ، وَكَرِهَهُ أَنَسٌ وَالْحَسَنُ وَابْنُ سِيرِينَ. قَالَ الْحَسَنُ: أُمُّ الْكِتَابِ الْحَلَالُ وَالَحرَامُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ آل عمران: ٧، وَقَالَ أَنَسٌ وَابْنُ سِيرِينَ: أُمُّ الْكِتَابِ اسْمُ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ الزخرف: ٧.

❖ **الاسْمُ الْخَامِسُ:** أُمُّ الْقُرْآنِ [١٠٣]، وَاخْتُلِفَ فِيهِ كَذَلِكَ، فَجَوَّزَهُ الْجُمْهُورُ وَكَرِهَهُ أَنَسٌ وَابْنُ سِيرِينَ. وَالأَحَادِيثُ الثَّابِتَةُ تَرُدُّ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ؛ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْتَرِئْ بِأُمِّ الْقُرْآنِ" [١٠٤]. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: "فِي كُلِّ صَلَاةٍ يُقْرَأُ، فَمَا أَسْمَعَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْمَعْنَاكُمْ، وَمَا أَخْفَى عَنَّا أَخْفَيْنَا عَنْكُمْ، وَإِنْ لَمْ تَزِدْ عَلَى أُمِّ القُرْآنِ أَجْزَأَتْ وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ" [١٠٥]. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الحَمْدُ لِلَّهِ أُمُّ القُرْآنِ وَأُمُّ الكِتَابِ وَالسَّبْعُ المَثَانِي" [١٠٦].

---

١٠٢ – رَاجِعْ تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيِّ ج ١/١١١.

١٠٣ – رَاجِع الْمَصْدَرَ السَّابِقَ.

١٠٤ – رَوَاهُ مُسْلِمٌ. رَقَمْ ٣٥–٣٩٤، فِي كِتَابِ الصَّلَاةِ، بَابُ: وُجُوبِ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، وَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يُحْسِنِ الْفَاتِحَةَ، ولَا أَمْكَنَهُ تَعَلُّمُهَا قَرَأَ مَا تَيَسَّرَ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا.

١٠٥ – رَوَاهُ البُخَارِيُّ رَقَمْ ٧٧٢، فِي كِتَابِ الأَذَانِ، بَابُ: القِرَاءَة فِي الفَجْرِ.

١٠٦ – حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ رَقَم ٣١٢٤، فِي كِتَابِ تَفْسِيرِ القُرآنِ، بَاب: وَمِنْ سُورَةِ الحِجْرِ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

وَفِي البُخَارِيِّ قَالَ: وَسُمِّيَتْ أُمَّ الكِتَابِ لأَنَّهُ يُبْدَأُ بِكِتَابَتِهَا فِي المَصَاحِفِ، وَيُبْدَأُ بِقِرَاءَتِهَا فِي الصَّلاَةِ (١٠٧).

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ يَعْمُرَ: أُمُّ الْقُرَى: مَكَّةُ، وَأُمُّ خُرَاسَانَ: مَرْوٌ، وَأُمُّ الْقُرْآنِ: سُورَةُ الْحَمْدِ (١٠٨). وَقِيلَ: وَسُمِّيَتْ أُمَّ الْقُرْآنِ، لِتَقَدُّمِهَا عَلَى سَائِرِ سُوَرِ الْقُرْآنِ غَيْرِهَا، وَتَأَخُّرِ مَا سِوَاهَا خَلْفَهَا، فِي الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ (١٠٩). وَقِيلَ: سُمِّيَتْ أُمَّ الْقُرْآنِ لِأَنَّهَا أَوَّلُهُ وَمُتَضَمِّنَةٌ لِجَمِيعِ عُلُومِهِ، وَبِهِ سُمِّيَتْ مَكَّةُ أُمَّ الْقُرَى لِأَنَّهَا أَوَّلُ الْأَرْضِ وَمِنْهَا دُحِيَتْ، وَمِنْهُ سُمِّيَتِ الْأُمُّ أُمًّا لِأَنَّهَا أَصْلُ النَّسْلِ، وَالْأَرْضُ أُمًّا، فِي قَوْلِ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ:

فَالْأَرْضُ مَعْقِلُنَا وَكَانَتْ أُمُّنَا... فِيهَا مَقَابِرُنَا وَفِيهَا نُولَدُ (١١٠)

والمرجعُ للشيءِ يُسمى "أُمًّا".. فَقِيلَ لَهَا: أُمَّ الْقُرْآنِ لِتَسْمِيَةِ الْعَرَبِ كُلَّ جَامِعٍ أَمْرًا أَوْ مُقَدَّمًا لِأَمْرٍ، إِذَا كَانَتْ لَهُ تَوَابِعُ تَتْبَعُهُ، هُوَ لَهَا إِمَامٌ جَامِعٌ أُمًّا، فَتَقُولُ لِلْجِلْدَةِ الَّتِي تَجْمَعُ الدِّمَاغَ أُمَّ الرَّأْسِ" (١١١). وَيُقَالُ لِرَايَةِ الْحَرْبِ: أُمًّا، لِتَقَدُّمِهَا وَاتِّبَاعِ الْجَيْشِ لَهَا. وَأَصْلُ أُمٍّ: أُمَّهَةٌ، وَلِذَلِكَ تُجْمَعُ عَلَى أُمَّهَاتٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَى:

---

١٠٧ - ذَكَرَهُ البُخَارِيُّ فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ: مَا جَاءَ فِي فَاتِحَةِ الكِتَابِ.

١٠٨ - رَاجِع تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيّ ج ١/١١٢.

١٠٩ - رَاجِع تَفْسِيرَ الطَّبَرِيّ ج ١/١٠٧.

١١٠ - رَاجِع تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيّ ج ١/١١٢.

١١١ - رَاجِع تَفْسِيرَ الطَّبَرِيّ ج ١/١٠٧.

{وَأُمَّهاتُكُمُ}. وَيُقَالُ أُمَّاتٌ بِغَيْرِ هَاءٍ. قَالَ: فَرَجْتَ الظَّلَامَ بِأُمَّاتِكَا. وَقِيلَ إِنَّها: أُمَّهَاتٌ فِي النَّاسِ، وَأُمَّاتٌ فِي الْبَهَائِمِ. حَكَاهُ ابْنُ فَارِسٍ فِي الْمُجْمَلِ [١١٢].

❖ **الاسْمُ السَّادِسُ**: الْمَثَانِي، وَأَمَّا السَّبَبُ فِي تَسْمِيَتِهَا بِالْمَثَانِي فَوُجُوهٌ:

- الوَجْهُ الأَوَّلُ: أَنَّهَا تُثنَّى فِي كُلِّ صَلَاةٍ، بِمَعْنَى أَنَّهَا تُقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ.
- الوَجْهُ الثَّانِي: قَالَ الزَّجَّاجُ: سُمِّيَتْ مَثَانِيَ لِأَنَّهَا يُثَنَّى بَعْدَهَا مَا يُقْرَأُ مَعَهَا.
- الوَجْهُ الثَّالِثُ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا اسْتُثْنِيَتْ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ فَلَمْ تَنْزِلْ عَلَى أَحَدٍ قَبْلَهَا ذُخْرًا لَهَا.
- الوَجْهُ الرَّابِعُ: سُمِّيَتْ آيَاتُ الْفَاتِحَةِ مَثَانِيَ، لِأَنَّهَا قُسِّمَتْ قِسْمَيْنِ اثْنَيْنِ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ مَا رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: "قَسَّمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ" وَالحَدِيثُ مَشْهُورٌ وَتَقَدَّمَ ذِكْرُهُ.
- الوَجْهُ الْخَامِسُ: سُمِّيَتْ مَثَانِيَ لِأَنَّهَا قِسْمَانِ: ثَنَاءٌ وَدُعَاءٌ، وَأَيْضًا النِّصْفُ الأَوَّلُ مِنْهَا حَقُّ الرُّبُوبِيَّةِ وَهُوَ الثَّنَاءُ، وَالنِّصْفُ الثَّانِي حَقُّ الْعُبُودِيَّةِ وَهُوَ الدُّعَاءُ.
- الوَجْهُ السَّادِسُ: سُمِّيَتْ الْفَاتِحَةُ بِالْمَثَانِي لِأَنَّهَا نَزَلَتْ مَرَّتَيْنِ، مَرَّةً بِمَكَّةَ فِي أَوَائِلِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ وَمَرَّةً بِالْمَدِينَةِ.

---

١١٢ - رَاجِع تَفْسِيرَ القُرْطُبِيّ ج ١١٢/١.

- الوَجْهُ السَّابِعُ: سُمِّيَتْ بِالْمَثَانِي لِأَنَّ كَلِمَاتِهَا مُثَنَّاةٌ، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، وقولِهِ تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.
- الوَجْهُ الثَّامِنُ: قَالَ الزَّجَّاجُ: سُمِّيَتْ الْفَاتِحَةُ بِالْمَثَانِي لاشْتِمَالِهَا على الثَّنَاءِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ حَمْدُ اللهِ وَتَوْحِيدُهُ وَمُلْكُهُ [١١٣].

❖ **الاسْمُ السَّابِعُ:** القُرْآنُ العَظِيمُ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِتَضَمُّنِهَا جَمِيعَ عُلُومِ القُرْآنِ وَذَلِكَ أَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى الثَّنَاءِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَوْصَافِ كَمَالِهِ وَجَلَالِهِ، وَعَلَى الأَمْرِ بِالعِبَادَاتِ وَالإِخْلَاصِ فِيهَا وَالاعْتِرَافِ بِالعَجْزِ عَنِ القِيَامِ بِشَيءٍ مِنْهَا إِلَّا بِإِعَانَتِهِ تَعَالَى، وَعَلَى الابْتِهَالِ إِلَيْهِ فِي الْهِدَايَةِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَعَلَى بَيَانِهِ عَاقِبَةَ الجَاحِدِينَ. كَمَا وَرَدَ فِي صَحِيحِ البُخَارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِأَبِي سَعِيدٍ بْنِ الْمُعَلَّى: "لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي القُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ"، {الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ} هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ" [١١٤].

قَالَ القُرْطُبِيُّ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِتَضَمُّنِهَا جِمِيعَ عُلُومِ القُرْآنِ [١١٥]. وَقَالَ العُلَمَاءُ: إِنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى مُجْمَلِ مَعَانِي القُرْآنِ فِي التَّوْحِيدِ، وَالأَحْكَامِ، وَالجَزَاءِ، وَغَيرِ ذَلِكَ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ "أُمَّ القُرْآنِ"؛ وَالْمَرْجِعُ لِلشَّيءِ يُسَمَّى "أُمًّا" [١١٦].

---

١١٣ – رَاجِع "مَفَاتِيح الغَيْب" للفَخْرِ الرَّازِيِّ ج ١٩/١٥٩.

١١٤ – رَوَاهُ البُخَارِيُّ رقم ٤٤٧٤، فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ، بَابُ: مَا جَاءَ فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ.

١١٥ – رَاجِع تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيّ ج ١/١١٢.

❖ **الاسْمُ الثَّامِنُ:** الشِّفَاءُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: "فَإِذَا اعْتَلَلْتَ أَوِ اشْتَكَيْتَ فَعَلَيْكَ بِالْفَاتِحَةِ تُشْفَى" [١١٧].

❖ **الاسْمُ التَّاسِعُ:** الرُّقْيَةُ، ثَبَتَ ذَلِكَ مِنْ حَدِيثِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَفِيهِ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلرَّجُلِ الَّذِي رَقَى سَيِّدَ الْحَيِّ: "وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ" [١١٨]. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ شَيءٌ أُلْقِيَ فِي رَوعِي [١١٩]. الْحَدِيثُ خَرَّجَهُ الْأَئِمَّةُ وَسَيَأْتِي بِتَمَامِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ.

❖ **الاسْمُ العَاشِر:** الأَسَاسُ، شَكَا رَجُلٌ إِلَى الشَّعْبِيِّ وَجَعَ الْخَاصِرَةِ، فَقَالَ: عَلَيْكَ بِأَسَاسِ الْقُرْآنِ فَاتِحَةِ الكتاب، سمعتُ ابنَ عباسٍ يقولُ: لكلِّ شيءٍ أَسَاسٌ، وَأَسَاسُ الدُّنْيَا مَكَّةُ، لِأَنَّهَا مِنْهَا دُحِيَتْ، وأساس السّماوات عَرِيبَا، وَهِيَ السَّمَاءُ السَّابِعَةُ، وَأَسَاسُ الْأَرْضِ عَجِيبَا، وَهِيَ الْأَرْضُ السَّابِعَةُ

---

١١٦ – رَاجِع تَفْسِيرَ ابْنِ عُثَيْمِينَ ج ١/٣.

١١٧ – رَاجِع تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيِّ ج ١/١١٣.

١١٨ – رَوَاهُ البُخَارِيُّ رَقَم ٥٧٣٦، فِي كِتَابِ الطِّبِّ، بَابُ: الرُّقَى بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ.

١١٩ – هَذَه الجُمْلَةُ جَاءَتْ فِي الحَدِيثِ الذي أَوْرِدَهُ الدَّارَقُطْنِيُّ فِي سُنَنِه. وَلَفْظُهُ: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم بَعَثَ سَرِيَّةً عَلَيْهَا أَبُو سَعِيدٍ فَمَرَّ بِقَرْيَةٍ فَإِذَا مَلِكُ الْقَرْيَةِ لَدِيغٌ فَسَأَلْنَاهُمْ طَعَامًا فَلَمْ يُطْعِمُونَا وَلَمْ يُنْزِلُونَا فَمَرَّ بِنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ هَلْ مِنْكُمْ أَحَدٌ يُحْسِنُ أَنْ يَرْقِيَ؟ إِنَّ الْمَلِكَ يَمُوتُ. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَأَتَيْتُهُ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ فَأَفَاقَ وَبَرَأَ فَبَعَثَ إِلَيْنَا بِالنُّزْلِ وَبَعَثَ إِلَيْنَا بِالشَّاءِ فَأَكَلْنَا الطَّعَامَ أَنَا وَأَصْحَابِي وَأَبَوْا أَنْ يَأْكُلُوا مِنَ الْغَنَمِ حَتَّى أَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ فَقَالَ وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ شَيْءٌ أُلْقِيَ فِي رَوْعِي. قَالَ: فَكُلُوا وَأَطْعِمُونَا مِنَ الْغَنَمِ.

السُّفْلَى، وَأَسَاسُ الْجِنَانِ جَنَّةُ عَدْنٍ، وَهِيَ سُرَّةُ الْجِنَانِ عَلَيْهَا أُسِّسَتِ الْجَنَّةُ، وَأَسَاسُ النَّارِ جَهَنَّمُ، وَهِيَ الدَّرْكَةُ السَّابِعَةُ السُّفْلَى، عَلَيْهَا أُسِّسَتِ الدَّرْكَاتُ، وَأَسَاسُ الْخَلْقِ آدَمُ، وَأَسَاسُ الْأَنْبِيَاءِ نُوحٌ، وَأَسَاسُ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَعْقُوبُ، وَأَسَاسُ الْكُتُبِ الْقُرْآنُ، وَأَسَاسُ الْقُرْآنِ الْفَاتِحَةُ، وَأَسَاسُ الْفَاتِحَةِ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَإِذَا اعْتَلَلْتَ أَوِ اشْتَكَيْتَ فَعَلَيْكَ بِالْفَاتِحَةِ تُشْفَى" (١٢٠).

❖ **الاسْمُ الْحَادِي عَشَرَ**: الْوَافِيَةُ، قَالَهُ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، لِأَنَّهَا لَا تَتَنَصَّفُ وَلَا تَحْتَمِلُ الاخْتِزَالَ، وَلَوْ قَرَأَ مِنْ سَائِرِ السُّوَرِ نِصْفَهَا فِي رَكْعَةٍ، وَنِصْفَهَا الْآخَرَ فِي رَكْعَةٍ لَأَجْزَأَ، وَلَوْ نُصِّفَتِ الْفَاتِحَةُ فِي رَكْعَتَيْنِ لَمْ يُجْزِ (١٢١).

❖ **الاسْمُ الثَّانِي عَشَرَ**: الْكَافِيَةُ، قَالَ يَحْيَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ: لِأَنَّهَا تَكْفِي عَنْ سِوَاهَا وَلَا يَكْفِي سِوَاهَا عَنْهَا. يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ خَلَّادٍ الْإِسْكَنْدَرَانِيُّ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أُمُّ الْقُرْآنِ عِوَضٌ مِنْ غَيْرِهَا وَلَيْسَ غَيْرُهَا مِنْهَا عِوَضًا" (١٢٢).

❖ **الاسْمُ الثَّالِثُ عَشَرَ**: الْوَاقِيَةُ.

وَلِهَذِهِ السُّورَةِ أَسْمَاءٌ أُخْرَى، وَقَدْ وَصَّلَ بَعْضُهُمْ أَسْمَاءَهَا إِلَى نَيِّفٍ وَعِشْرِينَ اسْمًا، وَمِنْ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ: سُورَةُ الكَنْزِ، وَسَنَامُ الْقُرْآنِ، وَسُورَةُ الشُّكْرِ، وَسُورَةُ

---

١٢٠ - رَاجِع تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيّ ج ١/١١٣.

١٢١ - رَاجِع تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيّ ج ١/١١٣.

١٢٢ - رَاجِع تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيّ ج ١/ ١١٣.

الثَّنَاءِ، وَالْمُنَاجَاةِ، وَالتَّفْوِيضِ، وَالدُّعَاءِ، وَالنُّورِ، وَسُورَةُ السُّؤَالِ، وَتَعْلِيمُ الْمَسْأَلَةِ، وَالْمُنْجِيَةِ. وَعَدَدُ كَلِمَاتِهَا خَمْسٌ وَعِشْرِونَ كَلِمَةٌ، تَضَمَّنَتْ جَمِيعَ عُلُومِ الْقُرْآنِ.

وَمِنْ شَرَفِهَا أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَسَّمَهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِهِ، وَلَا تَصِحُّ الْقُرْبَةُ إِلَّا بِهَا، وَلَا يَلْحَقُ عَمَلٌ بِثَوَابِهَا، وَبِهَذَا الْمَعْنَى صَارَتْ أُمَّ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، كما صارت ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، إِذِ الْقُرْآنُ تَوْحِيدٌ وَأَحْكَامٌ وَوَعْظٌ، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فِيْهَا التَّوْحِيدُ كُلُّهُ، وَبِهَذَا الْمَعْنَى وَقَعَ الْبَيَانُ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأُبَيٍّ: "أَيُّ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ أَعْظَمُ؟" قال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ البقرة: ٢٥٥. وَإِنَّمَا كَانَتْ أَعْظَمَ آيَةٍ لِأَنَّهَا تَوْحِيدٌ كُلّهَا، كَمَا صَارَ قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (١٢٣).

وهي أَفْضَلُ الذِّكْرِ لِأَنَّهَا كَلِمَاتٌ حَوَتْ جَمِيعَ الْعُلُومِ فِي التَّوْحِيدِ، وَالْفَاتِحَةُ تَضَمَّنَتِ التَّوحِيدَ وَالْعِبَادَةَ وَالْوَعْظَ وَالتَّذْكِيرَ، وَلَا يُسْتَبْعَدُ ذَلِكَ فِي قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى.

وَعَدَدُ حُرُوفِ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ مَائَةٌ وثَلَاثَةَ عشَرَ حَرَفًا. وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ مَنْ قَرَأَ سورَةَ الْفَاتِحَةِ مَرَّةً وَاحِدَةً، أُعْطِيَ عَلَيْهَا بِفَضْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَلْفًا وَمائَةً وَثَلَاثِينَ حَسَنَةً عَلَى الْمَرَّةِ الْوَاحِدَةِ. فَانْظُرُوا كَمْ مَرةً تَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ فِي الْيَومِ الْوَاحِدِ فِي

---

١٢٣ – حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ عَنْ عَمْرو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، رَقَم ٣٥٨٥، فِي كِتَابِ الدَّعَوَاتِ، بَابُ: فِي فَضْلِ لَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ وَحَمَّادُ بْنُ أَبِي حُمَيْدٍ هُوَ: مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي حُمَيْدٍ، وَهُوَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ الأَنْصَارِيُّ المَدِينِيُّ وَلَيْسَ هُوَ بِالقَوِيِّ عِنْدَ أَهْلِ الحَدِيثِ. وَقَالَ الأَلْبَانِيُّ حَسَنٌ لِغَيْرِهِ.

الصَّلَواتِ الْمَفْرُوضَةِ! وَيَتَضَاعَفُ هَذَا الْعَدَدُ لوْ أَنَّ الْعَبْدَ حَافَظَ عَلَى السُّنَنِ وَالرَّوَاتِبِ الْقَبْلِيَّةِ وَالْبَعْدِيَّةِ، وَيَتَضَاعَفُ أَضْعَافًا كثِيرَةً لَوْ أَنَّ الْعَبْدَ صَلَّى الضُّحَى وَقِيَامَ اللَّيْلِ، وَيَتَضَاعَفُ هَذَا الْأَجْرُ وَالثَّوَابُ لَوْ أَنَّهُ اتَّخَذَ لِنَفْسِهِ وِرْدًا مِنَ الْقُرْآنِ يَقْرَؤُهُ كُلَّ يَوْمٍ.

وَأَمَّا تَأْوِيلُ اسْمِهَا أَنَّهَا "السَّبْعُ"، فَإِنَّهَا سَبْعُ آيَاتٍ، لَا خِلَافَ بَيْنَ الْجَمِيعِ مِنَ الْقُرَّاءِ وَالْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ. وَإِنَّمَا اخْتَلَفُوا فِي الْآيِ الَّتِي صَارَتْ بِهَا سَبْعَ آيَاتٍ:

❖ **فَقَالَ أَهْلُ الْكُوفَةِ**: صَارَتْ سَبْعَ آيَاتٍ بِالْبَسْمَلَةِ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالتَّابِعِينَ.

❖ **وَقَالَ آخَرُونَ**: هِيَ سَبْعُ آيَاتٍ، وَلَيْسَ مِنْهُنَّ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَلَكِنَّ الآيَةَ السَّابِعَةَ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، وَهَذِهِ قَرَاءَةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ومُتْقِنِيهِم [١٢٤].

وَهَذِهِ السُّورَةُ لَهَا مُمَيَّزَاتٌ تَتَمَيَّزُ بِهَا عَنْ غَيْرِهَا؛ مِنْهَا أَنَّهَا رُكْنٌ فِي الصَّلَوَاتِ الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ: فَلَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ؛ وَالدَّلِيلُ حَدِيثُ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الْمُتَقَدِّمُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْتَرِئْ بِأُمِّ الْقُرْآنِ". وَهَذَا النَّفْيُ

١٢٤ – رَاجِع "رُوح البَيَانِ" لإِسْمَاعِيل حَقِّي، ج ١/٢٥.

لِلصَّحَّةِ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَقْرَأَهَا كَامِلَةً مُرَتَّبَةً بِآيَاتِهَا، وَكَلِمَاتِهَا، وَحُرُوفِهَا، وَحَرَكَاتِهَا، فَلَوْ قَرَأَ سِتَّ آيَاتٍ مِنْهَا مَثَلًا لَمْ تَصِحَّ، وَلَوْ قَرَأَ سَبْعَ آيَاتٍ وَلَكِنَّهُ أَسْقَطَ الضَّالِّينَ لَمْ تَصِحْ. وَكَذَلِكَ لَوْ أَسْقَطَ حَرَفًا لَمْ تَصِحَّ، كَذَلِكَ إِذَا أَخْلَفَ حَرَكَاتِهَا وَكَانَ اللَّحْنُ يُحِيلُ الْمَعْنَى – أَيْ يُغَيِّرُهُ – لَمْ يَصِحَّ ذَلِكَ كَمَا لَوْ فَتَحَ هَمْزَةَ "اِهْدِنَا"، وَقَالَ: {اَهْدِنَا}، أَمَّا إِذَا كَانَ لَا يُحِيلُ الْمَعْنَى فَلَا بَأْسَ بِذَلِكَ. وَالْفَاتِحَةُ فِيْهَا إِحْدَى عَشْرَةَ تَشْدِيْدَةً، لَوْ أُخِلَّ بِوَاحِدَةٍ مِنْهَا لَمْ تَصِحَّ، كَتَرْكِ تَشْدِيدِ الْبَاءِ فِي قَوْلِهِ: {رَبِّ العَالَمينَ} لِأَنَّ الْحَرْفَ الْمُشَدَّدَ عَنْ حَرْفَيْنِ، فَإِذَا تَرَكَ تَشْدِيْدَةً أَصْبَحَ بِمَثَابَةِ مَنْ أَسْقَطَ حَرْفًا.

فَضْلُ سُورَةِ الفَاتِحَةِ

سُورَةُ الفاتحةِ فَضْلُهَا عَظِيمٌ. فَفِي الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى، قَالَ: "كُنْتُ أُصَلِّي فِي المَسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: "أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾. ثُمَّ قَالَ لِي: "لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي القُرْآنِ، قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ". ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، قُلْتُ لَهُ: "أَلَمْ تَقُلْ لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ؟ قَالَ:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ" [١٢٥].

وفِي الحَدِيثِ أَنَّهُ كَانَ في حَيَاتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِجَابَةُ الْمُصَلِّي لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاجِبَةً. فَإِذَا دَعَا الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ وَهُوَ يُصَلِّي، وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ لَبَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ. وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَى وَأَعْلَمُ.

ووَصَفَهَا اللهُ تَعَالَى بِالصَّلَاةِ؛ كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيْثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ" [١٢٦].

وَالمرَادُ بالصَّلاةِ هُنَا الفَاتِحَةُ؛ لِأَنَّهُ لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ؛ كَمَا وَرَدَ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لاَ صَلاَةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ" [١٢٧]. فَأَطْلَقَ الصَّلَاةَ وَأَرَادَ بِهَا القِرَاءَةَ؛ وَأَطْلَقَ القِرَاءَةَ وَأَرَادَ بِهَا الصَّلَاةَ في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ الإسراء: ٧٨. فالمرادُ بالقراءةِ هنا: الصلاةُ فأطلقَ الصلاةَ على القراءةِ، وأطلقَ القراءةَ على الصلاةِ.

---

١٢٥ – رَوَاهُ البُخَارِيُّ رَقَم ٤٧٠٣، فِي كِتَابِ التَّفْسِير، بَابُ قَوْلِهِ: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ المَثَانِي وَالقُرْآنَ العَظِيمَ (٨٧)} سُورَة الحِجْرِ.

١٢٦ – رَوَاهُ مُسْلِمُ رَقَمْ ٣٨ – ٣٩٥، فِي كِتَابِ الصَّلَاةِ، بَابُ: وُجُوب قِرَاءَة الفَاتِحَة فِي كُلِّ رَكْعَةٍ.

١٢٧ – رَوَاهُ البُخَارِيُّ رَقَم ٧٥٦، فِي كِتَابِ الصَّلاةِ، بَابُ وُجُوبِ القِرَاءَةِ لِلْإِمَامِ وَالمَأْمُومِ فِي الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا، فِي الحَضَرِ وَالسَّفَرِ، وَمَا يُجْهَرُ فِيهَا وَمَا يُخَافَتُ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ" [١٢٨]. فَسُبْحَانَ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ الَّذِي قَدَّرَ كُلَّ شَيءٍ. وَسُئِلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِمَاذَا يَقِفُ بَعْدَ كُلِّ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ سُورَةِ الفَاتِحَةِ فَأَجَابَ: لِأَسْتَمْتِعَ بِرَدِّ رَبِّي [١٢٩].

وَسُورَةُ الفَاتِحَةِ تُعلِّمُنَا فِقْهَ العِبَادَةِ للهِ، وَكَيْفَ يَقُومُ المُسْلِمُ بِأَدَبِ الدُّعَاءِ، فَأَوَّلُهَا ثَنَاءٌ عَلَى اللهِ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وَآخِرُهَا دُعَاءٌ للهِ بِالهِدَايَةِ ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، وَلَوْ قَسَّمْنَا حُرُوفَ سُورَةِ الفَاتِحَةِ لَوَجَدْنَا أن نصفَ عددِ حروفِها ثناءٌ: ٦٣ حرفا من {الْحَمْدُ لِلَّهِ} إلى {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، وَنِصْفُ عَدَدِ حُرُوفِهَا دُعَاءٌ: ٦٣ حَرْفا مِنْ {اهْدِنَا الصِّرَاطَ} إِلَى {وَلَا الضَّالِّينَ}، وَكَأَنَّهَا إِثْبَاتٌ لِلْحَدِيثِ القُدُسِيِّ "قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ". [١٣٠]

١٢٨ – رَوَاهُ مُسْلِمُ رَقَمْ ٣٨–٣٩٥، فِي كِتَابِ الصَّلَاةِ، بَابُ: وُجُوب قِرَاءَةِ الفَاتِحَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ.

١٢٩ – رَاجِعْ "لَمَسَات بَيَانِيَّة لِسُوَرِ القُرْآنِ الْكَرِيمِ"، دُكْتُور فَاضِل صَالِح السَّامَرَّائِيّ ص٢.

١٣٠ – رَاجِعْ "لَمَسَات بَيَانِيَّة لِسُوَرِ القُرْآنِ الْكَرِيمِ"، دُكْتُور فَاضِل صَالِح السَّامَرَّائِيّ ص٢.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: "بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: "هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ" (١٣١).

وَمِنْ فَضَائِلِهَا: أَنَّهَا رُقْيَةٌ وَشِفَاءٌ، كَمَا في الحَدِيثِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ "أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَوْا عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ فَلَمْ يُقْرُوهُمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ لُدِغَ سَيِّدُ أُولَئِكَ، فَقَالُوا: هَلْ مَعَكُمْ مِنْ دَوَاءٍ أَوْ رَاقٍ؟ فَقَالُوا: إِنَّكُمْ لَمْ تُقْرُونَا، وَلَا نَفْعَلُ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا، فَجَعَلُوا لَهُمْ قَطِيعًا مِنَ الشَّاءِ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ بِأُمِّ القُرْآنِ، وَيَجْمَعُ بُزَاقَهُ وَيَتْفِلُ، فَبَرَأَ فَأَتَوْا بِالشَّاءِ، فَقَالُوا: لَا نَأْخُذُهُ حَتَّى نَسْأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلُوهُ فَضَحِكَ وَقَالَ: "وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ، خُذُوهَا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ" (١٣٢).

وَقَالَ الإِمَامُ ابْنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: "فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَأُمُّ الْقُرْآنِ، وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالشِّفَاءُ التَّامُّ، وَالدَّوَاءُ النَّافِعُ، وَالرُّقْيَةُ التَّامَّةُ، وَمِفْتَاحُ الْغِنَى وَالْفَلَاحِ، وَحَافِظَةُ الْقُوَّةِ، وَدَافِعَةُ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْخَوْفِ وَالْحَزَنِ لِمَنْ عَرَفَ مِقْدَارَهَا وَأَعْطَاهَا حَقَّهَا وَأَحْسَنَ تَنْزِيلَهَا عَلَى دَائِهِ، وَعَرَفَ وَجْهَ الِاسْتِشْفَاءِ وَالتَّدَاوِي بِهَا، وَالسِّرَّ الَّذِي لِأَجْلِهِ كَانَتْ كَذَلِكَ. وَلَمَّا وَقَعَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ عَلَى ذَلِكَ، رَقَى بِهَا اللَّدِيغَ، فَبَرَأَ

---

١٣١ – رواه مسلم رقم ٢٤٥-٨٠٦، في كتاب الصلاة، باب: فضل الفاتحة، وخواتيم سورة البقرة، والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة.

١٣٢ – رواه البخاري رقم ٥٧٣٦، في كتاب الطب، باب: الرقى بفاتحة الكتاب.

لِوَقْتِهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ". وَمَنْ سَاعَدَهُ التَّوْفِيقُ وَأُعِينَ بِنُورِ الْبَصِيرَةِ حَتَّى وَقَفَ عَلَى أَسْرَارِ هَذِهِ السُّورَةِ، وَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ التَّوْحِيدِ، وَمَعْرِفَةِ الذَّاتِ وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ، وَإِثْبَاتِ الشَّرْعِ وَالْقَدَرِ وَالْمَعَادِ، وَتَجْرِيدِ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ، وَكَمَالِ التَّوَكُّلِ وَالتَّفْوِيضِ إِلَى مَنْ لَهُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، وَلَهُ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَبِيَدِهِ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، وَالِافْتِقَارُ إِلَيْهِ فِي طَلَبِ الْهِدَايَةِ الَّتِي هِيَ أَصْلُ سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ، وَعَلِمَ ارْتِبَاطَ مَعَانِيهَا بِجَلْبِ مَصَالِحِهِمَا، وَدَفْعِ مَفَاسِدِهِمَا، وَأَنَّ الْعَاقِبَةَ الْمُطْلَقَةَ التَّامَّةَ، وَالنِّعْمَةَ الْكَامِلَةَ مَنُوطَةٌ بِهَا، مَوْقُوفَةٌ عَلَى التَّحَقُّقِ بِهَا، أَغْنَتْهُ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَدْوِيَةِ وَالرُّقَى، وَاسْتَفْتَحَ بِهَا مِنَ الْخَيْرِ أَبْوَابَهُ، وَدَفَعَ بِهَا مِنَ الشَّرِّ أَسْبَابَهُ. وَهَذَا أَمْرٌ يَحْتَاجُ اسْتِحْدَاثَ فِطْرَةٍ أُخْرَى، وَعَقْلٍ آخَرَ، وَإِيمَانٍ آخَرَ، وَتَاللهِ لَا تَجِدُ مَقَالَةً فَاسِدَةً، وَلَا بِدْعَةً بَاطِلَةً إِلَّا وَفَاتِحَةُ الْكِتَابِ مُتَضَمِّنَةٌ لِرَدِّهَا وَإِبْطَالِهَا بِأَقْرَبِ الطُّرُقِ، وَأَصَحِّهَا وَأَوْضَحِهَا، وَلَا تَجِدُ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْمَعَارِفِ الْإِلَهِيَّةِ، وَأَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَأَدْوِيَتِهَا مِنْ عِلَلِهَا وَأَسْقَامِهَا إِلَّا وَفِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ مِفْتَاحُهُ، وَمَوْضِعُ الدِّلَالَةِ عَلَيْهِ، وَلَا مَنْزِلًا مِنْ مَنَازِلِ السَّائِرِينَ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَّا وَبِدَايَتُهُ وَنِهَايَتُهُ فِيهَا. وَلَعَمْرُ اللهِ إِنَّ شَأْنَهَا لَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَهِيَ فَوْقُ ذَلِكَ. وَمَا تَحَقَّقَ عَبْدٌ بِهَا، وَاعْتَصَمَ بِهَا، وَعَقَلَ عَمَّنْ تَكَلَّمَ بِهَا، وَأَنْزَلَهَا شِفَاءً تَامًّا، وَعِصْمَةً بَالِغَةً، وَنُورًا مُبِينًا، وَفَهِمَهَا وَفَهِمَ لَوَازِمَهَا كَمَا يَنْبَغِي، وَوَقَعَ فِي بِدْعَةٍ وَلَا شِرْكٍ، وَلَا أَصَابَهُ مَرَضٌ مِنْ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ إِلَّا لِمَامًا، غَيْرَ مُسْتَقِرٍّ. هَذَا، وَإِنَّهَا الْمِفْتَاحُ الْأَعْظَمُ لِكُنُوزِ الْأَرْضِ كَمَا أَنَّهَا الْمِفْتَاحُ لِكُنُوزِ الْجَنَّةِ، وَلَكِنْ لَيْسَ كُلُّ وَاحِدٍ يُحْسِنُ الْفَتْحَ بِهَذَا الْمِفْتَاحِ، وَلَوْ أَنَّ طُلَّابَ الْكُنُوزِ وَقَفُوا عَلَى سِرِّ هَذِهِ السُّورَةِ،

وَتَحَقَّقُوا بِمَعَانِيهَا، وَرَكَّبُوا لِهَذَا الْمِفْتَاحِ أَسْنَانًا، وَأَحْسَنُوا الْفَتْحَ بِهِ، لَوَصَلُوا إِلَى تَنَاوُلِ الْكُنُوزِ مِنْ غَيْرِ مُعَاوِقٍ، وَلَا مُمَانِعٍ. وَلَمْ نَقُلْ هَذَا مُجَازَفَةً وَلَا اسْتِعَارَةً، بَلْ حَقِيقَةً، وَلَكِنْ لِلَّهِ تَعَالَى حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فِي إِخْفَاءِ هَذَا السِّرِّ عَنْ نُفُوسِ أَكْثَرِ الْعَالَمِينَ" (١٣٣).

وَقَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: "وَلَوْ أَحْسَنَ الْعَبْدُ التَّدَاوِيَ بِالْفَاتِحَةِ، لَرَأَى لَهَا تَأْثِيرًا عَجِيبًا فِي الشِّفَاءِ. وَمَكَثْتُ بِمَكَّةَ مُدَّةً يَعْتَرِينِي أَدْوَاءٌ وَلَا أَجِدُ طَبِيبًا وَلَا دَوَاءً، فَكُنْتُ أُعَالِجُ نَفْسِي بِالْفَاتِحَةِ، فَأَرَى لَهَا تَأْثِيرًا عَجِيبًا، فَكُنْتُ أَصِفُ ذَلِكَ لِمَنْ يَشْتَكِي أَلَمًا، وَكَانَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ يَبْرَأُ سَرِيعًا" (١٣٤).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: لَكِنْ هذه الرُّقيَةَ، وَسَائِرَ الأَذْكَارِ وَالأَدْعِيَةِ حَتَّى تُحَقِّقَ النَّتَائِجَ وَتُؤْتِي الثِّمَارَ إِنَّمَا تَحْتَاجُ إِلَى قَبُولِ المَحَلِّ لَهَا، وَقُوَّةِ الفَاعِلِ المُؤَثِّرِ. قُوَّةُ الفَاعِلِ المُؤَثِّرِ هُوَ الرَّاقِي، أَنْ يَكُونَ الرَّاقِي شَدِيدَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ، حَسَنَ الظَّنِّ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ، مُتَعَلِّقا قَلْبَهُ بِاللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَأَنْ يَكُونَ المَرِيضُ عِنْدَهُ حُسْنُ ظَنٍّ بِاللهِ، متفائلا بِأَنَّ اللهَ سَيَجْعَلُ لَهُ في هَذِهِ الرُّقْيَةِ الشِّفَاءَ (١٣٥).

فَإِذَا كَانَ المَحَلُّ صَالِحًا لِلقَبُولِ، وَكَانَ الفَاعِلُ قَوِيًا مُؤَثِّرًا، بَرِئَ المَرِيضُ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. هَذَا مَا جَاءَ في أَسْمَاءِ هَذِهِ السُّورَةِ وَفَضْلِهَا.

---

١٣٣ – رَاجِعْ "زَاد المَعَادِ" ج ٣١٨/٤، ٣١٩، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ، بَيْرُوتُ – مَكْتَبَةُ المَنَار الإِسْلَامِيَّة، الكُوَيْت، الطَّبْعَةُ السَّابِعَةُ وَالعِشْرُونَ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

١٣٤ – رَاجِعْ "الجَوَابَ الكَافِي لِمَنْ سَأَلَ عَنْ الدَّوَاءِ الشَّافِي" ص٩، دَار المَعْرِفَةِ، المَغْرِب، الطَّبِعَةُ الأُولَى ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

١٣٥ – رَاجِعْ المَصْدَرَ السَّابِقَ – بِتَصَرُّفٍ.

فصل

قسَّم العلماء القرآن الكريم إلى أربعة أقسام: الطُّوَل، والمئون، والمثاني، والمفصل.

الطُّوَلُ: أولها البقرة، وآخرها براءة، لأنهم كانوا يَعُدُّون الأنفال وبراءة سورَةً واحدةً، وسُميت هذه السور طولا لطولها.

المئون: ما يلي السبع الطول، وسُميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مئة آية أو تقاربها، إذن المئون ما جاء بعد الطول، مثل سورة يونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل والكهف والإسراء ومريم، قال: ما بلغت مئة أو قاربتها، يعني لَا يلزم أن تكون مائة فسُمِّيَت هذه السور لتقاربها المئين.

أما **المثاني** ما وليَ المئين، مثل سورة يس والصافات والزمر وغافر والحواميم، هذه كلها من المثاني؛ لأنها يكثر تكرارها وإعادتها وتلاوتها في الصلاة وغيرها، وهي من التثنية تثنى أو تُثنى في كل مرة بعد أخرى أي تعاد وتكرر.

وقيل: إن القرآن كله يطلق عليه مثاني من جهة أن الأخبار والأحكام والعقائد تُثْنى فيه أو تُثَنَّى أي تعاد وتكرر، وكما قال الله عز وجل: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ﴾ الزمر: ٢٣، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا

مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرآنَ الْعَظِيمَ﴾ الحجر: ٨٧. يعني تُثَنَّى فيه الأحكام والأخبار والعقائد والقصص مرة بعد أخرى.

وَالمفصل: ما يلي المثاني من قصار السور، سمي مفصلا لكثرة الفصول التي بين السور بِـ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾، وقيل لقلة المنسوخ فيه. فيكون بعد المثاني المفصلُ؛ وسمي الْمُفَصَّلُ بذلك لكثرة الفصل فيه بين سوره ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ كما قال هنا في التعبير، قال: لكثرة الفصول فيه، وقال بعضهم إنما سمي مفصلا لإحكامه، من الفصل وهُوَ القَطعُ، فهو محكمٌ ليسَ فيهِ شيءٌ منسوخٌ أو لِقلَّةِ المنسوخ فيه. وأجمعَ العلماءُ على أنَّ آخِرَهُ سُورةُ الناسِ. وأمَّا أوله، فقد اختُلِفَ فيهِ على اثنَيْ عَشَرَ قَولًا ذكرها الزَّركَشِيُّ رحمهُ الله تعالى، ونقلها عنهُ السُّيُوطيُّ في الإتقان [١٣٦]، فقيل إنها من الصافات، وقيل من محمد، وقيل من الحجرات، وقيل من "ق"، وقيل من الرحمن، وقيل من الصَّف، وقيل من البروج.

وذكر العلماءُ أقوالًا أخرى في معنى المفصل، وأصوَبُ هذهِ الأقوال أن المفصَّلَ يبدأ من سورة "ق". والدليل على ذلك حديث أَوْسٍ الثَّقَفِيِّ لَمَّا ذَكَرَ وَفْدَ ثَقِيفٍ، "أَنَّهُ كَانَ فِي الْوَفْدِ الَّذِينَ وَفَدُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَنِي مَالِكٍ فَأَنْزَلَهُمْ فِي قُبَّةٍ لَهُ فِي الْمَسْجِدِ أَوْ قَالَ بَيْنَ الْمَسْجِدِ وَبَيْنَ أَهْلِهِ قَالَ: فَكَانَ يَأْتِينَا فَيُحَدِّثُنَا بَعْدَ الْعِشَاءِ، وَهُوَ قَائِمٌ حَتَّى يُرَاوِحَ بَيْنَ قَدَمَيْهِ مِنْ طُولِ

١٣٦ – رَاجِعْ كِتَابَ "الإِتْقَان في عُلُومِ القُرْآنِ" لِلسُّيُوطِيّ ج ٢١٩/١، الهَيْئَةُ الْمِصْرِيَّةُ الْعَامَّةُ لِلْكِتَابِ، طَبْعَةُ ١٣٩٤هـ– ١٩٧٤م.

الْقِيَامِ، وَكَانَ أَكْثَرُ مَا يُحَدِّثُنَا شِكَايَتَهُ قُرَيْشًا وَمَا كَانَ يَلْقَى مِنْهُمْ. ثُمَّ قَالَ: كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ بِمَكَّةَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، انْتَصَفْنَا مِنَ الْقَوْمِ، وَكَانَتْ سِجَالًا الْحَرْبُ بَيْنَنَا، عَلَيْنَا وَلَنَا. قَالَ: فَاحْتَبَسَ عَنَّا لَيْلَةً، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَبِثْتَ عَنَّا اللَّيْلَةَ أَكْثَرَ مِمَّا كُنْتَ تَلْبَثُ، فَقَالَ: "نَعَمْ طَرَأَ عَلَيَّ حِزْبِي مِنَ الْقُرْآنِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ حَتَّى أَقْضِيَهُ"؛ وَزَادَ فِي حَدِيثِهِ قَالَ: فَقُلْنَا لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ قَدْ حَدَّثَنَا أَنَّهُ قَدْ طَرَأَ عَلَيْهِ حِزْبُهُ مِنَ الْقُرْآنِ، فَكَيْفَ تُحَزِّبُونَ الْقُرْآنَ؟ قَالُوا: نُحَزِّبُهُ: ثَلَاثَ سُوَرٍ، وَخَمْسَ سُوَرٍ، وَسَبْعَ سُوَرٍ وَتِسْعَ سُوَرٍ، وَإِحْدَى عَشْرَةَ سُورَةً، وَثَلَاثَ عَشْرَةَ سُورَةً، وَحِزْبَ الْمُفَصَّلِ مَا بَيْنَ قَافٍ فَأَسْفَلَ[١٣٧]، وهذا هو الصحيح والله أعلمُ والذي عليه الكثيرُ من أهل العلم في معنى "المفصَّل" وبدايته، وسُمِّيَ بذلك كما ذكرنا لأجلِ كثرةِ الفصولِ فيهِ.

قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ: وَأَمَّا المُفَصَّلُ، فَإِنَّمَا سُمِّيَ مُفَصَّلًا لِكَثْرَةِ الفُصُولِ الَّتِي بَيْنَ سُوَرِهِ، وَهُوَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَسُمِّيَ المُفَصَّلُ مُحْكَمًا، لِمَا قِيْلَ إِنَّهُ لَمْ يُنْسَخْ شَيءٌ مِنْهُ.

وَاخْتَلَفُوا فِي أَوَّلِ المُفَصَّلِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ:

- ❖ **أَحَدُهَا:** وَهُوَ قَوْلُ الأَكْثَرِينَ: أَنَّهُ سُورَةُ "مُحَمَّد" صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى سُورَةِ "النَّاس".

---

١٣٧ - رَاجِعْ "فَضَائِل الْقُرْآنِ" لِلْقَاسِمِ بْنِ سَلام ج ١/١٨٤، دَارُ ابْنِ كَثِيرٍ، بَيروت - الطَّبعَةُ الأُولَى ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ م. وَ"مَنَاهِل العِرْفَانِ فِي عُلُومِ القُرْآنِ"، للزُرْقَانِيّ ج ٣٥٥/١، مَطْبَعَةُ عَيْسَى الْبَابِيّ الْحَلَبِيّ وَشُرَكَاهُ، الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ.

❖ **وَالثَّانِي:** مِنْ سُورَةِ "ق" إِلَى "النَّاس"، حَكَاهُ عِيسَى بْنُ عُمَرَ، عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ.

❖ **وَالثَّالِثُ:** وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ: مِنْ سُورَةِ "الضُّحَى" إِلَى "النَّاسِ"، وَكَانَ يَفْصِلُ فِي "الضُّحَى" بَيْنَ كُلِّ سُورَتَيْنِ بِالتَّكْبِيرِ، وَهُوَ رَأْيُ قُرَّاءِ مَكَّةَ [١٣٨].

اخْتِلَافُ العُلَمَاءِ فِي السَّبْعِ المَثَانِي

الْمَثَانِي جَمْعُ مُثَنَّاةٌ، وَالْمُثَنَّى كُلُّ شَيءٍ يُثَنَّي، أَيْ: يُجْعَلُ اثْنَيْنِ، مِنْ قَوْلِكَ: ثَنَّيْتُ الشَّيءَ تثَنْيةً أَيْ عَطَفْتُهُ وَضَمَمْتُ إِلَيْهِ آخَرَ؛ وَمِنْهُ يُقَالُ لِرُكْبَتَي الدَّابَّةِ وَمِرْفَقَيْها: مَثَانِيَ، لِأَنَّهُ يُثَنَّي بِالفَخْذِ وَالعَضُدِ. وَمَثَانِي الوَادِي مَعَاطِفَهُ. فَتَقُولُ: {سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي} مَفْهُومُ سَبْعَةِ أَشْيَاءَ مِنْ جِنْسِ الأَشْيَاءِ الَّتِي تُثَنَّى [١٣٩].

وَاخْتَلَفَ العُلَمَاءُ فِي مَعْنَى المَثَانِي عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْوَالٍ:

---

١٣٨ - رَاجِعْ تَفْسِيرَ "النُكَت والعُيُون" لِلْمَاوَرْدِيّ ج ٢٦/١، تَحْقِيقُ: السَّيِّد بْنِ عَبْدِ المَقْصُودِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ، دَارُ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ - بَيْرُوت.

١٣٩ - رَاجِعْ تَفْسِيرَ "البَحْر المُحِيط" لأَبِي حَيَّان ج ٣٧٩/٥. دَارُ الفِكْرِ.

❖ **القَولُ الأَوَّلُ** [١٤٠]: قِيلَ الْفَاتِحَة، قَالَهُ عَلِيُّ بْنُ أبي طَالِبٍ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ وَأَبُو الْعَالِيَةِ وَالْحَسَنُ وَغَيْرُهُمْ، وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وُجُوهٍ ثَابِتَةٍ، مِنْ حَدِيثِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَأَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى. وَخَرَّجَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ أُمُّ الْقُرْآنِ وَأُمُّ الْكِتَابِ وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي" [١٤١]. قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أُمُّ القُرْآنِ هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي وَالقُرْآنُ العَظِيمُ" [١٤٢]. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: فهذا نص في الفاتحة هي (السَّبْعُ الْمَثَانِي) وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، وَلَكِنْ لَا يُنَافِي وصفَ غيرِها منَ السبعِ الطِّوال بِذَلِكَ لِمَا فِيهَا مِنْ هَذِهِ الصِّفَةِ، كَمَا لَا يُنَافِي وَصْفَ الْقُرْآنِ بِكَمَالِهِ بِذَلِكَ أَيْضًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ﴾ الزمر: ٢٣. فَهُوَ مَثَانِي مِنْ وَجْهٍ وَمُتَشَابِهٌ مِنْ وَجْهٍ وَهُوَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ أَيْضًا، كَمَا أَنَّهُ عَلَيْهِ الصلاة والسلام لَمَّا سُئِلَ عَنِ الْمَسْجِدِ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى، فَأَشَارَ إِلَى مَسْجِدِهِ وَالْآيَةُ نَزَلَتْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ، فَلَا تَنَافٍ،

---

١٤٠ - رَاجِع تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيِّ ج ٥٤/١٠.

١٤١ - حَدِيثٌ صَحِيحٌ، وَهُوَ عِنْدَ التِّرْمِذِيّ رَقَمْ ٣١٢٤، فِي كِتَابِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَاب: وَمِنْ سُورَةِ الْحِجْرِ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

١٤٢ - رَوَاهُ البُخَارِيُّ رَقَمْ ٤٧٠٤، فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ، بَاب: قَوْلُهُ: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧)} سُورَةُ الحِجْرِ.

فَإِنَّ ذِكْرَ الشَّيْءِ لَا يَنْفِي ذِكْرَ مَا عَدَاهُ إِذَا اشْتَرَكَا فِي تِلْكَ الصِّفَةِ وَاللهُ أَعْلَمُ [١٤٣].

وقيلَ إنَّ المثاني في قولهِ تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ الحجر: ٨٧، هي آياتُ سورةِ الحمدِ، سمَّاها مثاني لأنها تُثَنَّى في كل ركعةٍ.

وَالْمَثَانِي جَمْعُ مُثَنَّاةٍ مِنَ التَّثْنِيَةِ أَوْ جَمْعُ مَثْنِيَّةٍ [١٤٤]، اسْمُ مَفْعُولٍ مُشْتَقٌّ مِنْ ثَنَّى إِذَا كَرَّرَ تَكْرِيرًا، لأنَّ سورةَ فاتحةِ الكتابِ يُثَنَّى بِها، أيْ تُعادُ في كل ركعةٍ من الصلاة. والصلاةُ لَا تكونُ إِلَّا بفاتحة الكتاب كما قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "لا صلاةَ لِمَنْ لمْ يَقرأ بفاتحة الكتاب" [١٤٥]. فهي تُقرأُ في كل ركعةٍ من الصلاة.

وهذا الذي ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي سعيد بن المُعَلَّى وَأُبَيّ بنِ كعبٍ وأبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهم في الصحيحين عن رسول

---

١٤٣ - رَاجِع تَفْسِيرَ ابْنِ كَثِيرٍ ج ٤/٥٤٧.

١٤٤ - رَاجِعْ تَفْسِيرَ "فَتْحَ القَدِيرِ" لِلشَّوْكَانِيِّ، ج ٣/١٧٠، دَارُ ابْنِ كَثِيرٍ، دَارُ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ - دِمَشْق، بَيْرُوت، الطَّبْعَةُ الأُولَى ١٤١٤ هـ.

١٤٥ - حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، رَقَمْ ٢٤٧، فِي كِتَابِ الصَّلَاةِ، بَابُ: مَا جَاءَ أَنَّهُ لَا صَلَاةَ إِلَّا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثُ عُبَادَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

الله صَلَّى اللهُ عَلِيْهِ وَسَلَّمَ "أنَّ أُمَّ القُرءَانِ هيَ السبعُ المثاني" [١٤٦]، فهو الأولى بالاعتمادِ عليه والله أعلم.

إذن قولُ أكثرِ المفسرين: أن السبعَ المثاني هي فاتحة الكتاب، وهو قولُ عمر وعلي وابن مسعودٍ وأبي هريرةَ والحسن وأبي العالية ومجاهد والضَّحَّاك وسعيد بن جبيرٍ وقتادة.

ورُوِيَ أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ الفاتحة وقال: "هي السبعُ المثاني" [١٤٧]، رواهُ أبو هريرة. والسبب في وقوع هذا الاسم على الفاتحة أنها سبع آيات.

- **القول الثاني**: إنها السبعُ الطوال، وهذا قولُ عبدِ اللهِ بنِ عمر وعبدِ اللهِ بن مسعود وسعيدِ بنِ جبيرٍ في بعض الروايات، ومجاهد. وقال ابن عباس: هي السبع الطوال: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال والتوبة معًا، إذ ليس بينهما البسملةُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي، قَالَ: السَّبْعُ الطُّوَلُ. ذَكَرَهُ النَّسَائِيُّ، وَهِيَ مِنَ "الْبَقَرَةِ" إِلَى "الْأَعْرَافِ" سِتٌّ، وَاخْتَلَفُوا فِي

١٤٦ – رَوَى البُخَارِيُّ هَذَا الحَدِيث مِنْ رِوَايَةِ أبي هُرَيْرَةَ رَقَم ٤٧٠٤، وَأَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى رَقَم ٤٤٧٤، وَرَوَاهُ الدَّارِمِيُّ عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ رَقَمْ ٣٣٧١.

١٤٧ – رَوَاهُ البُخَارِيُّ رَقَمْ ٤٤٧٤، فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ، بَابُ: مَا جَاءَ فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ.

السَّابِعَةِ، فَقِيلَ: يُونُسُ، وَقِيلَ: الْأَنْفَالُ وَالتَّوْبَةُ، وَهُوَ قَوْلُ مُجَاهِدٍ وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ (١٤٨).

عَن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ الحجر: ٨٧ قَالَ: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف وسورة الكهف (١٤٩).

وَقَدْ سُمِّيَتِ السَّبْعُ الطُّوَلُ أَيْضًا مَثَانِيَ، لِأَنَّ الْفَرَائِضَ وَالْقَصَصَ تُثَنَّى فِيهَا (١٥٠).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: وَلَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ إِلَّا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأُعْطِيَ مُوسَى مِنْهُنَّ ثِنْتَيْنِ (١٥١).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: أوتي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي الطُّوَلِ وَأُوتِيَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ سِتًّا، فَلَمَّا أَلْقَى الأَلْوَاحَ رُفِعَتْ ثِنْتَانِ وَبَقِي أَرْبَعٌ" (١٥٢).

---

١٤٨ - رَاجِع تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيّ ج ١/١١٤.

١٤٩ - حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي المُسْتَدْرَكِ رَقَم ٣٣٥٣، وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ البُخَارِيّ وَمُسْلِم، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ.

١٥٠ - راجع تفسير الطبري ج ١٧/١٣٠.

١٥١ - رَاجِعْ تَفْسِيرَ ابْنِ كَثِيرٍ ج ٤/٥٤٦، دَارُ طَيْبَةَ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ، الطَّبْعَةُ الثَّانِيَةُ ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١٥٢ - حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، رَقَم ١٤٥٩، فِي كِتَابِ الصَّلَاةِ، بَابُ: مَنْ قَالَ هِي مِنَ الطُّوَلِ.

وَقَالَ خُصَيْفٌ، عَنْ زِيَادِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ الحجر: ٨٧، قَالَ: "أَعْطَيْتُكَ سَبْعَةَ أَجْزَاءٍ: مُرْ، وَانْهَ، وَبَشِّرْ، وَأَنْذِرْ، وَاضْرِبِ الْأَمْثَالَ، وَاعْدُدِ النِّعَمَ، وَآتَيْتُكَ نَبَأَ الْقُرْآنِ" (١٥٣).

وَسُمِّيَتْ هَذِهِ السُّوَرُ مَثَانِيَ، لِأَنَّ الْفَرَائِضَ وَالْحُدُودَ وَالْأَمْثَالَ وَالْعِبَرَ ثُنِّيَتْ فِيهَا.

وَأَنْكَرَ الرَّبِيعُ هَذَا الْقَوْلَ وَقَالَ: هَذِهِ الْآيَةُ مَكِّيَّةٌ وَأَكْثَرُ هَذِهِ السُّوَرِ السَّبْعَةِ مَدَنِيَّةٌ وَمَا نَزَلَ شَيْءٌ مِنْهَا فِي مَكَّةَ، فَكَيْفَ يُمْكِنُ حَمْلُ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَيْهَا. وَأَجَابَ قَوْمٌ عَنْ هَذَا الْإِشْكَالِ: بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَنْزَلَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا. ثُمَّ أَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيِّهِ مِنْهَا نُجُومًا، فَلَمَّا أَنْزَلَهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَحَكَمَ بِإِنْزَالِهِ عَلَيْهِ، فَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ مَا آتَاهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ بَعْدُ (١٥٤).

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عُمَرَ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَالضَّحَّاكُ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ: هِيَ السَّبْعُ الطُّوَل. يَعْنُونَ: الْبَقَرَةَ، وَآلَ عِمْرَانَ، وَالنِّسَاءَ، وَالْمَائِدَةَ، وَالْأَنْعَامَ، وَالْأَعْرَافَ، وَيُونُسَ. نَصَّ عَلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ. وَقَالَ سَعِيدٌ: بيَّن فِيهِنَّ الْفَرَائِضَ، وَالْحُدُودَ، وَالْقَصَصَ، وَالْأَحْكَامَ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بَيَّنَ الْأَمْثَالَ والخَبَرَ والعِبَرَ (١٥٥).

وَأَخْرَجَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ وَابْنُ الضَّرِّيسِ وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَالْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الإيمَانِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {سَبْعًا مِنَ

---

١٥٣ – راجعْ تَفْسِيرَ الطَّبَرِيِّ ج ١٣٦/١٧.

١٥٤ – رَاجِعْ التَفْسِيرَ الكَبِيرَ لِلْفَخْرِ الرَّازِيِّ ج ١٦٠/١٩.

١٥٥ – رَاجِعْ تَفْسِيرَ ابْنِ كَثِيرٍ ج ٥٤٦/٤.

الْمَثَانِي}، قَالَ: السَّبعُ الطُّولِ: الْبَقَرَةُ، وَآلُ عِمْرَانَ، وَالنِّسَاءُ وَالْمَائِدَةُ، وَالْأَنْعَامُ، وَالْأَعْرَافُ وَيُونُسُ؛ فَقِيلَ لِابْنِ جُبَيرٍ: مَا قَوْلُه: {المثاني} قَالَ: ثُنِّيَ فِيْهَا الْقَضَاءُ وَالْقَصَصُ [١٥٦].

❖ **القول الثالث** في تفسير السبع المثاني: أنها السور التي دون الطوال والمئين، وفوق المُفَصَّل. واختار هذا القول قومٌ واحتجوا عليه بما رُوِيَ عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ اللَّهَ أَعْطَانِي السَّبْعَ الطِّوَالَ مَكَانَ التَّوْرَاةِ، وَأَعْطَانِي الْمِئِينَ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ، وَأَعْطَانِي الْمَثَانِيَ مَكَانَ الزَّبُورِ، وَفَضَّلَنِي رَبِّي بِالْمُفَصَّلِ" [١٥٧].

قَالَ الْوَاحِدِيُّ: وَالْقَوْلُ فِي تَسْمِيَةِ هَذِهِ السُّوَرِ مَثَانِي كَالْقَوْلِ فِي تَسْمِيَةِ الطِّوَالِ مَثَانِي. وَأَقُولُ إِنْ صَحَّ هَذَا التَّفْسِيرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا غُبَارَ عَلَيْهِ وَإِنْ لَمْ يَصِحَّ فَهَذَا الْقَوْلُ مُشْكِلٌ، لِأَنَّا بَيَّنَّا أَنَّ الْمُسَمَّى بِالسَّبْعِ الْمَثَانِي يَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ مِنْ سَائِرِ السُّوَرِ، وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ هَذِهِ السُّوَرَ

١٥٦ – راجع "الدر المنثور" للسيوطي، ج ٥/٩٦، دَارُ الفِكْرِ – بَيْرُوت، ١٩٩٣م.

١٥٧ – حَدِيثٌ حَسَنٌ لِغَيرِهِ: أَخْرَجَهُ البَغَوِيُّ ج ٣٩١/٤ بِإِسْنَادِ الثَّعَالِبِيّ، وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ لِضَعْفِ أَيُّوبِ بْنِ عُتْبَةَ. وَالْحَدِيثُ رُوِيَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ بِطُرقٍ كَثِيرَةٍ، وَاشْتُهِرَ بَيْنَ المُفَسِّرِينَ فَأَثْبَتُوهُ فِي تَفَاسِيرِهِم. وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الكَبِيرِ رَقَم ١٨٦، وَأَحمَدُ فِي المُسْنَدِ رَقَم ١٧٠٢٣ عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أُعْطِيتُ السَّبْعَ الطُّوَلَ مَكَانَ التَّوْرَاةِ، وَأُعْطِيتُ الْمَثَانِيَ مَكَانَ الإِنْجِيلِ، وَأُعْطِيتُ الْمِئِينَ مَكَانَ الزَّبُورِ وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ". وَهَذَا الحَدِيثُ حَسَّنَه شُعَيبُ الأَرْنَؤُوط.

الَّتِي سَمُّوهَا بِالْمَثَانِي لَيْسَتْ أَفْضَلَ مِنْ غَيْرِهَا، فَيَمْتَنِعُ حَمْلُ السَّبْعِ الْمَثَانِي عَلَى تِلْكَ السُّوَرِ [١٥٨].

رَوَى الطَّبَرَانِيُّ عَنْ أَبِي رَجَاءٍ، قَالَ: سَأَلْتُ الْحَسَنَ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ قَالَ: "هِيَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، ثُمَّ سُئِلَ عَنْهَا، وَأَنَا أَسْمَعُ، فَقَرَأَهَا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا، فَقَالَ، تُثَنَّى فِي كُلِّ قِرَاءَةٍ أَوْ قَالَ: فِي كُلِّ صَلَاةٍ" الشَّكُّ مِنْ أَبِي جَعْفَرٍ الطَّبَرِيِّ [١٥٩].

قَالَ ابْنُ رَجَب: وَاعْلَم أَنَّ المَثَاني تُطلَقُ بِاعْتِبَارِ مَعْنَيَيْنِ:

- ❖ أَحَدُهُمَا: بِاعْتِبَارِ مَا ثُنِّي لَفْظُهُ وَكُرِّرَ.
- ❖ وَالثَّانِي: بِاعْتِبَارِ مَا ثُنِّيَتْ أَنْوَاعُهُ وَأَقْسَامُهُ، وَكُرِّرَتْ، فَإِنَّ التَّثْنِيَةَ يُرَادُ بِهَا مُطْلَقُ العَدَدِ مِنْ غَيْرِ تَخَصِيصٍ بِعَدَدِ الاثْنَيْنِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ الملك: ٤؛ أيْ: مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ.

وَالقُرْآنُ نَوْعَانِ، أَحَدُهُمَا: مَا كُرِّرَ لَفْظُهُ لِفَائِدَةٍ مُحدَّدَةٍ، فَهَذَا هُوَ المُتَشَابِهُ.

وَالثَّانِي: مَا نُوِّعَ وَقُسِّمَ وَلَمْ يُكَرَّرْ لَفْظُهُ، فَهَذَا المَثَانِي [١٦٠].

وَبَيَانُ معنى الطوال مهم جِدًا حتى يَتَجَلَّى فهم الأحادِيثِ التي تَنُصُّ عَلَيْهَا:

---

١٥٨ – رَاجِعْ تَفْسِيرَ "مَفَاتِيح الغَيْبِ" للرَّازِيّ ج ١٦٠/١٩.

١٥٩ – رَاجِعْ تَفْسِيرَ الطَّبَرِيِّ ج ١٠٩/١، تَحْقِيقُ: أَحْمَد مُحَمَّد شَاكِر، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ، الطَّبْعَةُ الأُولَى ١٤٢٠ هـ– ٢٠٠٠م.

١٦٠ – رَاجِعْ تَفْسِيرَ الفَاتِحَةِ لابْنِ رَجَب ج ٩/١.

عَنْ مَرْوَانَ بْنِ الحَكَمِ قَالَ: قَالَ لِي زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: "مَا لَكَ تَقْرَأُ فِي المَغْرِبِ بِقِصَارٍ، وَقَدْ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ بِطُولَى الطُّولَيَيْنِ" (١٦١). والمقصود بطولى الطوليين سورة الأعراف لأنها الأطول بعد الطوليين البقرة وآل عمران. والطُّوَلُ بضم الطاء جمعُ طُولَى، كالكُبَرِ جمعِ كُبرَى. والله أعلم.

وعَنْ مَرْوَانِ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ: قَالَ لي زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: مَا لَكَ تَقْرَأُ في الْمَغْرِبِ بِقِصَارِ الْمُفَصَّلِ وَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقْرَأُ في الْمَغْرِبِ بِطُولَى الطُّولَيَيْنِ، قَالَ: قُلْتُ، مَا طُولَى الطُّولَيَيْنِ؟ قَالَ الأَعْرَافُ وَالأُخْرَى الأَنْعَامُ. قَالَ: وَسَأَلْتُ أَنَا ابْنَ أَبِي مُلَيْكَةَ فَقَالَ لِي مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ: الْمَائِدَةُ وَالأَعْرَافُ" (١٦٢).

❖ **القول الرابع**: قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَقِيلَ: الْمَثَانِي الْقُرْآنُ كُلُّهُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: "كِتابًا مُتَشابِهًا مَثانِيَ". هذا قول الضحاكِ وطاوسَ وأبِي مَالِكٍ وَقَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَقِيلَ لَهُ: مَثَانِي، لِأَنَّ الْأَنْبَاءَ وَالْقَصَصَ ثُنِّيَتْ فِيهِ. وَقَالَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ تَرْثِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فَقَدْ كَانَ نُورًا سَاطِعًا يُهْتَدَى بِهِ... يُخَصُّ بِتَنْزِيلِ الْمَثَانِي الْمُعَظَّمِ

(أَيِ الْقُرْآنَ). وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالسَّبْعِ الْمَثَانِي أَقْسَامُ الْقُرْآنِ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالتَّبْشِيرِ وَالْإِنْذَارِ وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ وَتَعْدِيدِ نِعَمٍ وَأَنْبَاءِ قُرُونٍ، قَالَ زِيَادُ بْنُ

---

١٦١ – رَوَاهُ البُخَارِيُّ رَقَم ٧٦٤، فِي كِتَابِ الأذان، باب: القراءة في المغرب.

١٦٢ – حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ رَقَمْ ٨١٢، فِي كِتَابِ الصَّلَاةِ، بَابُ: قَدْر القِرَاءَةِ فِي المَغْرِبِ، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

أَبِي مَرْيَمَ: وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ لِأَنَّهُ نَصٌّ [١٦٣]. قالَ اللهُ تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ الحجر ٨٧. فعطف القرءان العظيم على السبع المثاني، وهذا من قبيل عطفِ العام على الخاص، كما في قوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ نوح: ٢٨، فعطف العام، وهم المؤمنين على من دخل البيت والوالدين، كما يأتي عطف الخاص على العام في قوله تعالى: ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى﴾ البقرة: ٢٣٨، فالسبعُ المثاني جزءٌ من القرءان، كما الصلاة الوسطى جزءٌ من الصلواتِ.

وقيل في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ الحجر: ٨٧، يحتمل أن يكون سبعًا من الآيات، وأن يكون سبعًا من السور، وأن يكون سبعًا من الفوائد، وليس في اللفظ ما يدل على التعيين [١٦٤].

قَالَ الفَخْرُ الرَّازِيُّ: أَمَّا السَّبْعُ فَذَكَرَ فِيهِ وُجُوهًا:

- أَحَدُهَا: أَنَّ الْقُرْآنَ سَبْعَةُ أَسْبَاعٍ.
- وَثَانِيهَا: أَنَّ الْقُرْآنَ مُشْتَمِلٌ عَلَى سَبْعَةِ أَنْوَاعٍ مِنَ الْعُلُومِ : التَّوْحِيدُ، وَالنُّبُوَّةُ، وَالْمَعَادُ، وَالْقَضَاءُ، وَالْقَدَرُ، وَأَحْوَالُ الْعَالَمِ، وَالْقَصَصُ، وَالتَّكَالِيفُ.

---

١٦٣ – رَاجِعْ تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيِّ ج ١٠/٥٥.

١٦٤ – رَاجِع تَفْسِيرَ الفَخْرِ الرَّازِيّ – مَفَاتِيحُ الغَيْبِ – ج ١٩/١٥٨، دَارُ إِحْيَاءِ التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ – بَيْرُوتُ، الطَبَعَةُ الثَّالِثَةُ ١٤٢٠ هـ.

❖ وَثَالِثُهَا: أَنَّهُ مُشْتَمِلٌ عَلَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَالْخَبَرِ وَالِاسْتِخْبَارِ، وَالنِّدَاءِ، وَالْقَسَمِ، وَالْأَمْثَالِ. وَأَمَّا وَصفُ كلِّ الْقُرْآنِ بِالْمَثَانِي، فَلِأَنَّهُ كَرَّرَ فِيهِ دَلَائِلَ التَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ وَالتَّكَالِيفِ، وَهَذَا الْقَوْلُ ضَعِيفٌ أَيْضًا، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ الْمُرَادُ بِالسَّبْعِ الْمَثَانِي الْقُرْآنَ، لَكَانَ قَوْلُهُ: وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ عَطْفًا لِلشَّيْءِ عَلَى نَفْسِهِ، وَذَلِكَ غَيْرُ جَائِزٍ.

وَأُجِيبُ عَنْهُ بِأَنَّهُ إِنَّمَا حَسُنَ إِدْخَالُ حَرْفِ الْعَطْفِ فِيهِ لِاخْتِلَافِ اللَّفْظَيْنِ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

إِلَى الْمَلِكِ الْقَرْمِ وَابْنِ الْهُمَامِ... وَلَيْثَ الْكَتِيبَةِ فِي الْمُزْدَحَمِ

وَاعْلَمْ أَنَّ هَذَا وَإِنْ كَانَ جَائِزًا لِأَجْلِ وُرُودِهِ فِي هَذَا الْبَيْتِ، إِلَّا أَنَّهُمْ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْأَصْلَ خِلَافُهُ.

❖ **وَالْقَوْلُ الْخَامِسُ:** يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالسَّبْعِ الْفَاتِحَةَ، لِأَنَّهَا سَبْعُ آيَاتٍ، وَيَكُونُ الْمُرَادُ بالمثاني كلَّ الْقُرْآنِ وَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعَ آيَاتٍ هِيَ الْفَاتِحَةُ وَهِيَ مِنْ جُمْلَةِ الْمَثَانِي الَّذِي هُوَ الْقُرْآنُ وَهَذَا الْقَوْلُ عَيْنُ الْأَوَّلِ وَالتَّفَاوُتُ لَيْسَ إِلَّا بِقَلِيلٍ وَاللهُ أَعْلَمُ [١٦٥].

وَقَالَ الفَخْرُ رَحِمَهُ اللهُ: وَأَمَّا السَّبَبُ فِي تَسْمِيَتِهَا بِالْمَثَانِي فَوُجُوهٌ:

❖ الْأَوَّلُ: أَنَّهَا تُثَنَّى فِي كُلِّ صَلَاةٍ بِمَعْنَى أَنَّهَا تُقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ.

---

١٦٥ – رَاجِع تَفْسِيرَ الفَخْرِ الرَّازِيّ – مَفَاتِيحُ الغَيْبِ – ج ١٩/١٦٠، دَارُ إِحْيَاءِ التُّرَاثِ الْعَرَبِيّ – بَيْرُوت، الطَبَعَةُ الثَالِثَةُ ١٤٢٠ هـ.

- والثَّانِي: قَالَ الزَّجَّاجُ: سُمِّيَتْ مَثَانِيَ لِأَنَّهَا يُثَنَّى بَعْدَهَا مَا يُقْرَأُ مَعَهَا.
- الثَّالِثُ: سُمِّيَتْ آيَاتُ الْفَاتِحَةِ مَثَانِيَ، لِأَنَّهَا قُسِّمَتْ قِسْمَيْنِ اثْنَيْنِ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ مَا رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: "قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ". وَالْحَدِيثُ مَشْهُورٌ [١٦٦].
- الرَّابِعُ: سُمِّيَتْ مَثَانِيَ لِأَنَّهَا قِسْمَانِ: ثَنَاءٌ وَدُعَاءٌ، وَأَيْضًا النِّصْفُ الْأَوَّلُ مِنْهَا حَقُّ الرُّبُوبِيَّةِ وَهُوَ الثَّنَاءُ، وَالنِّصْفُ الثَّانِي حَقُّ الْعُبُودِيَّةِ وَهُوَ الدُّعَاءُ.
- الْخَامِسُ: سُمِّيَتِ الْفَاتِحَةُ بِالْمَثَانِي، لِأَنَّهَا نَزَلَتْ مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً بِمَكَّةَ فِي أَوَائِلِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ وَمَرَّةً بِالْمَدِينَةِ.
- السَّادِسُ: سُمِّيَتْ بِالْمَثَانِي، لِأَنَّ كَلِمَاتِهَا مُثَنَّاةٌ مِثْلُ: ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ﴿اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، ﴿صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وَفِي قِرَاءَةِ عُمَرَ: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ و﴿غَيْرِ الضَّالِّينَ﴾.
- السَّابِعُ: قَالَ الزَّجَّاجُ: سُمِّيَتِ الْفَاتِحَةُ بِالْمَثَانِي لِاشْتِمَالِهَا عَلَى الثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ حَمْدُ اللَّهِ وَتَوْحِيدُهُ وَمُلْكُهُ [١٦٧].

---

١٦٦ – رَوَاهُ مُسْلِمُ رَقَم ٣٨–٣٩٥، فِي كِتَابِ الصَّلاةِ، بَابُ وُجُوبِ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، وَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يُحْسِنِ الْفَاتِحَةَ، وَلَا أَمْكَنَهُ تَعَلُّمُهَا قَرَأَ مَا تَيَسَّرَ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا.

١٦٧ – رَاجِع تَفْسِيرَ الفَخْرِ الرَّازِيِّ – مَفَاتِيحُ الغَيْبِ – ج ١٥٩/١٩، دَارُ إِحْيَاءِ التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ – بَيْرُوتُ، الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ ١٤٢٠ هـ.

فيكون للمفسرين آراء متعددة للسبع المثاني. وَالخُلاصَةُ فِي كَلامِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم فَلا كَلامَ بعد كلام الرسول صلى الله عليه وسلم. والسنة شارحةٌ ومُبيّنةٌ للقرءان.

وَرَدَ عِنْد البُخَارِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ المُعَلَّى، قَالَ: مَرَّ بِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أُصَلِّي، فَدَعَانِي فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّيْتُ ثُمَّ أَتَيْتُ، فَقَالَ: "مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَنِي؟ فَقُلْتُ: كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: أَلَمْ يَقُلِ اللهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾، ثُمَّ قَالَ: إِلَّا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ، فَذَهَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ فَذَكَّرْتُهُ، فَقَالَ: "الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ" هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ" (١٦٨).

والقرءانُ مثانٍ لما يُلاحَظُ فيه من الثنائية، بمعنى اقترانِ آيةِ الرحمةِ بآيةِ العذابِ، والوعدِ بالوعيدِ، والجنةِ بالنارِ، والهُدى بالضلال. وقيلَ أيضًا مأخوذةٌ من الثناء والمدحِ والشرفِ. والله تعالى أعلى وأعلم.

١٦٨ – رَوَاهُ البُخَارِيُّ رَقَمْ ٤٧٠٣، فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ، بَابُ: قَوْله: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ المَثَانِي وَالقُرْآنَ العَظِيمَ (٨٧)} سُورَةُ الحِجْرِ.

محاور سورة الفاتحة

اشْتَمَلَتْ سُورَةُ الفَاتِحَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ مَحَاوِرَ هِيَ:

- ❖ **المِحْوَرُ الأَوَّلُ: العقيدة**: كما في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤)﴾ الفاتحة: ٢-٤.
- ❖ **المِحْوَرُ الثَّانِي: العبادة**: كما في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة: ٥.
- ❖ **المِحْوَرُ الثَّالِثُ: مناهِجُ الحياةِ**: كما في قوله تعالى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)﴾ الفاتحة: ٦-٧.

وكل ما يأتي في كل سور وآياتِ القرءانِ الكريمِ هو شرحُ هذه المحاور الثلاثة.

وتشتمل سورةُ الفاتحةِ على أساسيات الدين، ومنها:

١- شكرُ النعمة، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

٢- الإخلاص لله، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

٣- الصحبةُ الصالحة، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ولَا الضَّالِّينَ﴾.

٤- أسماءُ اللهِ الحسنى ووصفاته. وفي هذه السورة خمسة أسماءٍ من أسماء الله تعالى، وهي: اللهُ، الربُّ، الرحمنُ، الرَّحيمُ، المَلِكُ.

٥- الاستقامة، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

٦- الآخرة، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾. ويومُ الدِّينِ هو يوم الحساب.

٧- أهميةُ الدعاءِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اهدِنَا﴾.

٨- وِحدَةُ الأُمَّةِ، فَوَرَدَ الدُّعَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: نَعْبُدُ، نَسْتَعِينُ، بصيغة الجمع، مما يدل على وحدة الصَّفِّ الإِسْلاَمِيِّ [١٦٩].

إشاراتٌ فِي سُورَةُ الفَاتِحَةِ

١- لَفْظُ الجَلاَلَةِ {اللهُ}: إشارةٌ إلى الذاتِ الإلهيةِ. اسْمٌ يَخْتَصُّ بِاللهِ وَحْدَهُ خَالِقِ كُلِّ شيء وَالَّذِي لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ.

٢- {الْحَمْدُ لِلَّهِ}: إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الشُّكْرَ خَالِصٌ لِلَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ دُونَ سَائِرِ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، وَدُونَ كُلِّ مَا بَرَأَ مِنْ خَلْقِهِ، بِمَا أَنْعَمَ عَلَى عِبَادِهِ مِنَ النِّعَمِ الَّتِي لَا يُحْصِيهَا الْعَدَدُ وَلَا يُحِيطُ بِعَدَدِهَا غَيْرُهُ أَحَدٌ، فِي تَصْحِيحِ الْآلَاتِ لِطَاعَتِهِ، وَتَمْكِينِ جَوَارِحِ أَجْسَامِ الْمُكَلَّفِينَ لِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، مَعَ مَا بَسَطَ لَهُمْ

١٦٩ - رَاجِع "لَمَسَات بَيَانِيَّة لِسُورِ القُرْآنِ الكَرِيمِ" ج ١/١، ٢ بِتَصَرُّفٍ كَبِيرٍ.

فِي دُنْيَاهُمْ مِنَ الرِّزْقِ وَغَذَّاهُمْ بِهِ مِنْ نُعَيْمِ الْعَيْشِ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ مِنْهُمْ لِذَلِكَ عَلَيْهِ، وَمَعَ مَا نَبَّهَهُمْ عَلَيْهِ وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى دَوَامِ الْخُلُودِ فِي دَارِ الْمَقَامِ فِي النَّعِيمِ الْمُقِيمِ. فَلِرَبِّنَا الْحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ أَوَّلًا وَآخِرًا (١٧٠).

٣- {رَبِّ الْعَالَمِينَ}: إِشَارَةٌ إِلَى تَوحِيدِ الخَالِقِ الوَاحِدِ الَّذِي لَهُ الْخَلْقُ كُلُّهُ، السَّمَاوَاتُ كُلُّهُنَّ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالْأَرْضُونَ كُلُّهُنَّ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُنَّ، مِمَّا يُعْلَمُ وَمِمَّا لَا يُعْلَمُ، الذي لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ (١٧١).

٤- ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾: إِشَارَةٌ إِلَى صِفَتَيْنِ مِن الصِّفَاتِ الخَاصَّةِ بِاللهِ تَعَالَى: الرَّحْمَانُ بِجَمِيعِ الْخَلْقِ، الرَّحِيمُ بِالْمُؤْمِنِينَ؛ الرَّحْمَانُ: رَحْمَانُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالرَّحِيمُ: رَحِيمُ الْآخِرَةِ.

٥- ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾: إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ مَالِكُ جَمِيعِ الْعَالَمِينَ وَسَيِّدُهُمْ، وَمُصْلِحُهُمْ وَالنَّاظِرُ لَهُمْ، وَالرَّحِيمُ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

٦- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: إِشَارَةٌ إِلَى قَولِ عِبَادِ اللهِ بِقَولِهِمْ: اللَّهُمَّ نَخْشَعُ وَنَذِلُّ وَنَسْتَكِينُ إِقْرَارًا لَكَ يَا رَبَّنَا بِالرُّبُوبِيَّةِ لَا لِغَيْرِكَ.

٧- ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: إِشَارَةٌ إِلَى طَلَبِ عِبَادِ اللهِ أَن يُوَفِّقَهُم رَبُّهُم لِلثَّبَاتِ عَلَى مَا ارْتَضَاهُ، وَيُوَفِّقَهُم لِطَرِيقِ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِم مِنْ عِبَادِهِ، مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ. وَذَلِكَ هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، لِأَنَّ مَنْ وُفِّقَ لِمَا وُفِّقَ لَهُ مَنْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ، فَقَدْ وُفِّقَ لِلْإِسْلَامِ،

---

١٧٠ - رَاجِع تَفْسِيرَ الطَّبَرِيّ ج ١/١٣٥.

١٧١ - رَاجِع تَفْسِيرَ الطَّبَرِيّ ج ١/١٤٣.

وَتَصْدِيقِ الرُّسُلِ، وَالتَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ، وَالْعَمَلِ بِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَالِانْزِجَارِ عَمَّا زَجَرَهُ عَنْهُ، وَاتِّبَاعِ مَنْهَجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِنْهَاجِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَكُلِّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ. وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ [١٧٢].

٨- ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ كُلَّ طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الْحَقِّ صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ، فَقِيلَ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ: اهْدِنَا يَا رَبَّنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ، بِطَاعَتِكَ وَعِبَادَتِكَ مِنْ مَلَائِكَتِكَ، وَأَنْبِيَائِكَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحِينَ [١٧٣].

٩- ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: إِشَارَةٌ إِلَى الْيَهُودِ الَّذِينَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ.

١٠- ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾: إِشَارَةٌ إِلَى النَّصَارَى الَّذِينَ أَضَلَّهُمُ اللَّهُ بِفِرْيَتِهِمْ عَلَيْهِ.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: "وَلَا الضَّالِّينَ": وَغَيْرِ طَرِيقِ النَّصَارَى الَّذِينَ أَضَلَّهُمُ اللَّهُ بِفِرْيَتِهِمْ عَلَيْهِ. قَالَ: يَقُولُ: فَأَلْهِمْنَا دِينَكَ الْحَقَّ، وَهُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، حَتَّى لَا تَغْضَبَ عَلَيْنَا كَمَا غَضِبْتَ عَلَى الْيَهُودِ وَلَا تُضِلَّنَا كَمَا أَضْلَلْتَ النَّصَارَى فَتُعَذِّبَنَا بِمَا تُعَذِّبُهُمْ بِهِ. يَقُولُ: امْنَعْنَا مِنْ ذَلِكَ بِرِفْقِكَ وَرَحْمَتِكَ وَقُدْرَتِكَ" [١٧٤].

---

١٧٢ – رَاجِع تَفْسِيرَ الطَّبَرِيِّ ج ١٧١/١ – بِتَصَرُّف.

١٧٣ – رَاجِع تَفْسِيرَ الطَّبَرِيِّ ج ١٧٦/١ – بِتَصَرُّف.

١٧٤ – رَاجِع تَفْسِيرَ الطَّبَرِيِّ ج ١٩٦/١.

عُلُومُهَا

تَشْتَمِلُ سُورَةُ الفَاتِحَةِ "السَّبْعُ الْمَثَانِي" عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ مِنْ العُلُومِ الَّتِي هِيَ مَنَاطُ الدِّينِ:

١- **عِلْمُ الأُصُولِ وَعَقَائِدِهِ**: وَمِنْهُ مَعْرِفَةُ اللهِ وَصِفَاتِهِ، وَدَلِيلُهُ قَولُ اللهِ تَعَالَى: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. وَمَعْرِفَةُ النُّبُوَّاتِ، وَدَلِيلُهُ قَولُ اللهِ تَعَالَى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾. وَمَعْرِفَةُ الْمَعَادِ، وَدَلِيلُهُ قَولُ اللهِ تَعَالَى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

٢- **عِلْمُ الفُرُوعِ وَأُسُسُهُ**، وَهِيَ العِبَادَاتُ، وَدَلِيلُهُ قَولُ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

٣- عِلْمُ مَا بِهِ يُتَحَصَّلُ الكَمَالُ، وَهُوَ **عِلْمُ الأَخْلَاقِ**، وَدَلِيلُهُ قَولُ اللهِ تَعَالَى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ولَا الضَّالِّينَ﴾.

٤- **عِلْمُ القَصَصِ وَالأَخْبَارِ**، وَمِنْهُ مَعْرِفَةُ أَخْبَارِ الأُمَمِ الغَابِرَةِ، السُّعَدَاءِ مِنْهُمْ، وَمَنْ شَقِيَ وَالعِيَاذُ بِاللهِ، وَدَلِيلُهُ قَولُ اللهِ تَعَالَى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ولَا الضَّالِّينَ﴾.

وَذَهَبَ بَعْضُ العُلَمَاءِ مِمَّنْ قَسَّمَ عُلُومَ القُرْآنِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ:

قَالَ الزَّرْكَشِيُّ: عُلُومُ القُرآنِ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ: تَوْحِيدٌ، وَتَذْكِيرٌ، وَأَحْكَامٌ؛

❖ فَالتَّوْحِيدُ: تَدْخُلُ فِيهِ مَعْرِفَةُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَمَعْرِفَةُ الخَالِقِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ.

❖ وَالتَّذْكِيرُ: وَمِنْهُ الوَعْدُ وَالوَعِيدُ، وَالجَنَّةُ وَالنَّارُ، وَتَصْفِيَةُ الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ.

❖ وَالأَحْكَامُ: وَمِنْهَا التَّكَالِيفُ كُلّهَا، وَتَبْيِينُ الْمَنَافِعِ وَالْمَضَارِّ، وَالأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَالنَّدْبُ.

فَالأَوَّلُ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ فيه التوحيد كله في الذات والصفات والأفعال.

والثاني: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

والثالث: ﴿وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ﴾. وَلِذَلِكَ قِيلَ في مَعْنَى قَولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} تَعدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ" (١٧٥)، يَعْنِي في الْأَجْرِ، و ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ المائدة: ٥٤؛ وَقِيلَ ثُلُثَهُ في الْمَعْنَى، لِأَنَّ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ كَمَا ذَكَرْنَا، وَهَذِهِ السُّورَةُ اشْتَمَلَتْ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَلِهَذَا الْمَعْنَى صَارَتْ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ "أُمَّ الْكِتَابِ" لِأَنَّ فِيهَا الْأَقْسَامُ الثَّلَاثَةُ: فَأَمَّا التَّوْحِيدُ فَمِنْ أَوَّلِهَا إِلَى قَوْلِهِ {يَوْمِ الدِّينِ}، وَأَمَّا الأَحْكَامُ فَ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وَأَمَّا التَّذْكِيرُ فَمِنْ قَوْلِهِ {اهْدِنا} إِلَى آخِرِهَا، فَصَارَتْ بِهَذَا "أُمًّا" لِأَنَّهُ يَتَفَرَّعُ عَنْهَا كُلُّ نَبْتٍ، وَقِيلَ صَارَتْ "أُمًّا" لِأَنَّهَا مُقَدَّمَةٌ عَلَى الْقُرْآنِ بِالقَبْلِيَّةِ وَالْأُمُّ قَبْلَ الْبِنْتِ، وَقِيلَ: سُمِّيَتْ فَاتِحَةً لِأَنَّهَا تَفْتَحُ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ عَلَى وُجُوهٍ مَذْكُورَةٍ في مَوَاضِعِهَا (١٧٦).

---

١٧٥ – رَوَاهُ مُسْلِمُ رَقَم ٢٥٩ – ٨١١، فِي كِتَابِ القُرآنِ، بَابُ فَضْلِ قِرَاءَةِ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ.

١٧٦ – البُرهَانُ فِي عِلُومِ القُرآنِ ج ١/ ١٧، للزَّرْكَشِيّ، تَحْقِيقُ: مُحَمَّد أَبُو الفَضْلِ إِبْرَاهِيمُ، دَارُ المَعْرِفَةِ – بَيْرُوتُ، ١٣٩١ هـ.

وَسُمِّيَتْ فَاتِحَةُ الكِتَابِ "أُمَّ الْكِتَابِ" و"السَّبْعَ المَثَانِي" لِأَنَّ فِيهَا الْأَقْسَامُ الثَّلَاثَةُ مَعًا.

فَالتَّوْحِيدُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.

وَالْأَحْكَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وَالتَّذْكِيرُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾؛

- ❖ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهَا آيَةٌ مِنْ الفَاتِحَةِ، وَيَقْرَأُ بِهَا جَهْرًا فِي الصَّلَاةِ الْجَهْرِيَّةِ، وَيَرَى أَنَّ الصَّلَاةَ لَا تَصِحُّ إِلَّا بِقِرَاءَةِ الْبَسْمَلَةِ، لِأَنَّهَا مِنَ الْفَاتِحَةِ.

- ❖ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ الْفَاتِحَةِ؛ وَلَكِنَّهَا آيَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ. قَالَ الشَّوْكَانِيُّ: اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ هَلْ هِيَ آيَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ فِي أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ كُتِبَتْ فِي أَوَّلِهَا؟ أَوْ هِيَ بَعْضُ آيَةٍ مِنْ أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ، أَوْ هِيَ كَذَلِكَ فِي الْفَاتِحَةِ فَقَطْ دُونَ غَيْرِهَا، أَوْ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِآيَةٍ فِي الْجَمِيعِ وَإِنَّمَا كُتِبَتْ لِلْفَصْلِ؟

وَقَدِ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهَا بَعْضُ آيَةٍ فِي سُورَةِ النَّمْلِ. وَقَدْ جَزَمَ قُرَّاءُ مَكَّةَ وَالْكُوفَةِ بِأَنَّهَا آيَةٌ مِنَ الْفَاتِحَةِ وَمِنْ كُلِّ سُورَةٍ. وَخَالَفَهُمْ قُرَّاءُ الْمَدِينَةِ وَالْبَصْرَةِ وَالشَّامِ فَلَمْ

يَجْعَلُوهَا آيَةً لَا مِنَ الْفَاتِحَةِ وَلَا مِنْ غَيْرِهَا مِنَ السُّوَرِ، قَالُوا: وَإِنَّمَا كُتِبَتْ لِلْفَصْلِ وَالتَّبَرُّكِ (١٧٧).

وَعَلَى هَذَا كَانَ مَذْهَبُ عَاصِمٌ بِرَاوِيَيْهِ حَفْصٌ وَشُعْبَةٌ – وَهِيَ إِحْدَى قِرَاءَاتُ أَهْلُ الكُوفَةِ – أَنَّ البَسْمَلَةَ آيَةٌ، يُفْصَلُ بِهَا بَيْنَ كُلِّ سُورَتَيْنِ، وَاسْتَدَلُّوا بِمَا جَاءَ عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَّهُ كَانَ لَا يَعْرِفُ فَصْلَ السُّورَةِ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْهِ {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} (١٧٨).

بَوَّبَ الْإِمَامُ مُسْلِمُ فِي صَحِيحِهِ بَابًا، قَالَ: [بَابُ حُجَّةِ مَنْ قَالَ: الْبَسْمَلَةُ آيَةٌ مِنْ أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ سِوَى بَرَاءَةٌ]. وَأَوْرَدَ تَحْتَهُ حَدِيثًا عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: "بَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ، فَقَرَأَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ (٣)﴾ (١٧٩).

---

١٧٧ – رَاجِع تَفْسِيرَ فَتْحِ الْقَدِيرِ لِلشَوكَانِيّ، ج ١/ ٢٠، دَارُ ابْنِ كَثِيرٍ، دَارُ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ – دِمَشْقُ، بَيْرُوت، الطَّبْعَةُ الأُولَى ١٤١٤ هـ.

١٧٨ – حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، رَقَمْ ٧٨٨، فِي كِتَابِ الصَّلَاةِ، بَابُ: مَنْ جَهَرَ بِهَا. وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ

١٧٩ – رَوَاهُ مُسْلِمُ رَقَمْ ٥٣ – ٤٠٠، فِي كِتَابِ الصَّلَاةِ، بَابُ: حُجَّةُ مَنْ قَالَ: الْبَسْمَلَةُ آيَةٌ مِنْ أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ سِوَى بَرَاءَةٌ.

وَفِي كَوْنِ الْبَسْمَلَةِ آيَةً مِنْ الْفَاتِحَةِ، أَوْ كَوْنِهَا آيَةً مِنْ كُلِّ سُورَةٍ، اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْوَالٍ (١٨٠):

- **الْقَوْلُ الْأَوَّلُ:** لِلإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ، لَمْ يَقُلْ إِنَّهَا آيَةٌ مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ أَمْ لَا، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: يُسَرُّ بِهَا فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، وَلَا يُسَنُّ الْجَهْرُ بِهَا. قَالَ الفَخْرُ الرَّازِيُّ: قَالَ يَعْلَى: سَأَلْتُ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَسَنِ عَنْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَقَالَ: مَا بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ قُرْآنٌ، قَالَ: قُلْتُ: فَلِمَ تُسِرُّهُ؟ قَالَ: فَلَمْ يُجِبْنِي. وَقَالَ الْكَرْخِيُّ لَا أَعْرِفُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ بِعَيْنِهَا لِمُتَقَدِّمِي أَصْحَابِنَا، إِلَّا أَنَّ أَمْرَهُمْ بِإِخْفَائِهَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ السُّورَةِ. وَقَالَ بَعْضُ فُقَهَاءِ الْحَنَفِيَّةِ: تَوَرَّعَ أَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُ عَنِ الْوُقُوعِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ لِأَنَّ الْخَوْضَ فِي إِثْبَاتِ أَنَّ التَّسْمِيَةَ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ لَيْسَتْ مِنْهُ أَمْرٌ عَظِيمٌ، فَالْأَوْلَى السُّكُوتُ عَنْهُ (١٨١).

---

١٨٠ – رَاجِعْ التَّفْسِيرَ الكَبِيرَ لِلفَخْرِ الرَّازِيُّ ج ١/ ١٧٩، دَارُ إِحْيَاءِ التُّرَاثِ الْعَرَبِيّ – بَيْرُوتُ. وَتَفْسِيرَ ابْنِ كَثِيرٍ ج ١/ ١١٧، دَارُ طَيْبَةَ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ، الطَّبْعَةُ الثَّانِيَةُ ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩ م. وَ"مَنَاهِلُ العِرْفَانِ فِي عُلُومِ القُرْآنِ" لِلزُّرْقَانِيِّ ج ١/ ٤٣٣، مَطْبَعَة عِيسَى الْحَلَبِيّ – القَاهِرَة، الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ. وَكِتَاب "اخْتِلَافُ الأَئِمَّةِ العُلَمَاءِ"، لِلإِمَامِ عَوْنِ الدِّينِ بْنِ هَبِيرَةَ الشَّيْبَانِيِّ ج ١/ ١٠٩، تَحْقِيقُ: السَّيِّد يُوسُف أَحْمَد، دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ – بَيْرُوتُ، الطَّبْعَةُ الأُولَى ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٢م.

١٨١ – رَاجِعْ التَّفْسِيرَ الكَبِيرَ لِلفَخْرِ الرَّازِيّ ج ١/ ١٧٣، دَارُ إِحْيَاءِ التُّرَاثِ الْعَرَبِيّ – بَيْرُوتُ.

- **الْقَوْلُ الثَّانِي:** لِلإِمَامِ مَالِكٍ وَالْأَوْزَاعِيِّ رَضِـيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا: أَنَّ الْبَسْمَلَةَ لَيْسَتْ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا فِي سُورَةِ النَّمْلِ، وَلَا يَقْرَأُها لَا سِرًّا، وَلَا جَهْرًا، إِلَّا فِي قِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ يَقْرَؤُهَا، وَلَا يُسَنُّ ذِكْرُهَا وَلَا يُسْتَحَبُّ، فَإِنْ قَرَأَهَا لَا يَجْهَرُ بِهَا، حَيْثُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ عِنَدَهُ أَنَّ إِثْبَاتَهَا فِي الْمُصْحَفِ اجْتِهَادِيٌّ وَلَيْسَ قَطْعِيًا مُتَوَاتِرًا، وَاحتَجَّ أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يثبُتُ بأخبارِ الْآحَادِ، وَإِنَّمَا طَرِيقهُ التَّوَاتُرُ. وَاحْتَجُّوا بِمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، عَنْ عَائِشَةَ، رَضِـيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ الصَّلَاةَ بِالتَّكْبِيرِ، والقِرَاءَةِ بِـ ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾" (١٨٢)، وَبِمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: صلَّيْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ، فَكَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ بِـ ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾" (١٨٣). وَلِمُسْلِمٍ: لَا

---

١٨٢ - حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ أَبُو دَاودَ رَقَم ٧٨٣، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ، وَلَفظُهُ: عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ الصَّلَاةَ بِالتَّكْبِيرِ، وَالْقِرَاءَةِ بِ "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"، وَكَانَ إِذَا رَكَعَ لَمْ يُشَخِّصْ رَأْسَهُ وَلَمْ يُصَوِّبْهُ وَلَكِنْ بَيْنَ ذَلِكَ، وَكَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ لَمْ يَسْجُدْ حَتَّى يَسْتَوِيَ قَائِمًا، وَكَانَ يَقُولُ فِي كُلِّ رَكْعَتَيْنِ: التَّحِيَّاتُ، وَكَانَ إِذَا جَلَسَ يَفْرِشُ رِجْلَهُ الْيُسْرَى وَيَنْصِبُ رِجْلَهُ الْيُمْنَى، وَكَانَ يَنْهَى عَنْ عَقِبِ الشَّيْطَانِ، وَعَنْ فَرْشَةِ السَبعِ وَكَانَ يَخْتِمُ الصَّلَاةَ بِالتَّسْلِيمِ".

١٨٣ - الحَدِيثُ لَيسَ فِي الصَّحِيحَين، وَتَفَرَّدَ بِهِ مُسْلِمُ رَقَم ٥٢ - ٣٩٩، فِي كِتَابِ الصَّلَاةِ، بَابِ حُجَّةِ مَنْ قَالَ لَا يُجْهَرُ بِالْبَسْمَلَةِ.

يَذْكُرُونَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فِي أَوَّلِ قِرَاءَةٍ وَلَا فِي آخِرِهَا" (١٨٤).
وَنَحْوُهُ فِي السُّنَنِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّل، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (١٨٥).

قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيّ: "وَيَكْفِيكَ أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، اخْتِلَافُ النَّاسِ فِيهَا، وَالْقُرْآنُ لَا يُخْتَلَفُ فِيهِ". وَالْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ دَالَّةٌ عَلَى أَنَّ الْبَسْمَلَةَ لَيْسَتْ بِآيَةٍ مِنَ "الْفَاتِحَةِ"، وَلَا مِنْ غيرِهَا، إِلَّا فِي "النَّمْلِ" وَاسْتَدَلَّ بِمَا رَوَى مُسْلِمُ رَحِمَهُ اللهُ عَنِ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَرَّفَ وَكَرَّمَ وَمَجَّدَ وَبَجَّلَ وَعَظَّمَ أَنَّهُ قَالَ: "يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: "قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ.." الحَدِيث (١٨٦).

---

١٨٤ – رَوَاهُ مُسْلِمُ رَقَم ٥٢ – ٣٩٩، فِي كِتَابِ الصَّلَاةِ، بَابِ حُجَّةِ مَنْ قَالَ لَا يُجْهَرُ بِالْبَسْمَلَةِ.

١٨٥ – شَاهِدُهُ عِنْدَ الترمذي رقم ٢٤٤ فِي كِتَابِ الصَّلاة، بَابِ مَا جَاءَ فِي تَرْكِ الجَهْرِ بِ "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"، وَلَفْظُهُ: "عَنْ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ، قَالَ: سَمِعَنِي أَبِي وَأَنَا فِي الصَّلَاةِ، أَقُولُ: {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، فَقَالَ لِي: أَيْ بُنَيَّ مُحْدَثٌ إِيَّاكَ وَالحَدَثَ، قَالَ: وَلَمْ أَرَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَبْغَضَ إِلَيْهِ الحَدَثُ فِي الإِسْلَامِ – يَعْنِي مِنْهُ – قَالَ: "وَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَ أَبِي بَكْرٍ، وَمَعَ عُمَرَ، وَمَعَ عُثْمَانَ، فَلَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا مِنْهُمْ يَقُولُهَا، فَلَا تَقُلْهَا، إِذَا أَنْتَ صَلَّيْتَ فَقُلْ: "الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ". حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَالعَمَلُ عَلَيْهِ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ العِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَغَيْرُهُمْ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ، وَبِهِ يَقُولُ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، وَابْنُ المُبَارَكِ، وَأَحْمَدُ، وَإِسْحَاقُ: لَا يَرَوْنَ أَنْ يَجْهَرَ بِ "بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"، قَالُوا: وَيَقُولُهَا فِي نَفْسِهِ".

١٨٦ – رَاجِعْ تَفْسِيرَ "اللُّبَابُ فِي عُلُومِ الكِتَابِ"، لابْنِ عَادِل، ج ١/ ١٥١، دَارُ الكُتُبِ العِلْمِيَّةِ – بَيْرُوت، الطَّبْعَةُ الأُولَى ١٤١٩ هـ– ١٩٩٨م.

- **الْقَوْلُ الثَّالِثُ:** لِلإِمَامِ الشَّافِعِيِّ، أَنَّ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ آيَةٌ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ، وَتَجِبُ قِرَاءَتُهَا مَعَ الْفَاتِحَةِ، ويُسنُّ الْجَهْرُ بِهَا فِي الصَّلَاةِ؛ وَيَرَى كَذَلِكَ أَنَّ البَسْمَلَةَ آيَةٌ مِنْ كُلِّ سُورَةٍ مِنْ سُوَرِ الْقُرْآنِ الكَرِيمِ؛ لِأَنَّ مَذْهَبَ الشَّافِعِيِّ عَلَى أَنَّ الَّذِي كُتِبَ فِي الْقُرْآنِ بِخَطِّ الْقُرْآنِ فَهُوَ مِنَ الْقُرْآنِ. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لَا يَعْرِفُ فَصْلَ السُّورَةِ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْهِ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾" [١٨٧]. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ الْمُسْلِمُونَ لَا يَعْلَمُونَ انْقِضَاءَ السُّورَةِ حَتَّى تَنَزَّلَ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فَإِذَا نَزَلَتْ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ عَلِمُوا أَنَّ السُّورَةَ قَدِ انْقَضَتْ" [١٨٨].

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبَرِيُّ: فَأَخْبَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي هَذَا الَحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَأْتِيهِ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا يَعْلَمُ بِهِ آخِرَ السُّورَةِ، وَفِي ذَلِكَ مَا قَدْ دَلَّ عَلَى أَنَّ الْحَقِيقَةَ فِيمَا اخْتَلَفَ عُثْمَانُ وَهُوَ [١٨٩] رضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِيهِ مِمَّا ذَكَرْنَا اخْتِلَافَهُمَا فِيهِ، كَانَتْ الْحَقِيقَةُ

---

١٨٧ – حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ رَقْمْ، ٧٨٨، فِي كِتَابِ الصَّلَاةِ، بَابُ: مَنْ جَهَرَ بِهَا، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

١٨٨ – حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ الحَاكِمُ فِي المُسْتَدْرَكِ رَقَمْ ٨٤٦، وَقَالَ هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يَخْرَجَاهُ، وَسَكَتَ عَنْهُ الذَّهَبِيُّ.

١٨٩ – يَعْنِي الذي ذَهَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا خِلافًا لِمَذْهَبِ عُثْمَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

فِيهِ مَا قَالَهُ هُوَ (١٩٠) فِيهِ لِمَا قَدْ وَقَفَ عَلَى ذَلِكَ مِمَّا قَدْ رَوَيْنَاُه عَنْهُ مِمَّا لَمْ يُوقَفْ عَلَيْهِ عُثْمَانَ. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْضًا مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ (١٩١).

قَالَ الشَّافِعِيُّ: ثُمَّ بَعْدَ قَوْلِ: "أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" يَقْرَأُ مُرَتِّلًا بِأُمِّ القُرْآنِ وَيَبْتَدِئُهَا بـ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ بِأُمِّ الْقُرْآنِ وَعَدَّهَا – أَيْ الْبَسْمَلَةَ – آيَةً (١٩٢). والحُجَّة فِي ذَلِكَ أَنَّهَا بَعْضُ الْفَاتِحَةِ، فَيُجْهَرُ بِهَا كَسَائِرِ أَبْعَاضِهَا، وَأَيْضًا فَقَدْ رَوَى النَّسَائِيُّ فِي سُنَنِهِ وَابْنُ خُزَيْمَةَ وَابْنُ حِبَّانٍ فِي صَحِيحَيْهِمَا، وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ صَلَّى فَجَهَرَ فِي قِرَاءَتِهِ بِالْبَسْمَلَةِ، وَقَالَ بَعْدَ أَنْ فَرَغَ: إِنِّي لَأَشْبَهُكُمْ صَلَاةً بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَصَحَّحَهُ الدَّارَقُطْنِيُّ وَالْخَطِيبُ وَالْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُمْ.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَفْتَتِحُ الصَّلَاةَ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. ثُمَّ قَالَ

---

١٩٠ – أي الصَوَابُ فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ البَسْمَلَةَ آيَةٌ مُنْفَصِلَةٌ فِي كُلِّ سُورَةٍ.

١٩١ – رَاجِعْ "شَرْحُ مُشْكِلِ الآثَارِ"، لِلطَّحَاوِيّ ج ٣/ ٤٠٧، تَحْقِيقُ: شُعَيب الأَرْنَؤُوط، مُؤَسَّسَةُ الرّسَالَةِ، الطَّبْعَةُ الأُولَى ١٤١٥ هـ- ١٤٩٤م.

١٩٢ – رَاجِعْ تَفْسِيرَ الإِمَامِ الشَّافِعِيّ، ج ١٩٢/١، جَمْعُ وَتَحْقِيقُ وَدِرَاسَةُ: د. أَحْمَد بْن مُصْطَفَى الفَرَّان (رِسَالَةُ دُكْتُورَاه)، دَارُ التَّدْمُرِيَّةِ – المَمْلَكَةُ العَرَبِيَّةُ السُّعُودِيَّةُ، الطَّبْعَةُ الأُوْلَى ١٤٢٧- ٢٠٠٦ م.

التِّرْمِذِيُّ: وَلَيْسَ إِسْنَادُهُ بِذَاكَ. وَقَدْ رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْهَرُ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ثُمَّ قَالَ: صَحِيحٌ.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قِرَاءَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "كَانَتْ قِرَاءَتُهُ مَدًّا، ثُمَّ قَرَأَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، يَمُدُّ بِسْمِ اللهِ، وَيَمُدُّ الرَّحْمَنِ، وَيَمُدُّ الرَّحِيمِ" (١٩٣).

وَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَسُنَنِ أَبِي دَاوُدَ، وَصَحِيحِ ابْنِ خُزَيْمَةَ، وَمُسْتَدْرَكِ الْحَاكِمِ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم يقطع قراءته: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾" (١٩٤). وَقَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

١٩٣ – الحَدِيثُ عِندَ البُخَارِيِّ رَقَم ٥٠٤٦، فِي كِتَابِ الصَّلاة، بَابُ مدّ القِرَاءَةِ.

١٩٤ – حَدِيثٌ صَحِيحٌ: وَهُوَ عِنْدَ الإِمَامِ أَحمَد فِي المُسنَدِ رَقَم ٢٦٦٢٥، وَفِي سُنَنِ أبي دَاوُدَ رَقَم ٤٠٠١، فِي كِتَاب الحُرُوفِ والقِرَاءَات، وَالحَاكِم فِي المُسْتَدرَك رَقَم ٢٩٠٩، وَالدَّارَقُطْنِيِّ رَقَم ١١٩١، وَقَالَ الدَّارَقُطنِيُّ: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، وَكُلُّهُمْ ثِقَاتٌ. وَالحَدِيثُ صَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ عِنْدَ أبي دَاوَدَ، وَصَحَّحَهُ شُعَيبُ الأَرنَؤُوطُ عِندَ أَحمَدَ فِي المُسند قَائِلًا: صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ وَهَذَا سَنَدٌ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ رِجَالُ الشَّيْخَيْنِ.

وَرَوَى الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ، عَنْ أَنَسٍ: "أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَلَّى بِالْمَدِينَةِ، فتَرَكَ الْبَسْمَلَةَ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ مَنْ حَضَرَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ذَلِكَ، فَلَمَّا صَلَّى الْمَرَّةَ الثَّانِيَةَ بَسْمَلَ" (١٩٥).

- **الْقَوْلُ الرَّابِعُ:** لِلإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَل، فِي إِحْدَى الرِّوَايَتَينِ، البَسْمَلَةُ عنْدَهُ آيَةٌ مِنَ الْفَاتِحَةِ، لَكِنْ يُسَرُّ بِهَا فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فَلَا يُسَنُّ الْجَهْرُ بِهَا.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ (١٩٦): مَا يَتَعَلَّقُ بِكَوْنِهَا مِنَ الْفَاتِحَةِ أَمْ لَا. قَالَ مَالِكٌ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَأَصْحَابُهُمَا: لَيْسَتْ آيَةً مِنَ الْفَاتِحَةِ وَلَا مِنْ غَيْرِهَا مِنَ السُّوَرِ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ فِي قَوْلٍ، فِي بَعْضِ طُرُقِ مَذْهَبِهِ: هِيَ آيَةٌ مِنَ الْفَاتِحَةِ وَلَيْسَتْ مِنْ غَيْرِهَا، وَعَنْهُ أَنَّهَا بَعْضُ آيَةٍ مِنْ أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ، وَهُمَا غَرِيبَانِ.

١٩٥ – رِجَالُهُ ثِقَاتٌ: أخرجَهُ الشَّافِعِيُّ فِي مُسندِه – تَرتِيبُ السِّندِيّ – رَقَم ٢٢٣؛ وَالدَّارَقُطنِيُّ رَقَم ١١٨٧، وَالحَاكِمُ فِي مُستَدرَكِهِ رَقَم ٨٥١، وَعَبدُ الرَّزَّاق فِي مُصَنَّفِهِ. وَلَفْظُهُ عِندَ الدّارَقُطنِيّ: "أَنَّ أَبَا بَكْرِ بْنَ حَفْصِ بْنِ عُمَرَ أَخْبَرَهُ، أَنَّ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَخْبَرَهُ، قَالَ: "صَلَّى مُعَاوِيَةُ بِالْمَدِينَةِ صَلَاةً فَجَهَرَ فِيهَا بِالْقِرَاءَةِ فَلَمْ يَقْرَأْ "بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" لِأُمِّ الْقُرْآنِ وَلَمْ يَقْرَأْهَا لِلسُّورَةِ الَّتِي بَعْدَهَا وَلَمْ يُكَبِّرْ حِينَ يَهْوِي حَتَّى قَضَى تِلْكَ الصَّلَاةَ فَلَمَّا سَلَّمَ نَادَاهُ مَنْ سَمِعَ ذَلِكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ: يَا مُعَاوِيَةُ أَسَرَقْتَ الصَّلَاةَ أَمْ نَسِيتَ؟ قَالَ: فَلَمْ يُصَلِّ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا قَرَأَ "بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" لِأُمِّ الْقُرْآنِ وَلِلسُّورَةِ الَّتِي بَعْدَهَا وَكَبَّرَ حِينَ يَهْوِي سَاجِدًا". وَقَالَ الحَاكِمُ: هَذَا صَحِيحٌ عَلَى شَرطِ مُسلِمٍ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ. وَقَالَ شُعَيبُ الأَرنَؤُوطُ: كَلُّهُم ثِقَاتٌ.

١٩٦ – رَاجِع تَفْسِيرَ ابْنِ كَثِيرٍ ج ١/ ١١٧.

وَقَالَ دَاوُدُ: هِيَ آيَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ فِي أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ لَا مِنْهَا، وَهَذِهِ رِوَايَةٌ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ. وَحَكَاهُ أَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْكَرْخِيِّ، وَهُمَا مِنْ أَكَابِرِ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالْجَهْرِ بِهَا، فَمُفَرَّعٌ عَلَى هَذَا؛ فَمَنْ رَأَى أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْفَاتِحَةِ فَلَا يَجْهَرُ بِهَا، وَكَذَا مَنْ قَالَ: إِنَّهَا آيَةٌ مِنْ أَوَّلِهَا، وأَمَّا مَنْ قَالَ بِأَنَّهَا مِنْ أَوَائِلِ السُّوَرِ فَاخْتَلَفُوا؛ فَذَهَبَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، إِلَى أَنَّهُ يَجْهَرُ بِهَا مَعَ الْفَاتِحَةِ وَالسُّورَةِ، وَهُوَ مَذْهَبُ طَوَائِفٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ سَلَفًا وَخَلَفًا، فَجَهَرَ بِهَا مِنَ الصَّحَابَةِ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَابْنُ عُمَرَ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُعَاوِيَةُ، وَحَكَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ وَالْبَيْهَقِيُّ عَنْ عُمَرَ وَعَلِيٍّ، وَنَقَلَهُ الْخَطِيبُ عَنِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ، وَهُمْ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ، وَهُوَ غَرِيبٌ. وَمِنَ التَّابِعِينَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وعِكْرِمة، وَأَبِي قِلابة وَالزُّهْرِيِّ، وَعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَابْنِهِ مُحَمَّدٍ، وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، وَعَطَاءٍ، وَطَاوُسٍ، وَمُجَاهِدٍ، وَسَالِمٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، وَأَبِي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، وَأَبِي وَائِلٍ، وَابْنِ سِيرِينَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ المنْكَدِرِ، وَعَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِهِ مُحَمَّدٍ، وَنَافِعٍ مَوْلَى ابْنِ عُمَرَ، وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَعُمَرَ بْنِ عَبدِ الْعَزِيزِ، وَالْأَزْرَقِ بْنِ قَيْسٍ، وَحَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ، وَأَبِي الشَّعْثَاءِ، وَمَكْحُولٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْقِل بْنِ مُقَرِّنٍ. زَادَ الْبَيْهَقِيُّ: وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ صفوان، ومحمد بن الْحَنَفِيَّةِ. زَادَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: وَعَمْرُو بْنُ دِينَارٍ. والحُجَّة فِي ذَلِكَ أَنَّهَا بَعْضُ الْفَاتِحَةِ، فَيُجْهَرُ بِهَا كَسَائِرِ أَبْعَاضِهَا، وَأَيْضًا فَقَدْ

رَوَى النَّسَائِيُّ فِي سُنَنِهِ وَابْنُ خُزَيْمَةَ وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحَيْهِمَا، وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ صَلَّى فَجَهَرَ فِي قِرَاءَتِهِ بِالْبَسْمَلَةِ، وَقَالَ بَعْدَ أَنْ فَرَغَ: إِنِّي لَأَشْبَهُكُمْ صَلَاةً بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَصَحَّحَهُ الدَّارَقُطْنِيُّ وَالْخَطِيبُ وَالْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُمْ.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَفْتَتِحُ الصَّلَاةَ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. ثُمَّ قَالَ التِّرْمِذِيُّ: وَلَيْسَ إِسْنَادُهُ بِذَاكَ. وَقَدْ رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْهَرُ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ثُمَّ قَالَ: صَحِيحٌ.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قِرَاءَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: كَانَتْ قِرَاءَتُهُ مَدًّا، ثُمَّ قَرَأَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، يَمُدُّ بِسْمِ اللهِ، وَيَمُدُّ الرَّحْمَنِ، وَيَمُدُّ الرَّحِيمِ (١٩٧).

وَرَوَى الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، وَالْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ، عَنْ أَنَسٍ: "أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَلَّى بِالْمَدِينَةِ، فَتَرَكَ الْبَسْمَلَةَ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِ مَنْ حَضَرَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ذَلِكَ، فَلَمَّا صَلَّى الْمَرَّةَ الثَّانِيَةَ بَسْمَلَ" (١٩٨).

---

١٩٧ – الحَدِيثُ عِندَ البُخَارِيِّ رَقَم ٥٠٤٦، فِي كِتَابِ الصَّلاة، بَابُ مدّ القِرَاءَةِ.

١٩٨ – رِجَالُهُ ثِقَاتٌ: أخرجَهُ الشَّافِعِيُّ فِي مُسنَدِه – تَرتِيبُ السِّندِيّ – رَقَم ٢٢٣؛ وَالدَّارَقُطنِيُّ رَقَم ١١٨٧، وَالحَاكِمُ فِي مُستَدرَكِهِ رَقَم ٨٥١، وَعَبدُ الرَّزَّاق فِي مُصَنَّفِهِ. وَلَفْظُهُ

وَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ الَّتِي أَوْرَدْنَاهَا كِفَايَةٌ وَمَقْنَعٌ فِي الِاحْتِجَاجِ لِهَذَا الْقَوْلِ عَمَّا عَدَاهَا، فَأَمَّا الْمُعَارَضَاتُ وَالرِّوَايَاتُ الْغَرِيبَةُ، وَتَطْرِيقُهَا، وَتَعْلِيلُهَا وَتَضْعِيفُهَا، وَتَقْرِيرُهَا، فَلَهُ مَوْضِعٌ آخَرُ.

وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّهُ لَا يُجْهَرُ بِالْبَسْمَلَةِ فِي الصَّلَاةِ، وَهَذَا هُوَ الثَّابِتُ عَنِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ، وَطَوَائِفٍ مِنْ سَلَفِ التَّابِعِينَ وَالْخَلَفِ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ، وَالثَّوْرِيِّ، وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ.

قَالَ الْقُرطُبِيُّ: وَالْفَيْصَلُ أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يُثْبَتُ بِالنَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ، وَإِنَّمَا يُثْبَتُ بِالنَّقْلِ الْمُتَوَاتِرِ الْقَطْعِيِّ الِاضْطِرَارِيِّ. ثُمَّ قَدِ اضْطَرَبَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ فِيهَا فِي أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ بِآيَةٍ مِنْ كُلِّ سُورَةٍ، وَالْحَمْدُ للهِ. فَإِنْ قيل: فَقَدْ رَوَى جَمَاعَةٌ قُرْآنِيَّتَهَا، وَقَدْ تَوَلَّى الدَّارَقُطْنِيُّ جَمْعَ ذَلِكَ فِي جُزْءٍ صَحَّحَهُ [١٩٩].

عِندَ الدّارَقُطنِيُّ: أَنَّ أَبَا بَكْرِ بْنَ حَفْصِ بْنِ عُمَرَ أَخْبَرَهُ، أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ أَخْبَرَهُ، قَالَ: "صَلَّى مُعَاوِيَةُ بِالْمَدِينَةِ صَلَاةً فَجَهَرَ فِيهَا بِالْقِرَاءَةِ فَلَمْ يَقْرَأْ "بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" لِأُمِّ الْقُرْآنِ وَلَمْ يَقْرَأْهَا لِلسُّورَةِ الَّتِي بَعْدَهَا وَلَمْ يُكَبِّرْ حِينَ يَهْوِي حَتَّى قَضَى تِلْكَ الصَّلَاةَ فَلَمَّا سَلَّمَ نَادَاهُ مَنْ سَمِعَ ذَلِكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ: يَا مُعَاوِيَةُ أَسَرَقْتَ الصَّلَاةَ أَمْ نَسِيتَ؟ قَالَ: فَلَمْ يُصَلِّ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا قَرَأَ "بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" لِأُمِّ الْقُرْآنِ وَلِلسُّورَةِ الَّتِي بَعْدَهَا وَكَبَّرَ حِينَ يَهْوِي سَاجِدًا". وَقَالَ الحَاكِمُ: هَذَا صَحِيحٌ عَلَى شَرطِ مُسلِمٍ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ. وَقَالَ شُعَيبُ الأَرنَؤُوطُ: كَلُّهُم ثِقَاتٌ.

١٩٩ – قَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ فِي سُنَنِهِ، بَابُ الجَهرِ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: وَقَدْ رَوَى الْجَهْرَ ببِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَمِنْ أَزْوَاجِهِ غَيْرُ مَنْ سَمَّيْنَا، ذَكَرْنَا أَحَادِيثَهُمْ بِذَلِكَ فِي بَابِ الْجَهْرِ بِهَا مُفْرَدًا وَاقْتَصَرْنَا هَاهُنَا عَلَى مَنْ

قُلْنَا: لَسْنَا نُنْكِرُ الرِّوَايَةَ بِذَلِكَ وَقَدْ أَشَرْنَا إِلَيْهَا، وَلَنَا أَخْبَارٌ ثَابِتَةٌ فِي مُقَابَلَتِهَا، رَوَاهَا الْأَئِمَّةُ الثِّقَاتُ وَالْفُقَهَاءُ الْأَثْبَاتُ (٢٠٠).

فَهَذِهِ مَآخِذُ الْأَئِمَّةِ رَحِمَهُمُ اللهُ، فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَهِيَ قَرِيبَةٌ؛ لِأَنَّهُمْ أَجْمَعُوا عَلَى صِحَّةِ صَلَاةِ مَنْ جَهَرَ بِالْبَسْمَلَةِ وَمَنْ أَسَرَّ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ (٢٠١).

لَطَائِفُ فِي هَذِهِ المَسْأَلَةِ

ذَكَرنَا أَنَّهُ لَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ قَاطِبَةً فِي أَنَّهَا جُزْءٌ مِنْ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ فِي سُورَةِ النَّمْلِ، حَيْثُ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ النمل: ٣٠. فَالْبَسْمَلَةُ فَاتِحَةُ كُلِّ شَيْءٍ، وهي فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، فهي بَرَكَةٌ مِنَ اللهِ وَأَمْرٌ، وَالْبَسْمَلَةُ هي الْآَيَةُ الْأُولَى مِنْ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الفاتحة: ١. كَمَا ذَهَبَ إِلَى ذَلِكَ أَصْحَابُ الْعَدَدِ الْمَكِّيِّ وَالْكُوفِيِّ – فِي عَدِّ آيِ الْقُرْآنِ – وَلَيْسَتْ آيَةً مُسْتَقِلَّةً في أَوَائِلِ كُلِّ سُورَةٍ، لِقَولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْآنَ ٱلْعَظِيمَ﴾ الحجر: ٨٧. وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي هِيَ

قَدَّمْنَا ذِكْرَهُ طَلَبًا لِلاِخْتِصَارِ وَالتَّخْفِيفِ وَكَذَلِكَ ذَكَرْنَا فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ أَحَادِيثَ مَنْ جَهَرَ بِهَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ وَالخَالِفِينَ بَعْدَهُمْ.

٢٠٠ – رَاجِع تَفْسِيرَ القُرطُبِيّ ج ٩٥/١.

٢٠١ – رَاجِع تَفْسِيرَ ابْنِ كَثِيرٍ ج ١١٧/١، تَحقِيقُ: سَامِي بن مُحَمَّد سَلَامَة، دَارُ طِيبَةَ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ – الطَّبْعَةُ الثَّانِيَةُ: ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

الْفَاتِحَةُ؛ فَالفَاتِحَةُ سَبْعَ آيَاتٍ، الَّذِينَ قَالُوا: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ آيَةً مِنْهَا، وَهَذَا هُوَ الرَّاجِحُ، كَمَا في صَحِيحِ ابْنِ خُزَيْمَةَ، عَنْ أُمِّ سلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَدَّ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ آيَةً مِنَ الْفَاتِحَةِ؛ وَالَّذِينَ لَمْ يَجْعَلُوهَا آيَةً مِنَ الْفَاتِحَةِ قَالُوا: الآيَةُ السَّادِسَةُ: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ (٦) هذه آية، و﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (٧) هِيَ الآيَةُ السَّابِعَةُ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: قَالَ الْعُلَمَاءُ: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ قَسَمٌ مِنْ رَبِّنَا أَنْزَلَهُ عِنْدَ رَأْسِ كُلِّ سُورَةٍ، يُقْسِمُ لِعِبَادِهِ إِنَّ هَذَا الَّذِي وَضَعْتُ لَكُمْ يَا عِبَادِي فِي هَذِهِ السُّورَةِ حَقٌّ، وإني أوفي لَكُمْ بِجَمِيعِ مَا ضَمَّنْتُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ مِنْ وَعْدِي وَلُطْفِي وَبِرِّي [٢٠٢].

وَأخرج عبد الرَّزَّاق وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَالطَّبَرَانِيُّ وَابْنُ مرْدَوَيْه عَن سلمَانِ الْفَارِسِي: "لَا يدْخلُ الْجنَّةَ أحد إِلَّا بجوار بِسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم هَذَا كتاب من الله لفُلَان بن فلَان أَدْخِلُوهُ جَنَّةً عَالِيَةً، قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ" [٢٠٣].

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الوَرَّاقُ رَحِمَهُ اللهُ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ [٢٠٤].

---

٢٠٢ – رَاجِعْ تَفْسِيرَ القُرْطُبِيّ ج ١/٩١.

٢٠٣ – رَاجِعْ تَفْسِيرَ الدُّرّ المَنْثُور فِي التَفْسِيرِ بِالمَأثُورِ، لِلسُّيُوطِيّ، ج ١٤/٦٧٥، دَار هَجر – مَصْر ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٢٠٤ – الكشف والبيان — الثعلبي/ الجزء الأول / تفسير سورة الفاتحة ص٢٣.

﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: أَرْبَعُ كَلِمَاتٍ، وَالذُّنُوبُ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ: ذُنُوبُ اللَّيْلِ، وَذُنُوبُ النَّهَارِ، وَذُنُوبُ السِّرِّ، وَذُنُوبُ الْعَلَانِيَةِ، فَمَنْ قَالَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْأَرْبَعَ عَلَى إِخْلَاصٍ وَصَفَاءٍ غَفَرَ اللهُ لَهُ الْأَنْوَاعَ الْأَرْبَعَةَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَنَا [٢٠٥].

عَدَدُ حُرُوفِ الْبَسْمَلَةِ تِسْعَةَ عَشَرَ حَرْفًا، وَعَدَدُ خَزَنَةِ جَهَنَّمَ تِسْعَة عَشَرَ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ المدثر: ٣٠.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَجِّيَهُ اللَّهُ مِنَ الزَّبَانِيَةِ التِّسْعَةِ عَشَرَ فَلْيَقْرَأْ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ لِيَجْعَلَ اللهُ تَعَالَى لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا جُنَّةً مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ. فَالْبَسْمَلَةُ تِسْعَة عَشَرَ حَرْفًا عَلَى عَدَدِ مَلَائِكَةِ أَهْلِ النَّارِ الَّذِينَ قال الله فيهم: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ المدثر: ٣٠ وَهُمْ يَقُولُونَ فِي كُلِّ أَفْعَالِهِمْ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ فَمِنْ هُنَاكَ هِيَ قُوَّتُهُمْ، وَبِبِسْمِ اللهِ اسْتَضْلَعُوا [٢٠٦].

رَوَى الشُّعَبِيُّ وَالْأَعْمَشُ: "أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَكْتُبُ "بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ" حَتَّى أُمِرَ أَنْ يُكْتَبَ "بِسْمِ اللهِ" فَكَتَبَهَا، فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿قُلِ ادْعُواْ اللَّهَ أَوِ ادْعُواْ

---

٢٠٥ – رَاجِع كِتَاب "لَمَحَاتُ الأَنْوَارِ وَنَفَحَاتُ الأَزْهَارِ" وَ"رَيُّ الظَّمْآنِ لِمَعْرِفَةِ مَا وَرَدَ مِنَ الآثَارِ فِي ثَوَابِ قَارِئِ القُرْآنِ"، ج ٤٧٢/١، تَأْلِيفُ: مُحَمَّد بْن عَبْد الوَاحِدِ بْن إِبْرَاهِيمَ الغَافَقِيّ (٥٤٩-٦١٩ هـ)، تَحْقِيقُ الدُّكتُور رِفْعَتْ فَوْزِي عَبْد المُطَّلِبِ، دَارُ البَشَائِرِ الإِسْلَامِيَّة، الطَّبْعَةُ الأولَى ١٤١٨ هـ- ١٩٩٧ م.

٢٠٦ – رَاجِعْ تَفْسِيرَ القُرْطِبِيّ ج ٩٢/١، دَار الكُتُبِ المِصْرِيَّةِ القَاهِرَة، الطَّبْعَةُ الثَّانِيَةُ ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

الرَّحْمَنَ﴾ كَتَبَ {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ} فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ كَتَبَهَا" [٢٠٧].

قَالَ القُرْطُبِيُّ: فَمَعْنَى "بِسْمِ اللهِ"، أَيْ بِاللهِ. وَمَعْنَى "بِاللهِ" أَيْ بِخَلْقِهِ وَتَقْدِيرِهِ يُوصَلُ إِلَى مَا يُوصَلُ إِلَيْهِ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَى قَوْلِهِ "بِسْمِ اللهِ" يَعْنِي بَدَأْتُ بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ وَبَرَكَتِهِ، وَهَذَا تَعْلِيمٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى عِبَادَهُ، لِيَذْكُرُوا اسْمَهُ عِنْدَ افْتِتَاحِ الْقِرَاءَةِ وَغَيْرِهَا، حَتَّى يَكُونَ الاِفْتِتَاحُ بِبَرَكَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ [٢٠٨].

الْجَارُّ والمجرورُ فِي قَوْلِهِ {بِسْمِ اللهِ} اخْتَلَفَ فِيهِ النَّحويُّونَ عَلَى وَجْهَيْنِ:

أ- **مَذْهَبُ البَصْرِيِّينَ:** أَنَّهُ فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ، لِأَنَّهُ خَبَرُ مُبْتَدَأ مَحْذُوفٍ، وَتَقْدِيرُهُ: ابْتِدَائِي "بِسْمِ اللهِ".

ب- **مَذْهَبُ الكُوفِيِّينَ:** أَنَّهُ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بِفِعْلٍ مُقَدَّرٍ وَتَقْدِيرُهُ: ابْتَدَأْتُ "بِسْمِ اللهِ" [٢٠٩]. فَالْجَارُّ والْمَجْرُورُ فِي قَوْلِهِ "بسْمِ" مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ يُمْكِنُ تَقْدِيرُهُ فِعْلًا، وَيُمْكِنُ تَقْدِيرُهُ اسْمًا. وَفِي كِلْتَا الحَالَتَيْنِ يُمْكُنُ تَقْدِيمُ الْمُقَدَّرِ وَتَأْخِيرُهُ. فَإِذَا قُلْتُ مَثَلًا فِي ابْتِدَاءِ قِرَاءَتِي "بِسْمِ اللهِ" كَانَ

---

٢٠٧ - رَاجِعْ الْمَصْدَرَ السَّابِقَ.

٢٠٨ - رَاجِع تَفْسِير الْقُرْطُبِيّ ج ٩٨/١.

٢٠٩ - رَاجِع "رَوَائِعُ البَيَانِ فِي تَفْسِيرِ آيَاتِ الأحكَام"، تَأْلِيف: مُحَمَّد عَلِيّ الصَّابُونِي، مَكْتَبَةُ الغَزَالِيّ - دِمَشْق، مُؤَسَّسَة مَنَاهِلِ العِرْفَانِ - بَيْرُوت، الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ ١٤٠٠ هـ- ١٩٨٠م.

التَّقْدِيرُ "بِسْمِ اللهِ أَقْرَأُ" أَوْ "بِسْمِ اللهِ قِرَاءَتِي" أَوْ "أَقْرَأُ بِسْمِ اللهِ"، أَوْ "قِرَاءَتِي بِسْمِ اللهِ".

وَوَرَدَ فِي الْقُرآنِ الكَرِيمِ كِلا التَّقْدِيرَيْنِ. فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ العلق: ١. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ هود: ٤١.

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِنَّ "بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ" تَضَمَّنَتْ جَمِيعَ الشَّرْعِ، لِأَنَّهَا تَدُلُّ عَلَى الذَّاتِ وَعَلَى الصِّفَاتِ [٢١٠]. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ الإسراء: ٤٦، قَالَ مَعْنَاهُ: إِذَا قُلْتَ ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾ [٢١١].

{اللهُ}: لَفْظُ الْجَلَالَةِ، عَلَمٌ عَلَى ذَاتِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَالرَّبُّ هُوَ: الْمَالِكُ الْمُتَصَرِّفُ، وَهُوَ الْمَأْلُوهُ الْمَعْبُودُ، ذُو الْأُلُوهِيَّةِ وَالعُبُودِيَّةِ عَلَى خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ وَالْمُسْتَحِقُّ وَحْدَهُ لِلإِفْرَادِ بِالْعِبَادَةِ لِمَا اتَّصَفَ بِهِ مِنْ صِفَاتِ الْأُلُوهِيَّةِ وَهِيَ صِفَاتُ الْكَمَالِ. وَاسْمُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا يُسَمَّى بِهِ غَيْرُه.

{اللهُ}: إِنَّهُ الاسْمُ الأَعْظَمُ، وَهُوَ أَصْلُ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى كُلِّهَا، وَكُلُّ الأَسْمَاءِ تَوَابِعُ لَهُ، يُوصَفُ بِهَا كُلِّهَا، وَلَا يُوْصَفُ شَيءٌ مِنْهَا بِهِ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: "إِنَّهُ الِاسْم الْأَعْظَم لِأَنَّهُ يُوصَفُ بِجَمِيعِ الصِّفَات كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ

٢١٠ – رَاجِع تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيّ ج ١/٩١.
٢١١ – رَاجِع تَفْسِير الْقُرْطُبِيّ ج ١٠/٢٧١.

اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤)﴾ الحشر: ٢٢-٢٤، فَأَجْرَى الْأَسْمَاءَ الْبَاقِيَةَ كُلَّهَا صِفَاتٍ لَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ الأعراف: ١٨٠، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ ادْعُواْ اللَّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾ الإسراء: ١١٠ [٢١٢].

وَفِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، لَا يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَهُوَ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ" [٢١٣].

وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: اخْتَلَفَ العُلَمَاءُ فِي اسْمِ اللهِ الَّذِي هُوَ "اللهُ" فَقَالَ قَوْمٌ: إِنَّهُ مُشْتَقٌّ، وَقَالَ آخَرُونَ: إِنَّهُ عَلَمٌ لَيْسَ بِمُشْتَقٍ. وَفِيهِ عَنْ الْخَلِيلِ رِوَايَتَانِ:

- ❖ إِحْدَاهُمَا: أَنَّهُ لَيْسَ بِمُشْتَقٍ، وَلَا يَجُوزُ حَذْفُ الْأَلِفِ وَاللَّامِ مِنْهُ كَمَا يَجُوزُ مِنَ الرَّحْمَانِ.
- ❖ وَالثَّانِيَةُ: رَوَاهَا عَنْهُ سِيبَوَيْهُ: أَنَّهُ مُشْتَقٌ. وَذَكَرَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ أَنَّ أَصْلَهُ فِي الْكَلَامِ مُشْتَقٌ مِنْ: أَلِهَ الرَّجُلُ يَأْلَهُ: إِذَا فَزِعَ إِلَيْهِ

---

٢١٢ - رَاجِع تَفْسِير ابْنِ كَثِير ج ١/١٩٢.

٢١٣ - مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رَوَاهُ البُخَارِيُّ رَقْمَ ٦٤١٠، فِي كِتَابِ الدَّعوات، بَابُ: للهِ مَائَةُ اسْمٍ غَيْرَ وَاحِدَة، وَرَوَاهُ مُسْلِمُ، وَاللَّفْظُ لَهُ، رَقْمَ ٥-٢٦٧٧، فِي كِتَابِ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ، بَاب: فِي أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَى وَفَضْل مَنْ أَحْصَاهَا. وَقَالَ: وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أبي عُمَرَ: "مَنْ أَحْصَاهَا".

مِنْ أَمْرٍ نَزَلَ بِهِ. فَأَلِهَهُ، أَيْ: أَجَارَهُ وَأَمَّنَهُ، فَسُمِّيَ إِلَهًا كَمَا يُسَمَّى الرَّجُلُ إِمَامًا. وَقَالَ غَيْرُهُ: أَصْلُهُ "وِلَاهٌ" فَأُبْدِلَت الْوَاوُ هَمْزَةً فَقِيلَ: "إِلَهٌ" كَمَا قَالُوا: وِسَادَةٌ وَإِسَادَةٌ، وَوِشَاحٌ وَإِشَاحٌ. وَاشْتُقَّ مِنَ الْوَلَهْ، لِأَنَّ قُلُوبَ الْعِبَادِ تُولَهُ نَحْوَهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ النحل: ٥٣. وَكَأَنَّ القِيَاسَ أَنْ يُقَالَ: مَأْلُوهٌ، كَمَا قِيْلَ: مَعْبُودٌ، إِلَّا أَنَّهُمْ خَالَفُوا بِهِ الْبِنَاءَ لِيَكُونَ عَلَمًا، كَمَا قَالُوا لِلْمَكْتُوبِ: كِتَابٌ، وَلِلْمَحْسُوبِ: حِسَابٌ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَصْلُهُ مِنْ: أَلِهَ الرَّجُلُ يَأْلَهُ إِذَا تَحَيَّرَ، لِأَنَّ الْقُلُوبَ تَتَحَيَّرُ عِنْدَ التَّفَكُّرِ فِي عَظَمَتِهِ. وَحُكِيَ عَنْ بَعْضِ اللُّغَوِيِّينَ: أَلِهَ الرَّجُلُ يَأْلَهُ إِلَاهَةً، بِمَعْنَى: عَبَدَ يَعْبُدُ عِبَادَةً. وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: {وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ} أَيْ: عِبَادَتَكَ. قَالَ: وَالتَّأَلُّهُ: التَّعَبُّدُ [(٢١٤)].

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَقَالَ الْكِسَائِيُّ وَالْفَرَّاءُ: مَعْنَى {بِسْمِ اللهِ} بِسْمِ الْإِلَهِ، فَحَذَفُوا الْهَمْزَةَ وَأَدْغَمُوا اللَّامَ الْأُولَى فِي الثَّانِيَةِ فَصَارَتَا لَامًا مُشَدَّدَةً، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ الكهف: ٣٨، وَمَعْنَاهُ، لَكِن أَنَا، كَذَلِكَ قَرَأَهَا الْحَسَنُ. ثُمَّ قِيلَ: هُوَ مُشْتَقٌّ مِنْ "وَلَهَ" إِذَا تَحَيَّرَ، وَالْوَلَهُ: ذَهَابُ الْعَقْلِ. يُقَالُ: رجلٌ وَلِهٌ وَامْرَأَةٌ وَالِهَةٌ وَوَالِهٌ، وَمَاءٌ مُولَهٌ: أُرْسِلَ فِي الصحاري. فالله سبحانه تتحير الْأَلْبَابُ وَتَذْهَبُ فِي حَقَائِقِ صِفَاتِهِ وَالْفِكرُ فِي مَعْرِفَتِهِ. فَعَلَى هَذَا أَصْلُ "إِلَاهٍ": "وِلَاهٌ" وَأَنَّ الْهَمْزَةَ مُبْدَلَةٌ مِنْ وَاوٍ كَمَا أُبْدِلَتْ فِي إِشَاحٍ وَوِشَاحٍ، وَإِسَادَةٍ وَوِسَادَةٍ، وَرُوِيَ عَنِ الْخَلِيلِ. وَرُوِيَ عَنِ الضَّحَّاكِ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّمَا سُمِّيَ "اللهُ" إِلَهًا لِأَنَّ الْخَلْقَ يَتَأَلَّهُونَ إِلَيْهِ فِي

---

٢١٤ – رَاجِعْ تَفْسِيرَ زَادِ الْمَسِيرِ، لابْنِ الجَوْزِيِّ، ج ١/١٦، دَار الكِتَابِ العَرَبِيّ – بَيْرُوت، الطَّبْعَةُ الأُولَى ١٤٢٢ هـ.

حَوَائِجِهِمْ، وَيَتَضَرَّعُونَ إِلَيْهِ عِنْدَ شَدَائِدِهِمْ. وَذُكِرَ عَنِ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ أَنَّهُ قَالَ: لِأَنَّ الْخَلْقَ يَأْلَهُونَ إِلَيْهِ "بِنَصْبِ اللَّامِ" وَيَأْلِهُونَ أَيْضًا "بِكَسْرِهَا" وَهُمَا لُغَتَانِ.

وَقِيلَ إِنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنَ الارْتِفَاعِ، فَكَانَتِ العَرَبُ تَقُولُ لِكُلِّ شيء مُرْتَفِعٍ: لَاهًا فَكَانُوا يَقُولُونَ إِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ: لَاهَتْ. وَقِيلَ: هُوَ مُشْتَقٌّ مِنْ أَلِهَ الرَّجُلِ إِذَا تَنَسَّكَ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ} عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ، فَإِنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَغَيْرَهُ قَالُوا: وَعِبَادَتَكَ. قَالُوا: فَاسْمُ اللهِ مُشْتَقٌّ مِنْ هَذَا، فَاللهُ سُبْحَانَهُ مَعْنَاهُ الْمَقْصُودُ بِالْعِبَادَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْمُوَحِّدِينَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، مَعْنَاهُ لَا مَعْبُودَ غَيْرُ اللهِ. و"إِلَّا" فِي الْكَلِمَةِ بِمَعْنَى غَيْرِ، لَا بِمَعْنَى الِاسْتِثْنَاءِ [٢١٥].

فَاللهُ بِمَعْنَى الْإِلَهُ؛ أَيْ: الْمَعْبُودُ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِنَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ أَيْ: لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ.

وَالبَسْمَلَةُ وَهِيَ بسْمِ اللهِ، تُشْرَعُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ عَلَى وَجْهِ الشَّرْطِيَّةِ، وَتُشْرَعُ فِي بَعْضِهَا عَلَى وَجْهِ الاسْتِحْبَابِ. فَذِكْرُ اسْمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ شَرْطٌ فِي مَوْضِعَيْنِ: عِنْدَ الْوُضُوءِ وَعِنْدَ الذَّبْحِ.

- أَمَّا عِنْدَ الوُضُوءِ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلَهِ وَسَلَّمَ: "لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا وُضُوءَ لَهُ، وَلَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِ"

٢١٥ – رَاجِعْ تَفْسِير القُرْطُبِيّ ج ١٠٢/١، تَحْقِيق: أَحْمَد البَرْدُونِيّ وَإِبْرَاهِيم أَطْفِيش، دَار الكُتُبِ المِصْرِيَّةِ – القَاهِرَة، الطَّبْعَةُ الثَّانِيَةُ ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

[٢١٦]. فَقَوْلُهُ: "وَلَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِ"، كَقَولِهِ: "لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا وُضُوءَ لَهُ". وَكَمَا أَنَّ الْمَعْنَى: لَا صَلَاةَ صَحِيحَةً لِمَنْ لَا وُضُوءَ لَهُ، فَإِنَّ قَوْلَهُ: "وَلَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكرِ اسْمَ اللهِ تَعَالَى عَلَيْهِ"، مَعْنَاهُ: لَا وُضُوءًا صَحِيحًا لِمَنْ لَمْ يَذْكُر اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ.

فَالتَّسْمِيَةُ فِي أَوَّلِ الْوُضُوءِ شَرْطٌ فِي صِحَّةِ الْوُضُوءِ.

- وَكَذَلِكَ التَّسْمِيَةُ عِنْدَ الذَّبْحِ شَرْطٌ فِي حِلِّ الذَّبِيْحَةِ؛ لِأَنَّ اللهَ أَمَرَ بِالْأَكْلِ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ، وَنَهَى عَنْ الْأَكْلِ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ الأنعام: ١١٨. وَقَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ الأنعام: ١٢١. فَالتَّسْمِيَةُ فِي هَذِيْنِ الْمَوْضِعَيْنِ شَرْطٌ، لَا تَحِلُّ الذَّبِيْحَةُ إِذَا تُرِكَتِ التَّسْمِيَةُ عَمْدًا، وَلَا يَصِحُّ الْوُضُوءُ إِذَا تُرِكَتُ التَّسْمِيَةِ عَمْدًا. أَمَّا الْجَاهِلُ وَالنَّاسِي عِنْدَ الْوُضُوءِ، وَعِنْدَ الذَّبحِ فَنَرْجُو اللهَ لَهُمَا الْعَافِيَةَ، لِأَنَّ اللهَ عَلَّمَنَا فِي دُعَائِنَا إِيَّاهُ أَنْ نَقُولَ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ البقرة: ٢٨٦. عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم

---

٢١٦ – حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ رَقَمْ ١٠١، فِي كِتَابِ الطَّهَارَةِ، بَابُ: التَّسْمِيَةِ عَلَى الْوُضُوءِ. وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة: ٢٨٤، قَالَ: دَخَلَ قُلُوبَهُمْ مِنْهَا شَيْءٌ لَمْ يَدْخُلْ قُلُوبَهُمْ مِنْ شَيْءٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا" قَالَ: فَأَلْقَى اللهُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ. ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ. ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ [٢١٧]. وَالشَّاهِدُ: أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يُؤَاخِذُ عِبَادَهُ عَلَى النِّسْيَانِ وَالخَطَأِ، وَلَا يُحَمِّلُ النَّفْسَ إِلَّا مَا تُطِيقُ، وَلَا يُعَذِّبُ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا عَذَّبَ بِهِ الْأُمَمَ السَّابِقَةَ، فَهُوَ بِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ غَفُورٌ رَحِيْمٌ، سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ وَتَقَدَّسَ اسْمُهُ.

- وَمِمَّا تُشْرَعُ عِنْدَهُ التَّسْمِيَةُ عَلَى وَجْهِ الاسْتِحْبَابِ عِنْدَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ فَيُسْتَحَبُّ لِمَنْ أَرَادَ الأَكْلَ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللهِ، وَيُسْتَحَبُّ لِمَنْ أَرَادَ الشُّرْبَ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللهِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يُذْكَرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ" [٢١٨].

---

٢١٧ – رَوَاهُ مُسْلِمُ رَقَم ٢٠٠–١٢٦، فِي كِتَابِ الإِيمَانِ، بَاب: صِدْق الْإِيمَان وَإِخْلَاصه.

٢١٨ – رَوَاهُ مُسْلِمُ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رَقَم ١٠٢–٢٠١٧، فِي كِتَابِ الأَشْرِبَةِ، بَاب: آدَاب الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَأَحْكَامهما. وَلَفْظُهُ: كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى

وَالْمَعْنَى: إنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ الذي لم يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ. وَلَمَّا أَكَلَ عُمَرُ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، رَبِيبُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ، طَاشَتْ يَدُهُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا غُلَامُ، سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ" (٢١٩). وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ بِسْمِ اللهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ" (٢٢٠).

- وَتُسْتَحَبُّ التَّسْمِيَةُ عِنْدَ إِرَادَةِ التَّعَرِّي؛ فَإِذَا أَرَادَ العَبْدُ أَنْ يَخْلَعَ ثِيَابَهُ، قَبْلَ أَنْ يَتَعَرَّى يَقُولُ: بِسْمِ اللهِ، حَتَّى لَا يَرَاهُ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ فِي حَقِّ الشَّيْطَانِ: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ الأعراف: ٢٧. فَإِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ اسْمَ اللهِ قَبْلَ أَنْ يَتَعَرَّى، جَعَلَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّيْطَانِ حِجَابًا مَسْتُورًا، وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "سَتْرُ مَا بَيْنَ

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَامًا لَمْ نَضَعْ أَيْدِيَنَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضَعَ يَدَهُ، وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ، فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهَا، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يُذْكَرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا، فَجَاءَ بِهَذَا الْأَعْرَابِيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدِهَا".

٢١٩ - رَوَاهُ البُخَارِيُّ رَقَم ٥٣٧٦، فِي كِتَابِ الأَطْعِمَةِ، بَاب: التَّسْمِيَة عَلَى الطَّعَامِ وَالأَكْل بِاليَمِينِ.

٢٢٠ - حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَة رَضِي اللهُ عَنْهَا، رقَم ٣٧٦٧، فِي كِتَابِ الأَطْعِمَةِ، بَاب: التَّسْمِيَة عَلَى الطَّعَامِ. وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

أَعْيُنِ الجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ: إِذَا دَخَلَ أَحَدُهُمُ الخَلَاءَ، أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللهِ" (٢٢١).

- وَكَذَلِكَ تُسْتَحَبُّ التَّسْمِيَةُ عِنْدَ دُخُولِ الخَلَاءِ، أَيْ قَبْلَ دُخُولِ الْخَلَاءِ مُبَاشَرَةً، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ "بِسْمِ اللهِ"، لَا تَرَاهُ الشَّيَاطِينُ، فَهَدْيُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ قَالَ: "بِسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ" (٢٢٢).

- كَمَا تُسْتَحَبُّ التَّسْمِيَةُ عِنْدَ الْجِمَاعِ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ، فَقَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ

---

٢٢١ - حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ رَقَمْ ٦٠٦، فِي كِتَابِ الجُمعَةِ، بَاب: مَا ذُكِرَ مِن التَّسْمِيَةِ عِنْدَ دُخُولِ الخَلَاءِ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَإِسْنَادُهُ لَيْسَ بِذَاكَ الْقَوِيّ. وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ. قُلْتُ: هَذَا الْحَدِيثُ صَحِيحٌ وَرُوَاتُهُ ثِقَاتٌ.

٢٢٢ - حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْمُعْجَمِ الأَوْسَطِ، مِنْ حَدِيثِ أَنَسَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رَقَمْ ٢٨٠٣، وَقَالَ: لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ إِلَّا عَدِيٌّ، تَفَرَّدَ بِهِ قَطَنٌ. قَالَ الأَلْبَانِيُّ: قَوْلُهُ: "بِسْمِ اللهِ" غَلَطٌ مِن الرَّاوِي فِي مَتْنِ الحَدِيث. قُلْتُ: الْمَتْنُ بِدُونِ التَّسْمِيَةِ رَوَاهُ الجَمَاعَةُ وَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ، وَرَوَاةُ الطَّبَرَانِيُّ ثِقَاتٌ وَزِيَادَةُ التَّسْمِيَةِ صَحِيْحَةٌ بِصِحَّةِ السَّنَدِ. قَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي فَتْحِ البَارِي ج ١/٢٤٤: وَقَدْ رَوَى الْعُمَرِيُّ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْمُخْتَارِ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ بِلَفْظِ الْأَمْرِ قَالَ: "إِذَا دَخَلْتُمُ الْخَلَاءَ الذِّكْرُ عِنْدَ دُخُولِهِ إِذَا كَانَ مُعَدًا لِقَضَاءِ الحَاجَةِ أَوْ غَيْرَ مُعَدٍ فَقُولُوا: بِسْمِ اللَّهِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ" وَإِسْنَادُهُ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَفِيهِ زِيَادَةُ التَّسْمِيَةِ وَلَمْ أَرَهَا فِي غَيْرِ هَذِهِ الرِّوَايَةِ.

الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا" (٢٢٣).

- كَمَا تُسْتَحَبُّ التَّسْمِيَةُ عِنْدَ دُخُولِ الْبَيْتِ كَمَا فِي الحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ، وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ، فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ" (٢٢٤). فَلَا يُنْسِينَا الشَّيْطَانُ ذِكْرَ اللهِ عِنْدَ دُخُولِ البَيْتِ. وَيَحْرِصُ الْمُسْلِمُ عِنْدَ دُخُولِ البَيْتِ أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللهِ، السَّلَامُ عَلَيْكُمْ؛ فَتَهْرَبُ الشَّيَاطِينُ مِنْ بَيْتِهِ فَيَكُونُ فِي سَعَادَةٍ وَفَرَحٍ.

- كَمَا تُسْتَحَبُّ التَّسْمِيَةُ عِنْدَ الْخُرُوجِ مِنَ البَيْتِ، فَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ بِسْمِ اللهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ لَا حَوْلَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ". قَالَ: "يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ وَكُفِيتَ وَوُقِيتَ فَتَتَنَحَّى

---

٢٢٣ – مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، رَوَاهُ البُخَارِيُّ، وَاللَّفْظُ لَهُ، رَقَمْ ٦٣٩٦، فِي كِتَابِ الدَّعَوَاتِ، بَابُ: السُّؤَالِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَالِاسْتِعَاذَةِ بِهَا، وَرَوَاهُ مُسْلِمُ رَقَمْ ١١٦–١٤٣٤، فِي كِتَابِ النِّكَاحِ، بَابُ: مَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَهُ عِنْدَ الجِماعِ.

٢٢٤ – رَوَاهُ مُسْلِمُ مِنْ حَدِيثِ جَابِرَ بِن عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، رَقَمْ ١٠٣–٢٠١٨، فِي كِتَابِ الأَشْرِبَةِ، بَابُ: آدَابِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَأَحْكَامُهُمَا.

لَهُ الشَّيَاطِينُ فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟" (٢٢٥).

- وَتُسْتَحَبُّ التَّسْمِيةُ عِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ وَعِنْدَ الْخُرُوجِ مِنْهُ فَإِذَا دَخَلَ الْعَبْدُ الْمَسْجِدَ يُقَدِّمُ الرِّجْلَ الْيُمْنَى وَيَقُولُ: بِسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلِّمَ، اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ. وَإِذَا خَرَجَ قَدَّمَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى وَيَقُولُ: بِسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ، اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي ذُنُوبِي.

وَالشَّاهِدُ: أَنَّ الإِمَامَ البُخَارِيَّ بَوَّبَ بَابًا فِي كِتَابِ الصَّلَاةِ، قَالَ: بَابُ التَّيَمُّنِ فِي دُخُولِ الْمَسْجِدِ وَغَيْرِهِ. ثُمَّ قَالَ: وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَبْدَأُ بِرِجْلِهِ اليُمْنَى، فَإِذَا خَرَجَ بَدَأَ بِرِجْلِهِ اليُسْرَى. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ، فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ، فَلْيُسَلِّمْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ اعْصِمْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" (٢٢٦).

---

٢٢٥ – حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاودَ رَقَم ٥٠٩٥، فِي كِتَابِ الأَدَب، بَاب: مَا يَقُولُ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ. وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِّي.

٢٢٦ – حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ أَنَس بْن مَالِكٍ رضي اللهُ عَنْهُ، رَقَم ٧٧٣، فِي كِتَابِ المَسَاجِدِ وَالجَمَاعَاتِ، بَاب: الدُّعَاء عِنْدَ دخُوْلِ المَسْجِدِ. وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِّي.

- كَمَا تُسْتَحَبُّ التَّسْمِيَةُ عِنْدَ الرُّقيةِ، فَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَنِ اشْتَكَى، أَنْ يَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى مَوْضِعِ الْأَلَمِ وَيَقُولَ بِسْمِ اللهِ ثَلَاثًا، ثُمَّ يَقُولَ أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ، سبعًا. عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ، أَنَّهُ شَكَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمُ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ بِسْمِ اللهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ" (٢٢٧).

وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "يَا مُحَمَّدُ، اشْتَكَيْتَ؟ فَقَالَ: "نَعَمْ"، قَالَ: بِسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ اللهُ يَشْفِيكَ. بِاسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ" (٢٢٨).

فَهَذِهِ بَعْضُ الْمَوَاضِعِ الَّتِي تُسْتَحَبُّ فِيهَا التَّسْمِيَةُ. وَيَنْبَغِي لِمَنْ ذَكَرَ اسمَ اللهِ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى قَوْلِهِ: "بِسْمِ اللهِ" وَلَا يَزِيدَ: "الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"؛ لِأَنَّ الْأَذْكَارَ تَوْقِيفِيَّةٌ، لَا تَجُوزُ الزِّيَادَةُ عَلَيْهَا، وَلَا النَّقْصُ مِنْهَا، كَمَا فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ: "إِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ،

---

٢٢٧ - رَوَاهُ مُسْلِمُ رَقَم ٦٧-٢٢٠٢، فِي كِتَابِ السَّلَام، بَابُ اسْتِحْبَابِ وَضْعِ يَدِهِ عَلَى مَوْضِعِ الْأَلَمِ مَعَ الدُّعَاءِ.

٢٢٨ - رَوَاهُ مُسْلِمُ مِنْ حَدِيثِ أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رَقَم ٤٠-٢١٨٦، فِي كِتَابِ السَّلَام، بَابُ الطِّبِّ وَالْمَرَضِ وَالرُّقَى.

وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، وَاجْعَلْهُنَّ مِنْ آخِرِ كَلَامِكَ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، مُتَّ وَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ قَالَ: فَرَدَّدْتُهُنَّ لِأَسْتَذْكِرَهُنَّ فَقُلْتُ: آمَنْتُ بِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، قَالَ: "قُلْ: آمَنْتُ بِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ" (٢٢٩).

فَالبَرَاءُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اسْتَبْدَلَ بلَفْظِ نَبِيِّكَ، لَفْظَ رَسُولِكَ، قَالَ: وَرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، لَكِنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُقِرَّ لَهُ ذَلِكَ. قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ"، أَيْ قُل الذي أَمَرْتُكَ بِهِ: "وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسلْتَ". فَالْأَلْفَاظُ الشَّرْعِيَّةُ تَعَبُّدِيَّةٌ تَوْقِيفِيَّةٌ، لَا تَجُوزُ الزِّيَادَةُ عَلَيْهَا، وَلَا النَّقْصُ مِنْهَا. فَإِذَا أَرَدْنَا الْوُضُوءَ نَقُولُ: بِسْمِ اللهِ، وَلَا نَقُولُ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؛ وَعِنْدَ الطَّعَامِ نَقُولُ: بِسْمِ اللهِ، وَلَا نَقُولُ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؛ وَكَذَلِكَ عِنْدَ دُخُولِ الْخَلَاءِ، لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْمُتَقَدِّمِ قَالَ: "إذا أرادَ أحدُكم الخلاءَ فليقُلْ: بِسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ" (٢٣٠).

---

٢٢٩ – مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، رَوَاهُ البُخَارِيُّ رَقَم ٦٣١١، فِي كِتَابِ الدَّعَواتُ، بَابُ: إِذَا بَاتَ طَاهِرًا، وَرَوَاهُ مُسْلِمُ – وَاللَّفْظُ لَهُ – رَقَم ٥٦ – ٢٧١٠، فِي كِتَابِ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ، بَابُ: مَا يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ وَأَخْذُ الْمَضْجَع.

٢٣٠ – حَدِيْثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي المُعْجَمِ الأَوْسَطِ، مِنْ حَدِيثِ أَنَس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رَقَم ٢٨٠٣، وَتَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ. وَرَوَاهُ البُخَارِيُّ رَقَم ١٤٢، فِي كِتَابِ الوُضُوءِ، بَابُ مَا يَقُولُ عِنْدَ الخَلاَءِ، ولفظه: عَنْ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسًا، يَقُولُ: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الخَلاَءَ قَالَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ وَالخَبَائِثِ" تَابَعَهُ

فَهَلْ يَجُوزُ مِنْ حَيْثُ الرِّوَايَةِ، أَنْ نَرْوِي نَحْنُ؛ أَيْ أَنْ نَقُولَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الخَلَاءَ فَلْيَقُلْ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ"؟ لَا تَجُوزُ الرِّوَايَةُ بِالزِّيَادَةِ، كَمَا لَا تَجُوزُ بِالنَّقْصِ، لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُجِزْ لِأَحَدٍ فِعْلَ ذَلِكَ. إذنْ هذه الزيادةُ باطلةٌ، وَكَذِبٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَكَمَا لَا تَجُوزُ الزِّيَادَةُ فِي الرِّوَايَةِ، لَا تَجُوزُ الزِّيَادَةُ فِي العَمِلِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

بَعْدَ أَنْ بَدَأَ اللهُ سُبْحَانَه وَتَعَالَى قَوْلَهُ: {بِسْمِ اللهِ}، قَالَ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، فَقَدَّمَ لَفْظَ الْجَلَالَةِ {اللهُ} عَلَى الاسْمَيْنِ اللَّذَيْنِ هُمَا صِفَتَيْنِ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَحْدَهُ.

قَالَ الطَّبَرِيُّ: وَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: وَلِمَ قُدِّمَ اسْمُ اللَّهِ الَّذِي هُوَ اللهُ عَلَى اسْمِهِ الَّذِي هُوَ الرَّحْمَنُ، وَاسْمُهُ الَّذِي هُوَ الرَّحْمَنُ عَلَى اسْمِهِ الَّذِي هُوَ الرَّحِيمُ؟ قِيلَ: لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْعَرَبِ إِذَا أَرَادُوا الْخَبَرَ عَنْ مُخْبَرٍ عَنْهُ أَنْ يُقَدِّمُوا اسْمَهُ، ثُمَّ يُتْبِعُوهُ صِفَاتِهِ وَنُعُوتَهُ. وَهَذَا هُوَ الْوَاجِبُ فِي الْحُكْمِ: أَنْ يَكُونَ الِاسْمُ مُقَدَّمًا قَبْلَ نَعْتِهِ

ابْنُ عَرْعَرَةَ، عَنْ شُعْبَةَ، وَقَالَ غُنْدَرٌ، عَنْ شُعْبَةَ: "إِذَا أَتَى الخَلَاءَ" وَقَالَ مُوسَى عَنْ حَمَّادٍ "إِذَا دَخَلَ" وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ "إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ".

وَصِفَتِهِ، لِيَعْلَمَ السَّامِعُ الْخَبَرَ عَنِ الْمُخَبَرِ عنه. فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَكَانَ لِلَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ أَسْمَاءٌ قَدْ حَرَّمَ عَلَى خَلْقِهِ أَنْ يَتَسَمَّوْا بِهَا خَصَّ بِهَا نَفْسَهُ دُونَهُمْ، وَذَلِكَ مِثْلُ: "اللهِ، وَالرَّحْمَنِ وَالْخَالِقِ"؛ وَأَسْمَاءٌ أَبَاحَ لَهُمْ أَنْ يُسَمِّيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِهَا، وَذَلِكَ كَالرَّحِيمِ، وَالسَّمِيعِ، وَالْبَصِيرِ، وَالْكَرِيمِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْمَاءِ؛ كَانَ الْوَاجِبُ أَنْ يُقَدِّمَ أَسْمَاءَهُ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةً دُونَ جَمِيعِ خَلْقِهِ، لِيَعْرِفَ السَّامِعُ بذلك مَنْ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْحَمْدُ وَالتَّمْجِيدُ ثُمَّ يُتْبِعُ ذَلِكَ بِأَسْمَائِهِ الَّتِي قَدْ تَسَمَّى بِهَا غَيْرُهُ، بَعْدَ عِلْمِ الْمُخَاطَبِ أَوِ السَّامِعِ مَنْ تَوَجَّهَ إِلَيْهِ مَا يَتْلُو ذَلِكَ مِنَ الْمُعَانِي.(٢٣١)

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، اسْمَانِ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ يَدُلَّانِ عَلَى الذَّاتِ، وَعَلَى صِفَةِ الرَّحْمَةِ، دَالَّانِ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى ذُو الرَّحْمَةِ الوَاسِعَةِ العَظِيمَةِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ وَعَمَّتْ كُلَّ حَيٍّ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف: ١٥٦. وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ فِي الدُّنْيَا كُلَّ شَيْءٍ، فَسَأَكْتُبُهَا فِي الآخِرَةِ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ؛ كَتَبَهَا اللهُ جَلَّ وَعَلَا لِلْمُتَّقِينَ الْمُتَّبِعِينَ لِأَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ. وَقِيلَ: وَسِعَتْ فِي الدُّنْيَا البَرَّ وَالفَاجِرَ، وَهِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَاصَّةٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا.

٢٣١ - رَاجِعْ تَفْسِيرَ الطَّبَرِيِّ ج ١/١٣٢.

قَالَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: "الرَّحْمَنُ الْفَعْلَانُ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَهُوَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ. الرَّحْمَنِ الرَّحِيم: الرَّقِيقُ الرَّفِيقُ بِمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرْحَمَهُ، وَالْبَعِيدُ الشَّدِيدُ عَلَى مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُعَنِّفَ عَلَيْهِ. وَكَذَلِكَ أَسْمَاؤُهُ كُلُّهَا" (٢٣٢).

وَالْإِيمَانُ بِأَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ، وَأَحْكَامِ الصِّفَاتِ مِنْ الْقَوَاعِدِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهَا بَيْنَ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا فَيُؤْمِنُونَ مَثَلًا بِأَنَّهُ رَحْمَانٌ رَحِيمٌ ذُو الرَّحْمَةِ الَّتِي اتَّصَفَ بِهَا، الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْمَرْحُومِ. فَالنِّعَمُ كُلُّهَا أَثَرٌ مِنْ آثَارِ رَحْمَتِهِ، وَهَكَذَا فِي سَائِرِ الأَسْمَاءِ. يُقَالُ فِي الْعَلِيمِ: إِنَّهُ عَلِيمٌ ذُو عِلْمٍ، يَعْلَمُ كُلَّ شَيءٍ، قَدِيرٌ ذُو قُدْرَةٍ يَقْدِرُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ.

اشْتِقَاقُ اسْمَيْ: الرَّحْمَنِ والرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، اسْمَانِ مُشْتَقَّانِ مِنْ الرَّحمةِ عَلَى وَجْهِ الْمُبَالَغَةِ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَذَهَبَ الْجُمْهُورُ مِنَ النَّاسِ إِلَى أَنَّ "الرَّحْمَنَ" مُشْتَقٌّ مِنَ الرَّحْمَةِ مَبْنِيٌّ عَلَى الْمُبَالَغَةِ، وَمَعْنَاهُ ذُو الرَّحْمَةِ الَّذِي لَا نَظِيرَ لَهُ فِيهَا، فَلِذَلِكَ لَا يُثَنَّى وَلَا يُجْمَعُ كَمَا يُثَنَّى "الرَّحِيمُ" وَيُجْمَعُ. قَالَ ابْنُ الْحَصَّار: وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى الِاشْتِقَاقِ مَا خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ عَنْ عبد الرحمنِ بنِ عَوْفٍ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا الرَّحْمَانُ خَلَقْتُ

٢٣٢ – رَاجِعْ تَفْسِيرَ الطَّبَرِيِّ ج ١/١٢٩.

الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنَ اسْمِي فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ" [٢٣٣]. وَهَذَا نَصٌّ فِي الِاشْتِقَاقِ، فَلَا مَعْنَى لِلْمُخَالَفَةِ وَالشِّقَاقِ، وَإِنْكَارِ الْعَرَبِ لَهُ لِجَهْلِهِمْ بِاللَّهِ وَبِمَا وَجَبَ لَهُ [٢٣٤].

هَلْ الرَّحْمَنُ وَالرَّحِيمُ بِمَعْنًى وَاحِدٍ؟

قال الطبريُّ: أَمَّا الرَّحْمَنُ، فَهُوَ فَعْلَانَ، مِنْ رَحِمَ، وَالرَّحِيمُ فَعِيلٌ مِنْهُ. وَالْعَرَبُ كَثِيرًا مَا تَبْنِي الْأَسْمَاءَ مِنْ "فَعِلَ" يَفْعَلُ عَلَى فَعْلَانَ، كَقَوْلِهِمْ مِنْ غَضِبَ غَضْبَانُ، وَمِنْ سَكِرَ سَكْرَانُ، وَمِنْ عَطِشَ عَطْشَانُ، فَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ رَحْمَانُ مِنْ رَحِمَ، لِأَنَّ فَعَلَ مِنْهُ: رَحِمَ يَرْحَمُ. وَقِيلَ رَحِيمٌ وَإِنْ كَانَتْ عَيْنُ "فَعَلَ" مِنْهَا مَكْسُورَةً، لِأَنَّهُ مَدْحٌ. وَمِنْ شَأْنِ الْعَرَبِ أَنْ يَحْمِلُوا أَبْنِيَةَ الْأَسْمَاءِ إِذَا كَانَ فِيهَا مَدْحٌ أَوْ ذَمٌّ عَلَى "فَعِيلٍ"، وَإِنْ كَانَتْ عَيْنُ "فَعَلَ" مِنْهَا مَكْسُورَةً أَوْ مَفْتُوحَةً، كَمَا قَالُوا مِنْ "عَلِمَ": عَالِمٌ وَعَلِيمٌ، وَمِنْ قَدِرَ: قَادِرٌ وَقَدِيرٌ. وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْهَا بِنَاءً عَلَى

٢٣٣ – حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ رَقَم ١٩٠٧، فِي كِتَابِ البِرِّ وَالصِّلَة، بَاب: مَا جَاءَ فِي قَطِيعَةِ الرَّحِمِ. وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

٢٣٤ – رَاجِعْ تَفْسِيرَ القُرْطُبِيُّ ج ١/١٠٤، دَارُ الكُتُبِ المِصْرِيَّة – القَاهِرَةُ، الطَّبْعَةُ الثَّانِيَةُ ١٣٨٤هـ– ١٩٦٤م.

أَفْعَالِهَا؛ لِأَنَّ الْبِنَاءَ مِنْ فَعَلَ يَفْعِلُ وَفَعَلَ يَفْعَلُ فَاعِلٌ. فَلَوْ كَانَ الرَّحْمَانُ وَالرَّحِيمُ خَارِجَيْنِ عَنْ بِنَاءِ أَفْعَالِهِمَا لَكَانَتْ صُورَتُهُمَا الرَّاحِمُ" (٢٣٥).

وَالرَّحْمَانُ أَشَدُّ مُبَالَغَةً مِنْ الرَّحِيمِ، أَيْ ذُو الرَّحْمُةِ الْوَاسِعَةِ؛ وَلِهَذَا جَاءَ عَلَى وَزْنِ "فَعْلَانِ" الَّذِي يَدُلُّ عَلَى السَّعَةِ.

وَالرَّحِيمُ: أَيْ الْمُوَصِّلُ لِلرَّحْمَةِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ؛ وَلِهَذَا جَاءَتْ عَلَى وَزْنِ "فَعِيلٍ" الدَّالِّ عَلَى وُقُوعِ الفِعْلِ؛ فَهُنَا الرَحْمَةُ صِفَتُهُ؛ وَالرَّحْمَةُ الَّتِي أَثْبَتَهَا اللهُ لِنَفْسِهِ رَحْمَةٌ حَقِيْقِيَّةٌ دَلَّ عَلَيْهَا السَّمْعُ وَالْعَقْلُ؛ أَمَّا السَّمْعُ فَهُوَ مَا جَاءَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ إِثْبَاتِ الرَّحْمَةِ للهِ. وَهُوَ كَثِيرٌ جِدًا؛ وَأَمَّا العَقْلُ: فَكُلُّ مَا حَصَلَ مِنْ نِعْمَةٍ، أَوِ انْدَفَعَ مِنْ نِقْمَةٍ فَهُوَ مِنْ آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ (٢٣٦).

فَبَدَأَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِسْمِ اللهِ، وَوَصَفَهُ بِالرَّحْمَانِ؛ لِأَنَّهُ أَخَصُّ وَأَعْرَفُ مِنْ الرَّحِيمِ؛ لِأَنَّ التَّسْمِيَةَ أَوَّلَا إِنَّمَا تكُونُ بِأَشْرَفِ الأَسْمَاءِ؛ فَلِهَذَا ابْتَدَأَ بِالأَخَصِّ فَالأَخَصِّ.

أَمَّا هَلْ الرَّحْمَانُ وَالرَّحِيمُ بِمَعْنًى وَاحِدٍ؟ فَفِيهِ خِلَافٌ:

❖ **قال القرطبي:** وَاخْتَلَفُوا هَلْ هُمَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ أَوْ بِمَعْنَيَيْنِ؟ فَقِيلَ: هَمَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ، كَنَدْمَانَ وَنَدِيمٍ. قَالَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ وَقِيلَ: لَيْسَ بِنَاءُ فَعْلَانَ كَفَعِيلٍ، فَإِنَّ

---

٢٣٥ – رَاجِعْ تَفْسِيرَ الطَّبَرِيّ ج ١/١٣٦، تَحْقِيقُ: العَلَّامَة أَحْمَد شَاكِر، مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ، الطَّبْعَةُ الأُولَى ١٤٢٠ هـ– ٢٠٠٠ م.

٢٣٦ – رَاجِعْ تَفْسِيرَ الفَاتِحَةِ وَالبَقَرَةِ، لابْن عُثَيْمِينَ ج ١/٥–٦، دَارُ ابْن الجَوْزِيّ، السُّعُودِيَّة، الطَّبْعَةُ الأُولَى ١٤٢٣هـ.

فَعْلَانَ لَا يَقَعُ إِلَّا عَلَى مُبَالَغَةِ الْفِعْلِ، نَحْوَ قَوْلِكَ: رَجُلٌ غَضْبَانٌ، لِلْمُمْتَلِئِ غَضَبًا. وَفَعِيلٌ قَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ. قَالَ عَمَلَّسُ [٢٣٧]:

فَأَمَّا إِذَا عَضَّتْ بِكَ الْحَرْبُ عَضَّةً... فَإِنَّكَ مَعْطُوفٌ عَلَيْكَ رَحِيمٌ.

"فَالرَّحْمَانُ" خَاصُّ الِاسْمِ عَامُّ الْفِعْلِ. و"الرَّحِيمُ" عَامُّ الِاسْمِ خَاصُّ الْفِعْلِ. هَذَا قَوْلُ الْجُمْهُورِ.

❖ **وقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ:** "الرَّحْمانُ" اسْمٌ عَامٌّ فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ الرَّحْمَةِ، يَخْتَصُّ بِهِ اللهُ. "والرَّحِيمُ" إِنَّمَا هُوَ فِي جِهَةِ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ الأحزاب: ٤٣ [٢٣٨].

❖ **وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:** هُمَا اسْمَانِ رَقِيقَانِ، أَحَدُهُمَا أَرَقُّ مِنَ الْآخَرِ، أَيْ أَكْثَرُ رَحْمَةً [٢٣٩]. وَقِيلَ فِيهِمَا: الرَّحْمَانُ رَحْمَانُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالرَّحِيمُ رَحِيمُ

---

٢٣٧ – العَمْلَسُ: الذِّئْبُ. وَعَمَلَّسُ: هُوَ عَمَلَّسُ بْنُ عَقِيلٍ بْنُ عَلفَةَ المُرِّيّ، أَحَدَ الشُّعَرَاءِ، قَدِمَ مَعَ أَبِيهِ عَلَى بَعْضِ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةِ. رَاجِع: تَارِيخ مَدِينَةِ دِمَشْقٍ وَذِكْرُ فَضْلِهَا وَتَسْمِيَةُ مَنْ حَلَّهَا مِن الأَمَاثِلِ، تَأْلِيفُ: أَبِي القَاسِمِ عَلِيّ بْن الحَسَنِ بْن هِبَة اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الشَّافِعِيّ ٤٩٩ هـ-٥٧١ هـ، تَحْقِيقُ مُحِبّ الدِّينِ عُمَر بْنِ غَرَامَةَ العَمْرِيّ، دَارُ الفِكْرِ – بَيْرُوت، ١٩٩٥ م.

٢٣٨ – رَاجِعْ تَفْسِيرَ القُرْطُبِيّ ج ١/١٠٥، تَحْقِيقُ: أَحْمَدُ البَرْدُونِي وَإِبْرَاهِيمُ أَطْفِيشُ، دَارُ الكُتُبِ المِصْرِيَّةُ القَاهِرَةُ، الطَّبْعَةُ الثَّانِيَةُ ١٣٨٤هـ-١٩٦٤ م.

٢٣٩ – راجع تفسير القرطبي ج ١/١٠٦.

الْآخِرَةِ [٢٤٠]. يَعْنِي: رَحْمَةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الدُّنْيَا شَمِلَت الْمُؤْمِنِينَ وَالكَافِرِينَ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ فِي حَقِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٧. فَهَذَا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ الرَّحْمَانِ. وَلِذَلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ الفرقان: ٥٩. فَالرَّحْمَانُ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ، وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ طه: ٥، فَذَكَرَ الاسْتِوَاءَ بِاسْمِهِ الرَّحْمَانِ لِيُعْلِمَ جَمِيعَ خَلْقِهِ بِرَحْمَتِهِ [٢٤١].

الرَّحِيمُ، قَالَ: بِالْمُؤْمِنِينَ، حَيْثُ قَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ الأحزاب: ٤٣. فَخَصَّهُمْ بِاسْمِهِ الرَّحِيمِ، قَالُوا: فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الرَّحْمَانَ أَشَدُّ مُبَالَغَةً في الرَّحْمَةِ لِعُمُومِهَا فِي الدَّارَيْنِ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ؛ وَالرَّحِيمُ خَاصَّةٌ بِالْمُؤْمِنِينَ.

---

٢٤٠ – راجع تفسير ابن كثير ج ١/١١٩، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩ م.

٢٤١ – راجع تفسير ابن كثير ج ١/١٢٦، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م.

❖ **وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ** [٢٤٢]: "الرَّحْمانُ" إِذَا سُئِلَ أَعْطَى، و"الرَّحِيمُ" إِذَا لَمْ يُسْأَلْ غَضِبَ. وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ فِي سُنَنِهِ وَالتِّرْمِذِيُّ فِي جَامِعِهِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ" [٢٤٣]. لَفْظُ التِّرْمِذِيّ. وَقَالَ ابْنُ مَاجَة: "مَنْ لَمْ يَدْعُ اللهَ سُبْحَانَهُ غَضِبَ عليهِ" [٢٤٤]. وَقَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الخَطَّابِيُّ أَنْشَدَنِي الْخُزَيْمِيُّ:

لَا تَسْأَلَنَّ بُنَيَّ آدَمَ حَاجَةً....... وَسَلِ الَّذِي أَبْوَابُهُ لَا تُحْجَبُ
اللهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ.... وَبُنَيُّ آدَمَ حِينَ يُسأَلُ يَغْضَبُ [٢٤٥]

وَاسْمُ الرَّحْمَانِ يسَاوِي اسْمَ الله، وَلِذَلِكَ سَوَّى اللهُ بَيْنَهُمَا فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ: ﴿قُلِ ادْعُواْ اللَّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ﴾ الإسراء: ١١٠. وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ الزخرف: ٤٥.

---

٢٤٢ – راجع تفسير القرطبي ج ١/١٠٥، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م. وحديث الترمذي حسن، رواه رقم ٣٣٧٣، في كتاب الدعوات، باب: ما جاء في فضل الدعاء. وحسنه الألباني.

٢٤٣ – حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَهُوَ عِنْدَ التِّرْمِذِيّ رَقْمُ ٣٣٧٣، فِي كِتَابِ: أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَاب مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الدُّعَاءِ. وَقَالَ: هَذَا الحَدِيث ولَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ. وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ.

٢٤٤ – حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَهُوَ عِنْدَ ابْنِ مَاجَةَ رَقْمُ ٣٨٢٧، في كِتَابِ الدُّعَاءِ، بَابُ فَضْلِ الدُّعَاءِ. وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ.

٢٤٥ – رَاجِعْ كِتَابِ العُزْلَةِ لأَبِي سُلَيْمَانَ الخَطَّابِيّ البَسْتِيّ ص ٦٧، المَطْبَعَةُ السَّلَفِيَّةُ – القَاهِرَةُ، ١٣٩٩هـ.

فَلَفْظُ الرَّحْمَانِ، يُسَاوِي لَفْظَ اللهِ، فلَا يَجُوزُ أَنْ يُطَلَقَ لَفْظُ الْجَلَالَةِ عَلَى غَيْرِ ذَاتِ الرَّبِّ سبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ كَذَلِكَ لَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ اسْمَ الرَّحْمَانِ عَلَى غَيْرِ ذَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَاسْمُهُ تَعَالَى الرَّحْمَانُ خَاصٌّ بِهِ وَحْدَهُ سُبْحَانَه وبِحَمْدِهِ، لَمْ يُسَمَّ بِهِ غَيْرُ اللهِ لِأَنَّهُ يُسَاوِي اللهَ. فَكَمَا لَا يُسَمَّى أَحَدٌ بِاللهِ كَذَلِكَ لَا يُسَمَّى أَحَدٌ بِالرَّحْمَانِ، لِأَنَّ هَذَيْنِ الاسْمَيْنِ مِنَ الأَسْمَاءِ الخَاصَّةِ باللهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَمْ يُسَمَّ بِهِمَا أَحَدٌ مِنْ الْخَلْقِ، وَلَمْ يُعْرَفْ عَلَى مَدَارِ الأَزْمَانِ أَنَّ أَحَدًا تَسَمَّى بِاللهِ أَوْ تسَمَّى بِالرَّحْمَانِ إِلَّا كَذَّابَ اليَمَامَةِ، مُسَيْلَمَةَ الكَّذَّابَ، فَلَمَّا تَجَرَّأَ وَسَمَّى نَفْسَهُ بِرَحْمَانِ اليَمَامَةِ كَسَاهُ اللهُ جِلْبَابَ الكَذِبِ واشْتَهَرَ بِهِ؛ فَلَا يُقَالُ إِلَّا مُسَيْلَمَةَ الكَذَّابَ، فَصَارَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الكَذِبِ.

أَمَّا اسْمُ الرَّحِيمِ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَمَا سَمَّى نَفْسَهُ رَؤُوفًا رَّحِيمًا، إِذْ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ ﴿إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ البقرة: ١٤٣، كَذَلِكَ سَمَّى بِهِ غَيْرَهُ، فَقَدْ سَمَّى بِهِ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ علَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ اللهُ تَعالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التوبة: ١٢٨.

فَسَمَّى نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {رَءُوفٌ رَحِيمٌ}، وَكَمَا سَمَّى نَفْسَهُ {سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [٢٤٦]، سَمَّى الإِنْسَانَ سَمِيْعًا بَصِيْرًا: كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ الإنسان: ٢.

٢٤٦ - وَرَدَ ذَلِكَ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ فِي القُرْآنِ الكَرِيم مِنْهَا قَوْلُهُ تَعالَى: {إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} الحَجّ: ٧٥، لُقْمَان: ٢٨، المُجَادَلَة: ١؛ {وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} الحَجّ: ٦١.

وَالخُلَاصَةُ: أَنَّ أَسْمَاءَ اللهِ تَعَالَى منْهَا مَا يَخْتَصُّ بِهِ، فَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقُهَا عَلَى غَيْرِهِ، كاللهِ، والرَّحْمَنِ، والْمُحْيِي، والْمُمِيتِ، والْخَالِقِ، وَنَحْوِهَا، فَهذِهِ الأَسْمَاءُ لَا يَجُوزُ أنْ تُطْلَقَ عَلَى غَيْرِ اللهِ. وَمِنْهَا مَا يَجُوزُ أَنْ يُطْلَقَ عَلَى غَيْرِهِ عَزَّ وَجَلَّ، كالرَّؤُوفِ، والرَّحِيمِ، والسَّمِيعِ، والبَصِيرِ، والْمَلِكِ، والْعَزِيزِ. لَكِنْ يَجِبُ أَنْ نَعْلَمَ الفَرْقَ بَيْنَ الاسْمِ وَالاسْمِ، كَالفَرْقِ بَيْنَ الذَّاتِ وَالذَّاتِ، وَقَدْ أَحْكَمَ اللهُ فِي كِتَابِهِ العَزِيزِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى: ١١.

فَكَمَا أَنَّ ذَاتَهُ سُبْحَانَهُ لَا تُشْبِهُ الذَّوَاتِ وَلَا تُشْبِهُهَا الذَّوَاتُ، فَكَذَلِكَ أَسْمَاؤُهُ لَا تُشْبِهُهَا الأَسْمَاءُ. فَشَتَّانَ بَيْنَ مِلِكٍ وَمَلِكٍ؛ وَشَتَّانَ بَيْنَ سَمِيْعٍ وسَمِيعٍ، وشَتَّانَ بَيْنَ حَيٍّ وَحَيٍّ؛ فَحَيَاةُ اللهِ تَعَالَى أَزَلِيَّةٌ أَبَدِيَّةٌ وَاجِبَةٌ لِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ، وَحَيَاةُ الْعَبْدِ لَهَا بِدَايَةٌ وَلَهَا نِهَايَةٌ. نَقُولُ للهِ حَيٌّ، وَلِلْعَبْدِ حَيٌّ، لِكِنَّ حَيَاةَ الْعَبْدِ لَهَا بِدَايَةٌ وَلَهَا نِهَايَةٌ، وَهِيَ مُسْتَمَدَّةٌ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَتَسْمِيَةُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَفْسَهُ بِهَذَيْنِ الاسْمِيْنِ مِعًا {الرَّحْمَانُ الرَّحِيمُ} إِنَّمَا أُرِيدَ بِهِمَا الدِّلَالَةُ عَلَى سِعَةِ رحْمَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ الأعراف: ١٥٦.

وَفِي الْحَدِيثِ عَن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا، خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ"

[٢٤٧]. فَهَذِهِ الفَرَسُ الَّتِي لَا عَقْلَ لَهَا، وَكُلُّ بَهِيمَةٍ عَجْمَاءٍ، [٢٤٨] عِنْدَمَا تَشْعُرُ بِاقْتِرَابِ وَلَدِها مِنْهَا لِأَجْلِ الرَّضَاعَةِ لَا تُؤْذِيهِ رَحْمَةً مِنْهَا بِهِ؛ فَمِنْ أَيْنَ أَتَتْ بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ؟ أَتَتْ بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ مِنْ جُزْءٍ وَاحِدٍ أَنْزَلَهُ اللهُ تَعَالَى فِي الْأَرْضِ تَتَقَاسَمُ فِيهِ الخَلائِقُ.

وفي الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟" قُلْنَا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: "لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا" [٢٤٩].

وَالْمُرَادُ بِالسَّبْيِ: نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَطْفَالَهُمْ، وَسَبْيٌ: أَيْ مَا أُسِرَ مِنَ الْغِلْمَانِ وَالْجَوَارِي، وَسَبَيْتُهُ سَبْيًا إِذَا حَمَلْتُهُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ.

قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ": فَهَذِهِ الْمَرْأَةُ مِنْ رَحْمَتِهَا بِالْأَطْفَالِ سَارَتْ تُفَتِّشُ عَنْهُمْ فِي السَّبْيِ، كُلَّمَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ

---

٢٤٧ – مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رَوَاهُ البُخَارِيُّ رَقَمْ ٦٠٠٠، فِي كِتَابِ الأَدَب، بَاب: جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مَائَةَ جُزْءٍ. وَرَوَاهُ مُسْلِمُ رَقَمْ ١٧–١٧٥٢، فِي كِتَابِ التَّوْبَةِ، بَابُ: فِي سِعَةِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ.

٢٤٨ – العَجْمَةُ: انْعِقَادُ اللِّسَانِ عَنْ الْكَلَامِ، وَيُسَمَّى الْأَخْرَسُ أَعْجَمًا؛ وَكُلُّ بَهِيمَةٍ عَجْمَاءُ.

٢٤٩ – مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، رَوَاهُ البُخَارِيُّ – وَاللَّفْظُ لَهُ – رَقَمْ ٥٩٩٩، فِي كِتَابِ الأَدَب، بَاب: رَحْمَة الوَلَدِ وَتَقْبِيلُهُ وَمُعَانَقَتُهُ، وَرَوَاهُ مُسْلِمُ رَقَم ٢٢–٢٧٥٤، فِي كِتَابِ التَّوْبَةِ، بَابُ: فِي سِعَةِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ.

أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ وَهُوَ لَيْسَ وَلَدَهَا، فَمَا بَالُكَ بِوَلَدِهَا كَيْفَ يَكُونُ حَنَانُهَا عَلَيْهِ؟ وَلِهَذَا جَاءَ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟" قُلْنَا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: "لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا".

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ" [٢٥٠].

كَيْفَ يَحْظَى الْعَبْدُ بِرَحْمَةِ اللهِ؟

يَحْظَى الْعَبْدُ بِرَحْمَةِ اللهِ بِأُمُورٍ مِنْهَا:

- **أَوَّلًا:** أَنْ يَكُونَ رَحِيمًا. كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ" [٢٥١].

---

٢٥٠ – رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رَقَم ٢٣–٢٧٥٥، فِي كِتَابِ التَّوبَة، بَاب: فِي سِعَةِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ.

٢٥١ – مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَهَذِهِ الجُمْلَةُ الأَخِيرَةُ مِنْ حَدِيثِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، رَوَاهُ البُخَارِيُّ رَقَمْ ١٢٨٤، فِي كِتَابِ الجَنَائِزِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يُعَذَّبُ المَيِّتُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ إِذَا كَانَ النَّوْحُ مِنْ سُنَّتِهِ"، وَرَوَاهُ مُسْلِمُ رَقَمْ ١١–٩٢٣، فِي كِتَابِ الجَنَائِزِ، بَاب: البُكَاء عَلَى المَيِّتِ. وَالحَدِيثُ بِتَمَامِهِ لِلْفَائِدَةِ: "عَن أُسَامَة بْن زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَرْسَلَتِ ابْنَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ إِنَّ ابْنًا لِي قُبِضَ، فَأْتِنَا، فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلاَمَ، وَيَقُولُ: "إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ

❖ **ثَانِيًا:** أَنْ يَكُونَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ الأعراف: ٥٦.

❖ **ثَالِثًا:** أَنْ يَكُونَ فِي طَاعَةِ اللهَ وَرَسُولَهُ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ آل عمران: ١٣٢.

❖ **رَابِعًا:** أَنْ يَكُونَ سَمْحًا فِي بَيْعِهِ وَشِرَائِهِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "رَحِمَ اللهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى" (٢٥٢).

❖ **خَامِسًا:** أنْ يَقُومَ بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَن عَادَ مَرِيضًا خَاضَ فِي الرَّحمَةِ حَتى إذا قَعدَ استَقَرَّ فِيهَا" (٢٥٣).

❖ **سَادِسًا:** الْحِرْصُ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ وَإِيْقَاظِ الأَهْلِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ، فَإِنْ

مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ، وَلْتَحْتَسِبْ"، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ لَيَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَرِجَالٌ، فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَتَقَعْقَعُ قَالَ: حَسِبْتُهُ أَنَّهُ قَالَ كَأَنَّهَا شَنٌّ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا هَذَا؟ فَقَالَ: "هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ".

٢٥٢ – رَوَاهُ البُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، رَقَمْ ٢٠٧٦، فِي كِتَابِ البُيُوعِ، بَابُ: السُّهُولَةِ وَالسَّمَاحَةِ فِي الشِّرَاءِ وَالبَيْعِ.

٢٥٣ – حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي الأَدَبِ المُفْرَدِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، رَقَمْ ٥٢٢، وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ بِرَقَمْ ١٩٢٩. وَرَوَاهُ المُنْذِرِيُّ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ رَقَمْ ٣٤٧٩، بِلَفْظِ: "اسْتَنْقَعَ فِيهَا"، وَقَالَ الأَلْبَانِيُّ: رَوَاهُ أَحْمَدُ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ وَالطَّبَرَانِيُّ فِي الكَبِيرِ وَالأَوْسَطِ.

أَبَتْ رَشَّ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، رَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى، فَإِنْ أبي رَشَّتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ" (٢٥٤).

❖ **سَابِعًا**: أَنْ يُحَافِظَ عَلَى مَجَالِسَ الذِّكْرِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ" (٢٥٥).

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا مِنْ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا حَفَّتْ بِهِمُ المَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ" (٢٥٦).

❖ **ثَامِنًا**: الْحِرْصُ عَلَى الْجُلُوسِ فِي الْمَسْجِدِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "المَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ" (٢٥٧).

❖ **تَاسِعًا**: أَنْ يَكُونَ مِنْ الْمُحَلِّقِينَ فِي الْحَجِّ وَالعُمْرَةِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "اللَّهُمَّ ارْحَمِ المُحَلِّقِينَ"، قَالُوا: وَالمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: "اللَّهُمَّ ارْحَمِ المُحَلِّقِينَ"، قَالُوا: وَالمُقَصِّرِينَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "وَالمُقَصِّرِينَ".

---

٢٥٤ - رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رَقَمْ ١٣٣٦، فِي كِتَابِ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَالسُّنَّةِ فِيهَا، بَابُ: فِيمَنْ أَيْقَظَ أَهْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ. وَقَالَ الأَلْبَانِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

٢٥٥ - رَوَاهُ مُسْلِمُ مِنْ حَدِيثِ أبي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ٣٩ - ٢٧٠٠، فِي كِتَابِ الذِّكْرِ وَالدُّعاءِ، بَابُ: فَضْلِ الاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ القُرْآنِ وَالذِّكْرِ.

٢٥٦ - حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أبي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، رَقَمْ ٣٣٧٨، فِي كِتَابِ الدَّعَوَاتِ، بَابُ: مَا جَاءَ فِي القَوْمِ يَجْلِسُونَ فَيَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَا لَهُمْ مِنَ الفَضْلِ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

٢٥٧ - رَوَاهُ البُخَارِيُّ رَقَمْ ٤٤٥، فِي كِتَابِ الصَّلَاةِ، بَابُ: الحَدَثُ فِي الْمَسْجِدِ.

قَالَ اللَّيْثُ: حَدَّثَنِي نَافِعٌ: "رَحِمَ اللهُ المُحَلِّقِينَ" مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، قَالَ، وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ: حَدَّثَنِي نَافِعٌ، وَقَالَ فِي الرَّابِعَةِ: "وَالمُقَصِّرِينَ" (٢٥٨).

- **عَاشِرًا**: الْحِرْصُ عَلَى تَعَلُّمِ الْحَدِيثِ وَحِفْظِهِ وَتَبْلِيغِهِ بِلَا تَحْرِيفٍ فِيهِ: وَذَلِكَ لِعِظَمِ كَبِيرَةِ الكَذِبِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّهَا مِنَ الْمُوبِقَاتِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ، كَمَا أَنَّ التَّبْلِيغَ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَصِّهِ الصَّحِيحِ فِيهِ الرَّحْمَةِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لاَ تَكْذِبُوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَلِجِ النَّارَ" (٢٥٩). وقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "نَضَّرَ اللهُ امْرَءًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ" (٢٦٠). وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "رَحِمَ اللّهُ امْرَءًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ" (٢٦١). وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي

---

٢٥٨ – مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، رَوَاهُ البُخَارِيُّ رَقَمْ ١٧٢٧، فِي كِتَابِ الحَجِّ، بَابُ: الحَلْقُ وَالتَّقْصِيرُ عِنْدَ الإِحْلاَلِ. وَرَوَاهُ مُسْلِمُ رَقَمْ ٣١٨، ٣١٩-١٣٠١، فِي كِتَابِ الحَجّ، بَاب: تَفْضِيل الحَلْقِ عَلَى التَّقْصِيرِ وَجَوَازُ التَّقْصِيرُ.

٢٥٩ – مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رَوَاهُ البُخَارِيُّ – وَاللَّفْظُ لَهُ – رَقَمْ ١٠٦، فِي كِتَابِ العِلْمِ، بَابُ: إِثْم مَنْ كَذَبَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَوَاهُ مُسْلِمُ فِي المُقَدِّمَةُ، بَابُ: تَغْلِيظُ الكَذِبِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢٦٠ – حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رَقَمْ ٢٦٥٦، فِي كِتَابِ العِلْمِ، بَابُ: مَا جَاءَ فِي الحَثِّ عَلَى تَبْلِيغِ السَّمَاعِ.

٢٦١ – حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي المُعْجَمِ الكَبِيرِ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْن ثَابِتٍ، رَقَمْ ٤٩٢٤.

وَاللهِ لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ يَوْمِي هَذَا بِمَكَانِي هَذَا، فَرَحِمَ اللهُ مَنْ سَمِعَ مَقَالَتِي الْيَوْمَ فَوَعَاهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ وَلَا فِقْهَ لَهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ" (٢٦٢).

---

٢٦٢ – حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ فِي سُنَنِهِ مِنْ حَدِيثِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رَقَمْ ٢٢٧، فِي المُقَدِّمَةِ، بَاب: الاقْتِدَاء بِالعُلَمَاءِ. وَقَالَ حُسَيْنُ سُلَيْم أَسَد فِي تَحْقِيقِهِ: إِسْنَادُهُ حَسَنٌ، وَالحَدِيثُ صَحِيحٌ.

تَفْسِيرُ سُورَةِ الفَاتِحَةِ

سُورَةُ الفَاتِحَةِ، وهي سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ، وَعَدَدُ آيَاتِهَا سَبْعُ آيَاتٍ



الفاتحة: ١- ٧: سُورَةُ الفَاتِحَةِ هي السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الفاتحة: ٢، وَهَذِهِ أَوَّلُ كَلِمَاتٍ فِي الْمُصْحَفِ بَعْدَ البَسْمَلَةِ، يُقَابِلُهَا آخِرُ كَلِمَاتٍ مِنْ سُورَةِ النَّاسِ ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ الناس: ٦، فَابْتَدَأَ اللهُ تَعَالَى بِـ {العَالمينَ}، وَخَتَمَ بِـ {الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ} بِمَعْنَى أَنَّ هَذَا الكِتَابَ فِيهِ الْهِدَايَةُ لِلْعَالَمِينَ، وَكُلِّ مَخْلُوقَاتِ اللهِ تَعَالَى مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ، وَلَيْسَ لِلْبَشَرِ وَحْدَهُمْ أَوْ لِلْمُسْلِمِينَ دُونَ غَيْرِهِمْ.

مَعْنَى الْحَمْدُ لِلَّهِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ: هُو الثَّنَاءُ عَلَى اللهِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ، وَبِأَفْعَالِهِ الدَّائِرَةِ بيْنَ الْفَضْلِ وَالْعَدْلِ، الثَّنَاءُ عَلَى الْجَمِيلِ مِنْ نِعَمِةٍ أَوْ غَيْرِهَا مَعَ الْمَحَبَّةِ وَالْإِجْلَالِ. فَلَهُ الْحَمْدُ الْكَامِلُ بجَمِيعِ الْوُجُوهِ؛ فَحِينَ يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، يَعْنِي هَذَا قَوْلَهُ: أَحْمَدُ اللهَ وَأَذْكُرُ إِنْعَامَهُ، وَأَعْتَرِفُ بِفَضْلِهِ، حَيْثُ إِنَّهُ أَنْعَمَ وأَسْبَغَ عَلَيْنَا نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، حَيْثُ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ النحل: ٥٣، فَأَنْعَمَ وَتَفَضَّلَ وَأَعْطَانَا، فَهُوَ الْمُنْعِمُ الْمُتَفَضِّلُ عَلَى الْعِبَادِ؛ فَأَحْمَدُهُ وَحْدَهُ، لِأَنَّهُ الْمُسْتَحِقُّ لِلْحَمْدِ.

قَالَ ابْنُ حَكَمِيّ [٢٦٣]: "الْحَمْدُ لِلَّهِ" كَمَا أَثْنَى بِهِ عَلَى نَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وَأَمَرَ بِذَلِكَ عِبَادَهُ فَقَالَ تَعَالَى مُخَاطِبًا لِنَبِيِّهِ خِطَابًا يَدْخُلُ فِيهِ جَمِيعُ أمته: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ النمل: ٥٩. فَلَهُ الْحَمْدُ كَالَّذِي يَقُولُ وَخَيْرًا مِمَّا نَقُولُ سُبْحَانَهُ لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْهِ هُوَ كَمَا أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ، فَلَهُ الْحَمْدُ عَلَى أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلَى وَلَهُ الْحَمْدُ عَلَى نِعَمِهِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ.

---

٢٦٣ - رَاجِعْ مَعَارِجَ القَبُولِ بِشَرْحِ سُلَّمِ الوُصُولِ إِلَى عِلْمِ الأُصُولِ ج ١/٧٠، تَأْلِيف: حَافِظ بن أَحْمَد بن عَلِيّ الحَكَمِي، المُتَوَفَّى: ١٣٧٧هـ، تَحْقِيق: عُمَر بْن مَحْمُود أَبُو عُمَرَ، دار ابن القيم الدمام، الطبعة: الأولى ١٤١٠ هـ- ١٩٩٠ م.

وَعَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: "قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا أُنْشِدُكَ مَحَامِدَ حَمِدْتُ بِهَا رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَمَا إِنَّ رَبَّكَ يُحِبُّ الْحَمْدَ" (٢٦٤). رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ.

فَضْلُ قَولِ الْعَبْدِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ

الحَمْدُ للهِ تُقَالُ فِي كُلِّ حِينٍ، وَتُقَالُ فِي ابْتِدَاءِ كُلِّ أَمْرٍ وَعِنْدَ انْتِهَائِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى مُفْتَتِحًا كِتَابَهُ العَزِيزَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الفاتحة: ٢، فَبَدَأَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهَا كِتَابَهُ العَزِيزَ لِعِظَمِ ثَوَابِهَا، وَأَنَّهَا نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ عَلَى عَبْدِهِ إِذْ هَدَاهُ لِلْحَمْدِ، وَبَيَانُ أَنَّ الحَمْدَ للهِ أَفْضَلُ الدُّعَاءِ.

مَا وَرَدَ فِي الْحدِيثِ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ" (٢٦٥). وَعَن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا،

---

٢٦٤ – حَدِيثٌ صَحِيحٌ: رَوَاهُ البُخَارِيُّ فِي الأَدَب المُفْرَد ٨٥٩، وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي المُعْجَمِ الكَبِيرِ رَقَمْ ٨٢٤، وَرَوَاهُ الحَاكِمُ فِي المُسْتَدْرَك رَقَمْ ٦٥٧٥، وَلَفْظُهُ: "أَمَا إِنَّ رَبَّكَ يُحِبُّ الْحَمْدَ"؛ وقال: صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ؛ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ؛ وَرَوَاهُ أَحْمَدُ فِي المُسْنَدِ رَقَمْ ١٥٥٩٠ وَلَفْظُهُ: "أَمَا إِنَّ رَبَّكَ تَعَالَى يُحِبُّ الْمَدْحَ"، وَقَالَ الهَيثَمِيُّ فِي مُجْمَعِ الزَوَائِدِ ج ١٠/٩٥: رَوَاهُ أَحْمَدُ بِتَمَامِهِ، وَالطَّبَرَانِيُّ بِنَحْوِهِ، وَفِي رِوَايَةٍ عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ: "إِنَّ رَبَّكَ يُحِبُّ الْحَمْدَ". بَدَلَ: "المدح". وَأَحَد أَسَانِيدِ أَحْمَد، رِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ. وَحَسَّنَهُ الشَّيْخُ الأَلْبَانِيُّ فِي السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ رَقَمْ ٣١٧٩.

قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الحَمْدُ لِلَّهِ" (٢٦٦).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رَضِـيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى عَبْدِهِ نِعْمَةً، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، إِلَّا كَانَ الذي أَعْطَى أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ" (٢٦٧).

قَالَ السُّيُوطِيُّ: أَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ طُرقٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: "الْحَمدُ لِلّهِ كلمةُ الشُّكْرِ. إِذَا قَالَ العَبْدُ الْحَمدُ للهِ قَالَ اللهُ: شَكَرَنِي عَبدِي". وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "الْحَمْدُ هُوَ الشُّكْرُ وَالاسْتِحْذَاءُ للهِ وَالإِقْرَارُ بِنِعْمَهِ وَهِدَايَتِهِ وَابْتِدَائِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ"؛ وَأخرجَ ابْنُ أبي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ عُمَرُ: "قَدْ عَلِمْنَا سُبْحَانَ اللهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمَا الْحَمدُ؟ قَالَ عَليٌّ: كَلِمَةٌ رَضِيَهَا اللهُ لِنَفْسِهِ وَأَحَبَّ أَنْ تُقَالَ". وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ كَعْبٍ قَالَ: {الْحَمْدُ للهِ} ثَنَاءٌ عَلَى اللهِ؛

---

٢٦٥ – رَوَاهُ مُسْلِمُ رَقَم ١–٢٢٣، فِي كِتَابِ الطَّهَارَةِ، بَاب: فَضْل الوُضُوءِ. وَلَفْظُهُ: "الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا".

٢٦٦ – حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ رَقَمْ ٣٣٨٣، فِي كِتَابِ الدَّعَوَاتِ، بَابُ: مَا جَاءَ أَنَّ دَعْوَةَ المُسْلِمِ مُسْتَجَابَةً. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ.

٢٦٧ – حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ رَقَمْ ٣٨٠٥، فِي كِتَابِ الأَدَب، بَابُ: فَضْلُ الحَامِدِينَ. وَقَالَ البُوصِيرِيُّ فِي الزَّوَائِدِ: إِسْنَادُهُ حَسَنٌ. وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ الضَّحَّاكِ قَالَ: {الْحَمدُ} رِدَاءُ الرَّحْمَنِ (٢٦٨).

حَمْدُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ نَفْسَهُ

يُحْمَدُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا عَلَى أَسْمَائِهِ الحُسْنَى وَصِفَاتِهِ العُلَى، وَلَهُ الْحَمْدُ عَلَى نِعَمِهِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ، وَنَحْمَدُ اللهَ عَلَى خَلْقِ السَّمَاواتِ وَالأَرْضِ، كَمَا حَمِدَ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَيْثُ قَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ الأنعام: ١. وَحَمِدَ نَفْسَهُ سُبْحَانَه وَبِحَمْدِهِ فَقَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ سبأ: ١.

وَحَمِدَ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ فَقَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فاطر: ١.

٢٦٨ – رَاجِعْ تَفْسِيرَ: "الدُّرّ المَنْثُور فِي التَّفْسِيرِ بِالمَأْثُورِ"، لِلسُّيُوطِيّ ج ١/٣٠–٣١، دَارُ الفِكْرِ – بَيْرُوت، ١٩٩٣م.

الْحَمْدُ هَدْيُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

- أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نَحْمَدَ اللهَ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَعِنْدَ كُلِّ أَمْرٍ، وَمِنْ هَدْيِهِ فِي خِتَامِ الْمَجْلِسِ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ: "سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ" (٢٦٩).
- وَأَمَرَنَا أَنْ نَقُولَ عِنْدَ نَوْمِنَا: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي كَفَانِي وَآوَانِي" (٢٧٠).
- وَأَمَرَنَا أَنْ نَقُولَ عِنْدَ الاسْتِيقَاظِ: "الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ" (٢٧١).

---

٢٦٩ – حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ رَقَمْ ٣٤٣٣، فِي كِتَابِ الدَّعَوَاتِ، بَابُ: مَا يَقُولُ إِذَا قَامَ مِنَ المَجْلِسِ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ. وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ. وَلَفْظُ الحَدِيثِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ".

٢٧٠ – حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدُ رَقَمْ ٥٠٥٨، فِي كِتَابِ الأَدَب، بَابُ: مَا يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ. وَصَحَّحَهُ الأَلْبانِيُّ. وَلَفْظُهُ: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الذي كَفَانِي وَآوَانِي وَأَطْعَمَنِي وَسَقَانِي وَالَّذِي مَنَّ عَلَيَّ فَأَفْضَلَ، وَالَّذِي أَعْطَانِي فَأَجْزَلَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، اللَّهُمَّ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، وَإِلَهَ كُلِّ شَيْءٍ أَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ".

٢٧١ – مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، رَوَاهُ البُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رَقَمْ ٦٣١٢، فِي كِتَابِ الدَّعَوَات، بَابُ: مَا يَقُولُ إِذَا نَامَ. وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رَقَمْ ٥٩-٢٧١١، فِي كِتَابِ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ، بَاب: مَا يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ وَأَخْذِ المَضْجَعِ.

– وَأَمَرَنَا أَنْ نَقُولَ عِنْدَ الاسْتِوَاءِ عَلَى ظَهْرِ الدَّابَّةِ: "الحَمْدُ لِلَّهِ" [٢٧٢]. وَهَذَا ذِكْرٌ لِنِعَمِ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ (١٤)﴾ الزخرف: ١٣-١٤.

وَلِهَذَا وَجَبَ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَحْمَدَ اللهَ حِينَ اسْتِوَائِهِ عَلَى الفُلْكِ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ بِذَلِكَ، حَيْثُ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ المؤمنون: ٢٨.

٢٧٢ – حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي السُّنَنِ الكُبْرَى رَقَمْ ٨٧٤٨، وَلَفْظُهُ: عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ: شَهِدْتُ عَلِيًّا أَتَى بِدَابَّةٍ لِيَرْكَبَهَا، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ قَالَ: "بِسْمِ اللهِ" فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى ظَهْرِهَا قَالَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ" ثُمَّ قَالَ: "سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا" إِلَى قَوْلِهِ "وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ"، ثُمَّ قَالَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ، ثَلَاثًا، وَاللهُ أَكْبَرُ، ثَلَاثًا، رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى: سُبْحَانَكَ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، ثُمَّ ضَحِكَ" قُلْتُ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: "رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَنَعَ كَمَا صَنَعْتُ، ثُمَّ ضَحِكَ"، قُلْتُ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: "إِنَّ رَبَّكَ لَيَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ: "اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذَّنْبَ غَيْرُهُ". وَقَالَ الأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الكَلِمِ الطَّيِّبِ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

الْحَمْدُ صِفَةُ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ

وَالْحَمْدُ للهِ كَانَ دَيْدَنَ الأَنْبِيَاءِ.

- هَذَا نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَهُ رَبُّهُ أَنْ يَحْمَدَ اللهَ: ﴿فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ المؤمنون: ٢٨.
- وَهَذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَحْمَدُ اللهَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ إبراهيم: ٣٩.
- وَدَاوُدُ وَسُلَيْمَانُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يَحْمَدَانِ اللهَ عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمَا مِنْ عِلْمِهِ وَفَضْلِهِ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ النمل: ١٥.

وَأَعْظَمُ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللهُ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ أَرْسَلَ الْهَادِيَ الْبَشِيرَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٧.

- وَأَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَبِيَّنَا وَرَسُولَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَحْمَدَ اللهَ، وَجَعَلَ هَذَا الْحَمْدَ إِقْرَارًا عَلَى تَوْحِيدِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِصِفَاتِهِ العُلْيَا، حَيْثُ قَالَ رَبُّنَا الجَلِيلُ: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ الإسراء: ١١١.

- وَأَمَرَهُ أَنْ يَحْمَدَهُ عَلَى هِدَايَةِ اللهِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْ يُعَرِّفَهُمْ آيَاتِهِ، حَيْثُ قَالَ رَبُّنَا العَزِيزُ: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ النمل: ٩٣.
- وَأَمَرَهُ أَنْ يَحْمَدَ اللهَ حِينَ يَمُرُّ بِذِكْرِ عَذَابِ اللهِ لِلأُمَمِ السَّابِقَةِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذِكْرِ عَذَابِ قَوْمِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامَ: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ النمل: ٥٩.
- وَأَمَرَهُ أَنْ يَحْمَدَ اللهَ حِيْنَمَا يَعْتَرِفُ الكَافِرُ بِأَنَّ اللهَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ثُمَّ يَكْفُرُ بِهِ، حَيْثُ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ العنكبوت: ٦٣.
- وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لقمان: ٢٥.

الْحَمْدُ صِفَةُ الْمُؤْمِنِينَ

- الْمُؤْمِنُ فِي الدُّنْيَا يَحْمَدُ اللهَ عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِلِسَانٍ ذَاكِرٍ يَدْعُوهُ بِهِ، فَشَرَعَ لَهُ قَبْلَ الدُّعَاءِ وَبَعْدَ كُلِّ دُعَاءٍ أَنْ يَحْمَدَ اللهَ عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِهَذَا الذِّكْرِ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ غافر: ٦٥.
- وَنَحْمَدُ اللهَ الْمُهَيْمِنَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، كَمَا حَمِدَ نَفْسَهُ عَلَى ذَلِكَ سُبْحَانَهُ فقَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ سبأ: ١.
- وَنَحْمَدُ اللهَ عَلَى صِفَاتِ الْكَمَالِ لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِيهَا فَهُوَ الْوَاحِدُ الأَحَدُ الفَرْدُ الصَّمَدُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلَّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ الإسراء: ١١١.
- وَنَحْمَدُ اللهَ عَلَى أَنَّهُ أَنْزَلَ لَنَا القُرْآنَ الكَرِيمَ، كَمَا حَمِدَ نَفْسَهُ عَلَى ذَلِكَ سُبْحَانَهُ حَيْثُ قَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ الكهف: ١.
- وَأَهْلُ القُرْآنِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ السَّابِقُونَ بِالْخَيْرَاتِ يَحْمَدُونَ اللهَ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ مُحَلَّوْنَ بِالأَسَاوِرِ، حَيْثُ أَخْبَرَ اللهُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ فاطر: ٣٤.

- وَكَذَلِكَ أَمَرَ أَهْلَ القُرْآنِ أَنْ يَحْمَدُوا اللهَ عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعْمَةِ الفَصْلِ وَالْبَيَانِ فَاتَّبَعُوا الْحَقَّ وَتَرَكُوا البَاطِلَ، وَضَرَبَ اللهُ فِي ذَلِكَ الأَمْثَالَ، وَمِنْ هَذِهِ الأَمْثَالُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الزمر: ٢٩.

الْحَمْدُ صِفَةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ

- الْمُؤْمِنُونَ فِي الْجَنَّةِ يَحْمَدُونَ اللهَ عَلَى تَفَضُّلِهِ عَلَيْهِمْ بِالْهِدَايَةِ، فَأَخْبَرَ اللهُ عَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ قَوْلَهُمْ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الأعراف: ٤٣.
- وَالْمُؤْمِنُونَ فِي الْجَنَّةِ يَحْمَدُونَ اللهَ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِمْ أَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ فِي الآخِرَةِ بِجَنَّتِهِ كَمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا بِطَاعَتِهِ، حَيْثُ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤) وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الزمر: ٧٤-٧٥.

- وَآخِرُ دُعَاؤُهُمْ فِي الْجَنَّةِ {الْحَمْدُ لِلَّهِ} كَمَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يونس: ١٠.

أَقْوَالُ الْعُلَمَاءِ فِي الْحَمْدِ

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ كَلِمَةُ كُلِّ شَاكِرٍ، وَإِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ حِينَ عَطَسَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ. وَقَالَ اللهُ لِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ المؤمنون: ٢٨.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ إبراهيم: ٣٩. وَقَالَ فِي قِصَّةِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ النمل: ١٥. وَقَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ الإسراء: ١١١.

وَقَالَ أَهْلُ الْجَنَّةِ: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ فاطر: ٣٤، وقال تعالى: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا

سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يونس: ١٠. فَهِيَ كَلِمَةُ كُلِّ شَاكِرٍ. قُلْتُ: الصَّحِيحُ أَنَّ الْحَمْدَ ثَنَاءٌ عَلَى الْمَمْدُوحِ بِصِفَاتِهِ مِنْ غَيْرِ سَبْقِ إِحْسَانٍ، وَأَنَّ الشُّكْرَ ثَنَاءٌ عَلَى الْمَشْكُورِ بِمَا أَوْلَى مِنَ الْإِحْسَانِ. وَعَلَى هَذَا الْحَدِّ قَالَ عُلَمَاؤُنَا: الْحَمْدُ أَعَمُّ مِنَ الشُّكْرِ، لِأَنَّ الْحَمْدَ يَقَعُ عَلَى الثَّنَاءِ وَعَلَى التَّحْمِيدِ وَعَلَى الشُّكْرِ، وَالْجَزَاءُ مَخْصُوصٌ إِنَّمَا يَكُونُ مُكَافَأَةً لِمَنْ أَوْلَاكَ مَعْرُوفًا، فَصَارَ الْحَمْدُ أَعَمَّ فِي الْآيَةِ لِأَنَّهُ يَزِيدُ عَلَى الشُّكْرِ.

وَيُذْكَرُ الْحَمْدُ بِمَعْنَى الرِّضَا، يُقال: بَلَوْتُهُ فَحَمِدتُهُ، أي رَضِيتُهُ. وَمِنهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ الإسراء: ٧٩.

وَيُذْكَرُ عَنْ جَعْفَر الصَّادِقِ فِي قَوْلِهِ الْحَمْدُ لِلَّهِ: مَنْ حَمِدَهُ بِصِفَاتِهِ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ حَمَدَ. لأن الحمدَ، حاء، وَمِيمٌ، وَدَالٌ، فَالْحَاءُ مِنَ الْوَحْدَانِيَّةِ، وَالْمِيمُ مِنَ الْمُلْكِ، وَالدَّالُ مِنَ الدَّيْمُومِيَّةِ، فَمَنْ عَرَفَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالدَّيْمُومِيَّةِ وَالْمُلْكِ فَقَدْ عَرَفَهُ، وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ "الْحَمْدُ لِلَّهِ". وَقَالَ شَقِيقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ فِي تَفْسِيرِ {الْحَمْدُ لِلَّهِ}: هُوَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ، أَوَّلُهَا: إِذَا أَعْطَاكَ اللَّهُ شَيْئًا تَعْرِفُ مَنْ أَعْطَاكَ. وَالثَّانِي: أَنْ تَرْضَى بِمَا أَعْطَاكَ. وَالثَّالِثُ: مَا دَامَتْ قُوَّتُهُ فِي جَسَدِكَ أَلَّا تَعْصَاهُ، فهذه شَرَائِطُ الحمدِ (٢٧٣).

٢٧٣ - رَاجِعْ تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيّ ج ١/١٣٤.

الْفَرْقُ بَيْنَ الْحَمْدِ والْمَدْحِ

أَوَّلًا الْحَمْدُ: نَقِيضُ الذَّمِّ، يُقَالُ: بَلَوتُهُ فأحْمَدْتُهُ أَيْ وَجَدْتُهُ حَمِيدًا مَحْمُودَ الفِعَالِ. وَحَمِدْتُهُ عَلَى ذَلِكَ، وَمِنْهُ الْمَحْمَدَةُ. وَحُمَادَاكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا أَيْ: "حَمْدُكَ"، وَحُمَادَاكَ أَنْ تَنْجُوَ مِنْ فُلَانٍ رَأْسًا بِرَأْسٍ. وَالتَّحْمِيدُ: كَثْرَةُ حَمْدِ اللهِ بِحُسْنِ الْمَحَامِدِ. وَأَحْمَدَ الرَّجُلَ: أَيْ: فَعَلَ فَعِلًا يُحْمَدُ عَلَيْهِ، قَالَ الأَعْشَى:

وأَحْمَدْتَ إذْ نَجَّيْتَ بالأمْسِ صِرْمةً..... لها غَدَاداتٌ واللَّواحِقُ تلحقُ [٢٧٤]

وَالْحَمْدُ لُغَةً: الثَّنَاءُ بِالْجَمِيلِ الاخْتِيَارِيِّ تَعْظِيمًا وَعُرْفًا، وَهُوَ الثَّنَاءُ بِالْجَمِيلِ عَلَى قَصْدِ التَّعْظِيمِ وَالتَّبْجِيلِ.

وَالْحَمْدُ فِي الْعُرْفِ: فِعْلٌ يُنْبِئُ عَنْ تَعْظِيمِ الْمُنْعِمِ، بِسَبَبِ كَوْنِهِ مُنْعِمًا، فَقَدْ تَضَمَّنَ مَحْمُودًا بِهِ وَمَحْمُودًا عَلَيْهِ، وَأَمَّا الْمُسْتَحِقُّ لِلْحَمْدِ فَهُوَ الْمَحْمُودُ، وَلَا يُشْتَرَطُ فِيْهِ ذَلِكَ بَلْ لَا يَصِحُّ [٢٧٥].

---

٢٧٤ – رَاجِعْ كِتَابَ الْعَيْنِ، لِلْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ، ج ١٨٨/٣، تَحْقِيق: د. مَهْدِي المَخْزُومِيّ، د. إبْرَاهِيم السَّامِرَّائِيّ، دَار وَمَكْتَبَة الهِلَالِ.

٢٧٥ – رَاجِعْ حَاشِيَةَ الشِّهَابِ عَلَى تَفْسِيرِ البَيْضَاوِيِّ، المُسَمَّاة عِنَايَةَ القَاضِي وَكِفَايَةَ الرَّاضِي، لِشِهَابِ الدِّينِ الخَفَاجِيّ الْمَصْرِيّ، الْمُتَوفَّى ١٠٦٩ هـ، ج ٢/٤، دَارُ صَادِر، بَيْرُوت. وَالْبَحْرُ الْمَدِيدُ فِي تَفْسِيرِ القُرْآنِ الْمَجِيدِ، لِأَبِي العَبَّاسِ بْن عَجِيْبَة، ج ٥٣/١، تَحْقِيقُ أَحْمَد عَبْد اللهِ القُرْشِيّ رَسْلَان، النَّاشِر: الدُّكْتُور حَسَنْ عَبَّاس زكي، القَاهِرَة، طَّبْعَة ١٤١٩ هـ.

وَالْحَمْدُ: ذِكْرُ صِفَاتِ الْمَحْمُودِ، وَالثَّنَاءُ الْكَامِلُ عَلَيْهِ؛ مَعَ حُبِّهِ وَتَعْظِيمِهِ وَإِجْلَالِهِ؛ فَإِنْ تَجَرَّدَ هَذَا الذِّكْرُ وَالثَّنَاءُ عَنِ الْحُبِّ فَهُوَ مَدْحٌ، وَإِنْ كَانَ مَقْرُونًا بِالْحُبِّ فَهُوَ حَمْدٌ. وَلَا يَكُونُ الْحَمْدُ إِلَّا لِلْحَيِّ الْعَاقِلِ.

وَفِي الْجُمْلَةِ: الْحَمْدُ هُوَ الْمَدْحُ، وَالْوَصْفُ بِالْجَمِيلِ، وَهُوَ شُعْبَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ شُعَبِ الشُّكْرِ، وَإِنَّمَا كَانَ الْحَمْدُ رَأْسَ الشُّكْرِ لِأَنَّ فِيهِ إِظْهَارُ النِّعَمِ، وَالدِّلَالَةُ عَلَيْهَا، وَالإِشَادَةُ بِهَا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، {الْحَمْدُ} وَصْفُ الْمَحْمُودِ بِالكَمَالِ مَعَ الْمَحَبَّةِ، وَالتَّعْظِيمِ؛ الكَمَالُ الذَّاتِيُّ، وَالوَصْفِيُّ، وَالفِعْلِيُّ؛ فَهُوَ كَامِلٌ فِي ذَاتِهِ، وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالِهِ؛ وَلَا بُدَّ مِنْ قَيْدٍ وَهُوَ "الْمَحَبَّةُ، وَالتَّعْظِيمُ".

قَالَ أَهْلُ العِلْمِ: "لِأَنَّ مُجَرَّدَ وَصْفِهِ بِالْكَمَالِ بِدُونِ مَحبَّةٍ، وَلَا تَعْظِيمٍ لَا يُسَمَّى حَمْدًا؛ وَإِنَّمَا يُسَمَّى مَدْحًا"؛ وَلِهَذَا يَقَعُ مِنْ إِنْسَانٍ لَا يُحِبُّ الْمَمْدُوحَ؛ لَكِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنَالَ مِنْهُ شَيْئًا؛ نَجِدُ بَعْضَ الشُّعَرَاءِ يَقِفُ أَمَامَ الأُمَرَاءِ، ثُمَّ يَأْتِي لَهُمْ بِأَوْصَافٍ عَظِيمَةٍ لَا مَحَبَّةً فِيهِمْ وَلَكِنْ مَحبَّة فِي الْمَالِ الَّذِي يُعْطُونَهُ، أَوْ خَوْفًا مِنْهُمْ؛ وَلَكِنْ حَمْدَنَا لِرَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ حَمْدُ مَحَبَّةٍ وَتَعْظِيمٍ؛ فَلِذَلِكَ صَارَ لَا بُدَّ مِنَ القَيْدِ فِي الْحَمْدِ أَنَّهُ وَصْفُ الْمَحْمُودِ بِالكَمَالِ مَعَ الْمَحَبَّةِ، وَالتَّعْظِيمِ؛ و"الْ" يَعْنِي الْأَلِفَ وَاللَّامَ فِي {الْحَمْدُ} لِلاسْتِغْرَاقِ: أَيْ اسْتِغْرَاقُ جَمِيعِ الْمَحَامِدِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {لِلَّهِ} اللَّامُ لِلاخْتِصَاصِ وَالاسْتِحْقَاقِ؛ و{اللَّهُ} اسْمُ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ؛ لَا يُسَمَّى بِهِ غَيْرُهُ؛ وَمَعْنَاهُ: الْمَأْلُوهُ، أَيْ الْمَعْبُودُ حُبًّا، وَتَعْظِيمًا [٢٧٦].

---

٢٧٦ – رَاجِعْ تَفْسِيرَ سُورَةِ الفَاتِحَةِ وَالبَقَرَةِ، لابْنِ عُثَيْمِينَ ج ١/٩، دَارُ ابْنِ الجَوْزِيِّ، المَمْلَكَة العَرَبِيَّة السُّعُودِيَّة، الطَّبْعَةُ الأُولَى ١٤٢٣ هـ.

وَالْمَعْنَى: الْحَمْدُ كُلُّهُ بِجَمِيعِ أَصْنَافِهِ وَأَجْنَاسِهِ مُسْتَحَقٌّ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. أَوْ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْحَمْدِ دُونَ سِوَاهُ. كُلَّمَا أَصْبَحْنَا فِي نِعْمَةٍ أَوْ أَمْسَيْنَا فَمِنَ اللهِ، حَتَى أَنَّ مَصَالِحَنَا وَحَوَائِجَنَا الَّتِي تُقْضَى عَلَى يِدِ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ إِنَّمَا الفَضْلُ في الحَقِيقَةِ فِي تَيْسِيرِهَا للهِ، فَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا خَلْقَهُ لِقَضَاءِ حَوَائِجِنَا، وَهُوَ الَّذِي قَدَّرَ أَنْ تُقْضَى عَلَى أَيْدِيهِمْ، فَالفَضْلُ وَالْمِنَّةُ كُلُّهَا للهِ. وَالحَمْدُ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَوَّلًا وَآخِرًا.

ثَانِيًا: المَدْحُ: نَقِيضُ الْهِجَاءِ، وَهُوَ حُسْنُ الثَّنَاءِ. والمِدْحَةُ اسمُ المدِيحِ، وجمعُهُ مَدائِحُ ومِدَحٌ، يُقالُ: مَدَحْتُهُ وامتَدَحْتُهُ (٢٧٧). والمديحُ: اسْمٌ مُشْتَقٌّ منَ الْمَدْحِ، والمادحُ فَاعلٌ والممدوحُ مفعولٌ، وَرُبما سُمِّيَ الْمَدْحُ بِعَيْنِهِ مَدِيحًا، وَرُبَّمَا سُمِّيَ الممدوحُ بِعَيْنِهِ مَدِيًّحا إِذا احْتِيجَ إِلَيْهِ فِي الشِّعْرِ كَأَنَّهُ فَعيلٌ مَعدولٌ عَن مفعولٍ، وَمَا أقلَّ مَا يُسْتَعْملُ ذَلِكَ (٢٧٨).

فالْفَرْقُ بَيْنَ الْحَمْدِ وَالْمَدْحِ مِنْ وُجُوهٍ:

- ❖ الْأَوَّلُ: أَنَّ الْمَدْحَ قَدْ يَحْصُلُ لِلْحَيِّ وَلِغَيْرِ الْحَيِّ، أَلَّا تَرَى أَنَّ مَنْ رَأَى لُؤْلُؤَةً فِي غَايَةِ الْحُسْنِ أَوْ يَاقُوتَةً فِي غَايَةِ الْحُسْنِ فَإِنَّهُ قَدْ يَمْدَحُهَا، وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَحْمَدَهَا، فَثَبَتَ أَنَّ الْمَدْحَ أَعَمُّ مِنَ الْحَمْدِ.

---

٢٧٧ – رَاجِعْ كِتَاب العَيْن، لِلْخَلِيلِ بْن أَحْمَدَ، ج ١٨٨/٣، تَحْقِيقُ: د. مَهْدِي المَخْزُومِيّ، د. إِبْرَاهِيم السَّامرَّائِيّ، دَار وَمَكْتَبَة الهِلَال.

٢٧٨ – رَاجِعْ كِتَابَ جَمْهَرَةِ اللُّغَةِ، لِلأَزْدِيّ، تَحْقِيقُ: رَمْزِي مُنِير بَعْلَبَكِي، دَارُ العِلْمِ لِلْمَلَايِينِ – بَيْرُوت، الطَّبْعَةُ الأُولَى ١٩٨٧م.

- ❖ الْوَجْهُ الثَّانِي فِي الْفَرْقِ: أَنَّ الْمَدْحَ قَدْ يَكُونُ قَبْلَ الْإِحْسَانِ وَقَدْ يَكُونُ بَعْدَهُ، أَمَّا الْحَمْدُ فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ الْإِحْسَانِ.
- ❖ الْوَجْهُ الثَّالِثُ فِي الْفَرْقِ: أَنَّ الْمَدْحَ قَدْ يَكُونُ مَنْهِيًّا عَنْهُ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "أُحْثُوا التُّرَابَ فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ" [٢٧٩]. أَمَّا الْحَمْدُ فَإِنَّهُ مَأْمُورٌ بِهِ مُطْلَقًا.
- ❖ الْوَجْهُ الرَّابِعُ: أَنَّ الْمَدْحَ عِبَارَةٌ عَنِ الْقَوْلِ الدَّالِّ عَلَى كَوْنِهِ مُخْتَصًّا بِنَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْفَضَائِلِ، وَأَمَّا الْحَمْدُ فَهُوَ الْقَوْلُ الدَّالُّ عَلَى كَوْنِهِ مُخْتَصًّا بِفَضِيلَةٍ مُعَيَّنَةٍ، وَهِيَ فَضِيلَةُ الْإِنْعَامِ وَالْإِحْسَانِ فَثَبَتَ بِمَا ذَكَرْنَا أَنَّ الْمَدْحَ أَعَمُّ مِنَ الْحَمْدِ [٢٨٠].

يَظْهَرُ لَنَا مِمَّا تَقَدَّمَ أَنَّنَا عِنْدَمَا نَقُولُ {الْحَمْدُ لِلَّهِ} فَإِنَّنَا نَحْمَدُ اللهَ الْحَيَّ القَائِمَ الَّذِي اتَّصَفَ بِصِفَاتٍ تَسْتَحِقُّ الْحَمْدَ، وَنَعْتَرِفُ لَهُ بِالتَّفَضُّلِ والتَّكَرُّمِ، فَقَدْ أَسْبَغَ عَلَيْنَا مِنْ نِعَمِهِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ، وَأَسْبَغَ عَلَيْنَا إِحْسَانَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، فَالْحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ مَا لَا يُحصِيهِ عَادٌّ، مَعَ إِظْهَارِ تَعْظِيمِنَا وَإِجْلَالِنَا لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَتَأْكِيدِ تَوَجُّهِ مَحَبَّتِنَا إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ.

---

٢٧٩ – رَوَاهُ مُسْلِمُ رَقَمْ ٦٨-٣٠٠٢، فِي كِتَابِ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، بَاب: النَّهْيِ عَنِ الْمَدْحِ، إِذَا كَانَ فِيهِ إِفْرَاطٌ وَخِيفَ مِنْهُ فِتْنَة عَلَى الْمَمْدُوحِ. وَتَحْتَ البَّابِ أَحَادِيث لأَبِي بَكْرَةَ، وَأَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيّ، وَالمِقْدَادُ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَنَصُّ حَدِيثِ المِقْدَاد: عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ، قَالَ: قَامَ رَجُلٌ يُثْنِي عَلَى أَمِيرٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ، فَجَعَلَ الْمِقْدَادُ يَحْثِي عَلَيْهِ التُّرَاب، وَقَالَ: "أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ نَحْثِيَ فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ".

الْفَرْقُ بَيْنَ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ

لَوْ بَحَثْنَا عَنِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْمَدْحِ وَالشُّكْرِ نَجِدُ أَنَّ الشُّكْرَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَقِبَ نِعْمَةٍ أَوْ إِحْسَانٍ أُسْدِيَ إِلَى الإِنْسَانِ دُونَ غَيْرِهِ، وَلَا يَكُونُ فِي الصِّفَاتِ، فَلَا نَشْكُرُ الشَّخْصَ عَلَى عِلْمِهِ، أَوْ لِأَنَّهُ يَتَّصِفُ بِصِفَةِ الْعِلْمِ أَوِ الرَّحْمَةِ أَوْ غَيْرِهَا مِنَ الصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةِ لَهُ.

أَمَّا الْحَمْدُ فَإِنَّهُ لَا يَخْتَصُّ بِذَلِكَ فَنَحْنُ نَحْمَدُ اللهَ عَلَى إِنْعَامِهِ لَنَا وَلِغَيْرِنَا، وَنَحْمَدُ اللهَ عَلَى قُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ وَفَضْلِهِ، فَكَانَ اخْتِيَارُ الْحَمْدِ أَوْلَى مِنَ الشُّكْرِ أَيْضًا. لِأَنَّ الشُّكْرَ يَتَحَصَّلُ عَلَى مَا وَصَلَ لِلشَّخْصِ مِنَ النِّعَمِ، أَمَّا الْحَمْدُ فَعَلَى مَا وَصَلَ إِلَيْهِ وَإِلَى غَيْرِهِ، وَالشُّكْرُ يَخْتَصُّ بِالنِّعَمِ وَلَا يُوَجَّهُ لِلصِّفَاتِ. أَمَّا الْحَمْدُ فَيَكُونُ ثَنَاءً عَلَى صفاتٍ، فَالشُّكْرُ إذن أَضْيَقُ نِطَاقًا إِذْ يَخْتَصُّ بِالنِّعَمِ الوَاصِلَةِ إِلَى الشَّخْصِ الَّذِي يَشْكُرُ فَحَسْبُ. وَمِمَّا تَقَدَّمَ يَتَّضِحُ لَنَا أَنَّ الْمَدْحَ أَعَمُّ مِنَ الْحَمْدِ، وَأَنَّ الْحَمْدَ أَعَمُّ مِنَ الشُّكْرِ.

قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {رَبِّ الْعَالَمِينَ}، الرَّبُّ، هُوَ مَنِ اجْتَمَعَ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَوْصَافٍ: الْخَلْقُ، وَالْمُلْكُ، وَالتَّدْبِيرُ؛ فَهُوَ الْخَالِقُ الْمَالِكُ لِكُلِّ شَيْءٍ الْمُدَبِّرُ لِجَمِيعِ الأُمُورِ. وَهُوَ الْمُرَبِّي جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِخَلْقِهِ إِيَّاهُمْ وَإِعْدَادِهِ لَهُمُ الآلَاتِ، وَإِنْعَامِهِ عَلَيْهِمْ بِالنِّعَمِ الْعَظِيمَةِ، الَّتِي لَوْ فَقَدُوهَا، لَمْ يَكُنْ لَهُمُ الْبَقَاءُ. فَمَا بِهِمْ مِنْ نِعْمَةٍ، فَمِنْهُ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَتَرْبِيَتُهُ تَعَالَى لِخَلْقِهِ نَوْعَانِ: تَرْبِيَةٌ عَامَّةٌ، وَتَرْبِيَةٌ خَاصَّةٌ:

- **فَالتَّرْبِيَةُ العَامَّةُ:** هِيَ خَلْقُهُ لِلْمَخْلُوقِينَ، مِنْ حَيْثُ رِزْقِهِمْ، وَهِدَايَتَهِمْ لِمَا فِيهِ مَصَالِحُهُمُ الَّتِي فِيهَا بَقَاؤُهُمْ فِي الدُّنْيَا.
- **وَالتَّرْبِيَةُ الْخَاصَّةُ:** تَرْبِيَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ، فَيُرَبِّيهِمْ بِالإِيْمَانِ، وَيُوَفِّقُهُمْ لَهُ، وَيَدْفَعُ عنْهُمُ الصَّوَارِفَ وَالعَوَائِقَ الْحَائِلَةَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ. وَحَقِيْقَتُهَا: تَرْبِيَةُ التَّوْفِيقِ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَالْعِصْمَةُ مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

ولعلَّ هذا المعنى هوَ السِّرُّ في كونِ أكثرِ أدعيةِ الأنبياءِ بلفظِ الرَّبِّ، فإنَّ مطالبَهُم كلَّها داخِلَةٌ تحتَ ربوبيَّتِهِ الخاصةِ.

فَالرَّبُّ إِذَن هُوَ الْمُرَبِّي، فَإِذَا قِيْلَ لِلْعَبْدِ: مَنْ رَبُّكَ؟ قَالَ: رَبِّيَ اللهُ، الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعْمَتِهِ؛ أَيْ الَّذِي رَبَّى عِبَادَهُ تَرْبِيَةً كَامِلَةً، حَيْثُ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ حَتَّى نشأوا؛ فَهُمْ دَائِمًا فِي نِعْمَتِهِ، رَبَّى عِبَادَهُ بِنِعَمِهِ؛ مُؤْمِنَهُمْ وَكَافِرَهُمْ، كُلُّهُمْ تَرَبُّوا عَلَى نِعَمِهِ، وَعَلَى فَضْلِهِ، هَذِهِ تَرْبِيَةُ اللهِ لِعِبَادِهِ.

فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَقُولَ: اللهُ الَّذِي رَبَّانِي وَإِلَى دَرَجَاتِ الْخَيْرِ رَقَّانِي، وَمِنَ الآفَاتِ وَقَانِي، وَأَعْطَانِي نِعَمًا لَا حَدَّ لَهَا وَلَا حَصْرَ لَهَا، فَلَمَّا كَانَ الْمَوْلَى لَيْسَ إِلَّا اللهُ وَجَبَ أَنْ لَا يُرْجِعَ الْعَاقِلُ دَفْعَ كُلِّ الآفَاتِ إِلَّا إِلَى حِفْظِ اللهِ تَعَالَى.

فَدَلَّ قَوْلُهُ تَعَالَى: {رَبِّ الْعَالَمِينَ} عَلَى انْفِرَادِهِ بِالْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ وَالنِّعَمِ، وَكَمَالِ غِنَاهُ وَتَمَامِ فَقْرِ الْعَالَمِينَ إِلَيْهِ.

وَيُطْلَقُ اسْمُ "رَبِّ" عَلَى السَّيِّدِ الْمُطَاعِ، وَعَلَى الْمُصْلِحِ، وَعَلَى الْمَعْبُودِ، وَيُطْلَقُ عَلَى السَّيِّدِ الْمَالِكِ، كَمَا قَالَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْ صَاحِبَيْهِ، حَيْثُ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ يوسف: ٤٢.

فَالرَّبُّ مَعْنَاهُ: السَّيِّدُ الْمُطَاعُ.

وَالرَّبُّ بِمَعْنَى الْمَالِكِ: رَبُّ الْمَالِ، وَرَبُّ الدَّارِ، وَرَبُّ الإِبِلِ؛ أَيْ مَالِكُهَا.

وَالرَّب بِمَعْنَى الْمُرَبِّي وَهِيَ أَشْهَرُ مَعَانِيهِ، وَأُولَى مَهَامُّ الرَّبِّ الْهِدَايَةُ. لِذَا اقْتَرَنَتِ الْهِدَايَةُ كَثِيرًا بِلَفْظِ الرَّبِّ، كَمَا أَخْبَرَ اللهُ تعالَى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠)﴾ طه: ٤٩-٥٠. وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ طه: ١٢٢.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣)﴾ الأعلى: ١-٣.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الأنعام: ١٦١.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ الكهف: ٢٤. وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ الشعراء: ٦٢.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١)﴾ الصافات: ٩٩-١٠١.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ القصص: ٢٢. لِذَا تنَاسَبَ لَفْظُ "رَبِّ" مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وَفِيهَا طَلَبُ الْهِدَايَةِ.

وَالرَّبُّ بِمَعْنَى الْمُصْلِحِ الْمُرَبِّي، وَمِنْهُ قِيلَ لِبِنْتِ الزَّوْجَةِ رَبِيبَةً، لِأَنَّ زَوْجَ أُمِّهَا رَبَّاهَا، وَأَصْلَحَ مِنْ شَأْنِهَا، وَقَامَ عَلَى تَرْبِيَتِهَا، وَيُطْلَقُ "الرَّبُّ" عَلَى الْمَعْبُودِ، وَلَا يُطْلَقُ هَذَا اللَّفْظُ بِكُلِّ هَذِهِ الْمَعَانِي إِلَّا عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ السَّيِّدُ الْمُطَاعُ، وَهُوَ الْمَالِكُ، وَهُوَ الْمُصْلِحُ، وَهُوَ الْمَعْبُودُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إِلَّا أَنَّ هَذِهِ اللَّفْظَةَ "رَبِّ" بِغَيْرِ الأَلِفِ وَاللَّامِ، تَشْتَرِكُ بَيْنَ اللهِ تعالى وَبَيْنَ غَيْرِهِ؛ فَاللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَفُلَانٌ رَبُّ الْمَالِ، وَرَبُّ الدَّارِ، وَرَبُّ الإِبِلِ. أَمَّا إِذَا دَخَلَتِ الأَلِفُ وَاللَّامُ عَلَى هَذِهِ الكَلِمَةِ "رَبِّ" فَلَا تَنْصَرِفُ إِلَّا إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِأَنَّ الأَلِفَ وَاللَّامَ لِلْعَهْدِ، فَلَا تَنْصَرِفُ إِلَّا إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {الْعَالَمِينَ} اخْتَلَفَ مَا الْمُرَادُ بِالْعَالَمِينَ عَلَى أَقْوَالٍ:

- قَالَ الْقُرْطُبِيُّ [(٢٨١)]: قَالَ قَتَادَةُ: الْعَالَمُونَ جَمْعُ عَالَمٍ، وَهُوَ كُلُّ مَوْجُودٍ سِوَى اللهِ تَعَالَى، وَلَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ مِثْلَ رَهْطٍ وَقَوْمٍ.
- وَقِيلَ: أَهْلُ كُلِّ زَمَانٍ عَالَمٌ، قَالَهُ الحسين بن الفضل، لقولِ اللهِ تَعَالَى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ الشعراء: ١٦٥، أَيْ مِنَ النَّاسِ.

---

٢٨١ – رَاجِعْ تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيِّ ج ١/١٣٨.

- ❖ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْعَالَمُونَ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ، وَدَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ الفرقان: ١، وَلَمْ يَكُنْ نَذِيرًا لِلْبَهَائِمِ.
- ❖ وَقَالَ الْفَرَّاءُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ: الْعَالَمُ عِبَارَةٌ عَمَّنْ يَعْقِلُ، وَهُمْ أَرْبَعَةُ أُمَمٍ: الْإِنْسُ وَالْجِنُّ وَالْمَلَائِكَةُ وَالشَّيَاطِينُ. وَلَا يُقَالُ لِلْبَهَائِمِ: عَالَمٌ، لِأَنَّ هَذَا الْجَمْعَ إِنَّمَا هُوَ جَمْعُ مَنْ يَعْقِلُ خَاصَّةً. ا هـ.

وَاللهُ سُبْحَانَهُ رَبُّ العَالَمِينَ، حَيْثُ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٢٤)﴾ الشعراء: ٢٣-٢٤.

فقولُهُ تعالى: {الْعالَمِينَ} بِفَتْحِ لَامِ الْعَالَمِينَ، وَالَّذِي يَقْرَؤُهَا رَبِّ العَالِمِينَ بِكَسْرِ لَامِ الْعَالِمِينَ تَبْطُلُ قِراءَتُهُ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى رَبُّ الخَلْقِ كُلِّهِمْ؛ إِذَا قَالَ: رَبِّ العَالِمِينَ، فَإِنَّهَا تَخْتَصُّ بِأَهْلِ الْعِلْمِ، وَلَا يَكُونُ رَبًا لِبَقِيَّةِ العَالَمِ؛ العَالَمُ هُمُ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ، حَيَوَانُهُمْ وَجَمَادُهُمْ، مُتَحَرِّكُهُمْ، وَسَاكِنُهُمْ، كُلُّهُمْ عَالَمٌ؛ يَعْنِي أَنَّهُمْ عَلَمٌ عَلَى قُدْرَةِ مَنْ أَنْشَأَهُمْ وَخَلَقَهُمْ؛ فَعِنْدَمَا نَقُولُ: {رَبِّ الْعَالَمِينَ} يَعْنِي: رَبَّ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "قَالَ جِبْرِيلُ لِمُحَمَّدٍ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾"؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "يَقُولُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ الْخَلْقُ كُلُّهُ، السَّماوَاتُ

كُلُّهُنَّ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالْأَرْضُونَ كُلُّهُنَّ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُنَّ، مِمَّا يُعْلَمُ وَمِمَّا لَا يُعْلَمُ. يَقُولُ: اعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ أَنَّ رَبَّكَ هَذَا لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ" [٢٨٢].

مَا وَجْهُ تَسْمِيَةِ "الْعَالَمِينَ"؟

العَالَمُ مُشْتَقٌ مِنَ العَلَامَةِ: لِأَنَّهُ عَلَمٌ دَالٌّ عَلَى وُجُودِ خَالِقِهِ وَصَانِعِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، كَمَا قَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ:

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الإِلَهُ.... أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاحِدُ

وَفِي كُلِّ شيء لَهُ آيةٌ.......... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ [٢٨٣]

وَقِيلَ: مَأْخُوذٌ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَلَامَةِ، لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى مُوجِدِهِ.

كَذَا قَالَ الزَّجَّاجُ: الْعَالَمُ كُلُّ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَقَالَ الْخَلِيلُ: الْعِلْمُ وَالْعَلَامَةُ وَالْمَعْلَمُ: مَا دَلَّ عَلَى الشَّيْءِ، فَالْعَالَمُ دَالٌّ عَلَى أَنَّ لَهُ خَالِقٌ وَمُدَبِّرٌ، وَهَذَا وَاضِحٌ. وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ بَيْنَ يَدَيِ الْجُنَيْدِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَقَالَ لَهُ: أَتِمَّهَا كَمَا قَالَ اللَّهُ، قُلْ: رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: وَمَنِ الْعَالَمِينَ

---

٢٨٢ – رَاجِعْ تَفْسِيرَ الطَّبَرِيِّ ج ١٤٣/١.

٢٨٣– رَاجِعْ تَفْسِيرَ ابْن كَثِيرٍ ج ١٣٣/١، تَحْقِيقُ: سَامِي بْن مُحَمَّد سَلَامَة، دَار طَيْبَةَ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ، الطَّبْعَةُ الثَّانِيَةُ ١٤٢٠هـ– ١٩٩٩م.

حَتَّى تُذْكَرَ مَعَ الْحَقِّ؟ قَالَ: قُلْ يَا أَخِي، فَإِنَّ الْمُحْدَثَ إِذَا قُرِنَ مَعَ الْقَدِيمِ لَا يَبْقَى لَهُ أثر " (٢٨٤).

فَالعَالَمُ: مَأْخُوذٌ مِنَ العِلْمِ، لِأَنَّ هَذَا الْخَلْقَ لَا يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ بِأَحْوَالِهِمْ. وَ{الْعَالَمِينَ} تُطْلَقُ أَحْيَانًا وَيُرَادُ بِهِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ الفرقان: ١.

وَتُطْلَقُ عَلَى البَشَرِ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ الشعراء: ١٦٥.

وَقَالَ العُلَمَاءُ: كُلُّ مَا سِوَى اللهِ فَهُوَ مِنَ العَالَمِ؛ وُصِفُوا بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ عَلَمٌ عَلَى خَالِقِهِمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَفِي كُلِّ شَيءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى الْخَالِقِ، تَدُلُّ عَلَى قُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَعِزَّتِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ (٢٨٥).

وَالْمُرَادُ بِالْعَالَمِينَ: السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ومَا بَيْنَهُمَا، كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي حِوَارِ مُوسَى مَعَ فِرْعُونَ: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٢٤)﴾ الشعراء: ٢٣-٢٤.

وَالْعَالَمُ يُجْمَعُ عَلَى الْعَوَالِمِ، وَعَلَى الْعَالَمِينَ لَكِنَّ اخْتِيَارَ الْعَالَمِينَ عَلَى الْعَوَالِمِ أَمْرٌ بَلَاغِيٌّ؛ يَعْنِي ذَلِكَ أَنَّ {الْعَالَمِينَ} جَمْعُ الْعَالَمِ بِكُلِّ أَصْنَافِهِ؛ لَكِنْ يُغَلِّبُ الْعُقَلَاءَ عَلَى غَيْرِهِمِ فَيُقَالُ لَهُمْ {الْعَالَمِينَ}، لَا يُقَالُ لِعَالَمِ الحَشَرَاتِ أَوْ الْجَمَادَاتِ، أَوْ الْبَهَائِمِ الْعَالَمِينَ، وَعَلَيْهِ فَلَا تُسْتَعْمَلُ كَلِمَةُ الْعَالَمِينَ إِلَّا إِذَا اجْتَمَعَ الْعُقَلَاءُ مَعَ

---

٢٨٤ - رَاجِعْ تَفْسِيرَ القُرْطُبِيِّ ج ١/١٣٩.

٢٨٥ - رَاجِعْ تَفْسِيرَ الفَاتِحَةِ وَالبَقَرَةِ، لابْنِ عُثَيْمِينَ ج ١/١٠.

غَيْرِهِمْ وَغُلِّبُوا عَلَيْهِمْ" [٢٨٦]، بِدَلِيلِ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ الفرقان: ١. وَمِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّهُ لَيْسَ نَذِيْرًا لِلْبَهَائِمِ وَالْجَمَادَاتِ، وَبِهَذَا اسْتَدَلُّوا عَلَى أَنَّ الْمَقْصُودَ بِالْعَالَمِينَ أُولِي الْعَقْلِ وَأُولِي الْعِلْمِ أَوِ الْمُكَلَّفينَ.

أَمَّا "الْعَوَالِمُ" فقَدْ يُطْلَقُ عَلَى أَصْنَافٍ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ لَيْسَ مِنْهُمُ الْبَشَرُ أو الْعُقَلَاءُ أَوِ الْمُكَلَّفُونَ، فتُقَالُ لِلْحَيَوَانَاتِ وَالْحَشَرَاتِ وَالْجَمَادَاتِ.

واخْتِيَارُ كَلِمَةِ "الْعَالَمِينَ" لَهُ سَبَبُهُ فِي سُورَةِ الْفَاتِحَةِ، فَالْعَالَمِينَ تَشْمَلُ جِيْلًا وَاحِدًا وَقَدْ تَشْمَلُ كُلَّ الْمُكَلَّفِينَ أَوْ قِسْمًا مِنْ جِيلٍ ﴿قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ الحجر: ٧٠، فِي قِصَّةِ سَيِّدَنَا لُوطٍ جَاءَتْ هُنَا بِمَعْنَى قِسْمٍ مِنَ الرِّجَالِ.

وَاخْتِيَارُ الْعَالَمِينَ أَيْضًا لِأَنَّ السُّورَةَ كُلَّهَا فِي الْمُكَلَّفِينَ، وَفِيْهَا طَلَبُ الْهِدَايَةِ وَإِظْهَارُ الْعُبُودِيَّةِ للهِ، وَتَقْسِيمُ الْخَلْقِ كُلِّهِ خَاصٌّ بَأُوْلِي الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ، لِذَا كَانَ مِنَ الْمُنَاسِبِ اخْتِيَارُ الْعَالَمِينَ عَلَى غَيْرِهَا مِنْ الْمُفْرَدَاتِ أَوْ الْكَلِمَاتِ. وَقَدْ وَرَدَ فِي آخِرِ الْفَاتِحَةِ ذِكْرُ {الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ} وَهُمُ الْيَهُودُ، وَالْعَالَمِينَ رَدٌّ عَلَى الْيَهُودِ الَّذِينَ ادَّعَوْا أَنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ رَبُّ الْيَهُودِ فقَطْ فَجَاءَتْ {رَبِّ الْعَالَمِينَ} لِتَشْمَلَ كُلَّ الْعَالَمِينَ لَا بَعْضَهُمْ [٢٨٧].

---

٢٨٦ - رَاجِعْ كِتَاب لَمَسَات إِيْمَانِيَّة لِسُورِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، دُكْتُور فَاضِل صَالِح السَّامَرَّائِي. ج ٢٥/١. دار عَمَّار لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيع، عمَّان، الأُرْدُن، الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

٢٨٧ - رَاجِعْ كِتَاب "لَمَسَات إِيْمَانِيَّة لِسُورِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ"، دُكْتُور فَاضِل صَالِح السَّامَرَّائِي. ج ١٢/١.

و{الْحَمْدُ لِلَّهِ}، كَلِمَةٌ أَحَبَّهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَأَحَبَّ أَنْ تُقَالَ، فَحَمِدَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ يَحْمَدَهُ غَيْرُهُ. وَفِى القُرْآنِ الكَرِيمِ خَمْسُ سُوَرٍ افْتَتَحَهَا اللهُ بِالْحَمْدِ:

- ❖ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الفاتحة: ٢.
- ❖ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ الأنعام: ١.
- ❖ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ الكهف: ١.
- ❖ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ سبأ: ١.
- ❖ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فاطر: ١.

فَحَمِدَ اللهُ تَعَالَى نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ يَحْمَدَهُ غَيْرُهُ، وَأَوْجَبَ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَحْمَدُوهُ، وَيُعْلِمُهُمْ أَنَّهُ غَنِيٌّ عَنْ حَمْدِهِمْ إِيَّاهُ إِذَا لَمْ يَحْمَدُوهُ، وَلِذَلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٦)﴾ التغابن: ٥-٦.

وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُجْزِلُ الْعَطَاءَ لِمَنْ يَقُولُ الْحَمْدُ للهِ، وَيُعْظِمُ لِقَائِلِهَا الْأَجْرَ وَالثَّوَابَ، وَدَلِيلُ هَذَا قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الطُّهُورُ شَطْرُ

الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" (٢٨٨).

"وَالْحَمْدُ للهِ" تُسَنُّ فِي مَوَاضِعَ، منْهَا:

- بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، ففِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا" (٢٨٩). وَفِي الْحَدِيثِ عنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ قَالَ إِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" (٢٩٠).

٢٨٨ - رَوَاهُ مُسْلِمُ مِنْ حَدِيثِ أبي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رَقَمْ ٢٢٣/١، فِي كِتَابِ الطَّهَارَةِ، بَاب: فَضْلِ الوُضُوءِ. وتَمَامُ الحَدِيثِ: "وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا".

٢٨٩ - رَوَاهُ مسلمُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رَقَمْ ٨٩-٢٧٣٤، فِي كِتَابِ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ، بَابُ: اسْتِحْبَابِ حَمْدِ اللهِ تَعَالَى بَعْدَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ.

٢٩٠ - حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رَقَمْ ٣٤٥٨، فِي كِتَابِ الدَّعَوَاتِ، بَاب: مَا يَقُولُ إِذَا فَرَغَ مِنَ الطَّعَامِ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ.

❖ وَإِذَا اسْتَجَدَّ الْمُسْلِمُ ثَوْبًا يُسَمِّيهِ بِاسْمِهِ وَيَقُولُ: "اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ" (٢٩١).

❖ وَعِنْدَ النَّوْمِ، يُسَنُّ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَقُولَ: "اللهُ أَكْبَرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَسُبْحَانَ اللهِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَالْحَمْدُ للهِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ" (٢٩٢).

❖ وَعِنْدَ الاسْتِيْقَاظِ، يُسَنُّ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَقُولَ: "الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ" (٢٩٣). وَيُسَنُّ لَهُ كَذَلِكَ أَنْ يَقُولَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَدَّ عَلَيَّ رُوحِي، وَعَافَانِي فِي جَسَدِي، وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ" (٢٩٤).

---

٢٩١ – حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رَقَمْ ١٧٦٧، فِي كِتَابِ اللِّبَاسِ، بَاب: مَا يَقُولُ إِذَا لَبِسَ ثَوْبًا جَدِيدًا. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

٢٩٢ – رَوَاهُ البُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رَقَمْ ٣٧٠٥، فِي كِتَابِ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَاب: مَنَاقِبِ عَلِيِّ بِنِ أبي طَالِبٍ. وَلَفْظُهُ: عَنِ الحَكَمِ، سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي لَيْلَى قَالَ: حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلاَمُ، شَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ أَثَرِ الرَّحَى، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيٌ، فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ، فَوَجَدَتْ عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْتُ لِأَقُومَ، فَقَالَ: "عَلَى مَكَانِكُمَا". فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، وَقَالَ: "أَلاَ أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَانِي، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا تُكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، وَتُسَبِّحَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَتَحْمَدَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ".

٢٩٣ – رَوَاهُ البُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رَقَمْ ٦٣١٢، فِي كِتَابِ الدَّعَوَاتِ، بَابُ: مَا يَقُولُ إِذَا نَامَ. وَلَفْظُهُ: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، قَالَ: "بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا" وَإِذَا قَامَ قَالَ: "الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ".

❖ وَيُسَنُّ لِلْمُسْلِمِ كَذَلِكَ أَنْ يَقُولَ: الْحَمْدُ للهِ، عِنْدَ رُكُوبِ الدَّابَّةِ، فَمِنْ أَذْكَارِ رُكُوبِ الدَّابَّةِ أَنْ يَقُولَ الْمُسْلِمُ الحَمْدُ للهِ إِذَا اسْتَوَى عَلَى ظَهْرِ دَابَّتِهِ، وَالدَّابَّةُ كُلُّ مَا يَدُبُّ عَلَى الأَرْضِ، وَاخْتَصَّ الاسْمُ عَلَى كُلِّ مَا يُرْكَبُ. عَنْ عَلِيِّ بْنِ رَبِيعَةَ، قَالَ: "شَهِدْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأُتِيَ بِدَابَّةٍ لِيَرْكَبَهَا، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ قَالَ: "بِسْمِ اللهِ"، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى ظَهْرِهَا قَالَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ"، ثُمَّ قَالَ: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ (١٤)﴾، ثُمَّ قَالَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ" ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ قَالَ: "اللهُ أَكْبَرُ" ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ قَالَ: "سُبْحَانَكَ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ". ثُمَّ ضَحِكَ، فَقِيلَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ؟ قَالَ: "رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَلَ كَمَا فَعَلْتُ ثُمَّ ضَحِكَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ؟ قَالَ: "إِنَّ رَبَّكَ يَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي" (٢٩٥).

---

٢٩٤ – حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ ابْنُ السُنِّيِّ فِي عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، مِنْ حَدِيثِ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رَقَمْ ٩. وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الجَامِعِ الصَّغِيرِ لِلسُّيُوطِيِّ رَقَمْ ٣٢٩.

٢٩٥ – حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ رَقَمْ ٢٦٠٢، فِي كِتَابِ الْجِهَادِ، بَاب: مَا يَقُولُ الرَّجُلُ إِذَا رَكِبَ. وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

❖ وَيُسَنُّ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَقُولَ "الْحَمْدُ للهِ" عِنْدَ رُؤْيَةِ أَهْلِ الْبَلَاءِ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ رَأَى مُبْتَلًى، فَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا، لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ البَلَاءُ" [٢٩٦].

مِنْ فَوَائِدِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فَوَائِدُ ذَكَرَهَا شَيْخُنَا ابْنُ عُثَيْمِينَ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الفَاتِحَةِ، [٢٩٧] قَالَ: مِنْ فَوَائِدِ الآيَةِ:

١- إِثْبَاتُ الْحَمْدِ الكَامِلِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَذَلِكَ مِنْ "الْ" فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {الْحَمْدُ}؛ لِأَنَّهَا دَالَّةٌ عَلَى الاسْتِغْرَاقِ.

٢- وَمِنْهَا: أَنَّ اللهَ تَعَالَى مُسْتَحِقٌ مُخْتَصٌ بِالْحَمْدِ الْكَامِلِ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ؛ وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "إِذَا رَأَى مَا يُحِبُّهُ قالَ: "الْحَمْدُ للهِ

---

٢٩٦ – حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ رَقَمْ ٣٤٣٢، فِي كِتَابِ الدَّعَوَاتِ، بَاب: مَا يَقُولُ إِذَا رَأَى مُبْتَلًى. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ.

٢٩٧ – رَاجِعْ تَفْسِيرَ الفَاتِحَةِ وَالبَقَرَةِ، لابْنِ عُثَيْمِينَ ج ١/١٠. دَارُ ابْنِ الجَوْزِيِّ، السُّعُودِيَّةُ، الطَّبْعَةُ الأُولَى ١٤٢٣هـ.

الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتِ". وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُهُ قَالَ: الْحَمْدُ للهِ عَلَى كُلِّ حالٍ" [٢٩٨].

٣- وَمِنْهَا: تَقْدِيمُ وَصْفِ اللهِ بِالْأُلُوهِيَّةِ عَلَى وَصْفِهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ؛ وَهَذَا إِمَّا لِأَنَّ "اللهَ" هُوَ الاسْمُ العَلَمُ الْخَاصُّ بِهِ، وَالَّذِي تَتْبَعُهُ جَمِيعُ الأَسْمَاءِ؛ وَإِمَّا لِأَنَّ الَّذِينَ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ يُنْكِرُونَ الأُلُوهِيَّةَ فَقَطْ.

٤- وَمِنْهَا: عُمُومُ رُبُوبِيَّةِ اللهِ تَعَالَى لِجَمِيعِ الْعَالَمِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {الْعَالَمِينَ}، وَرُبُوبِيَّةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مُبْنِيَّةٌ عَلَى الرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ لِلْخَلْقِ الْوَاصِلَةِ. فَهِيَ رُبُوبِيَّةُ رَحْمَةٍ، وَإِنْعَامٍ، لَا رُبُوبِيَّةُ أَخْذٍ وَانْتِقَامٍ.

٥- قَوْلُهُ تَعَالَى {رَبِّ الْعَالَمِينَ} فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى انْفِرَادِهِ سُبْحَانَهُ بِالْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ وَالْمُلْكِ وَتَمَامِ فَقْرِ الْعَالَمِينَ إِلَيْهِ. قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ [٢٩٩]: وَاعْلَمْ أَنَّ تَرْبِيَتَهُ تَعَالَى مُخَالِفَةٌ لِتَرْبِيَةِ غَيْرِهِ، وَبَيَانُهُ مِنْ وُجُوهٍ:

- الْأَوَّلُ: مَا ذَكَرْنَاهُ أَنَّهُ تَعَالَى يُرَبِّي عَبِيدَهُ لَا لِغَرَضِ نَفْسِهِ بَلْ لِغَرَضِهِمْ. وَغَيْرُهُ يُرَبُّونَ لِغَرَضِ أَنْفُسِهِمْ لَا لِغَرَضِ غَيْرِهِمْ.
- الثَّانِي: أَنَّ غَيْرَهُ إِذَا رَبَّى فَبِقَدْرِ تِلْكَ التَّرْبِيَةِ يَظْهَرُ النُّقْصَانُ فِي خَزَائِنِهِ وَفِي مَالِهِ وَهُوَ تَعَالَى مُتَعَالٍ عَنِ النُّقْصَانِ وَالضَّرَرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ الحجر: ٢١.

٢٩٨ - حَدِيثٌ حَسَنٌ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، رَقَمْ ٣٨٠٣، فِي كِتَابِ الأَدَبِ، بَاب: فَضْلِ الْحَامِدِينَ. وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِيُّ.

٢٩٩ - هَذَا مَا قَالَهُ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ فِي التَّفْسِيرِ الْكَبِيرِ، الْمُسَمَّى: مَفَاتِيحِ الْغَيْبِ، ج ١٩٩.

- الثَّالِثُ: أَنَّ غَيْرَهُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ إِذَا أَلَحَّ الْفَقِيرُ عَلَيْهِ أَبْغَضَهُ وَحَرَمَهُ وَمَنَعَهُ، وَالْحَقُّ تَعَالَى بِخِلَافِ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ الْمُلِحِّينَ فِي الدُّعَاءِ.
- الرَّابِعُ: أَنَّ غَيْرَهُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ مَا لَمْ يُطْلَبْ مِنْهُ الْإِحْسَانُ لَمْ يُعْطِ، أَمَّا الْحَقُّ تَعَالَى فَإِنَّهُ يُعْطِي قَبْلَ السؤالِ، ألا تَرَى أَنَّهُ رَبَّاكَ حَالَمَا كُنْتَ جَنِينًا فِي رَحِمِ الْأُمِّ، وَحَالَمَا كُنْتَ جَاهِلًا غَيْرَ عَاقِلٍ، لَا تُحْسِنُ أَنْ تَسْأَلَ مِنْهُ، وَوَقَاكَ وَأَحْسَنَ إِلَيْكَ مَعَ أَنَّكَ مَا سَأَلْتَهُ وَمَا كَانَ لَكَ عَقْلٌ وَلَا هِدَايَةٌ.
- الْخَامِسُ: أَنَّ غَيْرَهُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ يَنْقَطِعُ إِحْسَانُهُ إِمَّا بِسَبَبِ الْفَقْرِ أَوِ الْغَيْبَةِ أَوِ الْمَوْتِ، وَالله تَعَالَى لَا يَنْقَطِعُ إِحْسَانُهُ الْبَتَّةَ.
- السَّادِسُ: أَنَّ غَيْرَهُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ يَخْتَصُّ إِحْسَانُهُ بِقَوْمٍ دُونَ قَوْمٍ وَلَا يُمْكِنُهُ التَّعْمِيمُ، أَمَّا الْحَقُّ تَعَالَى فَقَدْ وَصَلَ تَرْبِيَتُهُ وَإِحْسَانُهُ إِلَى الْكُلِّ كَمَا قَالَ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف: ١٥٦، فَثَبَتَ أَنَّهُ تَعَالَى رَبُّ الْعَالَمِينَ وَمُحْسِنٌ إِلَى الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ، فَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّ نَفْسِهِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. ا هـ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾

{الرَّحْمَنُ}، صِفَةٌ لِلَفْظِ الْجَلَالَةِ، أَيْ ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ.

و{الرَّحِيمُ} صَفَةٌ أُخْرَى؛ أَيْ ذُو الرَّحْمَةِ الْوَاصِلَةِ؛ ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ الأنعام: ١٢.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ الله فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾: وَصَفَ نَفْسَهُ تَعَالَى بَعْدَ {رَبِّ الْعالَمِينَ}، بِأَنَّهُ {الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}، لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ فِي اتِّصَافِهِ بِـ{رَبِّ الْعالَمِينَ} تَرْهِيبٌ قَرَنَهُ بِـ{الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}، لِمَا تَضَمَّنَ مِنَ التَّرْغِيبِ، لِيَجْمَعَ فِي صِفَاتِهِ بَيْنَ الرَّهْبَةِ مِنْهُ، وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ، فَيَكُونُ أَعْوَنَ عَلَى طَاعَتِهِ وَأَمْنَعَ، كَمَا قَالَ: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠)﴾ الحجر: ٤٩-٥٠. وَقَالَ: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ غافر: ٣.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ" [٣٠٠].

---

٣٠٠ - راجع تفسير القرطبي ج ١/١٣٩.

لِمَاذَا قَدَّمَ سُبْحَانَهُ {الرَّحْمَنِ} عَلَى {الرَّحِيمِ}؟

قَدَّمَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى صِيْغَةَ {الرَّحْمَنِ} وَالَّتِي هِيَ الصِّفَةُ الْمُتَجَدِّدَةُ، وَفِيْهَا الامْتِلَاءُ بِالرَّحْمَةِ لِأَبْعَدِ حُدُودِهَا، لِأَنَّ الإِنْسَانَ فِي طَبِيعَتِهِ عَجُولٌ، وَكَثِيرًا مَا يُؤْثِرُ الإِنْسَانُ الشَّيْءَ الآتِي السَّرِيعَ وَإِنْ قَلَّ، عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي سَيَأْتِي لَاحِقًا وَإِنْ كَثُرَ، ﴿كَلاَّ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ القيامة: ٢٠. لِذَا جَاءَ سُبْحَانَهُ بِالصِّفَةِ الْمُتَجَدِّدَةِ، وَرَحْمَتُهُ قَرِيْبَةٌ وَمُتَجَدِّدَةٌ وَحَادِثَةٌ إِلَيْهِ، وَلَا تَنْفَكُّ، لِأَنَّ رَحْمَتَهُ ثَابِتَةٌ.

وَوُقُوعُ كَلِمَةَ {الرَّحِيمِ} بَعْدَ كَلِمَةِ "الرَّبِّ" يَدُلُّنَا عَلَى أَنَّ الرَّحْمَةَ هِيَ مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى الْعُلْيَا، وَفِيْهَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْمُرَبِّي يَجِبُ أَنْ يَتَحَلَّى بِالرَّحْمَةِ وَتَكُونُ مِنْ أَبْرَزِ صِفَاتِهِ وَلَيْسَتِ الْقَسْوَةُ. وَالرَّبُّ بِكُلِّ مَعَانِيهِ يَنْبَغِي أَنْ يَتَّصِفَ بِالرَّحْمَةِ سَوَاءً كَانَ مُرَبِّيًا أَوْ سَيِّدًا أَوْ قَيِّمًا، وَقَدْ وَصَفَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ بِالرَّحْمَةِ [٣٠١].

٣٠١ – رَاجِعْ كِتَابَ: لَمَسَات بَيَانِيَّة لِسُوَرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، دُكْتُور فَاضِل صَالِح السَّامَرَّائِيّ، ص ١٤، نُسْخَةٌ غَيْرُ مَطْبُوعَةٍ.

مِنْ فَوَائِدِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾

قَالَ شَيْخُنَا ابْنُ عُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللهُ:

١- إِثْبَاتِ هَذَيْنِ الاسْمَيْنِ الْكَرِيْمَيْنِ: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} للهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ وَإِثْبَاتُ مَا تَضَمَّنَاهُ مِنَ الرَّحْمَةِ الَّتِي هِيَ الْوَصْفُ، وَمِنَ الرَّحْمَةِ الَّتِي هِيَ الْفِعْلُ.

٢- وَمِنْهَا: أَنَّ رُبُوبِيَّةَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الرَّحْمَةِ الْوَاسِعَةِ لِلْخَلْقِ الْوَاصِلَةِ. لِأَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا قَالَ: {رَبِّ الْعَالَمِينَ} كَأَنَ سَائِلًا يَسْأَلُ: مَا نَوْعُ هَذِهِ الرَّبُوبِيَّةِ؟ هَلْ هي رُبُوبِيَّةُ أَخْذٍ وَانْتِقَامٍ، أَمْ رُبُوبِيَّةُ رَحْمَةٍ وَإِنْعَامٍ؟ فَقَالَ تَعَالَى: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} [٣٠٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

﴿مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، صِفَةٌ لِـ {اللهِ} وَهُوَ مَن اتَّصَفَ بِصِفَةِ الْمُلْكِ الَّتِي مِنْ آثَارِهَا أَنْ يَأْمُرَ وَيَنْهى، وَيُثِيبَ وَيُعَاقِبَ، وَيَتَصَرَّفَ بِمَمَالِيكِهِ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ التَّصَرُّفَاتِ، وَأَضَافَ الْمُلْكَ لِيَوْمِ الدِّينِ، وَهُوَ يَوْمُ القِيَامَةِ، يَوْمَ يُدَانُ النَّاسُ فِيهِ بِأَعْمَالِهِمْ، خَيْرِهَا وَشَرِّهَا، لِأَنَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، يَظْهَرُ لِلْخَلْقِ تَمَامَ الظُّهُورِ، كَمَالُ

---

٣٠٢ - رَاجِعْ تَفْسِيرَ الفَاتِحَةِ وَالبَقَرَةِ، لابْنِ عُثَيْمِينَ ج ١/١١.

مُلْكِهِ وَعَدْلِهِ وحِكْمَتِهِ، وَانْقِطَاع أَمْلَاكِ الْخَلَائِقِ، حَتَّى إِنَّهُ يَسْتَوِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْمُلُوكَ وَالرَّعَايَا، وَالْعَبِيدَ وَالْأَحْرَارَ؛ كُلُّهُمْ مُذْعِنُونَ لِعَظَمَتِهِ، خَاضِعُونَ لِعِزَّتِهِ، مُنْتَظِرُونَ لِمُجَازَاتِهِ، رَاجُونَ ثَوَابه، خَائِفُونَ مِنْ عِقَابِهِ، فَلِذَلِكَ خَصَّهُ بِالذِّكْرِ، وَإِلَّا فَهُوَ الْمَالِكُ لِيَوْمِ الدِّينِ وَلِغَيْرِهِ مِنْ الْأَيَّامِ [٣٠٣]. فَاللهُ هُوَ المَلِكُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَا يُشَارِكُهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ، حَيْثُ إِنَّ الْمَخْلُوقَاتِ لَا تَمْلِكُ شَيْئًا، وَقَدْ أَنْكَرَ تَعَالَى عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ عَبَدُوا هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي هِيَ مِثْلُهُمْ فِي الضَّعْفِ، وَأَنَّهَا لَا تَمْلِكُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا، وَلَا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، وَلَا تَنْفَعُ أَحَدًا وَلَا تَضُرُّهُ. حَيْثُ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ النحل: ٧٣. وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢) وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٢٣)﴾ سبأ: ٢٢-٢٣. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ فاطر: ١٣.

قوله تعالى: "يَوْمِ الدِّين"، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الْمَالِكُ لِيَوْمِ الدِّينِ وَغَيْرِهِ مِنَ الأَيَّامِ، لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ خَصَّ هَذَا اليَوْمَ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ يَوْمٌ يُدَانُ

---

٣٠٣ - رَاجِعْ تَيْسِيرَ الكَرِيمِ الرَّحْمَنِ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِ المَنَّانِ، لعَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيّ ج ٣٩/١. تَحْقِيقُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَعَلَّا اللُّوَيْحِق. مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ، الطَّبْعَةُ الأُولَى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

النَّاسُ فِيهِ بِأَعْمَالِهِمْ، وَيُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا إِنْ خَيْرًا فَخَيْرًا، وَإِنْ شَرًا فَشَرًّا، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّه تعالى فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، يُظْهِرُ لِلْخَلْقِ تَمَامَ الظُّهُورِ، كَمَالَ مُلْكِهِ وَعَدْلِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَانْقِطَاعَ أَمْلَاكِ الْخَلَائِقِ. حَتَّى إِنَّهُ يَسْتَوِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْمُلُوكُ وَالرَّعَايَا، وَالْعَبِيدُ وَالْأَحْرَارُ. كُلُّهُمْ مُذْعِنُونَ لِعَظَمَتِهِ، خَاضِعُونَ لِعِزَّتِهِ، مُنْتَظِرُونَ لِمُجَازَاتِهِ، رَاجُونَ لِثَوَابِهِ، خَائِفُونَ مِنْ عِقَابِهِ، فَلِذَلِكَ خَصَّهُ بِالذِّكْرِ، وَإِلَّا فَهُوَ الْمَالِكُ لِيَوْمِ الدِّينِ وَلِغَيْرِهِ مِنَ الْأَيَّامِ (٣٠٤).

وَ[الدِّينُ] فِي الْقُرْآنِ يُطْلَقُ عَلَى مَعْنَيَيْنِ:

❖ **الْمَعْنَى الأَوَّلُ:** بِمَعْنَى الْجَزَاءِ بِالْعَدْلِ كَمَا فِي هَذِهِ الآيَةِ، يَعْنِي أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَالِكٌ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يُجَازَى فِيهِ الْخَلَائِقُ؛ فَلَا مَالِكَ غَيْرَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ؛ حَيْثُ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنْ ذَلِكَ: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣)﴾ الصافات: ٥١-٥٣. فَقَوْلُهُ مَدِيْنُونَ أَيْ: مَجْزِيُّونَ، فَالدَّيْنِ مَعْنَاهُ الْجَزَاءُ بِالعَدْلِ. رَوَى الطَّبَرِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: قَوْلَهُ تعالى: "أَئِنَّا لَمَدِينُونَ": أَئِنَّا لَمُجَازَوْنَ بِالعَمَلِ، كَمَا تَدِينُ تُدَانُ (٣٠٥). فَقَوْلُهُ تَعَالَى: "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ" أَيْ: مَالِكِ يَوْمِ الْجَزَاءِ. كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا

---

٣٠٤ - رَاجِعْ تَيْسِيرَ الكَرِيمِ الرَّحْمَنِ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِ المَنَّانِ، لعَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيّ ج ١/٣٩ - بِتَصَرُّفٍ. تَحْقِيق: عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَعَلَّا اللُّوَيْحِق. مُؤَسَّسَةُ الرِّسَالَةِ، الطَّبْعَةُ الأُولَى ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٣٠٥ - رَاجِعْ تَفْسِيرَ الطَّبَرِيّ ج ٢١/ ٤٦.

أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ (١٩)﴾ الانفطار: ١٧-١٩. وكما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ النور: ٢٥.

❖ وَالْمَعْنَى الثَّانِي: يُرَادُ بِهِ الْعَمَلُ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ الكافرون: ٦. وكَمَا تَقَدَّمَ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: "كَمَا تَدِينُ تُدَانُ" أَيْ كَمَا تَعْمَلْ تُجَازَ. وَمِنْهُ قَوْلُ الذي دَخَلَ الْجَنَّةَ عَنْ قَرِينِهِ الذي كَانَ يَقُولُ لَهُ فِي الدُّنْيَا: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ الصافات: ٥٣.

وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَالِكُ الْمُلْكِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ، مَالِكُ الْمُلْكِ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، وَقَبْلَ أَنْ يُنْفَخَ فِي الصُّورِ، فَهُوَ كَمَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ الأنعام: ٧٣.

وَخَصَّ اللهُ تَعَالَى مُلْكَهُ بِيَوْمِ الدِّينِ لِأَنَّهُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ شَيْئًا. كَمَا أَخْبَرَ اللهُ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ الأنعام: ٩٤.

وَلِذَلِكَ يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ، وَيَطْوِى السَّمَاوَاتِ بِيَمِينِهِ، كَمَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَاوَاتِ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ" [٣٠٦].

وِفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: "يَطْوِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟" [٣٠٧].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عَنْهُ، قَالَ: "جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجِد أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الخَلاَئِقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾" الزمر: ٦٧ [٣٠٨].

---

٣٠٦ – رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ رَقَمْ ٤٨١٢، فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ، بَابُ قَوْلِهِ: {وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ}.

٣٠٧ – رَوَاهُ مُسْلِمُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، رَقَمْ ٢٤–٢٧٨٨، فِي كِتَابِ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

٣٠٨ – رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ رَقَمْ ٤٨١١، فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ، بَابُ قَوْلِهِ: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ (٩١)} سُورَةُ الأَنْعَامِ.

فَفِي الدُّنْيَا مَلَّكَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِبَادَهُ بَعْضًا مِنْ مُلْكِهِ، فَالْمُلْكُ فِي الْحَقِيقَةِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ وَالْعَبْدُ يَمْلِكُ مِمَّا مَلَّكَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ رضي اللهُ عَنْهُ، قَالَ: "انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾. قَالَ: يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي، وَإِنَّمَا لَكَ مِنْ مَالِكَ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ" [٣٠٩]. قَالَ الْأَلُوسِيُّ: قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ: لِمَنْ هَذِهِ الْإِبِلُ؟ فَقَالَ: هِيَ للهِ تَعَالَى عِنْدِي. وَيَمِيلُ إِلَيهِ قَوْلُ الْقَائِلِ:

وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدَائِعُ... وَلَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ [٣١٠]

وَفِى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ الفاتحة: ٤، قِرَاءَتَانِ:

- ❖ فقِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ: {مَلِكِ} بِدُونِ أَلِفٍ.
- ❖ وَقَرَأَ الْكِسَائِيُّ وَعَاصِمُ مِنَ الْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ {مَالِكِ} بِأَلِفٍ وَزَادَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْقُرَّاءِ الْعَشَرَةِ يَعْقُوبُ، فَتَكُونُ قِرَاءَةُ بَاقِي السَّبْعَةِ وَهُمْ نَافِعُ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ وَحَمْزَةُ {مَلِكِ} وَزَادَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْقُرَّاءِ الْعَشَرَةِ أَبُو جَعْفَرَ وَخَلَفُ

---

٣٠٩ - حَدِيثٌ صَحِيحٌ، رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ، رَقَمْ ٧٠١، وَقَالَ شُعَيْبُ الأَرْنَؤُوطُ: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ.

٣١٠ - رَاجِعْ تَفْسِيرَ رَوحِ الْمَعَانِي فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَالسَّبعِ المَثَانِي، لِأَبِي الْفَضْلِ الأَلُوسِيِّ، ج ١٦٩/٢٧، دَارُ إِحْيَاءِ التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ - بَيْرُوتُ.

الْعَاشِرُ، وَهُمُ الْجُمْهُورُ. وَلِلْعُلَمَاءِ فِي كِلَا القراءتين كَلَامٌ مُعْتَبَرٌ لَا بُدَّ أَنْ نَقِفَ عَلَيْهِ هُنَا، لِمَا فِيهِ مِنْ الْفَوَائِدَ الْبَلِيغَةِ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ [٣١١]: اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ أَيُّمَا أَبْلَغُ: مَلِكٌ أَوْ مَالِكٌ؟ وَالْقِرَاءَتَانِ مَرْوِيَّتَانِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ. ذَكَرَهُمَا التِّرْمِذِيُّ، فَقِيلَ: "مَلِكِ" أَعَمُّ وَأَبْلَغُ مِنْ "مالِكِ" إِذْ كُلُّ مَلِكٍ مَالِكٌ، وَلَيْسَ كُلُّ مَالِكٍ مَلِكًا، وَلِأَنَّ أمرَ الْمَلِكِ نَافِذٌ عَلَى الْمَالِكِ فِي مُلْكِهِ، حَتَّى لَا يَتَصَرَّفَ إِلَّا عَنْ تَدْبِيرِ الْمَلِكِ، قَالَه أَبُو عُبَيْدَةَ وَالْمُبَرِّدُ.

وَقِيلَ: "مالِكِ" أَبْلَغُ، لِأَنَّهُ يَكُونُ مَالِكًا لِلنَّاسِ وَغَيْرِهِمْ، فَالْمَالِكُ أَبْلَغُ تَصَرُّفًا وَأَعْظَمُ، إِذْ إِلَيْهِ إِجْرَاءُ قَوَانِينِ الشَّرْعِ، ثُمَّ عِنْدَهُ زِيَادَةُ التَّمَلُّكِ. وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ: حَكَى أَبُو بَكْرٍ بْنُ السَّرَّاجِ عَنْ بَعْضِ مَنِ اختار القراءة بـ "مَلِكِ" أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ مَالكُ كُلِّ شَيْءٍ بِقَوْلِهِ: {رَبِّ الْعالَمِينَ} فَلَا فَائِدَةَ فِي قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ {مالِكِ} لِأَنَّهَا تَكْرَارٌ. قَالَ أَبُو عَلِيٍّ: وَلَا حُجَّةَ فِي هَذَا، لِأَنَّ فِي التَّنْزِيلِ أَشْيَاءٌ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ، تَقَدَّمَ الْعَامُّ ثُمَّ ذُكِرَ الْخَاصُّ:

- كَقَوْلِهِ: {هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ} فَالْخَالِقُ يَعُمُّ. وَذَكَرَ "الْمُصَوِّرُ" لِمَا فِيهِ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَى الصَّنْعَةِ وَوُجُودِ الْحِكْمَةِ.

---

٣١١ – رَاجِعْ تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيِّ ج ١/١٤٠-١٤١.

- وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ} بَعْدَ قَوْلِهِ: {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}. وَالْغَيْبُ يَعُمُّ الْآخِرَةَ وَغَيْرَهَا، وَلَكِنْ ذَكَرَهَا لِعِظَمِهَا وَالتَّنْبِيهِ عَلَى وُجُوبِ اعْتِقَادِهَا، وَالرَّدِّ عَلَى الْكَفَرَةِ الْجَاحِدِينَ لَهَا.

- وَكَمَا قَالَ: {الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} فَذَكَرَ {الرَّحْمنِ} الَّذِي هُوَ عَامٌّ وَذَكَرَ {الرَّحِيمِ} بَعْدَهُ، لِتَخْصِيصِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ فِي قَوْلِهِ: {وَكانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا}.

وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: إِنَّ "مَالِك" أَبْلَغُ فِي مَدْحِ الْخَالِقِ مِنْ {مَلِكِ}، و{مَلِكِ} أَبْلَغَ فِي مَدْحِ الْمَخْلُوقِينَ مِنْ مَالِكِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْمَالِكَ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ قَدْ يَكُونُ غَيْرَ مَلِكٍ، وَإِذَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى مَالِكًا كَانَ مَلِكًا، وَاخْتَارَ هَذَا الْقَوْلَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ الْعَرَبِيِّ وَذَكَرَ ثلاثةَ أَوْجُهٍ:

- الْأَوَّلُ: أَنَّكَ تُضِيفُهُ إِلَى الْخَاصِّ وَالْعَامِّ، فَتَقُولُ: مَالِكُ الدَّارِ وَالْأَرْضِ وَالثَّوْبِ، كَمَا تَقُولُ: مَالِكُ الْمُلُوكِ.

- الثَّانِي: أَنَّهُ يُطْلَقُ عَلَى مَالِكِ الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، وَإِذَا تَأَمَّلْتَ هَذَيْنَ الْقَوْلَيْنِ وَجَدْتَهُمَا وَاحِدًا.

- وَالثَّالِثُ: أَنَّكَ تَقُولُ: "مَالِكُ الْمُلْكِ"، وَلَا تَقُولُ: "مَلِكُ الْمُلْكِ". قَالَ ابْنُ الْحَصَّارِ: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمُرَادَ مِنْ {مالِكِ} الدَّلَالَةُ عَلَى "الْمِلْكِ" بِكَسْرِ

الْمِيمِ وَهُوَ لَا يَتَضَمَّنُ "الْمُلْكَ" بِضَمِّ الْمِيمِ، و"مِلْكُ" يَتَضَمَّنُ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا فَهُوَ أَوْلَى بِالْمُبَالَغَةِ. وَيَتَضَمَّنُ أَيْضًا الْكَمَالَ، وَلِذَلِكَ اسْتَحَقَّ الْمُلْكَ عَلَى مَنْ دُونَهُ، إِلَّا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٤٧، وَلِهَذَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "الْإِمَامَةُ فِي قُرَيْشٍ". وَقُرَيْشٌ أَفْضَلُ قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ أَفْضَلُ مِنَ الْعَجَمِ وَأَشْرَفُ. وَيَتَضَمَّنُ الِاقْتِدَارَ وَالِاخْتِيَارَ وَذَلِكَ أَمْرٌ ضَرُورِيٌّ فِي الْمَلِكِ، إِنْ لَمْ يَكُنْ قَادِرًا مُخْتَارًا نَافِذًا حُكْمُهُ وَأَمْرُهُ، قَهَرَهُ عَدُوُّهُ وَغَلَبَهُ غَيْرُهُ وَازْدَرَتْهُ رَعِيَّتُهُ، وَيَتَضَمَّنُ الْبَطْشَ وَالْأَمْرَ وَالنَّهْيَ وَالْوَعْدَ وَالْوَعِيدَ. إِلَّا تَرَى إِلَى قَوْلِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ النمل: ٢٠-٢١، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الْعَجِيبَةِ وَالْمَعَانِي الشَّرِيفَةِ الَّتِي لَا تُوجَدُ فِي الْمَالِكِ. قُلْتُ: وَقَدِ احْتَجَّ بَعْضُهُمْ عَلَى أَنَّ مَالِكًا أَبْلَغُ لِأَنَّ فِيهِ زِيَادَةُ حَرْفٍ، فَلِقَارِئِهِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ زِيَادَةً عَمَّنْ قَرَأَ مَلِكِ. قُلْتُ: هَذَا نَظَرَ إِلَى الصِّيغَةِ لَا إِلَى الْمَعْنَى، وَقَدْ ثَبَتَتِ الْقِرَاءَةُ بِمَلِكٍ، وَفِيهِ مِنَ الْمَعْنَى مَا لَيْسَ فِي مَالِكٍ، عَلَى مَا بَيَّنَّا وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ا هـ.

قالَ ابنُ عثيمينَ رحِمَهُ اللهُ: وفي الجمعِ بينَ القراءتينِ فائدةٌ عظيمةٌ، وهي أن مُلكَهُ جَلَّ وَعلا مُلكٌ حقيقيٌّ، لأنَّ مِنَ الخلقِ مَنْ يكونُ مَلِكًا، ولكنْ ليسَ

بمالكٍ، يُسَمَّى مَلِكًا اسْمًا وليسَ لَهُ مِنَ التَدبيرِ شَيْءٌ، ومِنَ النَّاسِ مَنْ يَكونُ مَالِكًا ولا يكونُ مَلِكًا كَعَامَّةِ الناسِ، ولكنَّ الرَّبَّ جَلَّ وعَلا مَالِكُ مَلِكٌ [٣١٢].

إذن فقراءةُ {مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ} بدونِ ألفٍ، وَقِراءةُ {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} بزيادَةِ ألفٍ، قِراءتانِ دَالَّتانِ عَلى قَيُّومِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ وَتعالى وَهَيْمَنَتِهِ على كلِّ شيءٍ، كما أخبرَ عنْ نَفسِهِ سُبحانَهُ وبحمدِهِ فَقَال جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ آل عمران: ٢٦. وقال عز وجل: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ المائدة: ١٢٠. وقال سبحانه وبحمده: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يس: ٨٣.

فقراءةُ {مَالِكِ} بزيادةِ ألفٍ: ﴿مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ تُثبتُ أنَّ اللهَ هُوَ مالِكُ المُلكِ كُلِّهِ. وقراءةُ {مَلِكِ} بدونِ ألفٍ: {مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ} تثبتُ أنَّ اللهَ تباركَ وتَعالى هوَ المَلِكُ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الحشر: ٢٣. وقولُهُ سبحانَهُ وتعالى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣)﴾ الناس: ٢-٣.

٣١٢ - راجع تفسير الفاتحة والبقرة ج ١/١٢.

لِمَ قال الله تعالى يَوْمِ الدِّينِ ولم يقل يوم القيامة؟

لأنَّ يومَ الدِّينِ معناهُ يومَ الجزاءِ، وَيومَ القيامةِ معناهُ يومَ البعثِ، وهاتانِ صفتانِ ليومِ القيامةِ، فإذا أطلقنا "القيامة" على اليوم كان معناه البعث، وإذا أطلقنا "الدين" على اليوم كان معناه الحساب والجزاء.

قال شيخنا الشنقيطي: وَمِنْ إِتْيَانِ الدِّينِ بِمَعْنَى الْجَزَاءِ فِي الْقُرْآنِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ الفاتحة: ٤ [٣١٣].

قال الألوسي: الدين بمعنى الجزاء يشمل جميع أحوال القيامة من ابتداء النشور إلى السرمد الدائم بل يكاد يتناول النشأة الأولى بأسرها على أن يوم القيامة لَا يفهم منه الجزاء مثل يوم الدين [٣١٤].

والدين بمعنى الجزاء وهو يشمل جميع أنواع القيامة من أولها إلى آخرها، ويشمل الجزاء والحساب والطاعة والقهر، وكلها من معاني الدين، وكلمة الدين أنسب للفظ رب العالمين، وأنسب للمكلفين "الدين يكون لهؤلاء المكلفين" فهو أنسب من يوم القيامة لأن القيامة فيها أشياء لَا تتعلق بالجزاء، أما الدين

٣١٣ - راجع أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، ج ٤٩١/٥، دار الفكر للطباعة - بيروت ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م.

٣١٤ - راجع تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل الألوسي، ج ٨٥/١.

فمعناه الجزاء، وكل معانيه تتعلق بالمكلفين لأن الكلام من أوله لآخره عن المكلفين، لذا ناسب اختيار كلمة الدين عن القيامة [٣١٥].

لماذا قال الله ﴿مَالِكِ يَوْمِ﴾؟

قوله سبحانه وتعالى: {مَالِكِ يَوْمِ}، دليل على أنه لَا يملك في هذا اليوم أحد معه، بل هو المالك المهيمن على هذا اليوم وحده لَا شريك له.

ذكر الطبري قول عبد الله بن عباس، في قول الله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال: لَا يملك أحدٌ في ذلك اليوم معهُ حكمًا كمِلْكِهم في الدنيا. ثم قال: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ النبأ: ٣٨، وقال: ﴿وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ طه: ١٠٨. وقال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ الأنبياء: ٢٨ [٣١٦].

قال دكتور فاضل السامرائي: لماذا قال: {مَالِكِ يَوْمِ}، واليوم لَا يُملَك، إنما ما فيه يُملَك؟ السبب لقصد العموم، ومالكُ اليومِ هو مَلكٌ لكل ما فيه، وكل من فيه فهو أوسع، وله مِلكيَّة كل ما يجري وما يحدث في اليوم، وكل ما فيه ومن

٣١٥ - راجع كتاب لمسات بيانية لسور القرآن الكريم، دكتور فاضل صالح السامرائي.

٣١٦ - راجع تفسير الطبري ج ١/١٤٩.

فيه، فهي إضافة عامة شاملة جمع فيها ما في ذلك اليوم ومن فيه، وأحداثه وكل ما فيه من باب المِلكيَّةِ "بكسر الميم" والمُلكية "بضم الميم" (٣١٧).

فوائد الآية ﴿مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾

من فوائد هذه الآية المباركة:

١- إثباتُ ملكِ اللهِ عزّ وجلّ، وملكوتِهِ يومَ الدينِ؛ لأن في ذلكَ اليومِ تتلاشى جميعُ الملكياتِ، والملوكُ. ويظهر مُلكُ اللهِ وملكوتُهُ وسلطانُهُ في ذلكَ اليومِ؛ لأنَّ الله تعالى يُنادِي ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ غافر: ١٦، فلا يُجيبُ أحدٌ؛ فيقولُ تعالى: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ غافر: ١٦؛ في الدنيا يَظهرُ ملوكٌ؛ بل يظهرُ ملوكٌ تعتقدُ شعوبُهم أنه لَا مالِكَ إِلَّا همْ؛ فالشُّيوعيون مثلًا لَا يرون أن هناك ربًا للسماواتِ والأرضِ؛ يرُونَ أن الحياةَ: أرحامٌ تدفعُ، وأرضٌ تبلعُ؛ وأن ربَّهُم هو رئيسُهُم.

٢- تخصيص الملك بيوم الدين لَا ينفيه عما عداه، لأنه قد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين، وذلك عام في الدنيا والآخرة، وإنما أضيف إلى يوم الدين لأنه لَا يدَّعي أحد هنالك شيئًا ولا يتكلم أحد إِلَّا بإذنه كما قال تعالى: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ النبأ: ٣٨.

٣١٧ – راجع كتاب لمسات بيانية لسور القرآن الكريم، دكتور فاضل صالح السامرائي.

٣- إثبات البعث، والجزاء؛ لقوله تعالى: ﴿مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ الفاتحة: ٤.

٤- حثُّ الإنسان على أن يعمل لذلك اليوم الذي يُسأل فيه العاملون ويُدان فيه المبطلون.

قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

قال ابن القيم رحمه الله: وقد اشتملت هذه الكلمة على نوعي التوحيد: وهما توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية، وتضمنت التعبد باسم الرب واسم الله فهو يُعبد بألوهيته، ويُستعان بربوبيته، ويَهدي إلى الصراط المستقيم برحمته، فكان أول السورة ذكر اسمه: الله والرب والرحمن تطابقًا لأجل الطالب من عبادته وإعانته وهدايته. وهو المنفرد بإعطاء ذلك كله. لَا يُعينُ على عبادته سواه، ولا يَهدي سواه [٣١٨].

قال ابن القيم رحمه الله: وسر الخلق والأمر والكتب والشرائع والثواب والعقاب انتهى إلى هاتين الكلمتين: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة: ٥ وعليهما مدار العبودية والتوحيد حتى قيل: أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب، جمع معانيها في التوراة والإنجيل والقرآن، وجمع معاني هذه الكتب الثلاثة في

---

٣١٨ - راجع كتاب الصلاة وأحكام تاركها، لابن القيم، ص ٤٠، مكتبة الثقافة - المدينة المنورة.

القرآن، وجمع معاني القرآن في المفصل، وجمع معاني المفصل في الفاتحة، ومعاني الفاتحة في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة: ٥، وهما الكلمتان المقسومتان بين الرب وبين عبده نصفين فنصفهما له تعالى وهو: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}، ونصفهما لعبده وهو: {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [٣١٩].

فهذه الآية تَضَمَّنَتْ أَسْرَارَ الكُتُبِ المئةِ والأَرْبَعَةِ التي أنزلها الله تبارك وتعالى، فمن تحقق بهذه الآية علمًا وعملًا وحالًا، فقد عَمِلَ بِكُلِّ ما أنزل الله من كتاب.

من لطائف السورة

نلاحظ هنا الالتفاتَ في السياق، قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤)﴾ الفاتحة: ١–٤، هذا السياق اسمه غيبة. التفت السياق من الغيبة إلى الخطاب فقال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة: ٥، وكأن المصلي في الصلاة بعد ما أثنى على الله عز وجل بما هو أهله، فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤)﴾،

---

٣١٩ – راجع كتاب مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم ج ٧٤/١، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ/١٩٧٣م.

استحضر أنه بين يدي الله، فتوجه إليه بالخطاب قائلا ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فتحول الكلام من الغيبة إلى المواجهة بكاف الخطاب؛ لأنه لما أثنى على الله فكأنه اقترب وحضر بين يدي الله تعالى؛ فلهذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة: ٥، وفي هذا دليل على أن أول السورة خبر من الله تعالى بالثناء على نفسه الكريمة بجميل صفاته الحسنى، وإرشاد لعباده بأن يُثنوا عليه بذلك؛ ولهذا لَا تصح صلاة من لم يقل ذلك، وهو قادر عليه، كما جاء في الصحيحين، عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لَا صلاةَ لِمَن لَمْ يَقرأْ بِفاتِحةِ الْكِتابِ" [٣٢٠]. فقوله تعالى: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ"، أي نَخصُّكَ وحدكَ بالعبادةِ والاستعانةِ، لأنَّ تقديمَ المعمولِ يفيدُ الحصرَ، وهوَ إثباتُ الحُكمِ لِلمذكُورِ، وَنفيُهُ عَمَّا عَداهُ [٣٢١].

قوله تعالى: {إِيَّاكَ}: مفعول به مقدم؛ وعامله: {نَعْبُدُ}؛ وقُدِّم على عامِلِهِ لإفادةِ الحصرِ؛ فكأنهُ يقولُ: لَا نعبدُ إِلَّا إياكَ، نعبُدُكَ ولا نعبُدُ غيركَ تَبرُّؤًا مِنَ الشّركِ، فلا نعبدُ ولا نَذِلُ ولا نخشعُ ولا نخضعُ ولا نستكينُ ولا ننقادُ ولا نستسلمُ إِلَّا لكَ يا ربِّ ونستعينُ بكَ ولا نستعينُ بغيرِكَ. و{نَعْبُدُ} أي نتذلَّلُ لكَ أكملَ تذلُّلٍ؛ فنعبُدُكَ بالخوفِ، ونعبدُكَ بالرجاءِ، ونعبدُكَ بالتوكُّلِ عليكَ، ونعبدُكَ بِالدُّعاءِ لكَ،

---

٣٢٠ - متفق عليه، رواه البخاري رقم ٧٥٦، في كتاب الأذان، باب: وجوب القراءة للإمام والمأموم. ورواه مسلم رقم ٣٤-٣٩٤، في كتاب الصلاة، باب: وُجُوبِ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، وَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يُحْسِنِ الْفَاتِحَةَ، وَلَا أَمْكَنَهُ تَعَلُّمُهَا قَرَأَ مَا تَيَسَّرَ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا.

٣٢١ - راجع تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي ج ٣٩/١. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

ونعبدك بالتوبة وبالإنابة، ونعبدك بالاستعانة، ونعبدك بالتعوُّذ بك، ونعبدك بجميع أنواع العبادات. ولهذا نجد المؤمنين يضعون أشرف ما في أجسامهم في موطئ الأقدام ذلًا لله عزّ وجلّ: يسجدُ المؤمنُ على الترابِ؛ تمتلئُ جبهتُه من التراب. كل هذا ذُلًّا لله، وهذا هو عزنا في الذُّل لله وحده لَا شريك له.

قال ابن كثير: أي لَا نعبد إِلَّا إياك ولا نتوكل إِلَّا عليك وهذا هو كمال الطاعة، والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين، وهذا كما قال بعض السلف: الفاتحة سر القرآن، وسرها هذه الكلمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة: ٥، فالأول: تبرّؤٌ من الشرك، والثاني: تبرّؤٌ منَ الحولِ والقوةِ، والتفويضُ إلى الله عز وجل، وهذا المعنى في غير آية من القرآن كما قال تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ هود: ١٢٣، ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ الملك: ٢٩، ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ المزمل: ٩، وكذلك هذه الآية الكريمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة: ٥ [٣٢٢]. قال الشيخ السعدي: أي نخصك وحدك بالعبادة والاستعانة [٣٢٣].

قال ابن القيم: وَكَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْمَعُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ رحمه الله يَقُولُ: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} تَدْفَعُ الرِّيَاءَ {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} تَدْفَعُ الْكِبْرِيَاءَ. فَإِذَا عُوفِيَ مِنْ مَرَضِ الرِّيَاءِ بِـ{إِيَّاكَ نَعْبُدُ}، وَمِنْ مَرَضِ الْكِبْرِيَاءِ وَالْعُجْبِ بِـ{إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، وَمِنْ مَرَضِ

---

٣٢٢ - راجع تفسير ابن كثير ج ١/٤٨.

٣٢٣ - راجع تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي ج ٣٩/١.

الضَّلَالِ وَالْجَهْلِ بِـ ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، عُوفِيَ مِنْ أَمْرَاضِهِ وَأَسْقَامِهِ، وَرَفَلَ فِي أَثْوَابِ الْعَافِيَةِ، وَتَمَّتْ عَلَيْهِ النِّعْمَةُ، وَكَانَ مِنَ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَهُمْ أَهْلُ فَسَادِ الْقَصْدِ، الَّذِينَ عَرَفُوا الْحَقَّ وَعَدَلُوا عَنْهُ وَالضَّالِّينَ وَهُمْ أَهْلُ فَسَادِ الْعِلْمِ، الَّذِينَ جَهِلُوا الْحَقَّ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ [٣٢٤].

فتقديم المعمول على العامل: "إياك نعبد"، لم يقل "نعبدك" لإفادة الحصر والقصر؛ أي: نعبدُك وحدك يا رب، فلا نخضع، ولا نَذِلُّ، ولا نستكينُ، ولا نخشعُ إِلَّا لك يا الله. ولا نستعينُ إِلَّا بك يا الله. فـ {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} تبَرُّؤٌ من الشرك، لَا نشرك بعبادتك أحدًا، {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} على عبادتِك فإنه لَا حوْل لنا ولا قوة إِلَّا بك؛ لَا حِيلَة لأحد ولا تَحوُّل لأحد عن معصية الله إِلَّا بمعونة الله، و﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ على أمورنا كلِّها، ما كان منها للدنيا وللآخرة، فإن من صفاتنا العَجزُ ومن صفات ربنا القدرةُ، ومن صفاتنا الضعف، ومن صفات ربنا القوةُ، ولا قُدرةَ لأحد على إقامةِ طاعة الله، والثباتِ عليها إِلَّا بتوفيق الله، وهذا معنى: لَا حول ولا قوة إِلَّا بالله.

ولذلك كانت لَا حول ولا قوة إِلَّا بالله كَنْزًا مِن كنوز الجنة، كما في الصحيح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قاَل لي رَسُولُ الله صلَّى الله عليهِ وسلَّم: "أَلَا أَدُلُّكَ عَلى كَنْزٍ مِن كُنوزِ الجَنَّةِ؟ قلت: بلى يا رسول الله قال: لَا

٣٢٤ - راجع مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، ج ٧٨/١، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ" (٣٢٥).

نتبرأ يا ربنا من كل حول وقوة إِلَّا حولك وقوتك يا ربنا، فإنه لَا حول ولا قوة إِلَّا بك. لَا نعبد إِلَّا إياك، ولا نتوكل إِلَّا عليك، وهذا هو كمال الطاعة لله. وأصول الدين ترجع كلها إلى هذين المعنيين.

قال السعدي: و{العبادة} اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة. و{الاستعانة} هي الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع، ودفع المضار، مع الثقة به في تحصيل ذلك. والقيام بعبادة الله والاستعانة به هو الوسيلة للسعادة الأبدية، والنجاة من جميع الشرور، فلا سبيل إلى النجاة إِلَّا بالقيام بهما. وإنما تكون العبادة عبادة، إذا كانت مأخوذة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصودًا بها وجه الله. فبهذين الأمرين تكون عبادة، وذكر {الاستعانة} بعد {العبادة} مع دخولها فيها، لاحتياج العبد في

---

٣٢٥ – متفق عليه، رواه البخاري رقم ٤٢٠٥، في كتاب المغازي، باب: غزوة خيبر. ورواه مسلم رقم ٤٥–٢٧٠٤، في كتاب الذكر والدعاء، باب: استحباب خفض الصوت بالذكر. ولفظه عند البخاري: "عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا غَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْبَرَ، أَوْ قَالَ: لَمَّا تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وَادٍ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ"، وَأَنَا خَلْفَ دَابَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَمِعَنِي وَأَنَا أَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَقَالَ لِي: "يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ". قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: "أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ". قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، قَالَ: "لاَ حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ".

جميع عباداته إلى الاستعانة بالله تعالى. فإنه إن لم يُعِنْهُ اللهُ، لم يحصل له ما يريده من فعل الأوامر، واجتناب النواهي [٣٢٦].

فالعبادة هي الغاية من خلْق الخلق، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: ٥٦. وكلف اللهُ الرسل أن يأمروا من أرسلوا إليهم بعبادة الله وترك الشرك، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾ النحل: ٣٦.

قال ابن الجوزي: وأما الطاغوت فهو اسم مأخوذ من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، قال ابن قتيبة: الطاغوت: واحد، وجمع، ومذكّر، ومؤنث. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ البقرة: ٢٥٧، وقال: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا﴾ الزمر: ١٧.

والمراد بالطاغوت ها هنا خمسة أقوال:

- أحدها: أنه الشيطان، قاله عمر وابن عباس ومجاهد والشعبي والسُّدي ومقاتل في آخرين.
- والثاني: أنه الكاهن، قاله سعيد بن جبير وأبو العالية.
- والثالث: أنه الساحر، قاله محمد بن سيرين.
- والرابع: أنه الأصنام، قاله اليزيدي والزجاج.

٣٢٦ – راجع تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي ج ٣٩/١.

❖ والخامس: أنه مردة أهل الكتاب، ذكره الزجاج أيضًا [٣٢٧].

قال القرطبي: قَالَ الْفَارُوقُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْجِبْتُ السِّحْرُ وَالطَّاغُوتُ الشَّيْطَانُ. وَقال ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الجبت والطاغوت ها هنا كعب بن الْأَشْرَفِ وَحُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ. وَقَال عِكْرِمَةُ: الْجِبْتُ حُيَيُّ بن أخطب والطاغوت كعب ابن الْأَشْرَفِ، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ النساء: ٦٠. وَقَال قَتَادَةُ: الْجِبْتُ الشَّيْطَانُ، وَالطَّاغُوتُ الْكَاهِنُ. وَرَوَى ابْنُ وَهْبٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ: الطَّاغُوتُ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ. قَالَ: وَسَمِعْتُ مَنْ يَقُولُ إِنَّ الْجِبْتَ هو الشَّيْطَانُ، ذَكَرَهُ النحاس. وقيل: هما كل مَعْبُودٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ، أَوْ مُطَاعٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَهَذَا حَسَنٌ. وَأَصْلُ الْجِبْتِ: الْجِبْسُ وَهُوَ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ، فَأُبْدِلَتِ التَّاءُ مِنَ السِّينِ، قَالَهُ قُطْرُبُ [٣٢٨].

وَمِنْ أجْلِ عباده الطائعين خَلَقَ اللهُ الجنّةَ، ومن أجل عباده المستكبرينَ خلق الله النار أعاذنا الله منها. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ غافر: ٦٠. وقال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ ولَا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ

٣٢٧ – راجع تفسير زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، ج ٢٣١/١، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.

٣٢٨ – راجع تفسير القرطبي ج ٢٤٨/٥.

أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُواْ وَاسْتَكْبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلاَ يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا (١٧٣)﴾ النساء: ١٧٢-١٧٣.

وعِبادةُ العبدِ لربِّهِ تقومُ على ثلاثةِ أركَانٍ هي: المَحَبَّةُ، والرّجَاءُ، والخَوف.

ودليلُ ذلك قولهُ تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤)﴾ فقولُه سبحانَهُ وتعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنِ﴾ يدل على المحبة فهو سبحانه وتعالى رب العالمين، الذي ربَّاهم بآلائه ونِعمه، ونِعمُ الله تبارك وتعالى لَا تُعدُّ ولا تُحصَى، وكلُّ مُنعِمٍ محسنٌ، وكُلُّ مُحسنٍ مَحبوبٌ.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ اسمان من أسمائه الحسنى سبحانه وبحمده، يدلان على الرجاء؛ لأنه سبحانه سمَّى نفسه بهذين الاسمين اللذين يدلان على سعة رحمته، فهو الرحمن الرحيم ولذلك يُرجَى عفوُهُ، وتُرجى رحمتُهُ.

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فالمرجع إليه فهو القاهرُ فوق عباده، وإليه المرجعُ والمصير، وقد كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يقرَؤها كما بينَّا: {مَلِكِ} بدون ألف، والملِكُ له من الهيبةِ والسطوةِ ما يُخشى ويُخافُ ويُحذر منه.

وقولُه سبحانه وتعالى: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ" أي: نعبدُك يا ربي بهذه الأركانِ الثلاثةِ؛ فنعبدُك حُبًّا لك، ونعبُدك رجاءً لرحمتك، ونعبدك خوفًا من عذابِك. فمَنْ عَبَدَ اللهَ تبارك وتعالى بالمحبةِ وحدِها فهو زنديقٌ، لأن ادعاءَ المحبةِ، يستلزمُ موافقةَ المحبِّ لمحبوبه في كل ما يحبه ويرضاه، كما أن من لوازم المحبة، أن يحب المحبُّ ما يحبه محبوبه من الأقوال والأعمال والأشخاص، وأن يُبْغِضَ ما

يبغضُه محبوبُهُ منَ الأقوالِ والأعمالِ والأشخاصِ. قال ابنُ القيّمِ: قال بعض السلف: ادَّعى قومٌ محبةَ اللهِ، فأنزل الله آية المِحنة: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ آل عمران: ٣١ [٣٢٩]. فادّعَاءُ المحَبَةِ مِنْ غَيرِ طاعةٍ للهِ سُبْحَانَهُ وتعَالى، ومِنْ غَيرِ اِتّباعٍ لسنَّةِ رَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم، دَعْوى تدل على كذبِ هذا الادّعاءِ كما قال القائل:

تعصي الإله وأنت تزعمُ حُبَّهُ... هذا لعَمْري في القياسِ شنيعُ
لو كان حبُّك صادقًا لأطعتَهُ... إن المحِبَّ لمن يحبُّ مُطيع [٣٣٠]

فلا بُدَّ للمحَبَّةِ مِن دليل، ويدلّلُ على المحبةِ لله خُضُوعُ العبدِ لَهُ، وانقيادُه لأوامرِهِ، وذُلُّه لِعظَمتِهِ، واستِسلامُهُ لجميع ما أمرَ به.

والعبادةُ بالرجاءِ دون خوفٍ منه سبحانَهُ وتعالى من أفعال المرجِئة [٣٣١]، فالذي عبد الله بالرجاء دون الخوف لَا يطيع ربه، ولا يتَّبِع رسوله صلى الله

٣٢٩ – راجع التفسير القيم لابن القيم، جمع وترتيب: الشيخ محمد أويس الندوي، ٢٤٩/١.

٣٣٠ – راجع روائع التفسير، المُسمَّى: "الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي". جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٢–٢٠٠١ م.

٣٣١ – الإرجاء على معنيين: أحدهما: بمعنى التأخير؛ كما في قوله تعالى: {قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ (١١١)} سورة الأعراف؛ أي أمهله وأخّره. والثاني: إعطاء الرجاء. وأما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح؛ لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية

عليه وسلم، بل يخالف أمره وأمر رسوله، وهو مع ذلك يقول قويٌّ الرجاء في رحمة الله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ولا بد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدلُّ على مراد الله ورسوله من الألفاظ، وكيف يُفهمُ كلامة، فمعرفة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك معرفة دِلالة الألفاظ على المعاني؛ فإن عامَّةَ ضُلَّالِ أهل البِدعِ كانوا بهذا السبب، فإنهم صاروا يَحملون كلام الله ورسوله على ما يدَّعونَ أنه دالٌّ عليه، ولا يكون الأمر كذلك، ويجعلون هذه الدلالة حقيقة، وهذه مجازًا، كما أخطأ المرجئة في اسم الإيمان جعلوا لفظ الإيمان حقيقةً في مجرَّدِ التصديقِ، وتناوله للأعمال مجازًا [٣٣٢].

والعقد. وأما بالمعنى الثاني فظاهر؛ فإنهم كانوا يقولون: "لا تضرُّ مع الإيمان معصية، كما لَا تنفع مع الكفر طاعة". راجع الملل والنحل للشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ج ١/١٣٩.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "المرجئة ثلاث أصناف: الذين يقولون: الإيمان مجرد ما في القلب، ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب، وهم أكثر فرق المرجئة. ومنهم من لَا يُدخلها في الإيمان؛ كجهْمٍ ومن اتبعه كالصالحي. وهذا الذي نصره هو وأكثر أصحابه. والقول الثاني: من يقول: هو مجرد قول باللسان. وهذا لَا يعرف لأحد قبل الكرامية. والثالث: تصديق القلب، وقول اللسان. وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم". راجع كتاب النبوات لابن تيمية، ج ٢١/١٠، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان. أضواء السلف – الرياض، الطبعة الأولى١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م.

٣٣٢ – الإيمان، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص ٩٧، تحقيق: العلامة محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – عمان، الطبعة الخامسة ١٤١٦هـ–١٩٩٦م.

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: "الْكَبَائِرُ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَالْقَنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْإِيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ" [٣٣٣]. فلا يأمن المؤمنُ مكر اللهِ تبارك وتعالى، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللَّهِ فلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الأعراف: ٩٩.

والعبادة بالخوف دون رجاءٍ منه سبحانه وتعالى من أفعال الحرورية [٣٣٤]، وهم الخوارج الذين غلب عليهم جانب الخوف، ولذلك حكموا على مرتكب الكبيرة بالخلود في النار، وغلّبوا جانب التخويف والترهيب، فهذا الذي يخاف بلا رجاء يُخشى عليه أن يقع في اليأس من رحمة الله، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ يوسف: ٨٧.

فلا يجوز أن يُعبَدَ اللهُ بالحبِّ وحدِهِ، كما لَا يجوز أن يُعبَدَ بالرجاءِ وحدِهِ، وكذلك لَا يجوزُ أن يُعبَدَ بالخوفِ وحدِهِ، وإنما أصل الإيمان أن يُعبَدَ اللهُ بالمحبةِ والرجاءِ والخوفِ جميعًا لَا تنفك إحداهم عن الأخرى، وتجمع هذه الصفات في العبد دليل على إيمانه.

وللعبادةِ أصْلان، هما: الإخلاص، ومتابعة العمل على الإخلاص.

---

٣٣٣ - راجع تفسير الطبري ج ٦/٦٤٨. ورواه الطبراني في المعجم الكبير، رقم ٨٧٨٣، وقال ابن حجر في الفتح ج ١٢/١٨٢: حديث موقوف.

٣٣٤ - الحرورية: نسبة إلى حروراء: موضع قرب الكوفة، نزل به الخوارج حين اعتزلوا جيش علي رضي الله عنه، فأصبح اسمًا يطلق عليهم وعلى من سار على نهجهم. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية إنهم مرقوا من الدين، واستدل عليهم بحديث عند مسلم رقم ١٥٠-١٠٤٦، عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "تمرق مارقة من الدين على حين فرقة من المسلمين يقتلهم أولى الطائفتين بالحق".

فالإخلاص هنا هو التوحيد، حيث قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ الزمر: ١١. قال ابن الجوزي: أي أُمِرْتُ أن أعبُدَه على التوحيد والإخلاص السالم من الشّرك [٣٣٥].

ومتابعة العمل على هذا التوحيد، قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ التوبة: ١٠٥.

قال القرطبي: قوله تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُوا} خطاب للجميع.

{فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} أي بإطلاعه إياهم على أعمالكم [٣٣٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الحشر: ٧.

قال ابن الجوزي: وهو عام في كل ما أُمر به، ونُهِيَ عنه [٣٣٧].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِي الله عَنْهُ، قَالَ: "لَعَنَ اللَّهُ الوَاشِمَاتِ وَالمُتَوشِمَاتِ. وَالمُتَنَمِّصَاتِ وَالمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ"، فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ يَعْقُوبَ، فَجَاءَتْ فَقَالَتْ: إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ، فَقَالَ: وَمَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ هُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ فَقَالَتْ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ اللَّوْحَيْنِ، فَمَا وَجَدْتُ فِيهِ

٣٣٥ - راجع زاد المسير، لابن الجوزي ج ٤/١١.

٣٣٦ - راجع تفسير القرطبي ج ٨/٢٥٢.

٣٣٧ - راجع زاد المسير، لابن الجوزي ج ٤/٢٥٨.

مَا تَقُولُ، قَالَ: لَئِنْ كُنْتِ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ، أَمَا قَرَأْتِ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَإِنَّهُ قَدْ نَهَى عَنْهُ، قَالَتْ: فَإِنِّي أَرَى أَهْلَكَ يَفْعَلُونَهُ، قَالَ: فَاذْهَبِي فَانْظُرِي، فَذَهَبَتْ فَنَظَرَتْ، فَلَمْ تَرَ مِنْ حَاجَتِهَا شَيْئًا، فَقَالَ: لَوْ كَانَتْ كَذَلِكَ مَا جَامَعْتُهَا [٣٣٨].

فلا تكون العبادةُ عبادةً، إلَّا إذا كانت مأخوذةً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويُقصدُ بها وجهَ اللهِ تعالى، وبهذين الأمرين تكون عبادةً خالصةً وعلى صوابٍ من العمل. قال الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ الملك: ٢.

قال السعدي: {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} أي: أخلصَهُ وأصوبَهُ، فإن الله خلق عبادَهُ، وأخرجهم لهذه الدارِ، وأخبرهم أنهم سينقلون منها، وأمرهم ونهاهم، وابتلاهم بالشهوات المعارِضَةِ لأمره، فمن انقاد لأمرِ الله وأحسن العمل، أحسن اللهُ لَهُ الجزاءَ في الدارين، ومن مَالَ مع شهوات النفس، ونبذَ أمرَ الله، فله شرُّ الجزاءِ [٣٣٩].

---

٣٣٨ – متفق عليه، رواه البخاري واللفظ له، رقم ٤٨٨٦، في كتاب التفسير، باب: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ}. ورواه مسلم رقم ١٢٠–٢١٢٥، في كتاب اللباس والزينة، باب: تَحْرِيمِ فِعْلِ الْوَاصِلَةِ وَالْمُسْتَوْصِلَةِ وَالْوَاشِمَةِ وَالْمُسْتَوْشِمَةِ وَالنَّامِصَةِ وَالْمُتَنَمِّصَةِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ وَالْمُغَيِّرَاتِ خَلْقِ اللهِ.

٣٣٩ – راجع تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص ٨٧٥.

قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: "أحسن عملًا": هو أخلصه وأصوبه. قالوا يا أبا علي، ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقْبَلْ. وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبلْ، حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص: ما كان لله، والصواب: ما كان على السنة. وهذا هو المذكور في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ الكهف: ١١٠ [٣٤٠].

وأصل التشريع كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد دلَّ على هذين الأصلين، الكتابِ والسنةِ قولُ اللهِ تباركَ وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ الكهف: ١١٠. فمعنى أن يكون العبد مخلصًا في عبادته لله إلَّا يقترف آفةً من آفاتِ الشركِ، فالله سبحانه وتعالى أغنى الشركاء عن الشرك، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ" [٣٤١]. وفي لفظ: "إِذَا

---

٣٤٠ - راجع تفسير القرآن الكريم، لابن القيم، ج ٧٨/١، مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.

٣٤١ - رواه مسلم رقم ٤٦-٢٩٨٥، في كتاب الزهد والرقائق، باب: مَنْ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ غَيْرَ اللهِ.

جَمَعَ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ، نَادَى مُنَادٍ: مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلَّهِ أَحَدًا فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ" [٣٤٢].

إذن، الإخلاص لَا يكون إلَّا بشرط ما شرَعةُ الله سبحانه وتعالى، وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم به إذ قال سبحانه وبحمده: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) إِلَّا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣)﴾ الزمر: ٢-٣.

قال الطبري: قوله: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ الزمر: ٢ يقول تعالى ذكره: فاخشع لله يا محمد بالطاعة، وأخلص له الألوهية، وأفرده بالعبادة، ولا تجعل له في عبادتك إياه شريكًا، كما فَعَلَتْ عَبَدَة الأوثان. [٣٤٣]

ومن إخلاص العبادة لله اتباع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعدم الاتباع دليل على عدم المحبة الكاملة، وهذا يستوجب غضب الله تعالى، فقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ آل عمران: ٣١.

---

٣٤٢ - حديث حسن، رواه الترمذي رقم ٣١٥٤، في كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الكهف. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وحسنه الألباني.

٣٤٣ - راجع تفسير الطبري ج ٢٤٨/٢١.

وفي السُّنَّة، قال صلى الله عليه وسلم في الإخلاص: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَو امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ" (٣٤٤). وفي المتابعة وموافقة السنة، قال صلى الله عليه وسلم: "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ" (٣٤٥). وفي رواية: "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ" (٣٤٦).

فأركان العبادة: الحب والرجاء والخوف.

وأصلاها: الإخلاص والمتابعة؛ إلَّا يُعبد إلَّا الله، وألا يُعبد الله إلَّا بما ما شُرِع على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولذلك نصح العلماء كل من هَمَّ بأمر أن يسأل نفسه سؤالين:

- ❖ السؤال الأول: لمَ تفعل هذا؟
- ❖ والسؤال الثاني: كيف تفعله؟

---

٣٤٤ – متفق عليه، رواه البخاري رقم ٢٥٢٩، في كتاب العِتْق، باب: الخَطَأَ وَالنِّسْيَانِ فِي العَتَاقَةِ وَالطَّلَاقِ وَنَحْوِهِ، ولَا عَتَاقَةَ إِلَّا لِوَجْهِ اللَّهِ، ورواه مسلم، واللفظ له، رقم ١٥٥–١٩٠٧، في كتاب الإمارة، قَوْله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ"، وَأَنَّهُ يَدْخُلُ فِيهِ الْغَزْوُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ.

٣٤٥ – متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، رواه البخاري رقم ٢٦٩٧، في كتاب الصُّلح، باب: إِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى صُلْحِ جَوْرٍ فَالصُّلْحُ مَرْدُودٌ. ورواه مسلم رقم ١٧–١٧١٨، في كتاب الأقضية، باب: نَقْضِ الْأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ، وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ.

٣٤٦ – رواه مسلم رقم ١٨–١٧١٨، في كتاب الأقضية، باب: نَقْضِ الْأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ، وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ.

فإن كان الجواب الأول: أني أفعله لله، والجواب الثاني: أفعله على طريقة وهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلنا له: أمرك صواب، فإذا عزمت فتوكل على الله.

وأما إذا كان جوابه عن السؤال الأول: أني أفعله مرضاةً للناس، قلنا له: أمرك على غير الصواب، فأَرِح نفسك من عناء عملٍ توجهت فيه لإرضاء الناس، فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا.

وقد قال تعالى في الحديث القدسي: "أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ" [٣٤٧]. فلا بد للعبد وهو يفعل الأمر أن تكون وجهته لله وحده لَا شريك له، وأن يتقرب بعمله لله وحده لَا شريك له. ولا يقولن القائل أفعل هذا الفعل كما يفعل الناس، أو يقول هذا العمل نعمله لأن وجدنا الناس كذلك تعمله. فأنت بهذا تخالف ربك الذي خلقك وأمرك، وكذلك تخالف هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ" [٣٤٨].

والعبودية لله أفضل لقب يلقب به مخلوق، وأشرف الأسماء وأحبها إلى الله سبحانه وتعالى كل ما عُبِّد وحُمِّدَ، كأن يكون اسم الرجل عبد الله، وعبد الرحمن، ومحمد، ومحمود، وهكذا، وإن الله عز وجل يحب أن يكون اسم الرجل

---

٣٤٧ - رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رقم ٤٦-٢٩٨٥، في كتاب الزهد والرقائق، باب: من أشرك في عمله غيرَ الله.

٣٤٨ - رواه مسلم رقم ١٨-١٧١٨، في كتاب الأقضية، باب: نَقْضِ الْأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ، وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ.

حسنا؛ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "أَحَبُّ الأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ" [٣٤٩].

وَعَنْ أَبِي وَهْبٍ الْجُشَمِيِّ رضي الله عَنْهُ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ، وَهَمَّامٌ، وَأَقْبَحُهَا حَرْبٌ، وَمُرَّةُ" [٣٥٠].

ومقام العبودية أسمى مقام، ولهذا اختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم لمَّا خُيِر بين أن يكون نبيًا ملكًا أو نبيًا عبدًا. قال ابن بطال: كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينام على الحصير حتى يؤثر في جنبه، ويتخذ من الثياب ما يشبه تواضعه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وزهده في الدنيا توفيرًا لحظة في الآخرة، وقد خيره الله بين أن يكون نبيًا ملكا أو نبيا عبدًا، فاختار أن يكون نبيًا عبدًا إيثارًا للآخرة على الدنيا، وتزهيدًا لأمته فيها ليقتدوا به في أخذ البلغة من الدنيا، إذ هي أسلم من الفتنة التي تخشى على من فتحت عليه زهرة الدنيا [٣٥١].

---

٣٤٩ – حديث صحيح، الترمذي رقم ٢٨٣٣، في كتاب الأدب، باب: ما يستحب من الأسماء. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وصححه الألباني.

٣٥٠ – حديث صحيح، رواه أبو داود رقم ٤٩٥٠، في كتاب الأدب، باب: في تغيير الأسماء. قال الألباني: الحديث صحيح دون لفظ: تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ.

٣٥١ – راجع شرح صحيح البخاري لابن بطال ج أ ١١٦/٩. تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد الرياض ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٣م.
الطبعة الثانية.

وأشار رب العزة والجلال إلى كون رسوله صلى الله عليه وسلم نبيًا عبدًا في غير موضع من القرآن الكريم، فوصفه بالعبودية حين تنزل عليه القرآن الكريم:

- فقال سبحانه وبحمده: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ الكهف: ١.
- ووصفه بمقام العبودية لما قام يدعو إلى الله وحده، فقال سبحانه وبحمده: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ الجن: ١٩.
- ووصفه بمقام العبودية حين تحدى المشركين أن يأتوا بآية من الكتاب الذي أنزله الله على عبده محمدٍ صلى الله عليه وسلم، فقال سبحانه وبحمده ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة: ٢٣.
- ووصفه بمقام العبودية لما أشار إليه حين أُسريَ به إلى المسجد الأقصى، فقال سبحانه وبحمده ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الإسراء: ١.
- وفي حديث الشفاعة، "أن كل نبيٍ يَرُدُّ أهلَ الموقفِ إلى نبيٍّ بعدِهِ، فردَّهم آدم إلى نوح، وردَّهم نوحٌ إلى إبراهيمَ، وردَّهم إبراهيمُ إلى موسى، وردَّهم موسى إلى عيسى، فإذا أتوا عيسى وسألوه الشفاعة قال: لستُ لها لستُ لها، ولكن اذهبوا إلى محمدٍ، عبدٌ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر". والحديث عظيم الفائدة وهو بتمامه كما عند البخاري: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِلَحْمٍ فَرُفِعَ

إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً، ثُمَّ قَالَ: "أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ ولَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ

ثَلاَثَ كَذِبَاتٍ (٣٥٢)، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي المَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي

---

٣٥٢ – الكذبات الثلاث، رواها البخاري رقم ٣٣٥٨، في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا}. ولفظه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ إِلَّا ثَلاَثَ كَذَبَاتٍ، ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَوْلُهُ: {إِنِّي سَقِيمٌ}، وَقَوْلُهُ: {بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا}. وَقَالَ: بَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَارَةُ، إِذْ أَتَى عَلَى جَبَّارٍ مِنَ الجَبَابِرَةِ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَا هُنَا رَجُلًا مَعَهُ امْرَأَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْهَا، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: أُخْتِي، فَأَتَى سَارَةَ قَالَ: يَا سَارَةُ: لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرَكِ، وَإِنَّ هَذَا سَأَلَنِي فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّكِ أُخْتِي، فلَا تُكَذِّبِينِي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ ذَهَبَ يَتَنَاوَلُهَا بِيَدِهِ فَأُخِذَ، فَقَالَ: ادْعِي اللَّهَ لِي ولَا أَضُرُّكِ، فَدَعَتِ اللَّهَ فَأُطْلِقَ، ثُمَّ تَنَاوَلَهَا الثَّانِيَةَ فَأُخِذَ مِثْلَهَا أَوْ أَشَدَّ، فَقَالَ: ادْعِي اللَّهَ لِي ولَا أَضُرُّكِ، فَدَعَتْ فَأُطْلِقَ، فَدَعَا بَعْضَ حَجَبَتِهِ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ لَمْ تَأْتُونِي بِإِنْسَانٍ، إِنَّمَا أَتَيْتُمُونِي بِشَيْطَانٍ، فَأَخْدَمَهَا هَاجَرَ، فَأَتَتْهُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ: مَهْيَا، قَالَتْ: رَدَّ اللَّهُ كَيْدَ الكَافِرِ، أَوِ الفَاجِرِ، فِي نَحْرِهِ، وَأَخْدَمَ هَاجَرَ". قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تِلْكَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ.

اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى" [٣٥٣].

فأفضل لقب وأشرف لقب يطلق على إنسان هو أن يكون عبدًا لله، ولذلك كانت أحبُّ الأسماء إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن. والفخر كل الفخر أن يكون المسلمُ عبدًا لله، كَمَا قَالَ بَعَضُ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ ونسبه ابن عاشور في التحرير والتنوير للإمام الشافعي، ونسبه الألوسي في روح المعاني للقاضي عياض:

وَمِمَّا زَادَنِي شَرَفًا وَفَخْرًا.......... وَكِدْتُ بِأَخْمُصِي أَطَأُ الثُّرَيَّا

٣٥٣ – متفق عليه، رواه البخاري، واللفظ له، رقم ٤٧١٢، في كتاب التفسير، باب: {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا}. ورواه مسلم رقم ٣٢٧-١٩٤، في كتاب الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلا فيها.

دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِكَ يَا عِبَادِيَ... وَأَنْ أَرْسَلْتَ أَحْمَدَ لِي نَبِيًّا [٣٥٤]

فالحَمْدُ للهِ الذي مَنَّ عَلَينَا بالتحَرُّرِ مِنْ عُبُودِيةِ ما سِوَاهُ، وجَعَلنَا عِبَادًا له وحده لَا شريك له.

سر تقديم "إِيَّاكَ نَعْبُدُ" على "إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"

قدَّم الله سبحانه وتعالى: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ" على قوله تعالى: "إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" لأنه لَا بد من تقديم العام على الخاص، فكان تقديم العبادة على الاستعانة، من هذا الباب وهو تقديم العام على الخاص، واهتمامًا بتقديم حق الله تعالى على حق عباده. وتقديم الغاية الكبرى التي خلق الله الجن والإنس لأجلها على الوسائل الخاصة التي يطلبها العبد، إذ العبادة غاية العُبَّاد التي خُلقوا لأجلها،
والاستعانة وسيلة لهذه العبادة، فالعلَّةُ التي من أجلها خلق الله عبادَهُ هي أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: ٥٦.

---

٣٥٤ – راجع كتاب تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، المسمى: التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج ١١١/٢٣، الدار التونسية للنشر تونس ١٩٨٤هـ. وراجع تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين الألوسي، ج ٢١١/٣، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

قال أبو حيان: وقدمت العبادة على الاستعانة لتقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة لتحصل الإجابة إليها، وأطلق العبادة والاستعانة لتتناول كل معبود به، وكل مستعان عليه [٣٥٥].

والعبادة هي حق الله. والاستعانة هي مطلب من مطالبه أي الاستعانة طلب منه سبحانه، والعبادة طلب له سبحانه. وحق الله أولى من مطالبه، فكانت العبادة أولى بالتقديم.

ولأن العبادة له هي المقصودة، والاستعانة وسيلة إليها، والاهتمام والحزم هو أن يقدم ما هو الأهم فالأهم، والله أعلم، ولأن العبد يحتاج في جميع عباداته إلى الاستعانة بالله تعالى. فإنه إن لم يُعِنْهُ اللهُ، لم يحصل له ما يريده من فعل الأوامر، واجتناب النواهي.

وكذلك لأن العبادة لَا تكون إِلَّا من مُخلِصٍ، وطلب الاستعانة يكون من مخلص وغير مخلص، كان تقديم العبادة على الاستعانة أوْلى.

والعبودية تنقسم إلى قسمين:

- **القسم الأول: عبودية عامة:** وهي عبوديةُ أهلِ السماوات والأرض كلهم لله، بَرُّهمْ وفاجرُهمْ، مؤمنُهم وكافرُهم، قال الله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ مريم: ٩٣.

٣٥٥ - راجع تفسير البحر المحيط، لأبي حيان، ج ١/١١.

❖ **القسم الثاني: عبودية خاصة:** وهي التي أصحابها ذللوا أنفسهم لله تعالى واستكانوا لأوامره، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ ص: ٤٥.

و"العبادة" تتضمن فعلَ كل ما أمر الله به، وترك كل ما نهى الله عنه؛ لأن من لم يفعل ذلك فليس بعابد لله حقًا: فكيف لأحد أن يصف نفسه أنه عابدٌ وهو يترك ما أمر الله به؛ وكيف لأحد أن يصف نفسه أنه عابدٌ ولم يتركْ ما نهى الله عنه؛ فالعبد هو الذي يوافق المعبود في مراده الشرعي؛ و"العبادة" تستلزم أن يقوم الإنسان بكل ما أمره معبوده به، وأن يترك كل ما نهي معبوده عنه؛ فإذا تحققت فيه شروط العبادة، طلب من ربه العون والاستعانة على دوام الطاعة والإخلاص في العبادة؛ ولهذا جاء قول الله تعالى "وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" بعد قوله تعالى "إِيَّاكَ نَعْبُدُ" أي لَا نستعين بأحد غيرك على الإخلاص في عبادتنا لك وحدك لَا شريك لك؛ و"الاستعانة" طلب العون؛ ونقصد به هنا طلب العون من الله تعالى وحده لَا شريك له، لأنه يستحيل على غيره مدَّ العون للمستعين.

"والاستعانة": طلب العون من الله تعالى، مستحضرًا المستعين ما في الذات العلية من صفات الربوبية، والرحمة، والسلطان المطلق يوم الجزاء، إذْ لَا سلطان في يوم الدين لأحد سواه، وكما قلنا إنه جاء قول الله تعالى: "وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" بعد قوله تعالى "إِيَّاكَ نَعْبُدُ" لأن العبادة حق الله تعالى، والتقدم إليه بالخضوع الذي لَا خضوع مثله، والاستعانة حق العبد أو طلبه العون له، فما

هو حق أوثق وأولى بالتقديم، ولكن يجب أن نلاحظ أن الاستعانة والضراعة إلى الله تعالى، وإفراده سبحانه بطلب العون منه سبحانه هو عبادة أيضًا، كما هو طلب من الله، لأن الدعاء المخلص لله تعالى هو عبادة في حد ذاته، كما روي: "الدعاء هو العبادة".

قال الألوسي: فتقديم العبد ما يريده مولاه منه أدل على صدق العبودية من تقديم ما يريده من مولاه [٣٥٦].

وقد جمع الله سبحانه وتعالى بين العبادة والاستعانة في مواطن عدة في القرآن الكريم؛ لأنه يستحيل القيام بالعبادة على الوجه الأكمل إلَّا بمعونة الله وحده، والتفويض إليه وحده، والتوكل عليه وحده. حيث قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ الأنبياء: ١١٢.

والاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع، ودفع المضار، لَا بد وأن يكون مع الثقة به في تحصيل ذلك. فمن لم يستعن بالله لم يعنه، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ" [٣٥٧].

---

٣٥٦ - راجع تفسير روح المعاني، للألوسي، ج ٨٨/١، تحقيق: محمود الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٣٥٧ - حديث صحيح، رواه الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، رقم ٢٥١٦، في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (٥٩)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني. ولفظه: "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: "يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَو

وليعلم العبد أنه حين يطلب الاستعانة من الله وحده فإنه يطلبها لأنه عاجز على القيام بها دون عون من الله سبحانه وتعالى، فمن يتركه الله لنفسه ولم يُعنْهُ الله فإنه عاجزٌ لَا يستطيع فعل شيءٍ ولا يقدر على القيام بشيء، ولهذا شُرِع للعبد الدعاءُ بعونِ اللهِ له على ما يحبه لعبده الذي يعبده، فطلب العون من الله مشروع في كل وقت وحين، وكان من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدعاء أن يقول: "رَبِّ أَعِنِّي ولَا تُعِنْ عَلَيَّ" (٣٥٨).

وكان صلى الله عليه وسلم يقول: "اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى دِينِي بِدُنْيَا، وَعَلَى آخِرَتِي بِتَقْوَى" (٣٥٩). وفي رواية: "اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى دِينِي بِالدُّنْيَا وَعَلَى آخِرَتِي بِالتَّقْوَى" (٣٦٠).

اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَو اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ".

٣٥٨ – حديث صحيح، رواه أبو داود رقم ١٥١٠، في كتاب الصلاة، باب: ما يقول الرجل إذا سلَّم. وصححه الألباني. ولفظه: "عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو: "رَبِّ أَعِنِّي ولَا تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي ولَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي ولَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرْ هُدَايَ إِلَيَّ، وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِرًا، لَكَ ذَاكِرًا، لَكَ رَاهِبًا، لَكَ مِطْوَاعًا إِلَيْكَ، مُخْبِتًا، أَوْ مُنِيبًا، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ قَلْبِي".

٣٥٩ – رواه الطبراني في الدعاء رقم ١٤٤٩، من حديث جابر بن عبد الله، ولفظه: "عَنْ جَابِرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى دِينِي بِدُنْيَا، وَعَلَى آخِرَتِي بِتَقْوَى، اللَّهُمَّ أَوْسِعْ عَلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَزْهِدْنِي فِيهَا، ولَا تَزْوِهَا عَنِّي فَتُرَغِّبَنِي فِيهَا، اللَّهُمَّ إِنَّكَ سَأَلْتَنِي مِنْ نَفْسِي مَا لَا أَمْلِكُهُ إِلَّا بِكَ، فَأَعْطِنِي مِنْهَا مَا يُرْضِيكَ

وبعد الصلاة طلب العون من الله، كما وصى بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم، معاذ بن جبل رضي الله عنه، فقال: "لَا تَدَعْ أَنْ تَقُولَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ: رَبِّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ" (٣٦١).

ولما اشتد إيذاء قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه دعا عليهم فقال: "اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ" (٣٦٢).

مِنْهَا، اللَّهُمَّ أَنْتَ ثِقَتِي حِينَ يَنْقَطِعُ أَمَلِي مِنْ عَمَلِي، وَأَنْتَ رَجَائِي حِينَ يَسُوءُ ظَنِّي بِنَفْسِي، اللَّهُمَّ لَا تُخَيِّبْ طَمَعِي، ولَا تَحَقُّقِ حَذَرِي، اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَخَذْتَ بِقَلْبِي وَنَاصِيَتِي فَلَمْ تُمَلِّكْنِي شَيْئًا مِنْهُمَا، فَكَمَا فَعَلْتَ ذَلِكَ بِهِمَا فَاهْدِنِي إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ، اللَّهُمَّ إِنَّ عَزِيمَتَكَ عَزِيمَةٌ لَا تُرَدُّ، وَقَوْلُكَ قَوْلٌ لَا يَكْذِبُ، فَأْمُرْ طَاعَتَكَ فَلْتَحِلَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنِّي أَبَدًا مَا بَقِيتُ، اللَّهُمَّ إِنَّ عَزِيمَتَكَ عَزِيمَةٌ لَا تُرَدُّ، وَقَوْلُكَ قَوْلٌ لَا يَكْذِبُ، فَأْمُرْ مَعَاصِيكَ فَلْتَخْرُجْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنِّي، ثُمَّ حَرِّمْ عَلَيْهَا الدُّخُولَ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنِّي أَبَدًا مَا أَبْقَيْتَنِي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ".

٣٦٠ – ذكره ضياء الدين المقدسي في كتابه العُدَّة للكرب والشدة ص ١٠٩، تحقيق: ياسر بن إبراهيم بن محمد، دار المشكاة للبحث والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ– ١٩٩٤م.

٣٦١ – حديث صحيح، رواه النسائي رقم ١٣٠٢، في كتاب السهو، باب: الدعاء بعد الذكر. وصححه الألباني. ولفظه: "عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "إِنِّي لَأُحِبُّكَ يَا مُعَاذُ"، فَقُلْتُ: وَأَنَا أُحِبُّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَلَا تَدَعْ أَنْ تَقُولَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ: رَبِّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ".

٣٦٢ – متفق عليه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، رواه البخاري رقم ٤٧٧٤، في كتاب التفسير، باب: سورة الروم، ورواه مسلم رقم ٣٩–٢٧٩٨، في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب: الدخان. وهو حديث طويل لفظه عند البخاري: "عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ يُحَدِّثُ فِي كِنْدَةَ، فَقَالَ: يَجِيءُ دُخَانٌ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَأْخُذُ بِأَسْمَاعِ المُنَافِقِينَ وَأَبْصَارِهِمْ، يَأْخُذُ المُؤْمِنَ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ، فَفَزِعْنَا، فَأَتَيْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ، وَكَانَ مُتَّكِئًا

وعند سكرات الموت يطلب العون من الله، فبأبي هو وأمي، حينما جاءته سكرة الموت، كان يقول: "اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى سَكَرَاتِ الْمَوْتِ" [٣٦٣]. وفي رواية لعائشة رضي الله عنها، أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول: "اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى كُرُبَاتِ الْمَوْتِ" [٣٦٤].

فَغَضِبَ فَجَلَسَ، فَقَالَ: مَنْ عَلِمَ فَلْيَقُلْ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ مِنَ العِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ: لَا أَعْلَمُ، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ المُتَكَلِّفِينَ}، وَإِنَّ قُرَيْشًا أبطأوا عَنِ الإِسْلاَمِ، فَدَعَا عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ» فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَتَّى هَلَكُوا فِيهَا، وَأَكَلُوا المَيْتَةَ وَالعِظَامَ، وَيَرَى الرَّجُلُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ، فَجَاءَهُ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ جِئْتَ تَأْمُرُنَا بِصِلَةِ الرَّحِمِ، وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا فَادْعُ اللَّهَ، فَقَرَأَ: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ}، إِلَى قَوْلِهِ: {عَائِدُونَ}، أَفَيُكْشَفُ عَنْهُمْ عَذَابُ الآخِرَةِ إِذَا جَاءَ ثُمَّ عَادُوا إِلَى كُفْرِهِمْ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الكُبْرَى}، يَوْمَ بَدْرٍ وَلِزَامًا: يَوْمَ بَدْرٍ {الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٢)}، وَالرُّومُ قَدْ مَضَى".

٣٦٣ – حديث حسن، رواه ابن ماجة رقم ١٦٢٣، في كتاب الجنائز، باب: ما جاء في ذكر مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم. ورواه الحاكم في المستدرك رقم ٣٧٣١، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي وضعفه الألباني وضعفه شعيب الأرنؤوط عند أحمد في المسند لضعف موسى بن سرجس، وبقية رجاله ثقات، رجال الشيخين. ورواه أبو القاسم بن شروان في الأمالي من طريق آخر. ولفظه عند ابن ماجة: "عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَمُوتُ وَعِنْدَهُ قَدَحٌ فِيهِ مَاءٌ، فَيُدْخِلُ يَدَهُ فِي الْقَدَحِ، ثُمَّ يَمْسَحُ وَجْهَهُ بِالْمَاءِ ثُمَّ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى سَكَرَاتِ الْمَوْتِ".

٣٦٤ – رواه الطبراني في المعجم الأوسط رقم ٣٢٤٤.

وكان من دعاء عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى أَهَاوِيلِ الدُّنْيَا وَبَوَائِقِ الدَّهْرِ وَمَصَائِبِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ" (٣٦٥).

ومن أدعية الصالحين، قال الأَصْمَعِيُّ: سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا عِنْدَ الْمُلْتَزِمِ يَقُولُ: "اللهُمَّ أَعِنِّي عَلَى الْمَوْتِ وَكُرْبَتِهِ، وَعَلَى الْقَبْرِ وَغَمَّتِهِ، وَعَلَى الْمِيزَانِ وَخِفَّتِهِ، وَعَلَى الصِّرَاطِ وَزَلَّتِهِ، وَعَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةَ وَرَوْعَتِهِ" (٣٦٦).

يا رب أعني على عبادتك، وأعني وساعدني وقوني عليها؛ اللهم إني عاجزٌ، لَا قوة لي إِلَّا بإعانتك يا رب، اللهم إياك نعبد وبك نستعين، فأعنا على ذلك، وقونا عليه.

هذه المعاني حين تستقر في قلب المؤمن، تُطهِّر قلبه من الكِبرِ، وتحول بينه وبين العُجبِ بالأعمال، أو التباهي بها؛ لأن العبد حين يبرأ مِنْ حولِه وقوته، إلى حول الله تعالى وقوته، وهو يعلم أن الفضل كله بيد الله، أعانه الله وقوَّاهُ.

ولذلك كان مما رفع الصحابة به أصواتهم وهم يحفرون الخندق قولهم: (والنبي يقول معهم):

---

٣٦٥ – رواه ابن أبي شيبة في مُصنَّفه رقم ٣٠١٤٣، ولفظه: عَن مَعْنٍ قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللهِ مِمَّا يَدْعُو يَقُولُ: "اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى أَهَاوِيلِ الدُّنْيَا وَبَوَائِقِ الدَّهْرِ وَمَصَائِبِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ، وَاكْفِنِي شَرَّ مَا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ فِي الأَرْضِ، اللَّهُمَّ اصْحَبْنِي فِي سَفَرِي وَاخْلُفْنِي فِي حَضَرِي وَإِلَيْك فَحَبِّبْنِي، وَفِي أَعْيُنِ النَّاسِ فَعَظِّمْنِي، وَفِي نَفْسِكَ فَاذْكُرْنِي، وَفِي نَفْسِي لَكَ فَذَلِّلْنِي، وَمِنْ شَرِّ الأَخْلاقِ فَجَنِّبْنِي يَا رَحْمَنُ، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي، أَنْتَ رَبِّي، إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي أَمْ إِلَى قَرِيبٍ قَلَّدْتُه أَمْرِي".

٣٦٦ – راجع كتاب المجالسة وجواهر العلم، لأبى بكر الدينوري ج ١٣٧/٨، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية، البحرين – أم الحصم، دار ابن حزم – بيروت ١٤١٩هـ.

اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنتَ مَا اهْتَدَيْنَا.... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا.... وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا [٣٦٧]

وحكى الله تبارك وتعالى عن أهل الجنة أنهم يقولون حين يدخلوها ﴿وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ الأعراف: ٤٣.

ولذلك قال أهل العلم في معنى قول من يسمع المؤذن يؤذن فإذا قال: حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح، قال من سمعه: لَا حول ولا قوة إِلَّا بالله، كأنه يقول أيها المؤذن دعوتني إلى الصلاة ولا حول لي ولا قوة إِلَّا بالله، فإن لم يعنِّي ربي على إجابة دعوتك ما أجبتك. فحين يتبرأ العبد دائما من حوله وقوته، إلى حول الله وقوته، لَا يرى لنفسه فضلًا ولا جميلًا أبدًا.

---

٣٦٧ – متفق عليه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، رواه البخاري رقم ٢٨٣٧، في كتاب الجهاد والسير، باب: حفر الخندق. ورواه مسلم رقم ١٢٥–١٨٠٣، في كتاب الجهاد والسير، باب: غزوة الأحزاب وهي الخندق. ولفظ البخاري: عَنِ البَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الأَحْزَابِ يَنْقُلُ التُّرَابَ، وَقَدْ وَارَى التُّرَابُ بَيَاضَ بَطْنِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: "لَوْلاَ أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا، فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا، وَثَبِّتِ الأَقْدَامَ إِنْ لاَقَيْنَا، إِنَّ الأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا، إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا".

أنواع الاستعانة

طلب الاستعانة لَا ينتفي معه التوكُّلُ على الله، لأن الاستعانة أعمُّ من التوكُّلِ والتوكل جزءِ من الاستعانة؛ والله عز وجل شرع للعبد أن يستعين به وحده في كل أمر، فقال سبحانه وتعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فيشهد العبد من قوله تعالى {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}، أن الله سبحانه وتعالى جمع كل صفات الإلهية، وكذلك يشهد العبد من قوله تعالى: {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، أن الله سبحانه وتعالى جمع كل صفات الربوبية، فيكون التوكل نوع من أنواع الاستعانة، وبينهما تداخل محض، فيصح أن نقول التوكل استعانة والاستعانة توكل.

والاستعانة طلب العون، وهي أنواع ست نذكرها إن شاء الله:

- ❖ **النوع الأول:** الاستعانة بالله، وهي الاستعانة التي تنشأ من سلامة الاعتقاد، ويقوم بها أهل التوحيد، وتتضمن طلب العون المتضمن لكمال الذل من العبد لربه مع الثقة التامة به، والاعتماد الكلِّي على ربه، بمعنى أن العبد يعتمد على الله عزّ وجلّ، ويتبرأ من حوله، وقوته، فلا بد من تحقيق هذين الشرطين، وتفويض الأمر كله إليه، واعتقاد كفايته، وهذه لَا تكون إِلَّا لله جل وعلا، ودليلها من القرآن الكريم قوله تعالى: "وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ". ودليله من السنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم: "وَإِذَا

اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ" [٣٦٨]. وصرفها لغير الله تعالى شرك مخرج من الملة.

❖ **النوع الثاني**: الاستعانة بالأموات مطلقًا، وهي الاستعانة التي تنشأ من فساد الاعتقاد، وأعني بها حين يقوم الإنسان الحي بطلب العون من الميت أيًا كان اسمه أو صفته، فلا يجوز الاستعانة بميت أبدًا، رسولًا أو نبيًا أو وليًا، وهذا شرك أكبر مطلقًا، فالميت لَا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، ويحدث هذا من خلل شديد في عقل المستعين تنتفي به أي صفة لصحة الاعتقاد، فإن هؤلاء المستعينين بالأموات يظنون أنهم يتصرفون في الكون شركاءَ مع الله، ولقائل من هؤلاء يقول: إنهم أقرب إلى الله منَّا فنسأله بهم كي يشفعوا لنا فيستجيب الله لنا عن طريقهم، وهذا اعتقاد أهل الجاهلية الأولى حين عبدوا أهل القبور فصنعوا لهم أصنامًا ثم عبدوها وقالوا في ذلك: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ الزمر: ٣، وهنا يحرم على المسلم الاستعانة بأي ميّتٍ، أو التمسح في حجارة قبره، أو الحلف بغير الله كالأموات وغيرهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وَلَا فرق بَين الطّلب بِالْحَال والقال وَهُوَ بهما أكمل وَأتم فَلَا يعدل عَنهُ وان كَانَ معرضًا عَن جَمِيع ذَلِك فَمن الْمَعْلُوم أَنه

٣٦٨ – حديث صحيح، رواه الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، رقم ٢٥١٦، في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب (٥٩)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني. وسبق أن ذكرنا لفظه في هامش رقم ٢٦٢.

لَا يحيا وَيبقى إِلَّا بِمَا يُقيم حَيَاته وَيدْفَع مضاره بذلك، وَالَّذِي بِهِ يحيا من الْمَنَافِع وَدفع المضار. أما أَن يُحِبهُ ويطلبه ويريده من أحد أَو لَا يُحِبهُ وَلَا يَطْلُبهُ وَلَا يُرِيدهُ فَإِن أحبه وَطَلَبه وأراده من غير الله كَانَ مُشْركًا مذموما فضلا عَن أَن يكون مَحْمُودًا. وإِن قَالَ لَا أحبه وأطلبه وأريده لَا من الله وَلَا من خلقه قيل هَذَا مُمْتَنع فِي الْحَيّ فَإِن الْحَيّ مُمْتَنع عَلَيْهِ أَلَّا يحب مَا بِهِ يبْقى وَهَذَا أَمر مَعْلُوم بالحس [٣٦٩].

❖ **النوع الثالث:** الاستعانة بالمخلوق الحي القادر على العون. وهذه استعانة مشروعة إن كانت على البرِّ والتقوى، فيُستعان به ويُطلب العونُ منه، ولا يكون في طلبه نوعٌ من ذل ولا خضوع تنتفي معه صفة العبادة لله وحده، والمستعان عليه لَا بد وأن يكون نوعًا من أنواع البرِّ والإحسان ويكون على التقوى، فإن كان كذلك فالاستعانة هنا واجبة للمستعين وواجب على المعين العون؛ لأنه بِرٌّ وإحسان، وهذا من باب التعاون عليه، كما أمرنا به سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبَرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المائدة: ٢، وإن كانت الاستعانة على إثم أو عدوان أو قطيعة رحم فهي حرام على كليهما، المستعين والمعين، ووجب على المعين أن يكف عونه، كما أمرنا بذلك سبحانه وتعالى في قوله: ﴿وَلَا

٣٦٩ – راجع كتاب الزهد والورع والعبادة، لابن تيمية ص ١٣٨، تحقيق: حماد سلامة، محمد عويضة، مكتبة المنار الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

تَعَاوَنُواْ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المائدة: ٢. وقد أمرنا ربنا في ذلك كله فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَحْسِنُواْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ البقرة: ١٩٥.

❖ **النوع الرابع:** الاستعانة بمخلوق حيّ حاضر ولكنه غير قادر على العون، وهذا باطل لَا فائدة منه لانتفاء صفة النفع، ولعلها تجعل في نفس المستعان به حرج على عدم القدرة، فتكون من قبيل الاستهزاء به، كأن يُستعان بشخص ضعيف على حمل شيء ثقيل.

❖ **النوع الخامس:** الاستعانة بأعمالٍ وأحوالٍ محبوبَةٍ إلى الله تعالى، وهذه الاستعانة مشروعة بأمر الله تعالى في قوله: ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾ البقرة: ٤٥.

❖ **النوع السادس:** الاستعانة بدعاء الصالحين من الأحياء، فيُطلب الدعاء من رجل صالح، وهذه الاستعانة مستحبة. وإن خالف حكم الاستحباب في هذه الاستعانة شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: إنها على الكراهة. والصحيح والراجح: أن طلب الدعاء من الصالحين مستحب، وفي الصحيح أن عمر رضي الله عنه كان يتوسل بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه على الاستسقاء [٣٧٠] بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك تحريم

---

٣٧٠ – ذكر ذلك في حديث رواه البخاري رقم ١٠١٠، في كتاب الاستسقاء، باب: سُؤَالِ النَّاسِ الإِمَامَ الِاسْتِسْقَاءَ إِذَا قَحَطُوا. والحديث بتمامه: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

التوسل بالميت وجواز التوسل بالحي الذي يُرجَى صلاحُهُ. ومن ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الصحابة إن لقي أحد منهم أويسَ بنَ عامر القرني وهو تابعي أن يسأله أن يستغفر له، فلما لقيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه طلب منه أن يستغفر له، فهذا عمر بن الخطاب أمير المؤمنين يطلب من أويس أن يستغفر له وهو من التابعين [٣٧١]، حتى قال العلماء: خير التابعين على الإطلاق هو أويس القرني.

أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَ: "اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا"، قَالَ: فَيُسْقَوْنَ".

٣٧١ – ذكر ذلك في حديث رواه مسلم رقم ٢٢٥–٢٥٤٢، في كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل أويس القرني. والحديث بتمامه: عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ، قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ، سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ". فَاسْتَغْفِرْ لِي، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ، قَالَ: أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ. قَالَ: فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، فَوَافَقَ عُمَرَ، فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ، قَالَ: تَرَكْتُهُ رَثَّ الْبَيْتِ، قَلِيلَ الْمَتَاعِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُول: "أتى عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ، إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ". فَأَتَى أُوَيْسًا فَقَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ، فَاسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بِسَفَرٍ

وقال ابن بطال: قال أويس القرني لهرم بن حبان: أُدْعُ الله أن يصلح قلبك ونيتك فإنك لن تعالج شيئًا هو أشدّ عليك منهما، بينما قلبك مقبل إذ هو مدبر، فاغتنم إقباله قبل إدباره، والسلام عليك (٣٧٢).

لماذا كُرِّرَت "إِيَّاكَ" مع فعل الاستعانة ولم يقل "إياك نعبد ونستعين"؟

التّكرار في اللغة يفيد التّوكيد والحصر. والتوكيد يحتاج إلى تكرار، والحصر يدل على دوام الفعل المراد توكيده، وفي التكرار مضاعفة وكثرة لفعل التكرير، ولهذا كان تكرار الضمير "إِيَّاكَ"، ليفيد توكيد العبادة، وتوكيد الاستعانة، ويدل على أن عبادة العبد لربه عبادة دائمة، والاستعانة به سبحانه وتعالى دائمة.

صَالِحٍ، فَاسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: لَقِيتَ عُمَرَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ، فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ. قَالَ أُسَيْرٌ: وَكَسَوْتُهُ بُرْدَةً، فَكَانَ كُلَّمَا رَآهُ إِنْسَانٌ قَالَ: مِنْ أَيْنَ لِأُوَيْسٍ هَذِهِ الْبُرْدَةُ".

٣٧٢ – راجع شرح صحيح البخاري لابن بطال ج ٢١٠/١٠، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – الرياض – السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٣م.

قال ابن جماعة: ولهذا كررت إياك المفيدة للحصر إذا تقدمت: للتصريح بتوكيد حصر الإخلاص في العبادة له، وحصر الاستعانة أيضا به تعالى [٣٧٣].

قال ابن فارس: وسُنن العرب التكرير والإعادة إرادةَ الإبلاغ بحسب العناية بالأمر كما قال الحارث بن عُبَاد:

قَرّبا مَرْبِط النَّعامةِ مِنّي... لَقِحَتْ حَرْبُ وائِلٍ عن حِيالِ

فكرَّرَ قوله: "قَرِبا مربِط النّعامة مني" في رءوس أبيات كثيرة عناية بالأمر، وأراد الإبلاغ في التنبيه والتحذير. وكذلك قول الأشعر:

وَكَتِيبَةٍ لبَّسْتُها بكتيبة... حتى يقول نساؤهم هذا فتى

فكرَّر هذه الكلمة في رؤوس أبيات على ذلك المذهب.

وكتكرير مَن كرَّر: مَهْلًا بني عَمّنا مهلًا موالينا

وكقول الآخر: كم نعمة كانت لَهُ... كَمْ كَمْ وَكَمْ

فكرّر لفظ "كم" لفرط العناية بقصد تكثير العدد.

قال علماؤنا: فعلى هذه السُّنة ما جاء في كتاب الله جل ثناؤه من قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الرحمن: ١٣-١٦-١٨-٢١ وغيرها [٣٧٤].

---

٣٧٣ - راجع كتاب "كشف المعاني في المتشابه من المثاني"، لشيخ الإسلام بدر الدين بن جماعة، ص ٨٦، دار الوفاء - المنصورة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٣٧٤ - الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لأبي الحسن أحمد بن فارس، ص ١٥٨، منشورات محمد علي بيضون، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

قال الأزدي: وللتكرار مواضع يَحسُن فيها، ومواضع يُقبَّح فيها، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعًا فذلك الخذلان بعينه (٣٧٥).

قال أبو حيان: وكرر إياك ليكون كل من العبادة والاستعانة سيقا في جملتين، وكل منهما مقصودة، وللتنصيص على طلب العون منه بخلاف لو كان إياك نعبد ونستعين، فإنه كان يُحتمل أن يكون إخبارًا بطلبٍ لعونٍ، أي وليُطلب العون من غير أن يعين ممن يطلب (٣٧٦).

قال الدكتور فاضل السامرائي: التكرار يفيد التنصيص على حصر المستعان به لو اقتصرنا على ضمير واحد "إياك نعبد ونستعين" لم يعنِ المستعان إنما عنى المعبود فقط، ولو اقتصرنا على ضمير واحد لفُهم من ذلك أنه لَا يتقرب إليه إِلَّا بالجمع بين العبادة والاستعانة بمعنى أنه لَا يُعبد بدون استعانة، ولا يُستعان به بدون عبادة. يُفهم من الاستعانة مع العبادة مجموعة تربط الاستعانة بالعبادة، وهذا غير وارد، وإنما هو سبحانه نعبده على وجه الاستقلال، ونستعين به على وجه الاستقلال وقد يجتمعان، لذا وجب التكرار في الضمير

---

٣٧٥ – راجع كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لأبى على الحسن الأزدي ج ٧٣/٢، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٣٧٦ – راجع تفسير البحر المحيط، لأبى حيان الأندلسي، ج ٤٤/١، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت ١٤٢٠هـ.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. التكرار توكيد في اللغة، في التكرار من القوة والتوكيد للاستعانة فيما ليس في الحذف [٣٧٧].

لماذا قَرَنَ الله سبحانه وتعالى العبادة بالاستعانة؟

إن الإنسان لَا يستطيع أن يقوم بعبادة الله إِلَّا بإعانة الله له، وتوفيقه للقيام بها فاقتران العبادة بالاستعانة إعلان بأن الإنسان لَا يستطيع أن يعمل شيئًا إِلَّا بعون الله، وإقرار بعجز الإنسان عن القيام بالعبادات، وعن حمل الأمانة الثقيلة إذا لم يُعِنْهُ الله تعالى على ذلك، والاستعانة بالله علاج من مرض غرور الإنسان، وكذلك هي علاج لآفة الكبر فيه، واعتراف من الإنسان بضعفه.

قال ابن عادل: الاستعانَةُ نوعُ تعبُّدٍ، فكأنه ذكر جملة العبادَةِ أوّلًا، ثم ذكر ما هو من تفاصيلها وأطلق كُلًا من فِعْلَيْ العبادَةِ والاستعانَةِ فلم يذكر لهما مفعولًا؛ ليتناول كل معبود به، وكلَّ مُسْتَعان عليه، أَوْ يكون المرادُ وقوعَ الفعلِ من غير نظر إلى مفعول؛ نحو: ﴿كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ البقرة: ٦٠، أي أوقعوا هذين الفِعْلَيْنِ [٣٧٨].

---

٣٧٧ – راجع لمسات بيانية لسور القرآن الكريم، دكتور فاضل صالح السامرائي ص ١٨.

٣٧٨ – راجع تفسير اللباب في علوم الكتاب، لأبي حفص سراج الدين بن عادل، ج ١/ ٢٠٢، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ– ١٩٩٨م.

قال ابن رجب: سورة الفاتحة تضمنت ذكر العبادة والاستعانة، وذكر المغضوب عليهم والضالين، وتضمنت ذكر النظائر المتماثلة، وثُنِّيت فيها كتكرير {إِيَّاكَ}، و{الصِّرَاطَ}، و{عَلَيْهِمْ}، وتكرير: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} على قول من يقول إنَّ البسملة منها. فإن قيل: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْآنَ ٱلْعَظِيمَ﴾ الحجر: ٨٧، يدلُّ على أنَّها من جملة المثاني لَا كلّها، وفي الحديث: أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال في الفاتحة: "هي السبع المثاني" [٣٧٩].

من فوائد الآية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

قال شيخنا محمد صالح العثيمين رحمه الله، في فوائد الآية [٣٨٠]:

١- إخلاص العبادة لله؛ لقوله تعالى: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ" وجه الإخلاص: تقديم المعمول.

٢- إخلاص الاستعانة بالله عزّ وجلّ؛ لقوله تعالى: "وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"، حيث قدم المفعول. فإن قال قائل: كيف يقال: إخلاص الاستعانة لله وقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبَرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾

٣٧٩ – راجع تفسير الفاتحة، لابن رجب الحنبلي ص ١٠.

٣٨٠ – راجع تفسير الفاتحة والبقرة ج ١/١٤، دار ابن الجوزي – السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

المائدة: ٢، إثبات المعونة من غير الله عزّ وجلّ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "تعين الرجل في دابته، فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة" [٣٨١]. فالجواب: أن الاستعانة نوعان: استعانة تفويض؛ بمعنى أنك تعتمد على الله عزّ وجلّ، وتتبرأ من حولك، وقوتك؛ وهذا خاص بالله عزّ وجلّ؛ واستعانة بمعنى المشاركة فيما تريد أن تقوم به: فهذه جائزة إذا كان المستعان به حيًا قادرًا على الإعانة؛ لأنه ليس عبادة؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبَرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المائدة: ٢. أهـ. وهذا كلام العلامة شيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله في العبادة والاستعانة، قال ابن القيم [٣٨٢]: فالناس في هذين الأصلين وهما العبادة والاستعانة أربعة أقسام:

- **أجلها وأفضلها**: أهل العبادة والاستعانة بالله عليها، فعبادة الله غاية مرادهم وطلبهم منه أن يعينهم عليها ويوفقهم للقيام بها، ولهذا كان من أفضل ما يسأل الربّ تبارك وتعالى الإعانة على مرضاته، وهو الذي علمه النبي صلّى الله عليه وسلّم لحِبِّهِ معاذ بن جبل، فقال: "يا معاذ، والله إني لأحبك، فلا تنس أن تقول في دبر كل صلاة: اللهم أعنِّي

---

٣٨١ – متفق عليه، رواه البخاري رقم ٢٨٩١، في كتاب الجهاد والسير، باب: فضل من حمل متاع صاحبه في السفر، ورواه مسلم، واللفظ له، رقم ٥٦-١٠٠٩، في كتاب الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف.

٣٨٢ – راجع تفسير القرآن الكريم، المعروف "بالتفسير القيم"، لابن القيم، ج ٧٣/١-٧٧. دار ومكتبة الهلال – بيروت، ١٤١٠هـ.

على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك" [٣٨٣]. فأنفع الدعاء طلب العون على مرضاته، وأفضل المواهب: إسعافه بهذا المطلوب وجميع الأدعية المأثورة مدارها على هذا، وعلى دفع ما يضاده، وعلى تكميله وتيسير أسبابه. فتأملها. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: تأملت أنفع الدعاء فإذا هو سؤال العون على مرضاته، ثم رأيته في الفاتحة في "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ".

ومقابل هؤلاء،

❖ **القسم الثاني:** وهم المعرضون عن عبادته والاستعانة به فلا عبادة ولا استعانة بل إن سأله أحدهم واستعان به فعلى حظوظه وشهواته، لَا على مرضاة ربه وحقوقه، فإنه سبحانه يسأله من في السماوات والأرض: يسأله أولياؤه وأعداؤه ويمدّ هؤلاء وهؤلاء، وأبغض خلقه: عدوه إبليس ومع هذا فسأله حاجة فأعطاه إياها، ومتَّعه بها، ولكن لما لم تكن عونا له على مرضاته: كانت زيادة له في شقوته، وبعده عن الله وطرده عنه، وهكذا كل من استعان به على أمر وسأله إياه، ولم

---

٣٨٣ – حديث صحيح، رواه النسائي رقم ١٣٠٢، في كتاب السهو، باب: الدعاء بعد الذكر. وصححه الألباني. ولفظه: "عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: "إِنِّي لَأُحِبُّكَ يَا مُعَاذُ"، فَقُلْتُ: وَأَنَا أُحِبُّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَلَا تَدَعْ أَنْ تَقُولَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ: رَبِّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ".

يكن عونا على طاعته، كان مبعدا له عن مرضاته، قاطعا له عنه ولا بد. وليتأمل العاقل هذا في نفسه وفي غيره، وليعلم أن إجابة الله لسائليه ليست لكرامة كل سائل عليه، بل يسأله عبده الحاجة فيقضيها له، وفيها هلاكه وشقوته، ويكون قضاؤها له من هوانه عليه وسقوطه من عينه، ويكون منعه منها لكرامته عليه ومحبته له، فيمنعه حماية وصيانة وحفظا لَا بُخلا، وهذا إنما يفعله بعبده الذي يريد كرامته ومحبته، ويعامله بلطفه: فيظن بجهله أن الله لَا يحبه ولا يكرمه، ويراه يقضي حوائج غيره، فيسيء ظنه بربه، وهذا حشو قلبه ولا يشعر به، والمعصوم من عصمه الله، والإنسان على نفسه بصيرة، وعلامة هذا: حمله على الأقدار وعتابه الباطن لها. وكما قيل:

وعاجزُ الرأي مِضياعٌ لفُرصتهِ... حتى إذا فات أمرٌ عاتب القدَرا [٣٨٤].

فوالله لو كشف عن حاصله وسره لرأى هناك معاتبة القدر واتهامه، وأنه قد كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، ولكن ما حيلتي؟ والأمر ليس إليّ، والعاقل خصمُ نفسِه والجاهل خصم أقدار ربه، فاحذر كل الحذر أن تسأله شيئا معينا خِيرَتُه وعاقِبتُه مُغيَّبةٌ عنك، وإذا لم تجد من سؤاله بُدًا، فعلقه

٣٨٤ - هذا البيت من بحر البسيط وهو منسوب للخليل بن أحمد الفراهيدي، راجع كتاب المنتحل، لأبى منصور الثعالبي، ج ١٣٩/١، تحقيق الشيخ أحمد أبو علي، المطبعة التجارية عرزوزي وجاويش الإسكندرية، الطبعة ١٣١٩هـ- ١٩٠١م. وقيل إنه للرياشي، كما قال ابن حمدون في تذكرته ج ٣٠٤/٣، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

على شرط عِلمِه تعالى فيه الخيَرة، وقدِّم بين يدي سؤالك الاستخارة، ولا تكن استخارة باللسان بلا معرفة، بل استخارة من لَا علم له بمصالِحهِ ولا قُدرة له عليها، ولا اهتداء له إلى تفاصيلها، ولا يملك لنفسه ضَرًا ولا نفعًا، بل إنْ وُكلَ إلى نفسه هلك كل الهلاك، وانفرط عليه أمره. وإذا أعطاك ما أعطاك بلا سؤال: تسأله أن يجعله عونا على طاعته وبلاغا إلى مرضاته ولا يجعله قاطعا لك عنه، ولا مبعدا عن مرضاته. ولا تظن أن عطاءه كلّ ما أعطى لكرامة عبده عليه ولا منعه كل ما يمنعه لهوان عبده عليه، ولكن عطاءه ومنعه ابتلاء وامتحان، يمتحن بهما عباده. قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلاَّ بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧)﴾ الفجر: ١٥-١٧، أي ليس كل من أعطيته ونعمته وخولته: فقد أكرمته وما ذاك لكرامته عليّ ولكنه ابتلاء مني وامتحان له: أيشكرني فأعطيه فوق ذلك، أم يكفرني فأسلبه إياه، وأخول فيه غيره؟ وليس كل من ابتليته فضيَّقت عليه رزقه، وجعلته بقدر لَا يفضل عنه فذلك من هوانه عليّ، ولكنه ابتلاء وامتحان مني له: أيصبر؟ فأعطيه أضعاف أضعاف ما فاته من سعة الرزق، أم يتسخط؟ فيكون حظه السخط. فرد الله سبحانه على من ظن أن سعة الرزق إكرام، وأن الفقر إهانة، فقال: لم أبتلِ عبدي بالغنى لكرامته عليّ، ولم أبتلِهِ بالفقر لهوانه عليّ. فأخبر أن الإكرام والإهانة لَا يدوران على المال وسعة الرزق وتقديره، فإنه يوسع على الكافر لَا لكرامته، ويقتّر على المؤمن لَا لإهانته،

إنما يكرم من يكرمه بمعرفته ومحبته وطاعته، ويهين من يهينه بالإعراض عنه ومعصيته. فله الحمد على هذا وعلى هذا، وهو الغني الحميد. فعادت سعادة الدنيا والآخرة إلى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

❖ **القسم الثالث**: من له نوع عبادة بلا استعانة. وهؤلاء نوعان:

- النوع الأول: القدرية القائلون بأنه قد فعل بالعبد جميع مقدوره من الألطاف، وأنه لم يبق في مقدوره إعانة له على الفعل. فإنه قد أعانه بخلق الآلات وسلامتها وتعريف الطريق وإرسال الرسل، وتمكينه من الفعل. فلم يبق بعد هذا إعانة مقدورة يسأله إياها، بل قد ساوى بين أوليائه وأعدائه في الإعانة: فأعان هؤلاء كما أعان هؤلاء، ولكن أولياءه اختاروا لنفوسهم الإيمان، وأعداءه اختاروا لنفوسهم الكفر، من غير أن يكون الله سبحانه وفق هؤلاء لَا بتوفيق زائد، أوجب لهم الإيمان، وخذل هؤلاء بأمر آخر، أوجب لهم الكفر، فعُبّادُ هؤلاء لهم نصيب منقوص من العبادة، لَا استعانة معه: فهم موكولون إلى أنفسهم مسدود عليهم طريق الاستعانة والتوحيد. قال ابن عباس رضي الله عنهما: الإيمان بالقدر نظام التوحيد، فمن آمن بالله وكذب بقدره نقض تكذيبه توحيده.

- النوع الثاني: من لهم عبادات وأوراد ولكن حظهم ناقص من التوكل والاستعانة لم تتسع قلوبهم لارتباط الأسباب بالقدر، وتلاشيها في ضمنه، وقيامها به، وأنها بدون القدر كالموات الذي لَا تأثير له، بل كالعدم الذي لَا وجود له، وأن القدر كالروح المحرك لها، والمعول على المحرك الأول، فلم تنفذ قوى بصائرهم من المتحرك إلى المحرك، ومن السبب إلى المسبب، ومن الآلة إلى الفاعل فضعفت عزائمهم وقصرت هممهم، فقلَّ نصيبهم من {إياك نستعين} ولم يجدوا ذوق التعبد بالتوكل والاستعانة، وإن وجدوا ذوقه بالأوراد والوظائف فهؤلاء لهم نصيب من التوفيق والنفوذ والتأثير، بحسب استعانتهم وتوكلهم. ولو توكَّل العبد على الله حق توكله في إزالة جبل عن مكانه، وكان مأمورًا بإزالته، لأزاله.

فإن قلت: فما معنى التوكل والاستعانة؟ قلت: هو حال للقلب ينشأ عن معرفته بالله، وتفرده بالخلق والتدبير والضر والنفع، والعطاء والمنع، وأنه ما شاء كان وإن لم يشأ الناس، وما لم يشأ لم يكن وإن شاءه الناس، فيوجب له هذا اعتمادًا عليه وتفويضًا إليه، وطمأنينة به، وثقة به، ويقينا بكفايته، لما تُوكِّلَ عليه فيه، وأنه مليّ به، ولا يكونُ إلَّا بمشيئته، شاءَهُ الناسُ أم أبَوْهُ، فتُشبهُ حالته حالة الطفل مع أبويه فيما ينوبه من رغبة ورهبة هما مليّان بهما. فانظر في تجرد قلبه عن الالتفات إلى غير أبويه، وحبس همّه على إنزال ما ينويه بهما. فهذه

حال المتوكل، ومن كان هكذا مع الله، فالله كافيه ولا بد. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ الطلاق: ٣ أي كافيه. والحسْبُ: الكافي. فإن كان مع هذا من أهل التقوى كانت له العاقبة الحميدة، وإن لم يكن من أهل التقوى فهو:

❖ **القسم الرابع:** وهو من شهد تفرُّدَ الله بالنفع والضرر، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولم يدر مع ما يحبه ويرضاه، فتوكل عليه، واستعان به على حظوظه وشهواته وأغراضه، وطلبها منه، وأنزلها به فقُضيت له، وأُسْعِفَ بها، ولكن لَا عاقبة له، سواءً كانت أموالا أو رئاسة أو جاها عند الخلق أو أحوالا، من كشفٍ وتأثيرٍ وقوةٍ وتمكينٍ. فإنها من جنس الملك الظاهر، والأموال لَا تستلزم الإسلام، فضلا عن الولاية والقرب من الله. فإن المُلك والجاه والمال والحال مُعطاةً للبَّرِ والفاجِرِ، والمؤمن والكافر. فمن استدلَّ بشيء من ذلك على محبة الله لِمن آتاه إيَّاه ورضاه عنه وأنه من أوليائه المقربين، فهو من أجهل الجاهلين، وأبعدهم معرفة بالله ودينه، والتمييز بين ما يحبه ويرضاه ويكرهه ويسخطه، فالحال من الدنيا. فهو كالملك والمال إن أعان صاحبه على طاعة الله ومرضاته، وتنفيذ أوامره، ألحقه بالملوك العادلين البررة وإلا فهو وبال على صاحبه ومُبعدٌ له عن الله، ومُلحِقٌ له بالملوك الظلمة، والأغنياء الفجرة. أهـ.

قوله سبحانه وتعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

لما تقدم الثناء على الله تبارك وتعالى، ثم إخلاص العبادة له، وتمام التفويض إليه، نَاسب أن يعقِّب بالسؤال، وهذا أكملُ أحوالِ السائل أن يمدح مسؤولَه بما هو أهلُه ثم يسأل حاجته. علم الله تبارك وتعالى أن حاجة العباد إلى الهداية أشد من حاجتهم إلى الماء والهواء، ولهذا أرشد العباد إلى هذا الدعاء لأنه الأكمل ففرض عليهم فرضًا في كل ركعة من ركعات الصلاة أن يسألوه هذا السؤال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الفاتحة: ٦، فالهداية هنا تشمل هداية التوفيق وهداية العمل وهذه هي فائدة حذف حرف الجر فلم يقل "اهدنا إلى الصراط المستقيم" بل تعدى الفعل بنفسه ليشمل النوعين من الهداية.

اهْدِنَا أي: اللهم دلنا وأرشدنا، ووفقنا إلى الصراط المستقيم، وهو الطريق الواضح الموصِّل إلى الله، وإلى جنته، وهو معرفة الحق والعمل به، فاهدنا إلى الصراط المستقيم واهدنا في الصراط المستقيم. فالهداية إلى الصراط المستقيم، لزوم دين الإسلام، وتركِ ما سواهُ من الأديان. والهداية في الصراط المستقيم، تشمل الهداية لجميع التفاصيل الدينية علمًا وعملًا. فهذا الدعاء من أجمع الأدعية، وأنفعها للعبد ولهذا وجب على الإنسان أن يدعو الله به في كل ركعة من صلاته، لضرورته إلى ذلك.

سِرُّ تأخير الدعاء بعد الحمد والثناء

لما تقدَّم الثناءُ على المسؤول تبارك وتعالى، ناسب أن يُعقِّبَ بالسؤال؛ كما قال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: "قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ" [٣٨٥]. وهذا أكمل أحوال السائل، أن يمدح مسؤوله، ثم يسأل حاجته وحاجة إخوانه المؤمنين بقوله: {اهْدِنَا}، لأنه أنجحُ للحاجة وأنجعُ للإجابة، ولهذا أرشد الله تعالى إليه لأنه الأكمل، وقد يكون السؤال بالإخبار عن حال السائل واحتياجه، كما قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ القصص: ٢٤. وقد يتقدَّمهُ مع ذلك وصف

٣٨٥ - رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، رقم ٣٨-٣٩٥، في كتاب الصلاة، باب: وُجُوبِ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، وَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يُحْسِنِ الْفَاتِحَةَ، ولَا أَمْكَنَهُ تَعَلُّمُهَا قَرَأَ مَا تَيَسَّرَ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا. ونصه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي الله عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ" ثَلَاثًا غَيْرُ تَمَامٍ. فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ؟ فَقَالَ: "اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ"؛ فإنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"، قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: "الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"، قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ"، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ"، قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ".

المسؤول، كقول ذي النون: ﴿لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الأنبياء: ٨٧.

أنواع الهداية

قال ابن القيم رحمه الله: اعلم أن الهداية أربعة:

❖ **أحدها: [الهداية العامة المشتركة بين الخلق]:**

المذكورة في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ طه: ٥٠، أي أعطى كل شيء صورته التي لَا يشتبه فيها بغيره، وأعطى كل عضو شكله وهيئته، وأعطى كل موجود خلقه المختص به ثم هداه إلى خلقه من الأعمال، وهذه هداية الحيوان المتحرك بإرادته إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، وهداية الجمال المسخر لما خلق له، فله هداية تليق به، كما أن لكل نوع من الحيوان هداية تليق به، وإن اختلفت أنواعها وصورها، وكذلك كل عضو له هداية تليق به، فهدى الرِّجْلين للمشي، واليدين للبطش والعمل، واللسان للكلام، والأذن للاستماع، والعين لكشف المرئيات، وكل عضو لما خُلق له، وهدى الزوجين من كل حيوان إلى الازدواج والتناسل وتربية الولد، وهدى الولد إلى التقام الثدي عند وضعه، وطلبه مراتب هدايته سبحانه لَا يحصيها إِلَّا هو فتبارك الله رب العالمين، وهدى النحل أن تتَّخذ من الجبال بيوتًا ومن الشجر ومن الأبنية ثم تسلك

سُبل ربِّها مُذللة لها لَا تستعصي عليها، ثم تأوي إلى بيوتها، وهداها إلى طاعة يعسوبها واتباعه والائتمام به أين توجَّهَ بها، ثم هداها إلى بناءِ البيوتِ العجيبةِ الصَّنْعةِ المُحكمةِ البناءِ. ومن تأمل بعض هدايته المثبتة في العالم شهد له بأنه الله الذي لَا إله إلَّا هو عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم.

❖ **النوع الثاني: [هداية البيان والدلالة والتعريف لنجدي الخير والشر]،** وطريقي النجاة والهلاك، وهذه الهداية لَا تستلزم الهَدْيَ التام فإنها سبب وشرط لَا موجِب، ولهذا ينبغي الهُدَى معها كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ فصلت: ١٧، أي بَيَّنَّا لهم وأرشدناهم ودللناهم فلم يهتدوا. ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الشورى: ٥٢.

❖ **النوع الثالث: [هداية التوفيق والإلهام]:**

وهي الهداية المستلزمة للاهتداء فلا يتخلف عنها، وهي المذكورة في قوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ فاطر: ٨ وفي قوله: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ النحل: ٣٧، وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له". رواه مسلم وأحمد والبيهقي. وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ

بِالْمُهْتَدِينَ﴾ القصص: ٥٦، فنفى عنه هذه الهداية وأثبت له هداية الدعوة والبيان في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الشورى: ٥٢.

❖ **النوع الرابع:** غاية هذه الهداية وهي: **[الهداية إلى الجنة والنار]**، إذا سيق أهلهما إليهما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ يونس: ٩. وقال أهل الجنة فيها: ﴿وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ الأعراف: ٤٣، وقال تعالى عن أهل النار: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣)﴾ الصافات: ٢٢-٢٣.

ثم قال رحمه الله: إذا عُرف هذا فالهداية المسؤولة في قوله: ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} إنما تتناول المرتبة الثانية والثالثة خاصة فهي طلب التعريف والبيان والإرشاد والتوفيق والإلهام طلب التعريف والبيان والتوفيق. ا هـ. (٣٨٦)

قال ابن عاشور: ولا شك أن المطلوب بقوله: {اهْدِنَا} الملقَّن للمؤمنين هو ما يناسب حال الداعي بهذا، إن كان باعتبار داعٍ خاص، أو طائفةٍ خاصة، عندما يقولون: {اهْدِنَا}، أو هو أنواع الهداية على الجملة باعتبار توزيعها على

---

٣٨٦ - راجع كتاب بدائع الفوائد، لابن القيم ج ٢/٢٧١، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، مكتبة نزار مصطفى الباز مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

من تأهَّل لها بحسب أهليته، إن كان دعاء على لسان المؤمنين كلهم المخاطبين بالقرآن، وعلى كلا التقديرين فبعض أنواع الهداية مطلوب حصوله لمن لم يبلغ إليه، وبعضها مطلوب دوامه لمن كان حاصلا له خاصة، أو لجميع الناس الحاصل لهم، وذلك كالهداية الحاصلة لنا قبل أن نسألها [٣٨٧].

كيف نُحصِّلُ هِدايةَ التوفيقِ؟

هداية التوفيق خاصة بالمؤمنين، وإن الله تبارك وتعالى جعل قبول هداية الإرشاد والتعليم سببًا لهداية التوفيق؛ أي جعل طاعة الرسول واتِّباعه، سببا للزيادة من الهداية؛ ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ الأعراف: ١٥٨، وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ النور: ٥٤، فمِن أعظم أسباب الهداية "هداية التوفيق"، وهي طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه، ومن ذلك نعلم أن الضلالة سببها مخالفة أمر الرسول وعصيانه، ودليله قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ الأحزاب: ٣٦، وقال لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

---

٣٨٧ - راجع تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، ج ١٨٦/١، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

القصص: ٥٠. فالهداية سببها طاعة الرسول واتباعه، والضلالة سببها الإعراض عن الرسول ومخالفة أمره، ولذلك روى مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مَسْعُودٍ رَضِي الله عَنْهُ، قَالَ: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ غَدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ" (٣٨٨).

وماذا يحدث لو تركنا السنة؟ مفهومُ الخَلَفِ غيرُ مفهومِ السلف؛ مفهوم الخلف أن ترك السنَّة أمرٌ يسير حيث في مفهومهم أنه يثاب فاعله ولا يُعاقب تاركه، أما مفهوم السلف فهو أنَّ ترك السُّنَّة أمرٌ جدُّ خطيرٍ يدل على التهاون في الاتباع. ولهذا قال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه: "وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ".

ودليل ذلك قوله عز وجل: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ النور: ٦٣.

---

٣٨٨ - رواه مسلم رقم ٢٥٧-٦٥٤، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: صلاة الجماعة من سنن الهدي. وللحديث تتمة، حيث قال صلى الله عليه وسلم: "وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ، إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ".

ومن أسباب التوفيق: الجهاد في سبيل الله. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ العنكبوت: ٦٩. وليس المراد جهاد السيف وحده، فإن الآية مكية، وهي آخر آية من سورة العنكبوت، فالمراد بذلك: جهاد النفس والشيطان. من جاهد نفسه على تعلُّمِ الهُدَى ودينِ الحقّ، الذي لَا فلاح لهذه النفس، ولا سعادة لها في الدنيا، ولا في الآخرة إِلَّا بتعلُّمه، ثم جاهد نفسه على دوام العمل بهذا العلم، ثم جاهدها على تعليم من يحتاج إلى هذا العلم، ثم جاهدها على الصبر على مشاق التعلُّم والعمل، وجاهد الشيطان بإلقاء ما يُلقِي في نفس العبد من الشبهات والشهوات، كل هذه المجاهدة دليل هِداية الله تبارك وتعالى، فإنه سبحانه وبحمده قال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ السجدة: ٢٤.

ومن أعظم أسباب هداية التوفيق: الدعاء، حيث قال الله تعالى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الفاتحة: ٦، وإن الله تعالى قال في الحديث القدسي: "يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ" [٣٨٩]. فقوله تعالى: "إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ" أي علَّمتُه ووفقتُه، وعلَّمته هداية الإرشاد، ووفقته هداية التوفيق، وقوله تعالى: "فَاسْتَهْدُونِي": أمْرٌ منه سبحانه لعباده بطلب الهداية منه وحده، وقوله سبحانه: "فَاستَهدُونِي أَهدِكُمْ"، جواب الأمر، أي اطلبوا مني الهداية لا من

٣٨٩ – رواه مسلم رقم ٥٥–٢٥٧٧، في كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم. والحديث طويل وجاء في أوله: "يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا".

غيري أهدكم، ولذلك علَّم النبي صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي رضي الله عنهما، أن يقول في دعاء القنوت في الوتر: "اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ" [٣٩٠]. وكان صلى الله عليه وسلم يقول: "اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى" [٣٩١]. فليعلم المسلم أن كل فعل يُضاف إلى مشيئة الله تعالى فهو مقرون بالحكمة؛ أي: من اقتضت حكمته أن يهديه فإنه يهتدي، ومن اقتضت حكمته أن يضله أضله. فهداية التوفيق من أمر الله سبحانه وتعالى حيث قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ القصص: ٥٦، اعلم يا محمد أنك لَا تهدي من أحببت، ولكن الله هو الهادي إلى الصراط السوي، وأما هداية الدلالة والإرشاد فهذه مهمة الداعي إلى الله حيثُ يُبَصِّرُ الناسَ بما شرَّعه الله لهم، وفي هذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الشورى: ٥٢.

---

٣٩٠ – حديث صحيح، رواه أبو داود رقم ١٤٢٥، في كتاب الصلاة، باب: القنوت في الوتر. وصححه الألباني. ولفظه: "عَنْ أَبِي الْحَوْرَاءِ، قَالَ: قَالَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ عَنْهُمَا: عَلَّمَنِي رَسُولُ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي الْوِتْرِ– قَالَ ابْنُ جَوَّاسٍ فِي قُنُوتِ الْوِتْرِ: "اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي ولَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، ولَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ".

٣٩١ – رواه مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، رقم ٧٢–٢٧٢١، في كتاب الذكر والدعاء، باب: التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عُمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يُعْمَلْ.

مَا الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ؟

قال ابن الجوزي: الصِّراطُ: الطريق. ويقال: إن أصله بالسين، لأنه من الاستراط وهو: الابتلاع، فالسِّراط كأنه يسترط المارّين عليه، فمن قرأ بالسين، كمجاهد وابن محيصن ويعقوب، فعلى أصل الكلمة، ومن قرأ بالصاد كأبي عمرو والجمهور، فلأنها أَخف على اللسان، ومن قرأ بالزاي، كرواية الأصمعي عن أبي عمرو، واحتج بقول العرب: صقر وسقر وزقر. وروي عن حمزة: إِشمام السين زايًا، وروي عنه أنه تلفظ بالصراط بين الصاد والزاي. قال الفرَّاء: اللغة الجيدة بالصاد، وهي لغة قريش الأولى، وعامة العرب يجعلونها سينًا، وبعض قيس يشمُّون الصاد، فيقول: الصراط بين الصاد والسين، وكان حمزة يقرأ "الزراط" بالزاي، وهي لغة لعُذرة وكلب وبني القين يقولون في "أصدق": أزدق [٣٩٢].

واختُلِفَ في المراد بِالصِّرَاطِ المسْتَقِيمَ: فقيل: هو الإسلامُ. وقيل: هو الإيمانُ، وقيل: هو القرآنُ. وقيل: محمد صلى الله عليه وسلم وصاحباه. وقيل: هو العمل الصالح وهو الحق الذي لَا يقبل اللّهُ من عبادِهِ غيرَهُ، ولا تعارض بين هذه الأقوال، فمَن هداه الله للإسلام، حَبَّب إليه الإيمان، وأعانه على العمل بالقرآن.

٣٩٢ – راجع تفسير زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج بن الجوزي، ج ١/٢٠، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى١٤٢٢هـ.

وذكر ابن كثير [٣٩٣]: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بِن مَسْعُودٍ، قَالَ: الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ كِتَابُ اللَّهِ.

وَقِيلَ: الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الْإِسْلَامُ. قَالَهُ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَان، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَهُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّدِّيُّ الْكَبِيرُ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ، وَقَالَه أَبو صَالِحٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَالَهُ مُرَّةَ الْهَمْدَانِيّ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَقَالَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: الْإِسْلَامُ، هُوَ أَوْسَعُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. وَعَنْ نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقِيلَ: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمُ، اهْدِنَا الطَّرِيقَ الْهَادِيَ، وَهُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي لَا عِوَجَ فِيهِ. قَالَهُ الضَّحَّاكُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ جِبْرِيلُ لِمُحَمَّدٍ، عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: قُلْ: يَا مُحَمَّدُ، اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. يَقُولُ: اهْدِنَا الطَّرِيقَ الْهَادِيَ، وَهُوَ دِينُ اللَّهِ الَّذِي لَا عِوَجَ فِيهِ.

وَقَالَ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قَالَ هُوَ دِينُ اللَّهِ، الَّذِي لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعِبَادِ غَيْرَهُ. وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، قَالَ: هُوَ الْإِسْلَامُ.

وَفِي مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ [٣٩٤] وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ [٣٩٥] وَالنَّسَائِيُّ [٣٩٦]، وَهُوَ إِسْنَادٌ صَحِيحٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ،

---

٣٩٣ - راجع تفسير ابن كثير ج ٥٢/١ - ٥٥.

٣٩٤ - رواه أحمد في المسند رقم ١٧٧٨٤، في مسند الشاميين، آخر ثالث وأول رابع الشاميين، حديث النواس بن سمعان الكلابي الأنصاري. وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح وهذا إسناد حسن. ورواه الحاكم في المستدرك رقم ٢٤٥، وقال: هذا حديث

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَتَيِ الصِّرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تُعَوِّجُوا، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَفْتَحَ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْحَكَ، لَا تَفْتَحْهُ؛ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ. فَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ حُدُودُ اللَّهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ مَحَارِمُ اللَّهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللَّهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ".

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، قَالَ: الْحَقُّ. وَهَذَا أَشْمَلُ، وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا تَقَدَّمَ.

وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَابْنُ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قَالَ: هُوَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصَاحِبَاهُ مِنْ بَعْدِهِ، قَالَ عَاصِمٌ: فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لِلْحَسَنِ، فَقَالَ: صَدَقَ أَبُو الْعَالِيَةِ وَنَصَحَ.

وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ صَحِيحَةٌ، وَهِيَ مُتَلَازِمَةٌ، فَإِنَّ مَنِ اتَّبَعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاقْتَدَى بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَدِ اتَّبَعَ الْحَقَّ، وَمَنِ اتَّبَعَ الْحَقَّ

صحيح على شرط مسلم ولَا أعرف له علة ولم يخرجاه. وعلق الذهبي قائلا: على شرط مسلم ولَا علة له.

٣٩٥ – رواه الترمذي رقم ٢٨٥٩، في كتاب الأمثال، باب: ما جاء في مَثَلِ اللهِ لعبادِه. وقال: هذا حديث حسن غريب. وصححه الألباني.

٣٩٦ – رواه النسائي في السنن الكبرى رقم ١١٢٣٣. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير رقم ٧٣٣٤.

فَقَدِ اتَّبَعَ الْإِسْلَامَ، وَمَنِ اتَّبَعَ الْإِسْلَامَ فَقَدِ اتَّبَعَ الْقُرْآنَ، وَهُوَ كِتَابُ اللَّهِ وَحَبْلُهُ الْمَتِينُ، وَصِرَاطُهُ الْمُسْتَقِيمُ، فَكُلُّهَا صَحِيحَةٌ يُصَدِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ. وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بِن مَسْعُودٍ، قَالَ: الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي تَرَكَنَا عَلَيْهِ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَلِهَذَا قَالَ الْإِمَامُ أَبُو جَعْفَرِ بْنُ جَرِيرٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالَّذِي هُوَ أَوْلَى بِتَأْوِيلِ هَذِهِ الْآيَةِ عِنْدِي – أَعْنِي ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ – أَنْ يَكُونَ مَعْنِيًّا بِهِ: وَفِّقْنَا لِلثَّبَاتِ عَلَى مَا ارْتَضَيْتَهُ وَوَفَّقْتَ لَهُ مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِكَ، مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَذَلِكَ هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ؛ لِأَنَّ مَن وُفِّقَ لِمَا وُفق لَهُ مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِن النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، فَقَدْ وُفق لِلْإِسْلَامِ، وَتَصْدِيقِ الرُّسُلِ، وَالتَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ، وَالْعَمَلِ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ، وَالِانْزِجَارِ عَمَّا زَجَرَهُ عَنْهُ، وَاتِّبَاعِ مِنْهَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِنْهَاجِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ، وَكُلِّ عَبْدٍ صَالِحٍ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ. ا هـ. وقال الشوكاني: وَجَمِيعُ مَا رُوِيَ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، فَإِنَّ مَنِ اتَّبَعَ الْإِسْلَامَ أَوِ الْقُرْآنَ أَوِ النبيّ قد اتَّبَعَ الْحَقَّ. وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ جَرِيرٍ نَحْوَ هَذَا، فَقَالَ: وَالَّذِي هُوَ أَوْلَى بِتَأْوِيلِ هَذِهِ الآية عندي أن يكون مَعْنِيًّا بِهِ: وَفِّقْنَا لِلثَّبَاتِ عَلَى مَا ارْتَضَيْتَهُ، وَوَفَّقْتَ لَهُ مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِكَ مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَذَلِكَ هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، لِأَنَّ مَنْ وُفِّقَ إِلَيْهِ مِمَّنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ فَقَدْ وُفِّقَ لِلْإِسْلَامِ وَتَصْدِيقِ الرُّسُلِ، وَالتَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ، وَالْعَمَلِ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ وَالِانْزِجَارِ عَمَّا زَجَرَهُ

عَنْهُ، وَاتِّبَاعِ مِنْهَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْهَاجِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ وَكُلِّ عَبْدٍ صَالِحٍ، وكل ذلك من الصراط المستقيم [٣٩٧].

فالصراط المستقيم يتمثل في إفراد الله بالعبادة، ولذلك يقول الله تعالى للذين عبدوا غيره، يقول لهم يوم القيامة: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١)﴾ يس: ٦٠-٦١.

فالصراط المستقيم هو الطريق الذي يسير العابد فيه بإفراد الله وحده بالعبادة، فمن عبد الله وحده لم يشرك به شيئا، فهو على صراط مستقيم.

وحرف {الصِّرَاطَ} فيه قراءتين: فقراءة الجمهور بالصاد هكذا: {الصِّرَاطَ}، ويقصد به الطريق، وقرأ خلف عن حمزة: {السِّرَاطَ} بالسين.

والمراد بـ {الصِّرَاط}، الطريق الواسع الذي يسير عليه الناس، والصِّرَاطُ في الدنيا طريق معنوي؛ يعني أن الناس يسيرون عليه بأعمالهم؛ وُصف بأنه صراطٌ، يعني: طريق واضح يسير الناس عليه فمن سار على هذا الطريق المستقيم نجا ومن أخطأه ضل. وهو في الآخرة الطريق الذي ضُرِب بين ظهراني جهنم، يعبره من كتب الله لهم الجنة، وينكب من فوقه كل من كتب الله عليهم النار، اللهم نجنا من عذاب النار.

---

٣٩٧ - راجع تفسير فتح القدير، للشوكاني، ج ١/ ٢٨، دار ابن كثير - دمشق، دار الكلم الطيب - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.

وضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلا، فخطَّ خطًا طويلًا مستقيمًا، ثم خط عن يمينه خطوطًا وعن شماله خطوطًا صغيرة، وقال هذه السُّبل – أي الطرق – وعلى رأس كل سبيل شيطانٌ يدعو إليها. وقال عن الخط الأوسط المستقيم: هذا صراط الله؛ الطريق الذي يوصل إلى الجنة، لَا يوجد إِلَّا دين واحد، طريق واحد يُوصِّل إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى. خط مستقيم لَا يحتمل التعدد. والطرق الملتوية هذه سبل الشيطان، الطرق التي يدعو إليها الشيطان؛ يعني هذا شيطان يدعو إلى التهود، وهذا يدعو إلى النصرانية، وهذا يدعو إلى الوثنية، وهذا يدعو إلى الشيوعية، وهذا مثلا يدعو إلى عقيدة الجهمية، وهذا يدعو إلى بدعة المعتزلة، وهذا يدعو إلى التصوف... وهكذا. يعني: طرق ملتوية من هنا، ومن هنا؛ من سلك واحدًا منها هلك، ومن سار على الصراط المستقيم نجا، فإنه صراط مستقيم ليس فيه اعوجاج، وليس فيه ميَلانٌ، فالطريق كلما كان مستقيما ليس فيه انحرافٌ ولا ميلٌ؛ كان مُوصِّلا لسالِكِهِ سريعا، وأما إذا صار فيه اعوجاجات فإنه يطول السير فيه؛ فالله وصف هذا الصراط بأنه مستقيمٌ؛ أي: مُستَمرٌ يُوصِّلُ إلى الجنة.

قال ابن الجوزي: وفي المراد بالصّراط ها هنا أربعة أقوال:

- أحدها: أنه كتاب الله، رواه عليّ عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.
- والثاني: أنه دين الإسلام. قاله ابن مسعود، وابن عباس، والحسن، وأبو العالية في آخرين.

❖ والثالث: أنه الطريق الهادي إلى دين الله، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مجاهد.

❖ والرابع: أنه طريق الجنة، نقل عن ابن عباس أيضًا [٣٩٨].

وقال الفخر الرازي: وَالْمُرَادُ بِالصِّرَاطِ كُلُّ مَا كَانَ مِنْ مَنَاهِجِ الدِّينِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالصِّرَاطِ ذَلِكَ، قَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ الأعراف: ٨٦. وَقَوْلُهُ: {بِكُلِّ صِراطٍ}، يُقَالُ قَعَدَ لَهُ بِمَكَانِ كَذَا، وَعَلَى مَكَانِ كَذَا، وَفِي مَكَانِ كَذَا، وَهَذِهِ الْحُرُوفُ تَتَعَاقَبُ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ لِتَقَارُبِ مَعَانِيهَا، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ: قَعَدَ بِمَكَانِ كَذَا، فَالْبَاءُ لِلْإِلْصَاقِ، وَهُوَ قَدِ الْتَصَقَ بِذَلِكَ الْمَكَانِ [٣٩٩].

ومعنى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} أي يا رب دُلَّنا على طريق الحق الطريق المستقيم الذي لَا اعوجاج فيه، ووَفِّقْنا لِسُلوكه لنَنْجُوَ من عذابك ونفوز برضاك، وثبِّتنا على ما هديتنا وزدنا هدًى؛ لأن ما فات الإنسان من الهداية أضعاف أضعاف ما حصَّلهُ منها؛ ولذلك قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ مريم: ٧٦، وقال: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ محمد: ١٧، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ

---

٣٩٨ - راجع تفسير فتح القدير، للشوكاني، ج ٢٨/١، دار ابن كثير - دمشق، دار الكلم الطيب - بيروت، الطبعة الأولى١٤١٤ هـ.

٣٩٩ - راجع مفاتيح الغيب - التفسير الكبير - للفخر الرازي ج ٣١٤/١٤، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.

وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ يونس: ٩، والدعاء هنا المقصود به الثَّبات والمدَاوَمَة على الحق من المؤمنين المهتدين.

والهداية معرفة الحق والعمل به، فلا يكفي معرفة الحق دون العمل به، فالكثير من الناس يعرفون الحق ولا يعملون به، واليهود يعرفون صِدْقَ محمد صلى الله عليه وسلم ولم يتبعوه.

بعض العوام قد يفتح الهمزة من "اِهدنا" فيقول: "أَهدنا"، أهدنا هذه خطأ؛ وذلك لأنه إذا قال "أَهدنا" فمعناه أعْطِنَا هدية؛ وهذا يغير المعنى، لأن "اِهدنا" يعني: دلنا وأرشدنا، ووفقنا إلى الصراط المستقيم، الاهتداء معناه بيان الحق يعني: بين لنا الحق وأعنا، ووفقنا حتى نسير عليه، ونتمسك به.

والمراد بـ "الهداية" هداية الإرشاد، وهداية التوفيق، فالعبد بقوله ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يسأل الله تعالى علمًا نافعًا، وعملًا صالحًا.

وقال الطبري: أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ جَمِيعًا عَلَى أَنَّ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ هُوَ الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ. وَكَذَلِكَ فِي لُغَةِ جَمِيعِ الْعَرَبِ؛ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ جَرِيرِ بْنِ عَطِيَّةَ بْنِ الْخَطَفَى:

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى صِرَاطٍ... إِذَا اعْوَجَّ الْمَوَارِدُ مُسْتَقِيمِ [٤٠٠]

٤٠٠ – راجع تفسير الطبري ج ١/١٧٠.

لمَاذا جاءت كلمة "الصِّرَاطَ" معرفة بأل وبالإضافة؟

جاءت كلمة الصراط مُفردة ومعرَّفة بتعريفين: مُعرَّفة بالألف واللام، ومُعرفة بالإضافة، مما يدلُّ على أنه صراط واحد، وجاء الاستقامة كذلك وموصوفٌ بها الصِّراط، ومعنى أنَّ هذا الصراط موصوف بالاستقامة، دليل على أنه أقصر خط موصِّل بين نقطتين، فالخط المستقيم أقصر خطٍّ واصل بين نقطتين، فذكْر كلمة المستقيم دليل على أنه أقصر الطرق وأقربها وصولًا الى الله، ودليله من الكتاب، قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأنعام: ١٥٣، وهذا الطريق المستقيم الذي لَا عوج فيه والذي هو أقصر الطرق للوصول إلى من أنعم الله عليهم هو طريق محمد صلى الله عليه وسلم باتباع ما أمر واجتناب ما نهى عنه، ودليله من الكتاب قول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الحشر: ٧. والمقصود بالوصول إلى الله تعالى هو الوصول إلى طاعته ومرضاته، وليس هناك من طريق غير الصراط المستقيم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ المزمل: ١٩.

قال ابن القيم: وذِكْرُ {الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} مُفردًا مُعرَّفا تعريفين: تعريفًا باللام وتعريفًا بالإضافةِ، وذلك يفيد تعينه واختصاصه، وأنه صراط واحد، وأما طرق أهل الغضب والضلال، فإنه سبحانه يجمعها ويفردها ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي

مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأنعام: ١٥٣، فوحَّد لفظ {الصِّرَاطَ} و{سَبِيلِهِ} وجمع {السُّبُل} المخالفة له وقال ابن مسعود: "خط لنا رسول الله خطا وقال: "هذا سبيل الله، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن يساره، وقال: "هذه سبل، على كل سبيل شيطان يدعو إليه"، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾" الأنعام: ١٥٣ [٤٠١]، وهذا لأن الطريقَ المُوصِّلَ إلى اللهِ واحدٌ، وهو ما بعث به رُسُلَهُ وأنزل به كُتُبَهُ، لَا يصل إليه أحد إِلَّا من هذه الطريق، ولو أتى الناس من كل طريق، واستفتحوا من كل باب، فالطُّرق عليهم مسدودة، والأبواب عليهم مغلقة إِلَّا من هذا الطريق الواحد، فإنه متصل بالله مُوَصِّلٌ إلى الله [٤٠٢].

---

٤٠١ - حديث حسن صحيح، رواه النسائي في السنن الكبرى رقم ١١١٠٩. ورواه ابن حبان في صحيحة رقم ٦، في المقدمة، وحسنه شعيب الأرنؤوط. وقال الألباني حسن صحيح.

٤٠٢ - راجع كتاب مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم ج ١٤/١، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

لمَاذا جاءت كلمة الصِّرَاطَ مفردة ولم ترد جمعًا؟

وردت كلمة الصراط في القرآن مفردة، ولم ترد جمعًا في القرآن كله، لأن الصراط صراط واحد فقط، فجاء بلفظ المفرد في كل مواضعه القرآن الكريم، وإنه طريق الإسلام الرَّحب الواسع، الذي لَا يُتقبل السالك من طريق غيره، لأن من اتبع غير هذا الصراط ينحرف عن الحق والعدل فيهلك في التواءات الطرق واعوجاجاتها. ودليله من القرآن الكريم، قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأنعام: ١٥٣. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾، فهذه السُّبُلُ جاءت جمعًا في القرآن الكريم، لأن لكل سبيل منها أهواءٌ شتًّا، وأنهم لَا يجتمعون فيما بينهم أبدًا إلَّا على معاداة أصحاب الصراط المستقيم.

وهذه السُّبُلُ وصفها الله سبحانه وتعالى باستقامتها تارة، وباعوجاجها تارة أخرى. فالطرق التي بها يسير الإنسان على هُدى من الله في طريق الله للوصول إلى هُدى الله. قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٦)﴾ المائدة: ١٥-١٦.

قال القرطبي: {سُبُلَ السَّلامِ}، طُرُقَ السَّلَامَةِ الْمُوصِلَةِ إِلَى دَارِ السَّلَامِ الْمُنَزَّهَةِ عَنْ كُلِّ آفَةٍ، وَالْمُؤَمَّنَةِ مِنْ كُلِّ مَخَافَةٍ، وَهِيَ الْجَنَّةُ. وَقَالَ الْحَسَنُ وَالسُّدِّيُّ: {السَّلامِ} اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَالْمَعْنَى دِينُ اللَّهِ - وَهُوَ الْإِسْلَامُ - كَمَا قال: ﴿إِنَّ

الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ آل عمران: ١٩، ﴿وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ﴾، أَيْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ وَالْجَهَالَاتِ إِلَى نُورِ الْإِسْلَامِ وَالْهِدَايَاتِ. (بِإِذْنِهِ) أي بتوفيقه وإرادته (٤٠٣). وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِي الله عَنْهُ، قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَقَالَ: "هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو لَهُ" ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأنعام: ١٥٣.

قال الشاطبي: فَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ هُوَ سَبِيلُ اللَّهِ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ، وَهُوَ السُّنَّةُ، وَالسُّبُلُ هِيَ سُبُلُ الِاخْتِلَافِ الْحَائِدِينَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُمْ أَهْلُ الْبِدَعِ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ سُبُلَ الْمَعَاصِي، لِأَنَّ الْمَعَاصِيَ مِنْ حَيْثُ هِيَ مَعَاصٍ لَمْ يَضَعْهَا أَحَدٌ طَرِيقًا تُسْلَكُ دَائِمًا عَلَى مُضَاهَاةِ التَّشْرِيعِ، وَإِنَّمَا هَذَا الْوَصْفُ خَاصٌّ بِالْبِدَعِ الْمُحْدَثَاتِ (٤٠٤).

ومن هذا المعنى يأتي السؤال:

---

٤٠٣ – راجع تفسير القرطبي ج ١١٦/٦.

٤٠٤ – راجع كتاب الاعتصام، للشاطبي، ج ٧٦/١، دار ابن عفان، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

ما الفرق بين الصراط، والسبيل، والطريق؟

الصراط: قُرأت بالسين، وقُرأت بالصاد، والقراءة بالسين على الأصل، وهي من الاستراط بمعنى الابتلاع، كأن الطريق يَسترط من يسلكه، أي يبتلعه، فالصراط واسع رحب، يتسع لكل السالكين فيه، فكلمة الصراط تدل على الاشتمال والوُسع وأنها دليل على أن الصراط من وُسعه يبتلع كل السالكين، فهو بالأصل لَا يضيق أبدًا بأي عدد يسلكه، فلما كان الطريق الموصِّل إلى الله طريقًا واحدًا، سمَّاه الله صراطًا مستقيمًا، والاستقامة دليل اختيار الوصول في أقصر وقت من أقوم طريق، وباعتدال في السير ومداومة الاعتدال لبلوغ الغاية، وهذه الاستقامة على الصراط المستقيم.

قال الجرجاني: الاستقامة هي كون الخط بحيث تنطبق أجزاؤه المفروضة بعضها على بعض على جميع الأوضاع، وفي اصطلاح أهل الحقيقة: هي الوفاء بالعهود كلها وملازمة الصراط المستقيم برعاية حد التوسط في كل الأمور، من الطعام والشراب واللباس، وفي كل أمر ديني ودنيوي، فذلك هو الصراط المستقيم، كالصراط المستقيم في الآخرة، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: "شيبتني سورة هود" [٤٠٥]؛ إذ أنزل فيها: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ هود: ١١٢.

---

٤٠٥ – حديث صحيح، طرف لحديث رواه الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، رقم ٣٢٩٧، في كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الواقعة. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وصححه الألباني. ولفظه: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا

الاستقامة: وأن يجمع بين أداء الطاعة واجتناب المعاصي.

وقيل: الاستقامة ضد الاعوجاج، وهي مرور العبد في طريق العبودية بإرشاد الشرع والعقل.

الاستقامة: المداومة. وقيل: الاستقامة: أَلَّا تختار على الله شيئًا.

الاستقامة: قال أبو علي الدقاق: لها مدارجُ ثلاثة:

- أولها: التقويم؛ وهو تأديب النفس
- وثانيها: الإقامة؛ وهي تهذيب القلوب
- وثالثها: الاستقامة؛ وهي تقريب الأسرار [٤٠٦].

فقال المناوي: "شيبتني هود"، أي سورة هود، "وأخواتها" أي وما أشبهها مما فيه من أهوال القيامة وشدائدها وأحوال الأنبياء وما جرى لهم، "قبل المشيب" لأن الفزع يُورِثُ الشَّيبَ قيل أوانه، إذ هو يُذهِلُ النَّفس فتنشف رطوبة البدن، وتحت كل شعرة منبع، ومنه يعرق، فإذا نشفت رطوبته يبست المنابع، فيبس الشعر فابيضَّ، كالزرع الأخضر إذا لم يُسْقَ فإنه يَبيضُّ، وإنما يبيضُّ شعر الشيخ

رَسُولَ اللَّهِ قَدْ شِبْتَ، قَالَ: "شَيَّبَتْنِي هُودٌ، وَالوَاقِعَةُ، وَالمُرْسَلَاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ".

٤٠٦ – راجع كتاب التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني ص ١٩، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

لذهاب رطوبته، ويَبَسِ جلدته، فلما فزع قلبُ المصطفى صلى الله عليه وسلم من ذلك الوعيد والهول نشف ماء منابته فشاب قبل الأوان [٤٠٧].

وشرَّع الله للمسلمين أن يسألوه الهداية لسلوك هذا الصراط المستقيم، فقال الله تعالى: "اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ" ومِن مَنِّه وكرمه سبحانه وبحمده على عباده المؤمنين أن هداهم الصراط المستقيم، وبين الله سبحانه وتعالى ذلك، فقال في حق موسى وهارون عليهما السلام: ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الصافات: ١١٨.

قال الطبري: وقوله: ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، يقول تعالى ذكره: وهدينا موسى وهارون الطريق المستقيم، الذي لَا اعوجاج فيه وهو الإسلام دين الله، الذي ابتعث به أنبياءه [٤٠٨].

قال الطبري: قَوْلِهِ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ عِنْدَنَا: وَفِّقْنَا لِلثَّبَاتِ عَلَيْهِ، كَمَا رُوِيَ ذَلِكَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ جِبْرِيلُ لِمُحَمَّدٍ: "قُلْ يَا مُحَمَّدُ ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، يَقُولُ: أَلْهِمْنَا الطَّرِيقَ الْهَادِيَ". وَإِلْهَامُهُ إِيَّاهُ ذَلِكَ، هُوَ تَوْفِيقُهُ لَهُ [٤٠٩].

وقال في معناه أيضًا: وَفِّقْنَا لِلثَّبَاتِ عَلَى مَا ارْتَضَيْتَهُ وَوَفَّقْتَ لَهُ مَنْ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِكَ، مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَذَلِكَ هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، لِأَنَّ مَنْ وُفِّقَ

٤٠٧ - راجع كتاب فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، ج ١٦٨/٤، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة الأولى ١٣٥٦ هـ.

٤٠٨ - راجع تفسير الطبري ج ٩٤/٢١.

٤٠٩ - راجع تفسير الطبري ج ١٦٥/١.

لِمَا وُفِّقَ لَهُ مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ، فَقَدْ وُفِّقَ لِلْإِسْلَامِ، وَتَصْدِيقِ الرُّسُلِ، وَالتَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ، وَالْعَمَلِ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَالِانْزِجَارِ عَمَّا زَجَرَهُ عَنْهُ، وَاتِّبَاعِ مَنْهَجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِنْهَاجِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَكُلِّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ. وَكُلُّ ذَلِكَ مِنَ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ. [٤١٠].

وجاء وصف الصراط بالسويِّ، ويقصد به عدل القضاء، لأن العدالة في اللغة: الاستقامة، وفي الشريعة: عبارة عن الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عما هو محظور دينًا [٤١١]. فجاء قول الله تعالى: {سَوَاءِ الصِّرَاطِ}، ومعناه: قصد الطريق المستقيم الذي هو عدل القضاء الذي يحمل الناس على الحق والعدل، وعدل القضاء طلب يطلبه كل من يريد العدل لكونه صاحب دين، أو صاحب حق، أو لإظهار حقيقة، وجاء بيان ذلك في نبأ الخصمين الذَيْن تسورا المحراب على داود فقالا له، حيث قال الله تعالى: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ ص: ٢٢.

حكى الطبري، عن قتادة، قال: {وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ}، إلى عدله وخيره. وحكى عن السُّدي، فقال: إلى عدل القضاء. وحكى عن ابن زيد قوله: إلى

٤١٠ - راجع تفسير الطبري ج ١/١٧١.

٤١١ - راجع كتاب التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني ص ١٤٧.

الحق الذي هو الحق: الطريق المستقيم. وحكى عن وهب بن مُنبِه قوله: احملنا على الحق، ولا تخالف بنا إلى غيره [٤١٢].

السَّبيل: مفرد سُبل، ويقول السائر في الطريق إذا سار فيه: الطريق أسبُلُه، أي أقطعه، وابن السبيل: ابن الطريق الذي لَا يجد ما يأويه، والسبيل السير نحو الهدف الذي يريد، فمن الناس من يجعل سبيله إلى خير، ومن الناس من يجعل سبيله إلى شر، قال الله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ الأعراف: ١٤٦، وقال جلّ وعلا: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يوسف: ١٠٨.

وقد أعطى الله للإنسان عقلا يُميّز به بين الخير والشر، وهذا العقل إما أن يهدى صاحبه للخير فيكون على سواء السبيل، وإما أن يهديه للشر فيكون كافرًا بالله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ الإنسان: ٣. وسبيل الرشد، هو طريق الله التي فيها يعبد المؤمن ربَّه ويؤمن بما فرضه الله عليه، ومن لم يفعل هذا فقد ضلَّ هذا الطريق السوي، قال الله تعالى: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا

٤١٢ - راجع تفسير الطبري ج ٢١/ ١٨٣.

لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ المائدة: ١٢.

وسبيل الرشد، هو الإيمان بأركانه الست، ومن التزم أركان الإيمان ومنها الإيمان باليوم الآخر هو الفائز في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ﴾ المؤمنون: ٧٤. أي عن الحق عادلون.

قال القرطبي: {عَنِ الصِّراطِ لَناكِبُونَ}، قِيلَ: إِنَّهُمْ عَنْ طَرِيقِ الْجَنَّةِ لَنَاكِبُونَ حَتَّى يَصِيرُوا إِلَى النَّارِ. نَكَبَ عَنِ الطَّرِيقِ يَنْكُبُ نُكُوبًا إِذَا عَدَلَ عَنْهُ وَمَالَ إِلَى غَيْرِهِ، وَمِنْهُ نَكَبَتِ الرِّيحُ إِذَا لَمْ تَسْتَقِمْ عَلَى مَجْرًى. وَشَرُّ الرِّيحِ النَّكْبَاءُ [٤١٣].

ويوم القيامة يأتي كل صاحب طريق فيلقى في جهنم، إلَّا من كان على الطريق السوي فيدخله الله الجنة، فينادى مناد من قِبَل ربُّ العزَّة والجلال فيقول: "لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ" [٤١٤].

---

٤١٣ – راجع تفسير القرطبي ج ١٤٢/١٢.

٤١٤ – متفق عليه، رواه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري، رقم ٧٤٣٩، في كتاب التوحيد، باب: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}. ورواه مسلم من حديث أبي هريرة، رقم ٢٩٩–١٨٢، في كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية. والحديث طويل، وفيه فائدة عظيمة، ولهذا أورده بتمامه: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: "هَلْ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ إِذَا كَانَتْ صَحْوًا؟"، قُلْنَا: لاَ، قَالَ: "فَإِنَّكُمْ لاَ تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ، إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَتِهِمَا" ثُمَّ قَالَ: "يُنَادِي مُنَادٍ: لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَغُبَّرَاتٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ،

لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ ولَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ المَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ لِلَّهِ صَاحِبَةٌ، ولَا وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا فَيَتَسَاقَطُونَ فِي جَهَنَّمَ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: فَارَقْنَاهُمْ، وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِ اليَوْمَ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي: لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْمٍ بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا، قَالَ: فَيَأْتِيهِمُ الجَبَّارُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فلَا يُكَلِّمُهُ إِلَّا الأَنْبِيَاءُ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ"، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الجَسْرُ؟ قَالَ: "مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلاَلِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، المُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا، فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشَدَةً فِي الحَقِّ، قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ المُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ، وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا، فِي إِخْوَانِهِمْ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا، كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: اذْهَبُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، وَيُحَرِّمُ اللَّهُ صُوَرَهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ، وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا. "قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَإِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي فَاقْرَؤوا: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا}"، فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالمَلاَئِكَةُ وَالمُؤْمِنُونَ، فَيَقُولُ الجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدْ امْتُحِشُوا، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ، وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ، فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ، فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ اللُّؤْلُؤُ، فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الخَوَاتِيمُ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، فَيَقُولُ أَهْلُ الجَنَّةِ: هَؤُلاَءِ عُتَقَاءُ

الطريق: مفرد طُرُق، وهو المنطقة من الأرض يسير فيها الناس، وهو من حيث الاعتقاد توجُّهُ السائرين على طريقةٍ؛ وطريق: على وزن فعيل، بمعنى مطروق أي مسلوك، والسبيل على وزن فعيل، ونقول أسبلَتِ الطريق إذا كثر السالكون فيها. والطريق يكون مُعَبَّدًا ولا يوصف بالاستقامة، فلعله معوج رغم أنه مُعَبَّد، والطريق لَا يكون ممهدًا ويمكن أن يكون في خط معتدل، فلا يوصف بالاستقامة رغم كونه من حيث الاستقامة كخطٍ بين نقطتين معتدلًا، لأن شروط الاستقامة تختصُّ بالسير على الطريق وليس بالطريق ذاته؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٦) لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧)﴾ الجن: ١٦-١٧.

روى الطبري، عن مجاهد، قال: {وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ}، طريقة الإسلام، طريقة الحق [٤١٥]. والفتنة: الابتلاء في طريق الحق، فمن أعرض عن الاستقامة واعْوَجَّ يكون قد سلك طريق العذاب، وهي الطريقة المعوجة التي خرجت عن طاعة الله عز وجل.

قال القرطبي: تقول العرب: فلان على الطريقة المثلى يعنون على الهدى المستقيم [٤١٦]. فعلى هذا يكون الفرق بين الصراط والسبيل، أن الصراط طريق

الرَّحْمَنِ، أَدْخَلَهُمُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلَهُ مَعَهُ".

٤١٥ - راجع تفسير الطبري ج ٦٦٢/٢٣.

٤١٦ - راجع تفسير القرطبي ج ٢٢٠/١١.

واحد لَا عوج فيه، والسبيل: هو الطريق إذا سار فيه السائر، والسير لاتجاهات وأهواء، فلا يسير على الصراط إِلَّا الصادق، وفي الطريق يسير أصحاب الاتجاهات والأهواء ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأنعام: ١٥٣.

ولا يكون الطريق صراطًا، إِلَّا إذا توافرت فيه خمسة أشياء ذكرها الإمام ابن القيم، فقال: لَا تكون الطريق صراطًا حتى تتضمن خمسة أمور: الاستقامة، والإيصال إلى المقصود، والقرب، وسعته للمارين عليه، وتعينه طريقا للمقصود، ولا يخفى تضمُّن الصراط المستقيم [٤١٧].

فوائد من قوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

في هذه الآية الكريمة فوائد جليلة منها: استحباب سؤال الله الهداية دائمًا وأبدًا لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا بطلب الهداية فقال ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الفاتحة: ٦ فإن المسلم يحتاج لطلب الهداية دائمًا. وكان رسول الله

٤١٧ - راجع التفسير القيم، لابن القيم ج ١/ ١٤، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

عليه الصلاة والسلام يقول: "اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى" [٤١٨].

وكان يقول في صلاة الليل: "اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" [٤١٩].

وعلَّم الحسنَ بنَ عليٍّ رضي الله عنهما، أن يقول في دعاء قنوت الوتر: "اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ" [٤٢٠].

وعَنْ عَلِيٍّ رَضِي الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "قُلِ اللهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي" [٤٢١]. فيجب على المسلم أن يحرص على طلب الهداية.

---

٤١٨ – رواه مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، رقم ٧٢–٢٧٢١، في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.

٤١٩ – رواه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها، رقم ٢٠٠–٧٧٠، في كتاب الصلاة، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه. ولفظه: "عَنْ أبي سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ؟ قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: "اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ".

٤٢٠ – حديث صحيح، رواه أبو داود رقم ١٤٢٣، في كتاب الصلاة، باب: القنوت في الوتر. وصححه الألباني. وتقدم إيراد لفظه.

٤٢١ – رواه مسلم رقم ٧٨–٢٧٢٥، في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل. ولفظه: "قُلِ اللهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ، بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَالسَّدَادِ، سَدَادَ السَّهْمِ".

ويسأل الله أن يثبته على هذه الطاعة، لأن من هدي الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ" [٤٢٢].

قال ابن القيم: وَلْيَنْظُرِ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ الَّتِي تَعُوقُهُ عَنْ سَيْرِهِ عَلَى هَذَا الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، فَإِنَّهَا الْكَلَالِيبُ الَّتِي بِجَنَبَتَيْ ذَاكَ الصِّرَاطِ، تَخْطَفُهُ وَتَعُوقُهُ عَنِ الْمُرُورِ عَلَيْهِ، فَإِنْ كَثُرَتْ هُنَا وَقَوِيَتْ فَكَذَلِكَ هِيَ هُنَاكَ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فصلت: ٤٦ [٤٢٣]

ويستحب للداعي أن يقدم بين يدي دعائه ثناءه على الله بالحمد وإفراده بالعبادة.

قال ابن القيم: وَلَمَّا كَانَ سُؤَالُ اللَّهِ الْهِدَايَةَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ أَجَلَّ الْمَطَالِبِ، وَنَيْلُهُ أَشْرَفَ الْمَوَاهِبِ: عَلَّمَ اللَّهُ عِبَادَهُ كَيْفِيَّةَ سُؤَالِهِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْهِ حَمْدَهُ وَالثَّنَاءَ عَلَيْهِ، وَتَمْجِيدَهُ، ثُمَّ ذَكَرَ عُبُودِيَّتَهُمْ وَتَوْحِيدَهُمْ، فَهَاتَانِ وَسِيلَتَانِ إِلَى مَطْلُوبِهِمْ، تَوَسُّلٌ إِلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَتَوَسُّلٌ إِلَيْهِ بِعُبُودِيَّتِهِ، وَهَاتَانِ الْوَسِيلَتَانِ

---

٤٢٢ – حديث صحيح، رواه الترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، رقم ٢١٤٠، في كتاب القدر، باب: ما جاء أن القلوب بين أُصبعي الرحمن. وقال هذا حديث حسن. وصححه الألباني. ولفظه: "عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: "يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ"، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: "نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ".

٤٢٣ – راجع كتاب مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم ج ١٣/١، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

لَا يَكَادُ يُرَدُّ مَعَهُمَا الدُّعَاءُ [٤٢٤]. الطريق الحق المستقيم واحدٌ، وغيره طرق كثيرة لَا هَدْي فيها ولا خلاق، وأمر الله سبحانه وتعالى نبيَّه صلى الله عليه وسلم أن يُعلن على الناس كل الناس هذا البيان الذي يُعرفهم العقيدة الصافية التي لَا زيغ فيها ولا انحراف، حيث قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأنعام: ١٥٣. فلا بد للمسلم أن يستقيم على هذا الصراط السوي.

قال ابن القيم: وَلِلْهِدَايَةِ مَرْتَبَةٌ أُخْرَى وَهِيَ آخِرُ مَرَاتِبِهَا وَهِيَ الْهِدَايَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى طَرِيقِ الْجَنَّةِ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُوَصِّلُ إِلَيْهَا، فَمَنْ هُدِيَ فِي هَذِهِ الدَّارِ إِلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ، الَّذِي أَرْسَلَ بِهِ رُسُلَهُ، وَأَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ، هُدِيَ هُنَاكَ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، الْمُوَصِّلِ إِلَى جَنَّتِهِ وَدَارِ ثَوَابِهِ، وَعَلَى قَدْرِ ثُبُوتِ قَدَمِ الْعَبْدِ عَلَى هَذَا الصِّرَاطِ الَّذِي نَصَبَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ يَكُونُ ثُبُوتُ قَدَمِهِ عَلَى الصِّرَاطِ الْمَنْصُوبِ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَعَلَى قَدْرِ سَيْرِهِ عَلَى هَذِا الصِّرَاطِ يَكُونُ سَيْرُهُ عَلَى ذَاكَ الصِّرَاطِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالطَّرْفِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَالرِّيحِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ كَشَدِّ الرِّكَابِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْعَى سَعْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْبُو حَبْوًا، وَمِنْهُمُ الْمَخْدُوشُ الْمُسَلَّمُ، وَمِنْهُمُ الْمُكَرْدَسُ فِي النَّارِ، فَلْيَنْظُرِ الْعَبْدُ سَيْرَهُ عَلَى ذَلِكَ الصِّرَاطِ مِنْ سَيْرِهِ عَلَى هَذَا،

٤٢٤ – راجع كتاب مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم ج ٤٧/١. تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦م.

حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، جَزَاءً وِفَاقًا ﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ النمل: ٩٠. [٤٢٥]

فيجب على المسلم أن يفعل الأسباب التي تعينه على السير على الصراط المستقيم كالبرق، وأسأل الله أن نكون من هؤلاء.

قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾

هذه الآية جمعت كل أصناف المكلَّفين من الخلق، ولم تستثنِ منهم أحدًا، وجعلهم الله عزَّ وجلَّ أصنافًا ثلاثةً، ولا يخرج من المكلفين أحدٌ عن هذه الأصنافِ الثلاثةِ، فالخلق لَا ينفكُّ أحدهم عن أن ينتمى لصنف من هذه الأصناف الثلاثة:

- الصنف الأول: الذين أنعم الله عليهم.
- والصنف الثاني: المغضوب عليهم.
- والصنف الثالث: الضالون.

وجاء فيها تعريف الصراط المستقيم بأنه صراط الذين أنعم الله عليهم، وهم النبيون، والصديقون، والشهداء، والصالحون، وحسنت الصحبة حيث التقت

---

٤٢٥ – راجع كتاب مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم ج ٣٣/١.

على طاعة الله ومحبته، وتآلفت الأرواح حيث اجتمعت على محبته، والتقت على طاعته، فكما سألوا ربهم أن يهديهم الصراط المستقيم، سألوه إِلَّا يُضلهم كما ضلَّ أهل الضلال. فيبطُل استدلال غير المؤمنين إن استدلوا على اعوجاجهم ليجعلوه استقامة، وعلى طريق ضلالهم ليجعلوه صراطًا مستقيمًا.

قال الطبري: وقوله ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، إبانةٌ عن الصراط المستقيم، أيُّ الصراط هو؟ إذْ كان كلّ طريق من طرُق الحق صراطًا مستقيمًا. فقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ يا محمد: اهدنا يا ربنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك، من مَلائكتك وأنبيائك والصديقين والشهداء والصالحين. وذلك نظير ما قال ربنا جلّ ثناؤه في تنزيله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦) وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (٦٨) وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا (٦٩)﴾ النساء: ٦٦-٦٩.

فالذي أمِر محمدٌ صلى الله عليه وسلم وأمّتُه أن يسألوا ربَّهم من الهداية للطريق المستقيم، هي الهداية للطريق الذي وَصف الله جلّ ثناؤه صفتَه. وذلك الطريق، هو طريق الذي وَصفهم الله بما وصفهم به في تنزيله، ووعد من سَلكه فاستقام

فيه طائعًا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، أن يورده موارده، والله لَا يخلف الميعاد [٤٢٦].

وحكى السيوطي عَن ابْن عَبَّاس فِي قَوْله تَعَالى ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمتَ عَلَيْهِمْ﴾ قولَهُ: طَرِيق من أَنْعَمت عَلَيْهِم من الْمَلَائِكَة والنبيين وَالصديقين وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ الَّذين أطاعوك وعبدوك، وَقَالَ: الْمُؤمنُونَ.

وَحَكى عَن أبي زيد قَالَ: النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَمن مَعَه.

وَحَكَى عَن الرّبيع بن أنس قَالَ: النَّبِيُّونَ.

واتفق أهل العلم بالتأويل أن "الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ" اليهود، وأن "الضَّالِّينَ" النصارى [٤٢٧].

وشرَّع الله عز وجل للمؤمنين أن يدعوا بهذا الدعاء في كل ركعة من صلاتهم، لعِظم هذا الدعاء وفضله، وأنه دعاء النبيين، فقد دعا به النبي صلى الله عليه وسلم عند موته، كما أخبرت بذلك عائشة رضي الله عنها، أنها سمعته يقول: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ النساء: ٦٩" [٤٢٨].

٤٢٦ – راجع تفسير الطبري ج ١/١٧٧.

٤٢٧ – راجع الدر المنثور، للسيوطي، ج ١/٤١. دار الفكر – بيروت.

٤٢٨ – متفق عليه. رواه البخاري رقم ٤٥٨٦، في كتاب التفسير، باب: {فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ}. ورواه مسلم رقم ٨٦–٢٤٤٤، في كتاب فضائل الصحابة، باب: في فضل عائشة. ولفظه عند البخاري: "عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ يَمْرَضُ إِلَّا خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»،

وفي قوله تعالى: ﴿صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أصولا عظيمة نذكر منها:

- **الأصل الأول من الأصول العظيمة في هذا المعنى:** طاعة الله ورسوله: الأصل الأول الذي يقوم عليه هذا المعنى العظيم الذي أراد الله للمؤمنين أن يسألوا ربهم الهداية إليه ﴿صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، هو طاعة الله سبحانه وتعالى، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم دستورًا قويمًا للمسلمين، وأمر الرسولَ صلى الله عليه وسلم أن يبين للناس ما نزل إليهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل: ٤٤. وفرض الله سبحانه وتعالى على الخلق أجمعين طاعة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ آل عمران: ٣١، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ النساء: ٥٩، وقرن طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بطاعته سبحانه وبحمده، ونهى عن مخالفته بالتهديد، وتوعد عليه بأغلظ الوعيد في آيات كثيرة من كتابه، فقال تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

وَكَانَ فِي شَكْوَاهُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، أَخَذَتْهُ بُحَّةٌ شَدِيدَةٌ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: {مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ}، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ خُيِّرَ".

(١٣٢)﴾ آل عمران: ١٣١-١٣٢، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ آل عمران: ٣٢، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا (٧٠)﴾ النساء: ٦٩-٧٠، وجعل الله سبحانه وتعالى حقيقة الإيمان متوقفة على التسليم لحكم الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ النساء: ٦٥، وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ النساء: ٨٠.

- **الأصل الثاني من الأصول العظيمة في هذا المعنى:** التمسك بعقيدة الولاء والبراء. من الأصول العظيمة لدين الإسلام الولاء والبراء، فالولاء للإسلام وأهله، والبراءة من الكفر وأهله، ومن مقتضيات البراءة من الكفر والكافرين تميُّز المسلم عنهم في عقيدته وسلوكه ومنهج حياته، وحتى في عاداته وتقاليده، واعتزازه بدينه الذي ارتضاه الله تعالى له، حيث قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فصلت: ٣٣. فيجب على المسلم أن يتميَّز عن أهل الكفر ممن حق عليهم الغضب، والواقعين في الضَّلال، وقد أمر الله سبحانه وتعالى بالتوجه إليه وحده سبحانه وتعالى في كل ركعة من ركعات

الصلاة بالتضرع والدعاء حيث قال سبحانه: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)﴾ الفاتحة: ٦-٧. وفي الكتاب والسنة ما لَا يسع أي مكابرٍ ردَّه من هذه الأدلة التي هي كالشمس على حُرمة التشبّه بهذه الأمم الغوية؛ فدليله من الكتاب قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الجاثية: ١٨. وقوله سبحانه: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ البقرة: ١٢٠. وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ الرعد: ٣٧ وقال الله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٣٨) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (١٣٩)﴾ النساء: ١٣٨-١٣٩. وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ". [٤٢٩]

---

٤٢٩ - حديث صحيح، رواه أحمد في المسند رقم ٥١١٥، ضعفه شعيب الأرنؤوط، وصححه الألباني، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٦/٤٩، رقم ٩٨٩٧: رواه أحمد، وفيه عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، وثقه ابن المديني، وغيره، وضعفه أحمد، وغيره، وبقية رجاله ثقات.

- **الأصل الثالث من الأصول العظيمة في هذا المعنى:** وجوب محبة المؤمنين. ومحبة المؤمنين نتجت من اجتماعهم على محبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم، ويتجلَّى حُبُّ المؤمن لربِّه ولنبيِّه بصور مختلفة وعلامات شتَّى، وإنَّ من أظهر هذه العلامات، أن يُؤثر المؤمن التزامَ أوامرِ الله تعالى على سائر محبوباته، ظاهرًا وباطنًا، فيلزم طاعة ربه وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم، ويجتنب اتباع هواه، ولا يتكاسل، ولا يتهاون بأوامر الله، فإن فعل ذلك كان هواه تبعًا لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولحرص الإسلام على محبة المؤمنين حذَّرنا الرسول صلى الله عليه وسلم من نقص الإيمان في نفس المؤمن، ولا يكون الإيمان كاملًا إن فعل المسلم كل أركان الإيمان حتى يُحب المؤمن لأخيه ما يحبه لنفسه، فقال النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ". [٤٣٠]
ومحبة المؤمنين بعضهم بعضًا لها علامات وثوابت يُعرفون بها، فالمؤمن يحب المؤمن ويُفضله على كل من سواه ولو كان من أهل الأرحام، والمؤمن رحيمًا بأخيه المؤمن، يفرح لفرحه، ويحزن لحزنه، يرُدُّ عليه سلامه بأحسن منه، ويزوره صحيحًا وسقيمًا، ويدعوا له بظهر الغيب، فإن هذه المحبة خالصة لله،

٤٣٠ – متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، رواه البخاري رقم ١٣، في كتاب الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه. ورواه مسلم رقم ٧١-٤٥، في كتاب الإيمان، باب: الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مِنْ خِصَالِ الْإِيمانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ الْمسلمِ مَا يُحبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ.

لَا لأجل هوى، ولا لأجل منافع دنيوية، لأن أصحاب الهوى والمنافع الدنيوية حبهم ليس خالصًا، لأنه تحكمه شهواتهم وأغراضهم التي لَا صِدق فيها، أما المؤمنون، فحبهم لأجل أن الله كما أمرهم بحبه، أمرهم كذلك بحب بعضهم البعض، فكان حبهم لأنهم اجتمعوا على محبة الله، فلما اجتمعوا على محبة الله كان حبهم لبعضهم البعض خالصًا لله. ولهذا قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ المائدة: ٥٤.

قال القشيري: ويقال: محبة المؤمنين حاصلة من محبة الله لهم فهي أتم، قال تعالى: {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ}. ويقال: محبة المؤمنين أتمّ وأشدّ لأنها على موافقة الأمر، ومحبة الكفار على موافقة الهوى والطبع [٤٣١].

وهذا الحب بين المؤمنين، أصله أن يجتمع المؤمنون على حب الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، حيث أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا، والصحابة رضوان الله عليهم كانوا يحبون بعضهم البعض، لأن هذا المعنى العظيم تأسس في قلوبهم، فعن عَلِيٍّ رَضِيَ الله عَنْهُ قَالَ: "خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، وَخَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ عُمَرُ"

---

٤٣١ – راجع كتاب لطائف الإشارات، المُسمَّى: تفسير القشيري، عبد الكريم القشيري، ج ١/١٤٥، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة الثالثة.

(٤٣٢). هذه شهادة عليٍّ رضي الله عنه في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ولطالما زعمت الرافضة أنه نشب بينهم خلاف تضاد، وكذبوا وأتوا بالبهتان العظيم، وما هذا الزعم إلَّا لبطلان اعتقادهم، وزيغهم عن الصراط المستقيم الذي هو صراط الذين أنعم الله عليهم، فكانوا من أهل الضلال والزيف. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فقوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: طريق الذين أنعمت عليهم هذا الصراط الذي يسير عليه أهل النعمة؛ الذين أنعم الله عليهم بالهداية، أنعم عليهم بالتوفيق، أنعم عليهم بالإعانة؛ فأعانهم على عبادته، أعانهم على ذكره، وأعانهم على شكره، أعانهم على القيام بعبادته؛ أعانهم بالسير على هذا الصراط المستقيم، والاستمرار عليه، وعدم تركه، وعدم الانحراف والميل عنه؛ فهؤلاء هم أهل النعمة الذين أنعم عليهم. هم الذين سلكوا الصراط المستقيم وعرفوا الحق وعملوا بمقتضاه. فعندما يقول العبد: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ يعني أنني أسأل ربي أن يجعلني مع الذين أنعم عليهم، كأني أقول: يا رب أنعم عليَّ، واجعلني من المنعَمِ عليهم، والمتفضَّل عليهم، فاسْلُك بي سبيلهم، ودُلَّني على طريقهم؛ حتى أُحشَر معهم؛ فإني أحبهم وأحب طريقهم، ومن أحب قوما حشر معهم.

---

٤٣٢ - حديث صحيح، رواه ابن ماجة رقم ١٠٦، في كتاب المقدمة، باب: فضل عمر رضي الله عنه.

قال الإمام الطبري: وقوله "صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ"، إبانةٌ عن الصراط المستقيم، أيُّ الصراط هو؟ إذْ كان كلّ طريق من طرُق الحق صراطًا مستقيمًا. فقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ يا محمد: اهدنا يا ربنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، بطاعتك وعبادتك، من مَلائكتك وأنبيائك والصديقين والشهداء والصالحين. وذلك نظير ما قال ربنا جلّ ثناؤه في تنزيله: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُواْ مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا (٦٦) وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (٦٨) وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا (٧٠)﴾ النساء: ٦٦-٧٠.

فالذي أمِر محمدٌ صلى الله عليه وسلم وأمّتُه أن يسألوا ربَّهم من الهداية للطريق المستقيم، هي الهداية للطريق الذي وَصف الله جلّ ثناؤه صفتَه. وذلك الطريق، هو طريق الذي وَصفهم الله بما وصفهم به في تنزيله، ووعد من سَلكه فاستقام فيه طائعًا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، أن يورده مواردهم، والله لَا يخلف الميعاد [٤٣٣].

٤٣٣ - راجع تفسير الطبري ج ٥/٢٧١.

قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

عن عدي بن حَاتِمٍ رَضِي الله عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمْ هُمُ الْيَهُودُ، وَإِنَّ الضَّالِّينَ النَّصَارَى" (٤٣٤). فاليهود

٤٣٤ - حديث صحيح - وهو جزء من حديث - رواه أحمد في المسند رقم ١٩٦٠٠، صححه أحمد شاكر في تفسير الطبري ج ١٨٦/١. ونصه: سِمَاكَ بْنَ حَرْبٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبَّادَ بْنَ حُبَيْشٍ، يُحَدِّثُ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: جَاءَتْ خَيْلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ قَالَ: رُسُلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَا بِعَقْرَبٍ، فَأَخَذُوا عَمَّتِي وَنَاسًا، قَالَ: فَلَمَّا أَتَوْا بِهِمْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَصَفُّوا لَهُ. قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، نَأَى الْوَافِدُ، وَانْقَطَعَ الْوَلَدُ، وَأَنَا عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ، مَا بِي مِنْ خِدْمَةٍ، فَمُنَّ عَلَيَّ، مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ. قَالَ: مَنْ وَافِدُكِ؟ قَالَتْ: عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ. قَالَ: الَّذِي فَرَّ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ؟ قَالَتْ: فَمَنَّ عَلَيَّ. قَالَتْ: فَلَمَّا رَجَعَ وَرَجُلٌ إِلَى جَنْبِهِ نَرَى أَنَّهُ عَلِيٌّ، قَالَ: سَلِيهِ حِمْلَانًا. قَالَ: فَسَأَلَتْهُ، فَأَمَرَ لَهَا. قَالَتْ: فَأَتَانِي، فَقَالَتْ: لَقَدْ فَعَلْتَ فَعْلَةً مَا كَانَ أَبُوكَ يَفْعَلُهَا. قَالَتْ: ائْتِهِ رَاغِبًا أَوْ رَاهِبًا، فَقَدْ أَتَاهُ فُلَانٌ، فَأَصَابَ مِنْهُ، وَأَتَاهُ فُلَانٌ، فَأَصَابَ مِنْهُ. قَالَ: فَأَتَيْتُهُ، فَإِذَا عِنْدَهُ امْرَأَةٌ وَصِبْيَانٌ، أَوْ صَبِيٌّ، فَذَكَرَ قُرْبَهُمْ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَيْسَ مُلْكُ كِسْرَى ولَا قَيْصَرَ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ مَا أَفَرَّكَ أَنْ يُقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ فَهَلْ مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ؟ مَا أَفَرَّكَ أَنْ يُقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ؟ فَهَلْ شَيْءٌ هُوَ أَكْبَرُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ: فَأَسْلَمْتُ، فَرَأَيْتُ وَجْهَهُ اسْتَبْشَرَ، وَقَالَ: إِنَّ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمُ الْيَهُودُ، وإِنَّ الضَّالِّينَ النَّصَارَى، ثُمَّ سَأَلُوهُ، فَحَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَلَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَنْ تَرْتَضِخُوا مِنَ الْفَضْلِ، ارْتَضَخَ امْرُؤٌ بِصَاعٍ، بِبَعْضِ صَاعٍ، بِقَبْضَةٍ، بِبَعْضِ قَبْضَةٍ. قَالَ شُعْبَةُ: وَأَكْثَرُ عِلْمِي أَنَّهُ قَالَ: بِتَمْرَةٍ، بِشِقِّ تَمْرَةٍ. وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لاقِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَائِلٌ مَا أَقُولُ: أَلَمْ أَجْعَلْكَ سَمِيعًا بَصِيرًا؟ أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ مَالًا وَوَلَدًا؟ فَمَاذَا قَدَّمْتَ؟ فَيَنْظُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، فلَا يَجِدُ شَيْئًا، فَمَا يَتَّقِي النَّارَ إِلَّا بِوَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوهُ، فَبِكَلِمَةٍ لَيِّنَةٍ، إِنِّي لَا أَخْشَى عَلَيْكُمُ الْفَاقَةَ، لَيَنْصُرَنَّكُمُ اللَّهُ تَعَالَى،

هم الذين عرفوا الحق وخالفوه، وعلموا الحق وعدَلوا عنه، وسُمِّي اليهود مغضوبًا عليهم؛ لأنهم عصوا، حيث إنهم عرفوا الحق فتركوه واتبعوا أهواءَهم؛ فقال الله في حقهم: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاؤُواْ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ البقرة: ٩٠. ولو أخذنا بعموم لفظ الآية نقول: إن كل من خالف أمر الله واتبع هواه، وسار على ذلك عاصٍ، ولم يرجع إلى ربه، ولم يَتُبْ من غَيِّه كان ضالًا، يستحق غضب الله الواحد القهار. قال الألوسي: واستدل بعضهم على أن المغضوب عليهم هم اليهود، بقوله تعالى: ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ المائدة: ٦٠، وعلى أن الضالين النصارى بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُواْ أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ المائدة: ٧٧، والأوْلى الاستدلال بالحديث لأن الغضب والضلال وردا جميعًا في القرآن لجميع الكفار على العموم، فقد قال تعالى: ﴿وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النحل: ١٠٦، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ النساء: ١٦٧، ووردا لليهود والنصارى جميعًا على الخصوص، كما ذكره المُستدل، وإنما قدَّم سبحانه "المغضوب عليهم" على "الضالين"، مع أن الضلال في بادئِ النظر سبب للغضب، إذ

وَلَيُعْطِيَنَّكُمْ، أَوْ لَيُفْتَحَنَّ لَكُمْ، حَتَّى تَسِيرَ الظَّعِينَةُ بَيْنَ الْحِيرَةِ ويَثْرِبَ إِنَّ أَكْثَرَ مَا تَخَافُ السَّرَقَ عَلَى ظَعِينَتِهَا.

يُقال ضلَّ فغضِب عليه، لتقدُّم زمان "المغضوب عليهم" وهم اليهود، على زمان "الضالين" وهم النصارى، أو لأن الإنعام يقابل بالانتقام، ولا يقابل بالضلال، فبينهما تَقابُلٌ معنويٌ بِناءً على أن الأول: إيصال الخير إلى المنعم عليه، والثاني: إيصال الشر إلى المغضوب عليه، أو لأن اليهود أشد في الكفر والعناد، وأعظم في الخبث والفساد، وأشد عداوة للذين آمنوا ولذا ضربت عليهم الذلة والمسكنة (٤٣٥).

قال الشاطبي: وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ "الضَّالِّينَ" يَدْخُلُ فِيهِ كُلُّ مَنْ ضَلَّ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، كَانَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَو لا، إِذْ قَدْ تَقَدَّمَ فِي الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةِ قَبْلَ هَذَا مِثْلُهُ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾، عَامٌّ فِي كُلِّ ضَالٍّ، كَانَ ضَلَالُهُ كَضَلَالِ الشِّرْكِ أَوِ النِّفَاقِ، أَوْ كَضَلَالِ الْفِرَقِ الْمَعْدُودَةِ فِي الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَهُوَ أَبْلَغُ وَأَعْلَى فِي قَصْدِ حَصْرِ أَهْلِ الضَّلَالِ، وَهُوَ اللَّائِقُ بِكُلِّيَّةِ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَالسَّبْعِ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الَّذِي أُوتِيَهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٤٣٦).

٤٣٥ - راجع تفسير روح المعاني، للألوسي ج ٩٦/١. دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٤٣٦ - راجع كتاب الاعتصام، للإمام الشاطبي ج ١٨٥/١، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية الطبعة الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

قوله تعالى: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾

الضالون في هذه الآية هم النصارى، وهم أصل الضلال والغُلوِّ في الدين، فجعلوا لله صاحبة وولدا، وينسب كلُّ ضالٍّ لهم وإن لم يتبع عقيدتهم، وهذا ما يُفسَّر عليه عموم لفظ الآية، بأن كلَّ ضال عرف الحق فخالفه ثم حاربه ودعا لمحاربة هذا الحق كان ضالًا، أمرنا الله سبحانه وتعالى أن تستعيذ بالله منه ومن طريقه، وجاء الوصف العام في كتاب الله تعالى، في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ آل عمران: ٩٠.

قال ابن عطية: قال مكي رحمه الله حكايةً: دخلت "لَا" في قوله "وَلَا الضَّالِّينَ" لئلا يتوهم أن "الضالين" عطف على "الذين" [٤٣٧].

قال الطبري: فإن قال لنا قائل: ومَن هؤلاء الضَّالُّون الذين أمرنا اللهُ بالاستعاذة بالله أن يَسْلُكَ بنا سبيلهم، أو نَضِلَّ ضلالهم؟ قيل: هم الذين وصَفهم الله في تنزيله فقال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ المائدة: ٧٧. فإن قال: وما برهانك على أنهم أولاء؟ قيل – ساق الطبري أحاديث، منها–: عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الضَّالِّينَ

٤٣٧ – راجع تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية المحاربي، ج ١/٧٧، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

النَّصَارَى". وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُحَاصِرُ وَادِي الْقُرَى قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: "هَؤُلَاءِ الضَّالُّونَ النَّصَارَى" (٤٣٨).

وسُمي النصارى ضَالِّين؛ لأنهم يتخبَّطون في العمل، فأحبوا العبادة حتى ابتدعوا الرهبانية، وهي الانقطاع للعبادة وعدم مخالطة البشر، قال الشاطبي: وَالرَّهْبَانِيَّةُ بِمَعْنَى اعْتِزَالِ الْخَلْقِ فِي السِّيَاحَةِ، وَإِطِّرَاحِ الدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا مِنَ النِّسَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَمِنْهُ لُزُومُ الصَّوَامِعِ وَالدِّيَارَاتِ – عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّصَارَى قَبْلَ الْإِسْلَامِ – مَعَ الْتِزَامِ الْعِبَادَةِ، وَعَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الِاسْتِثْنَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ الحديد: ٢٧، مُتَّصِلًا وَمُنْفَصِلًا: فَإِذَا بَنَيْنَا عَلَى الِاتِّصَالِ، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: "مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ الَّذِي هُوَ الْعَمَلُ بِهَا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ، فَالْمَعْنَى أَنَّهَا مِمَّا كُتِبَتْ عَلَيْهِمْ (أَيْ مِمَّا شُرِعَتْ لَهُمْ) لَكِنْ بِشَرْطِ قَصْدِ الرِّضْوَانِ". ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ الحديد: ٢٧؛ يُرِيدُ أَنَّهُمْ تَرَكُوا رِعَايَتَهَا حِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ قَوْلُ طَائِفَةٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ؛ لِأَنَّ قَصْدَ الرِّضْوَانِ إِذَا كَانَ شَرْطًا فِي الْعَمَلِ بِمَا شُرِعَ لَهُمْ؛ فَمِنْ حَقِّهِمْ أَنْ يَتَّبِعُوا ذَلِكَ الْقَصْدَ، فَإِلَى أَيْنَ سَارَ بِهِمْ سَارُوا، وَإِنَّمَا شَرَعَ لَهُمْ عَلَى شَرْطِ أَنَّهُ إِذَا نُسِخَ بِغَيْرِهِ؛ رَجَعُوا إِلَى مَا أُحْكِمَ وَتَرَكُوا مَا نُسِخَ، وَهُوَ مَعْنَى ابْتِغَاءَ الرِّضْوَانِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، فَإِذَا لَمْ يَفْعَلُوا وَأَصَرُّوا عَلَى

٤٣٨ – راجع تفسير الطبري ج ١/ ١٩٢.

الْأَوَّلِ؛ كَانَ ذَلِكَ اتِّبَاعًا لِلْهَوَى لَا اتِّبَاعًا لِلْمَشْرُوعِ، وَاتِّبَاعُ الْمَشْرُوعِ هُوَ الَّذِي يَحْصُلُ لَهُ الرِّضْوَانُ، وَقَصْدُ الرِّضْوَانِ بِذَلِكَ [٤٣٩].

والمعروف لدى من له علم بالعقيدة الكنسية، أن النصرانية تتفق مع العلمانية في فصل الدين عن الدولة، حيث إن للحاكم سلطة الدولة، ولله سلطة الكنيسة، وهذا واضح في عقيدتهم ويدينون به، وهم الذين نسبوا للسيد المسيح عليه السلام قولَه: "ما لقيصر لقيصر، وما لله لله"، أي لَا يتدخل الله فيحكم في مملكة قيصر كما لم يتدخل قيصر في حكم الكنيسة، والمعنى العام من هذا أنه لَا يُظهر أحد التديُّن خارج الكنيسة. والإسلام لَا يعرف هذه الثنائية في العبادة، ولا يُقرها لمعبود. فالمسلم أُمر أن يكون أمره كله لله، حيث قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ الأنعام: ١٦٢-١٦٣.

قال شيخنا محمد الأمين الشنقيطي: وَالْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَإِنْ كَانُوا ضَالِّينَ جَمِيعًا مَغْضُوبًا عَلَيْهِمْ جَمِيعًا، فَإِنَّ الْغَضَبَ إِنَّمَا خُصَّ بِهِ الْيَهُودُ، وَإِنْ شَارَكَهُمُ

---

٤٣٩ - راجع كتاب الاعتصام، للإمام الشاطبي ج ١/ ٣٧٠، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية الطبعة الأولى ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

النَّصَارَى فِيهِ، لِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ الْحَقَّ وَيُنْكِرُونَهُ، وَيَأْتُونَ الْبَاطِلَ عَمْدًا، فَكَانَ الْغَضَبُ أَخَصَّ صِفَاتِهِمْ (٤٤٠).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن الضالين تجد عامة دينهم إنما يقوم بالأصوات المطربة والصور الجميلة، فلا يهتمون بأمر دينهم بأكثر من تلحين الأصوات. ثم إنك تجد أن هذه الأمة قد ابتُلِيَت من اتخاذ السَّماع المطربِ بسماع القصائد بالصور والأصوات الجميلة لإصلاح القلوب والأحوال ما فيه مضاهاة لبعض حال الضَّالّين. وقال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ البقرة: ١١٣، فأخبر أن كل واحدة من الأمتين تَجحدُ كل ما عليه الأخرى، وأنت تجد كثيرًا من المتفقِّهةِ إذا رأى المتصوِّفةَ والمتعبدةَ لَا يراهم شيئًا، ولا يعدُّهم إِلَّا جُهَّالًا ضُلَّالًا، ولا يعتَقِدُ في طريقهم من الهَدْيِ شيئًا، وترى كثيرًا من المتصوِّفةِ والمتفقِّرةِ لَا يرى الشريعةَ ولا العلمَ شيئًا، بل يرى أن المتمسكَ بها منقطعٌ عن الله، وأنه ليس عند أهلها شيءٌ مما ينفع عند الله (٤٤١).

فهؤلاءِ الضالون ظنوا أن أعمالَهُم صالحةٌ، وظنوا أن الله قبلها منهم، وظنوا أنهم أولى الناس بربهم، وأسبق الناس لجنة ربهم، بل ظنوا أن الجنة لهم دون

---

٤٤٠ – راجع أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ج ٩/١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، عام النشر: ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

٤٤١ – راجع كتاب "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم" ص ١٠، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٦٩هـ.

غيرهم، فساروا في هذا الضلال ظانِّين أنهم على الحق، فاستحقوا قول الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ الكهف: ١٠٣-١٠٤.

فيا كلَّ من أراد النجاة والفوز برضاء الله والجنة، عليك أن تحرص على رضا الله وحده، والعمل على طاعته، ورجاء رحمته، وطلب العفو منه، والاستعاذة من غضبه، كما عليك أن تتعلم العلم النافع، وأن تعمل بما علمت، وأن تصاحب الأخيار الأطهار البررة الذين يُذَكِّرون بالله، فتكون من المؤمنين، الذين تستغفر لهم ملائكة ربنا الجليل الذين يحملون العرش والملائكة الذين حول العرش حيث قال الله تعالى في استغفار الملائكة لهؤلاء المؤمنين: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩)﴾ غافر: ٧-٩.

وليحذر أشد الحذر كل داعٍ إلى الله أن يكون قوله مخالفًا لعمله، فيُحبط عمله ويكون من الخاسرين: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٤٤) وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥)﴾ البقرة: ٤٤-٤٥. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ

تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣)﴾ الصف: ٢-٣.

وليحذر أشد الحذر كل داعٍ إلى الله أن يحمل العلم ليباهي به العلماء، أو يُماري به السفهاء، فيُضلّه الله رغم أن معه هذا العلم، فلا يوفقه في فهم متن من متون العلم، ولا يوفقه لاستنباط مسألة من مسائل العلم، ناهيك عن أن الله يجعل فهمه في ضلال، وقوله في ضلال، وعمله في ضلال، فلا يفهم كما يفهم العالِمون، ولا يتكلم كما يتكلم الخاشعون، ولا يعمل كما يعمل المؤمنون، لأنه طوَّع علمه لما تهواه نفسه، ولم يجعله سبيلًا يتعبد الله به،﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ (١٧٧)﴾ الأعراف: ١٧٥-١٧٧. وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الجمعة: ٥. وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ الجاثية: ٢٣.

قال القرطبي: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنُ وَقَتَادَةُ: ذَلِكَ الْكَافِرُ اتَّخَذَ دِينَهُ مَا يَهْوَاهُ، فَلَا يَهْوَى شَيْئًا إِلَّا رَكِبَهُ. وَقَالَ عِكْرِمَةُ: أَفَرَأَيْتَ مَنْ جَعَلَ إِلَهَهُ الَّذِي يَعْبُدُهُ مَا يَهْوَاهُ أَوْ يَسْتَحْسِنُهُ، فَإِذَا اسْتَحْسَنَ شَيْئًا وَهَوِيَهُ اتَّخَذَهُ إِلَهًا [٤٤٢].

قَالَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ" [٤٤٣].

قال ابن كثير: قَالَ سُفْيَان بْن عُيَيْنَة: مَنْ فَسَدَ مِنْ عُلَمَائِنَا كَانَ فِيهِ شَبَه مِنْ الْيَهُود وَمَنْ فَسَدَ مِنْ عُبَّادنَا كَانَ فِيهِ شَبَه مِنَ النَّصَارَى [٤٤٤].

٤٤٢ – راجع تفسير القرطبي ج ١٦/١٦٦.

٤٤٣ – رواه مسلم من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما، رقم ٥١-٢٩٨٩، في كتاب الزهد والرقائق، باب: عُقُوبَةِ مَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ ولَا يَفْعَلُهُ، وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَفْعَلُهُ. والحديث غايةٌ في وعظ العلماء للأمراء في السّرّ دون العلن، وأنه دليل على النهي عن الخروج على الحاكم. والنص الوارد هو الجزء الأخير من الحديث، والجزء الأول نصّه: "عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: قِيلَ لَهُ: ألا تَدْخُلُ عَلَى عُثْمَانَ فَتُكَلِّمَهُ؟ فَقَالَ: أَتَرَوْنَ أَنِّي لَا أُكَلِّمُهُ إِلَّا أُسْمِعُكُمْ؟ وَاللهِ لَقَدْ كَلَّمْتُهُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، مَا دُونَ أَنْ أَفْتَتِحَ أَمْرًا لَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ، ولَا أَقُولُ لِأَحَدٍ، يَكُونُ عَلَيَّ أَمِيرًا: إِنَّهُ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَمَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: فذكر الجزء الوارد في المتن".

٤٤٤ – راجع تفسير ابن كثير ج ٤/١٣٨، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

وذلك لأن العلماء إذا فسدوا وعصوْا فضلوا بعد أن علموا الحق، وليس من يعلم كمن لَا يعلم، وحينئذ يكون عذابهم أشدُّ، وأما إذا تُركوا التعلُّم وتعبَّدوا على جهلٍ وعلى ضلالٍ، فإنَّهم أيضًا يُعذَّبون على تركهم العِلم، لماذا تركتم العلم وتعبَّدتم وأنتم على جهالة، وأنتم قادرون على أن تُبدِّلوا جهلكم علمًا، وأن تُكمِّلوا ما تفقدون بالتعلُّم، فخير العلم تعلُّم العبادة، فإذا تعلمتموها وعبدتم الله تعالى بها، قبلت العبادة لأنها على علم. وليحذر أصحاب التسويف الذين يتمهَّلون العمل، ويستبطئون النجاح والفلاح، الذين لَا يعملون، وينتظرون نتيجة العاملين، الذين يقولون ما زال في العمر بقيَّة والله غفور رحيم، فلعلِّي أتوب غدًا، أو يقول ما زال أمامي عُمْرٌ فسِنِّي صغير، وجسمي فتيٌّ، والله غفور رحيم، ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ التوبة: ١٠٥.

قال القرطبي: قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: الْجَاهِلُ مَيِّتٌ، وَالنَّاسِي نَائِمٌ، وَالْعَاصِي سَكْرَانُ، وَالْمُصِرُّ هَالِكٌ، وَالْإِصْرَارُ هُوَ التَّسْوِيفُ وَالتَّسْوِيفُ أَنْ يَقُولَ: أَتُوبُ غَدًا، وَهَذَا دَعْوَى النفس، كيف يتوب غدًا وغدًا لَا يَمْلِكُهُ! [٤٤٥].

وليحذر الذين لَا يشكرون، ويتعجَّلون زيادة الشاكرين، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ إبراهيم: ٧. وذكر الطبري قول بعض علماء التفسير [٤٤٦] في تفسير قوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾،

---

٤٤٥ – راجع تفير القرطبي ج ٤/٢١١.

٤٤٦ – ذكره الطبري عن ابن المبارك عن علي بن صالح، وذكره أبو أحمد عن سفيان، وذكره أبان بن أبي عياش عن الحسن. راجع الطبري ج ٤٢٧/١٦.

قالوا: لأزيدنكم من طاعتي. ثم قال: وَلَا وَجْهَ لِهَذَا الْقَوْلِ يُفْهَمُ، لِأَنَّهُ لَمْ يَجْرِ لِلطَّاعَةِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ذِكْرٌ، فَيُقَالُ: إِنْ شَكَرْتُمُونِي عَلَيْهَا زِدْتُكُمْ مِنْهَا، وَإِنَّمَا جَرَى ذِكْرُ الْخَبَرِ عَنْ إِنْعَامِ اللَّهِ عَلَى قَوْمِ مُوسَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ إبراهيم: ٦، ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ أَنَّ اللَّهَ أَعْلَمَهُمْ أنهم إِنْ شَكَرُوهُ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ زَادَهُمْ، فَالْوَاجِبُ فِي الْمَفْهُومِ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الْكَلَامِ: زَادَهُمْ مِنْ نِعَمِهِ، لَا مِمَّا لَمْ يَجْرِ لَهُ ذِكْرٌ مِنَ الطَّاعَةِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ أُرِيدَ بِهِ: لَئِنْ شَكَرْتُمْ فَأَطَعْتُمُونِي بِالشُّكْرِ لَأَزِيدَنَّكُمْ مِنْ أَسْبَابِ الشُّكْرِ مَا يُعِينُكُمْ عَلَيْهِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ وَجْهًا [٤٤٧].

وليحذر الذين لَا يُزكُّون، وينتظرون زيادة الشاكرين، أن يمحق الله البركة من أموالهم، فتكون وبالًا عليهم، لَا يهنؤون بها، ولا يتنعَّمون بها، فتكون عليهم حسرةً، ينفقونها في دفع الأمراض والأسقام، وينفقونها في استجلاب السيئات، فيمُدَّ الله لهم بها في العذاب مدًا، وتكون عليهم همًّا ورجسًا، فالزكاة مرضاة للرحمن، حصن من الشيطان، والزكاة نماءٌ وزيادةٌ، والزكاة طُهر وبركة في النفس والمال، والزكاة سبيلٌ من سُبُلِ قبول ربنا العلي توبة التائب فهو التواب الرحيم، ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٠٣) أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٠٤)﴾ التوبة: ١٠٣-١٠٤.

---

٤٤٧ - راجع تفسير الطبري ج ٥٢٧/١٦.

قال القرطبي: فَكَأَنَّ مَنْ يُخْرِجُ الزَّكَاةَ يُحَصِّلُ لِنَفْسِهِ الثَّنَاءَ الْجَمِيلَ، وَقِيلَ: الزَّكَاةُ مَأْخُوذَةٌ مِنَ التَّطْهِيرِ، كَمَا يُقَالُ: زَكَا فُلَانٌ أَيْ طَهُرَ مِنْ دَنَسِ الْجَرْحَةِ وَالْإِغْفَالِ فَكَأَنَّ الْخَارِجَ مِنَ الْمَالِ يُطَهِّرُهُ مِنْ تَبِعَةِ الْحَقِّ الَّذِي جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ لِلْمَسَاكِينِ، ألا تَرَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمَّى مَا يَخْرُجُ مِنَ الزَّكَاةِ أَوْسَاخَ النَّاسِ (٤٤٨)، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ التوبة: ١٠٣. (٤٤٩)

---

٤٤٨ – رواه مسلم من حديث عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث ١٦٧–١٠٧٢، في كتاب الزكاة، باب: ترك استعمال آل النبي على الصدقة. عَنْ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ، حَدَّثَهُ قَالَ: اجْتَمَعَ رَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَا: وَاللهِ، لَوْ بَعَثْنَا هَذَيْنِ الْغُلَامَيْنِ قَالَا لِي وَلِلْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَاهُ، فَأَمَّرَهُمَا عَلَى هَذِهِ الصَّدَقَاتِ، فَأَدَّيَا مَا يُؤَدِّي النَّاسُ، وَأَصَابَا مِمَّا يُصِيبُ النَّاسُ، قَالَ فَبَيْنَمَا هُمَا فِي ذَلِكَ جَاءَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا، فَذَكَرَا لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: لَا تَفْعَلَا، فَوَاللهِ، مَا هُوَ بِفَاعِلٍ، فَانْتَحَاهُ رَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ فَقَالَ: وَاللهِ، مَا تَصْنَعُ هَذَا إِلَّا نَفَاسَةً مِنْكَ عَلَيْنَا، فَوَاللهِ، لَقَدْ نِلْتَ صِهْرَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَا نَفِسْنَاهُ عَلَيْكَ، قَالَ عَلِيٌّ: أَرْسِلُوهُمَا، فَانْطَلَقَا، وَاضْطَجَعَ عَلِيٌّ، قَالَ: فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الظُّهْرَ سَبَقْنَاهُ إِلَى الْحُجْرَةِ، فَقُمْنَا عِنْدَهَا، حَتَّى جَاءَ فَأَخَذَ بِآذَانِنَا، ثُمَّ قَالَ: "أَخْرِجَا مَا تُصَرِّرَانِ"، ثُمَّ دَخَلَ وَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، قَالَ: فَتَوَاكَلْنَا الْكَلَامَ، ثُمَّ تَكَلَّمَ أَحَدُنَا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنْتَ أَبَرُّ النَّاسِ وَأَوْصَلُ النَّاسِ، وَقَدْ بَلَغْنَا النِّكَاحَ، فَجِئْنَا لِتُؤَمِّرَنَا عَلَى بَعْضِ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ، فَنُؤَدِّيَ إِلَيْكَ كَمَا يُؤَدِّي النَّاسُ، وَنُصِيبَ كَمَا يُصِيبُونَ، قَالَ: فَسَكَتَ طَوِيلًا حَتَّى أَرَدْنَا أَنْ نُكَلِّمَهُ، قَالَ: وَجَعَلَتْ زَيْنَبُ تُلْمِعُ عَلَيْنَا مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ أَنْ لَا تُكَلِّمَاهُ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَنْبَغِي لِآلِ مُحَمَّدٍ؛ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ، ادْعُوَا لِي مَحْمِيَةَ – وَكَانَ عَلَى الْخُمُسِ – وَنَوْفَلَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ"، قَالَ: فَجَاءَاهُ، فَقَالَ لِمَحْمِيَةَ: "أَنْكِحْ هَذَا الْغُلَامَ ابْنَتَكَ" – لِلْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ – فَأَنْكَحَهُ، وَقَالَ لِنَوْفَلِ بْنِ الْحَارِثِ: "أَنْكِحْ هَذَا الْغُلَامَ ابْنَتَكَ" – لِي – فَأَنْكَحَنِي، وَقَالَ

وليحذر الذين هم غافلون، وينتظرون بركة الذاكرين، فكيف لغافل عن ذكر الله أن يذكره الله، والله سبحانه وتعالى يذكر من ذكره، ويشكر لمن شكره، ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ البقرة: ١٥٢.

قال القرطبي: قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ} أَمْرٌ وَجَوَابُهُ، وَفِيهِ مَعْنَى الْمُجَازَاةِ فَلِذَلِكَ جُزِمَ. وَأَصْلُ الذِّكْرِ التَّنَبُّهُ بِالْقَلْبِ لِلْمَذْكُورِ وَالتَّيَقُّظُ لَهُ. وَسُمِّيَ الذِّكْرُ بِاللِّسَانِ ذِكْرًا لِأَنَّهُ دَلَالَةٌ عَلَى الذِّكْرِ الْقَلْبِيِّ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمَّا كَثُرَ إِطْلَاقُ الذِّكْرِ عَلَى الْقَوْلِ اللِّسَانِيِّ صَارَ هُوَ السَّابِقَ لِلْفَهْمِ. وَمَعْنَى الْآيَةِ: اذْكُرُونِي بِالطَّاعَةِ أَذْكُرْكُمْ بِالثَّوَابِ وَالْمَغْفِرَةِ، قَالَهُ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ. وَقَالَ أَيْضًا: الذِّكْرُ طَاعَةُ اللَّهِ، فَمَنْ لَمْ يُطِعْهُ لَمْ يَذْكُرْهُ وَإِنْ أَكْثَرَ التَّسْبِيحَ وَالتَّهْلِيلَ وَقِرَاءَةَ الْقُرْآنِ، وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ فَقَدْ ذَكَرَ اللَّهَ وَإِنْ أَقَلَّ صَلَاتَهُ وَصَوْمَهُ وَصَنِيعَهُ لِلْخَيْرِ وَمَنْ عَصَى اللَّهَ فَقَدْ نَسِيَ اللَّهَ وَإِنْ كَثَّرَ صَلَاتَهُ وَصَوْمَهُ وَصَنِيعَهُ لِلْخَيْرِ" (٤٥٠).

لِمَحْمِيَةَ: "أَصْدِقْ عَنْهُمَا مِنَ الْخُمُسِ كَذَا، وَكَذَا". قَالَ الزُّهْرِيُّ – أحد رُواة الحديث –: وَلَمْ يُسَمِّهِ لِي.

٤٤٩ – راجع تفسير القرطبي ج ٣٤٣/١.

٤٥٠ – راجع تفسير القرطبي ج ١٧١/٢، والحديث صحيح مرسل، رواه البيهقي في شعب الإيمان رقم ٦٧٧، ولفظه: "مَنْ أَطَاعَ اللهَ فَقَدْ ذَكَرَ اللهَ، وَإِنْ قَلَّتْ صَلَاتُهُ وَصِيَامُهُ وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ، وَمَنْ عَصَى اللهَ فَقَدْ نَسِيَ اللهَ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصِيَامُهُ وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ". وضعَّف الألبانيُّ رواية الطبراني وهي كذلك، ولكن رواية البيهقي كل رجالها ثقات، غير أن ابن أبي عمران أرسل الحديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يرسل عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال ابن سعد في الطبقات الكبرى ج ٣٦١/٧: خالد بن أبي عمران، من أهل تونس من إفريقية، وكان ثقة إن شاء الله، وكان لَا يدلس. كتاب الطبقات

ليحذر الذين لَا يحبون المؤمنين ولا يوادونهم ولا يتراحمون معهم أن يُحبِط الله أعمالهم ويدخلهم دَرَكَة سقر في نار الجحيم، وفي هؤلاء قال الله تعالى: ﴿هَاأَنتُمْ أُوْلَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ آل عمران: ١١٩. فحُبُّ المؤمنِ قائمٌ على محبة الله سبحانه وتعالى، وبغض المؤمن كذلك قائم على انتهاك حرمات الله تعالى، فلا يتحابَّ رجلان أحدهما من أهل الفجور ثم يقول الآخر هذا لله، فمن قال بذلك كذب وافترى، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ آل عمران: ٣١، وما كان التحابُّ إِلَّا لأهل الإيمان فقط.

وفي السياق نفسه: فليحذر المؤمن الذي لَا يُقدِّر الأمور بمقادير الله، ويجعل عواطفه حاكمةً في أحكام الله، فلا يُقدر المسألة – أي مسألةٍ – ولا يحذر من عدوٍ، فيُسلِّم أموره لكل أعداء الله، ناهيك أن يكون الأمر خاصًّا بأحكام الشريعة أو بأمور المسلمين، بل الأدهى والأمر أن يتوادَّ المؤمن لمن لَا يبادله إِلَّا نفاقًا، ويحب من لَا يحبه حقيقة وإن أظهر له ذلك رياءً، فليكن المؤمن على أمر من شريعته، عالمًا بأصولها وفروعها، ويتفرس الأمر فالفراسة نور يجعله الله في قلب المؤمن العالم.

الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠م.

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ الإسراء: ٧٠، أَيْ عَلَى الْبَهَائِمِ وَالدَّوَابِّ وَالْوَحْشِ وَالطَّيْرِ بِالْغَلَبَةِ وَالِاسْتِيلَاءِ، وَالثَّوَابِ وَالْجَزَاءِ وَالْحِفْظِ وَالتَّمْيِيزِ وَإِصَابَةِ الْفِرَاسَةِ [٤٥١].

وخلاصة المسألة في قول الإمام ابن القيم، قال: الْعَبْدُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِالْحَقِّ، وَإِمَّا جَاهِلًا بِهِ، وَالْعَالِمُ بِالْحَقِّ إِمَّا أَنْ يَكُونَ عَامِلًا بِمُوجَبِهِ أَوْ مُخَالِفًا لَهُ، فَالْعَالِمُ بِالْحَقِّ الْعَامِلُ بِهِ هُوَ الْمُنْعَمُ عَلَيْهِ، وَهُوَ الَّذِي زَكَّى نَفْسَهُ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَهُوَ الْمُفْلِحُ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ الشمس: ٩، وَالْعَالِمُ بِهِ الْمُتَّبِعُ هَوَاهُ هُوَ الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِ، وَالْجَاهِلُ بِالْحَقِّ هُوَ الضَّالُّ، وَالْمَغْضُوبُ عَلَيْهِ ضَالٌّ عَنْ هِدَايَةِ الْعَمَلِ، وَالضَّالُّ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِ لِضَلَالِهِ عَنِ الْعِلْمِ الْمُوجِبِ لِلْعَمَلِ، فَكُلٌّ مِنْهُمَا ضَالٌّ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّ تَارِكَ الْعَمَلِ بِالْحَقِّ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ بِهِ أَوْلَى بِوَصْفِ الْغَضَبِ وَأَحَقُّ بِهِ، وَمِنْ هُنَا كَانَ الْيَهُودُ أَحَقَّ بِهِ، وَهُوَ مُتَغَلِّظٌ فِي حَقِّهِمْ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي حَقِّهِمْ: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أنزَلَ اللّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ البقرة: ٩٠، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ مَن لَّعَنَهُ اللّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ المائدة: ٦٠، وَالْجَاهِلُ بِالْحَقِّ أَحَقُّ بِاسْمِ الضَّلَالِ، وَمِنْ هُنَا وُصِفَتِ النَّصَارَى بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاءَ

---

٤٥١ - راجع تفسير القرطبي ج ١٠/٢٩٥.

قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ المائدة: ٧٧ (٤٥٢).

لطيفة في هذه الآية:

قال ابن كثير: وَمَا أَحْسَنَ مَا جَاءَ إِسْنَادُ الْإِنْعَامِ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ وَحَذْفُ الْفَاعِلِ فِي الْغَضَبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وَإِنْ كَانَ هُوَ الْفَاعِلَ لِذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ المجادلة: ١٤، وَكَذَلِكَ إِسْنَادُ الضَّلَالِ إِلَى مَنْ قَامَ بِهِ، وَإِنْ كَانَ هُوَ الَّذِي أَضَلَّهُمْ بقدَره، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ الكهف: ١٧. وَقَالَ: ﴿مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ الأعراف: ١٨٦. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمُنْفَرِدُ بِالْهِدَايَةِ وَالْإِضْلَالِ، لَا كَمَا تَقُولُهُ الْفِرْقَةُ الْقَدَرِيَّةُ وَمَنْ حَذَا حَذْوَهُمْ، مِنْ أَنَّ الْعِبَادَ هُمُ الَّذِينَ يَخْتَارُونَ ذَلِكَ وَيَفْعَلُونَهُ، وَيَحْتَجُّونَ عَلَى بِدْعَتِهِمْ بِمُتَشَابِهٍ مِنَ الْقُرْآنِ، وَيَتْرُكُونَ ما يكون فيه صريحًا فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا حَالُ أَهْلِ الضَّلَالِ وَالْغَيِّ، وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: "إِذَا

---

٤٥٢ – راجع كتاب مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ج ١/٣٤، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ" [٤٥٣].

يَعْنِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ آل عمران: ٧، فَلَيْسَ – بِحَمْدِ اللَّهِ – لِمُبْتَدِعٍ فِي الْقُرْآنِ حُجَّةٌ صَحِيحَةٌ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ جَاءَ لِيَفْصِلَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ مُفَرِّقًا بَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَلَيْسَ فِيهِ تَنَاقُضٌ وَلَا اخْتِلَافٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت: ٤٢ [٤٥٤].

قال ابن القيم: قوله تعالى: {الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}، ولم يقل المُنعم عليهم كما قال: {المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ}، فجوابها فيه فوائد عديدة:

❖ **إحداها:** أن هذا جاء على الطريقة المعهودة في القرآن الكريم وهي أن أفعال الإحسان والرحمة والجود تضاف إلى الله سبحانه وتعالى، فيُذكر

---

٤٥٣ – متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، رواه البخاري رقم ٤٥٤٧، في كتاب التفسير، باب: تفسير سورة آل عمران. ورواه مسلم رقم ١–٢٦٦٥، في كتاب العلم، باب: النَّهْيِ عَنِ اتِّبَاعِ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ مُتَّبِعِيهِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الِاخْتِلَافِ فِي الْقُرْآنِ. ولفظ البخاري: "عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: تَلاَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الآيَةَ: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الأَلْبَابِ} ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ".

٤٥٤ – راجع تفسير ابن كثير ج ١٤٦–١٤٤.

فاعلها منسوبة إليه، ولا يُبني الفعل معها للمفعول، فإذا جيء بأفعال العدل والجزاء والعقوبة حُذف، وبُنيَ الفعل معها للمفعول أدبا في الخطاب، وإضافته إلى الله تعالى أشرف قسمي أفعاله، فمنه هذه الآية، فإنه ذكر النعمة فأضافها إليه، ولم يحذف فاعلها، ولما ذكر الغضب حُذف الفاعل وبُنيَ الفعل للمفعول، فقال: {الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ}، وقال في الإحسان: {الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}، ونظيره قول إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠)﴾ الشعراء: ٧٨-٨٠، فنسب الخلق والهداية والإحسان بالطعام والسقي إلى الله تعالى، ولما جاء إلى ذكر المرض قال: {وَإِذَا مَرِضْتُ}، ولم يقل أمرضني، وقال: {فَهُوَ يَشْفِينِ}، ومنه قوله تعالى حكاية عن مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ الجن: ١٠، فنسبوا إرادة الرُّشد إلى الرب، وحذفوا فاعل إرادة الشرِّ، وبنوا الفعل للمفعول، ومنه قول الخضر عليه الصلاة والسلام في السفينة: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ الكهف: ٧٩، فأضاف العيب إلى نفسه، وقال في الغلامين: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾ الكهف: ٨٢، ومنه قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ البقرة: ١٨٧، فحذف الفاعل وبناه للمفعول، وقال: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ البقرة: ٢٧٥، لأن في ذكر الرَّفَثُ ما يَحسُن منه أن لَا يقترن بالتصريح بالفاعل، ومنه:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ المائدة: ٣، وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُم مِّنْ إمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الأنعام: ١٥١، ومنه وهو ألطف من هذا وأدق معنى قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ النساء: ٢٣،﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾ النساء: ٢٤، وتأمل قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ النساء: ١٦٠، كيف صرَّح بفاعل التحريم في هذا الموضع، وقال في حق المؤمنين: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ المائدة: ٣.

❖ **الفائدة الثانية:** أن الإنعام بالهداية يستوجب شكر المنعم بها، وأصل الشُّكر ذكر المنعم، والعمل بطاعته، وكان من شُكره إبراز الضمير المتضمن لذكره تعالى الذي هو أساس الشكر، وكان في قوله: {أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} من ذكره وإضافته النعمة إليه ما ليس في ذكر المنعَم

عليهم، لو قاله فضمن هذا اللفظ الأصلين: وهما الشكر، والذكر، المذكوران في قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ البقرة: ١٥٢.

- **الفائدة الثالثة:** أن النعمة بالهداية إلى الصِّراط لله وحده، وهو المنعم بالهداية دون أن يُشرِك أحدًا في نعمته، فاقتضى اختصاصه بها أن يضاف إليه بوصف الإفراد فيقال "أنعمتَ عليهم" أي أنت وحدك المُنعِم المُحسِن المتفضل بهذه النعمة، وأما الغضب فإن الله سبحانه غضب على من لم يكن من أهل الهداية إلى هذا الصراط، وأمر عباده المؤمنين بمعاداتهم، وذلك يستلزم غضبهم عليهم موافقة لغضب ربهم عليهم، فموافقته تعالى تقتضي أن يغضب على من غضب عليه، ويرضى عمَّن رضي عنه، فيغضب لغضبه، ويرضى لرضاه، وهذا حقيقة العبودية، واليهود قد غضب الله عليهم، فحقيق بالمؤمنين الغضب عليهم، فحذف فاعل الغضب، وقال: {المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ}، لما كان للمؤمنين نصيب من غضب الله عليهم، بخلاف الإنعام، فإنه لله وحده، فتأمل هذه النكت البديعة.

- **الفائدة الرابعة:** أن المغضوب عليهم في مقام الإعراض عنهم وترك الالتفات والإشارة إلى نفس الصفة التي لهم، والاقتصار عليها، وأما أهل النعمة، فهم في مقام الإشارة إليهم، وتعيينهم، والإشادة بذكرهم،

وإذا ثبت هذا فالألف واللام في المغضوب، وإن كانتا بمعنى الذين فليست مثل الذين في التصريح، والإشارة إلى تعيين ذات المسمى، فإن قولك: الذين فعلوا، معناه القوم الذين فعلوا، وقولك الضاربون، والمضروبون، ليس فيه ما في قولك الذين ضَربوا أو ضُربوا، فتأمل ذلك، فـ{الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} إشارة إلى تعريفهم بأعيانهم، وقصد ذواتهم، بخلاف {المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ}، فالمقصود التحذير من صفتهم، والإعراض عنهم، وعدم الالتفات إليهم، والمُعوَّل عليه من الأجوبة ما تقدم (٤٥٥).

قال الدكتور فاضل السامرائي: قال الله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فعبر عن المنعم عليهم بالفعل الماضي، ثم قال: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّآلِّينَ﴾ فعبر عنهم بالصورة الاسمية. أما جعل فعل الإنعام فعلًا ماضيًا فذلك ليتعيَّنَ زمانُه، وليُبين أن المقصود صراط الذين ثَبتَ إنعامُ الله عليهم وتَحقَّقَ وهم الأنبياء والصِّدِّيقون والشهداء والصالحون كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ النساء: ٦٩. ولو قال: "صراطَ الذين تُنعِمُ عليهم"، لأغفلَ كُلَّ مَنْ مضى من رسل الله والصالحين، لأن الفعل المضارع أكثر ما يدل على الحال. بل لم يدل على أنه أنعم على أحدٍ فيما مضى، ونحو ذلك أن تقول: "أعطني ما أعْطيْتَ أمثالي"، أو تقول: "أعطني ما

٤٥٥ – راجع بدائع الفوائد ج ٢/١٨:٢٠. دار الكتاب العربي، بيروت.

تُعطي أمثالي" فإن العبارة الأولى تفيد أنه أعطى قبله من أعطى، وأما الثانية، فلا تفيد أنه أعطى أحدًا من قبل، بل قد يكون ذلك العطاء ابتداءً، ولاحتمل أن يكون صراطُ الأوَّلينَ غيرَ صراطِ الآخرين، ولم يُفِد التواصلَ بين زُمر المؤمنين من لدن آدم عليه السلام، إلى قيام الساعة، ولم يُفهم أن هذا الطريق إنما هو طريقٌ مسلوكٌ سلكه من قبلنا الرسل وأتباعهم، ولكان صراط الذين يُنعم عليهم، أقل شأنًا من صراط الذين أنعم عليهم، لأن الذين أنعم الله عليهم، فيهم أولو العزم من الرسل، وفيهم الأنبياء وأتباعهم، وأما من يُنعِم عليهم بعد ذلك، فليس فيهم نبيٌّ ولا رسول. ثم إن الإتيان بالفعل الماضي يدلُّ على أنه كلما مرَّ الزمن كثر عددُ الذين أنعم الله عليهم، لأن الحاضر يلتحق بالماضي، وهكذا تتسع دائرة المنعَم عليهم بمرور الزمن بخلاف قولنا: "صراط الذين ينعم الله عليهم"، فقد يخص الوقت الذي طلب فيه الداعي الهداية، ولربَّما كان عدد المهديين آنذاك قليلًا. فانظر الفرق بين قوله: {أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} والقول: "تُنعِّم عليهم" (٤٥٦).

٤٥٦ – راجع كتاب لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دكتور فاضل السامرائي، ص ٦٣ دار عمار للنشر والتوزيع، عمَّان – الأردن، الطبعة الثالثة ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٣م.

الحكمة من تقديم المغضوب عليهم على الضالين

الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ، هم الذين عرفوا الحق فانحرفوا عنه، وكانوا أشد بعدًا، لأنَّ القاعدة: [أن من علم ليس كمن جهل]، لذا قدَّم الله سبحانه وتعالى الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ. وتقدم الحديث عن عدي بن حَاتِمٍ رَضِي الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمْ هُمُ الْيَهُودُ، وَإِنَّ الضَّالِّينَ النَّصَارَى" [٤٥٧]. واليهود أسبق من النصارى، فلذا بدأ الله تعالى بهم واقتضى التقديم.

وصفة الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ هي أول معصية ظهرت في الوجود، وهي صفة إبليس عندما أُمِر بالسجود لآدم عليه السلام، وهو يعرف الحق ومع معرفته بالحق عصى اللهَ تعالى، وهي أول معصية ظهرت على الأرض، عندما قتل ابن آدم أخاه، فكانت أول معصية في الملأ الأعلى، وأول معصية على الأرض، والقتل العمد للمؤمن يُخرج القاتل من الإسلام، ولا يقبل الله له توبة، ويُخلَّد في نار الجحيم فلا شفاعة له، وهو كذلك نال غضب الله عز وجل الذي لَا رحمة معه، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ النساء: ٩٣.

---

٤٥٧ - حديث صحيح - وهو جزء من حديث - رواه أحمد في المسند رقم ١٩٦٠٠، صححه أحمد شاكر في تفسير الطبري ج ١/١٨٦. وتقدم ذكر نص الحديث.

قال الدكتور فاضل السامرائي: تقديم المغضوب عليهم، هو المناسب لِمُفْتَتَحِ السورة وما بعده، ذلك أن الحامد لله العارف بصفاته الخاصَّ إياهُ بالعبادة والاستعانة إذا زاغ كان من المغضوب عليهم، لأنه علم وخالف، فكان من المناسب أن يسأل الله المباعدة عن ذلك أولًا بخلافِ مَنْ لَا يعلم، وكان ضالًا، وأما سؤال الهداية بعد ذلك وهو قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فهو المناسبُ للسؤال بالمباعدة عن الضلال. فلما قَدَّم الحمدَ وما إليه ناسب السؤال بالمباعدة عن الغضب، ولما طلب بعد ذلك الهداية، ناسب أن يذكر بعد ذلك، المباعدة عن الضلال. ومنها: أن ذلك هو المناسب لخواتيم الآي أيضًا.

جاء في "البحر المحيط" [٤٥٨]: وَقَدَّمَ الْغَضَبَ عَلَى الضَّلَالِ، وَإِنْ كَانَ الْغَضَبُ مِنْ نَتِيجَةِ الضَّلَالِ ضَلَّ عَنِ الْحَقِّ فَغَضِبَ عَلَيْهِ لِمُجَاوَرَةِ الْإِنْعَامِ، وَمُنَاسَبَةُ ذِكْرِهِ قَرِينَةٌ، لِأَنَّ الْإِنْعَامَ يُقَابَلُ بِالِانْتِقَامِ، وَلَا يُقَابِلُ الضَّلَالُ الْإِنْعَامَ فَالْإِنْعَامُ إِيصَالُ الْخَيْرِ إِلَى الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ، وَالِانْتِقَامُ إِيصَالُ الشَّرِّ إِلَى الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِ، فَبَيْنَهُمَا تَطَابُقٌ مَعْنَوِيٌّ، وَفِيهِ أَيْضًا تَنَاسُبُ التَّسْجِيعِ، لِأَنَّ قَوْلَهُ وَلَا الضَّالِّينَ، تَمَامُ السُّورَةِ، فَنَاسَبَ أَوَاخِرَ الْآيِ. أهـ.

ثم انظر كيف تناسب قوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ وقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، فإن الحمدَ مُطْلَقٌ غير

---

٤٥٨ - راجع تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي ج ٥٣/١، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، الطبعة ١٤٢٠هـ.

مقيدٍ بزمن ولا بفاعلٍ معين، وهو دائم ثابت، وهؤلاء مغضوب عليهم وضالُّون على جهة الثبوت والدوام، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى، أنَّ مَنْ لم يحمد الله، فهو مغضوب عليه وضالٌّ، ومن لم يقرّ بأن الله رب العالمين، فهو مغضوب عليه وضال. ومَنْ لم تُدْركه رحمةُ الله الرحمن الرحيم فهو مغضوبٌ عليه وضال. ومن لم يؤمن بيوم الدين، وأن الله مالك ذلك اليوم، فهو مغضوب عليه وضال. ومَنْ لم يَخُصَّ اللهَ بالعبادة والاستعانة، فهو مغضوبٌ عليه وضال. ومن لم يهتد إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، فهو مغضوب عليه وضال. فما أجلَّ هذا الارتباط! [٤٥٩].

تأويل كلمة "الضَالِّينَ"

الأصل في كلمة ضالٍّ، أي جاهل، ومعناها أن الضال يجهل حكم ما يفعل، والأصل في الجهل العُذرَ، فمن فعل فعلًا بجهلٍ أُعذِر فعله حتى يعلم، فإن علم عوقب على ما يقترف من الذنوب والآثام، ثم أضيف النسيان إلى الضلال، والمعنى أن من نسي شيئًا فقد جهل أن يذكره حال طلبه أو الحاجة إليه، وأضيف إليه الكفر بعد العلم، فالكافر إن كفر بعد علمه للحق، فهو

---

٤٥٩ – راجع كتاب لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دكتور فاضل السامرائي، ص ٧٠ دار عمار للنشر والتوزيع، عمَّان – الأردن، الطبعة الثالثة ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٣م.

كالجاهل الذي لَا يعرف الحقيقة، وكالناسي الذي لَا يتحرك عقله نحو الصواب، ولكنه عارف للحقيقة منكرٌ لها، وهو يعرف الصواب من الخطأ ولكنه ينكر الصواب ويقترف الخطيئة، فغمط الحق وكفر به فكان ضالًا.

قال أبو هلال العسكري: والضلال بِمَعْنى الضّيَاع، يُقَال: هُوَ ضالٌ فِي قومه أَي ضائع، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ الضحى: ٧، أَي ضائعا فِي قَوْمك لَا يعْرفُونَ منزلتك، وَيجوز أَن يكون ضَالًّا، أَي في قوم ضَالّين، لِأَن من أَقَامَ فِي قوم نُسِبَ إليهم، كَمَا قيل: خَالِد الْحذَّاء لنزوله بَين الحذائين، وَأَبُو عُثْمَان الْمَازِني لإقامته فِي بني مَازِن، وَلم يكن مِنْهُم، وَقَالَ أَبُو عَليّ رَحمَه الله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ الضحى: ٧، أَي وَجدك ذَاهِبًا الى النُّبُوَّة فَهِيَ ضَالَّة عَنْك [٤٦٠].

قال الراغب الأصفهاني [٤٦١]: الضلال: العدول عن الطريق المستقيم، ويُضَادُّهُ الهداية، قال تعالى: ﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ يونس: ١٠٨، ويقال الضلال لكل عُدول عن المنهج، عمدًا كان أو سهوًا، يسيرًا كان أو كثيرًا، فإن الطريق المستقيم الذي هو المرتضى صعب جدًا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "استقيموا ولن

٤٦٠ - راجع كتاب معجم الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري ص ٢١٤، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

٤٦١ - راجع مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ج ١٣/٢. دار القلم - دمشق.

تحصوا". الحديث عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إِلَّا مؤمن". أخرجه مالك في الموطأ ٣٤/١؛ وأحمد ٢٨٠/٥؛ والحاكم ١٣٠/١؛ والدارمي من طرق صحاح ١٦٨/١ [٤٦٢].

قال إسماعيل حقي: الضلال العدول عن القصد، أي ذهاب عن طريق التعديل اللائق، وتنزيل كل منَّا منزلته، مُبيِّن ظاهر الحال: نظروا إلى صورة يوسف، ولم يحيطوا علما بمعناه، فقالوا ما قالوا، ولم يعرفوا أن يوسف أكبر منهم بحسب الحقيقة [٤٦٣].

---

٤٦٢ – حديث صحيح، رواه ابن ماجة رقم ٢٧٧، ورواه برقم ٢٧٨ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. وصححه الألباني، ورواه مالك في الموطأ ج ٤٥/٢، رقم ٩٠، ورواه أحمد ج ٢٧٦/٥، رقم ٢٢٧٣٧، وصححه الأرنؤوط. ورواه الحاكم في المستدرك ج ١٣٠/١، رقم ٤٤٩، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ورواه الدارمي ج ٥١٩/١، رقم ٦٨١، وصححه سليم حسين أسد.

٤٦٣ – راجع تفسير روح البيان، لإسماعيل حقي الخلوتي ج ١٤٠/٤، دار إحياء التراث العربي، القاهرة.

وقال ابن عادل: وقيل: الضّلالُ العُدُول عن الطريق المستقيم، وقد يُعَبَّرُ به عن النِّسيْانِ كقوله تعالى: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ البقرة: ٢٨٢، بدليل قوله: ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ البقرة: ٢٨٢ [٤٦٤].

قال المناوي: والضلال عند أهل الأذواق: انحراف يحصل في سلسلة عالم الخلق فيقع في عالم الأمر [٤٦٥].

وجاءت كلمة الضالين في سورة الشعراء بمعنى الجاهلين، قال الطبري: القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ الشعراء: ٢٠. يقول تعالى ذكره: قال موسى لفرعون: فعلت تلك الفعلة التي فعلت، أي قتلت تلك النفس التي قتلت إذن وأنا من الضالين. يقول: وأنا من الجاهلين قبل أن يأتيني من الله وحْيٌ بتحريم قتله عليّ. والعرب تضع الضلال موضع الجهل، والجهل موضع الضلال، فتقول: قد جهل فلان الطريق وضل الطريق، بمعنى واحد [٤٦٦]. وعلى هذا ذكر الطبري جماعة من أهل التأويل يُجمعون على أن الضلال في الآية بمعنى: الجهل.

---

٤٦٤ – راجع تفسير اللباب، لابن عادل، ج ٢٢٥/١، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨م.

٤٦٥ – راجع كتاب التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين المناوي، ص ٢٢٣، عالم الكتب – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

٤٦٦ – راجع تفسير الطبري ج ٣٤٠/١٩.

قال ابن الجوزي: وفي قوله: وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ثلاثة أَقوال:

- ❖ أحدها: من الجاهلين، قاله ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة. وقال بعض المفسرين: المعنى: إِني كنت جاهلًا لم يأتني من الله شيء.
- ❖ والثاني: من الخاطئين. والمعنى: إِني قتلت النفس خطأً، قاله ابن زيد.
- ❖ والثالث: من الناسين، ومِثله: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ البقرة: ٢٨٢، قاله أبو عبيدة [٤٦٧].

قال القرطبي: وَأَصْلُ الضَّلَالَةِ: الْحَيْرَةُ. وَيُسَمَّى النِّسْيَانُ ضَلَالَةً لِمَا فيه من الحَيرة، قال عز وجل: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ الشعراء: ٢٠، أَي من النَّاسِينَ [٤٦٨].

قال الشوكاني: ﴿وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾، أَيْ: قَالَ مُوسَى مُجِيبًا لِفِرْعَوْنَ: فَعَلْتُ هَذِهِ الْفَعْلَةَ الَّتِي ذَكَرْتَ، وَهِيَ قَتْلُ الْقِبْطِيِّ وَأَنَا إِذْ ذَاكَ مِنَ الضَّالِّينَ: أَيِ: الْجَاهِلِينَ، فَنَفَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ نَفْسِهِ الْكُفْرَ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ عَلَى الْجَهْلِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ الْعِلْمُ الَّذِي عَلَّمَهُ اللَّهُ [٤٦٩].

---

٤٦٧ - راجع تفسير زاد المسير في علم التفسير ج ٣/٣٣٦. تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٤٦٨ - راجع تفسير القرطبي ج ١/٢١١.

٤٦٩ - راجع تفسير فتح القدير، للشوكاني ج ٤/١١٢، دار ابن كثير - دمشق، دار الكلم الطيب - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

قال الشنقيطي: قَوْلُهُ: ﴿وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾، أَيْ: مِنَ الذَّاهِبِينَ عَنْ عِلْمِ حَقِيقَةِ الْعُلُومِ، وَالْأَسْرَارِ الَّتِي لَا تُعْلَمُ إِلَّا عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيِ، لِأَنِّي فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ لَمْ يُوحَ إِلَيَّ، وَمِنْهُ عَلَى التَّحْقِيقِ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾، أَيْ: ذَاهِبًا عَمَّا عَلَّمَكَ مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي لَا تُدْرَكُ إِلَّا بِالْوَحْيِ. وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ طه: ٥٢، فَقَوْلُهُ: {لَا يَضِلُّ رَبِّي}، أَيْ: لَا يَذْهَبُ عَنْهُ عَلْمُ شَيْءٍ كَائِنًا مَا كَانَ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ البقرة: ٢٨٢، فَقَوْلُهُ: "أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا" أَيْ: تَذْهَبَ عَنْ عِلْمِ حَقِيقَةِ الْمَشْهُودِ بِهِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ بَعْدَهُ: "فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى"، وَقَوْلُهُ تَعَالَى عَنْ أَوْلَادِ يَعْقُوبَ: ﴿إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ يوسف: ٨، وَقَوْلُهُ: ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ يوسف: ٩٥، عَلَى التَّحْقِيقِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ [٤٧٠].

قال ابن الجوزي: قوله تعالى: "وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى" فيه ستة أقوال:

- ❖ أحدها: ضالًا عن معالم النبوة، وأحكام الشريعة، فهداك إليها، قاله الجمهور منهم الحسن والضحاك.
- ❖ والثاني: أنه ضَلَّ وهو صبي صغير في شعاب مكة، فردَّه الله إلى جده عبد المطلب، رواه أبو الضحى عن ابن عباس.

---

٤٧٠ – راجع أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للأمين الشنقيطي ج ٨٩/٦. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م.

- ❖ والثالث: أنه لما خرج مع ميسرة غلام خديجة أخذ إبليس بزمام ناقته، فعدل به عن الطريق، فجاء جبريل، فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى الحبشة، ورده إلى القافلة، فمنَّ الله عليه بذلك قاله سعيد بن المسيب.
- ❖ والرابع: أن المعنى: ووجدك في قومٍ ضُلاَّل، فهداك للتوحيد والنبوة، قاله ابن السائب.
- ❖ والخامس: ووجدك نِسْيًا، فهداك إلى الذِّكْر. ومثله: أَنْ تَضِلَّ إِحْداهُما فَتُذَكِّرَ إِحْداهُمَا الْأُخْرى قاله ثعلب.
- ❖ والسادس: ووجدك خاملًا لَا تُذْكَر ولا تُعْرَف، فهدى الناس إليك حتى عرفوك، قاله عبد العزيز بن يحيى، ومحمد بن عليّ التّرمذيّ (٤٧١).

---

٤٧١ – راجع تفسير زاد المسير في علم التفسير ج ٤/٤٥٨. تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

فوائد الآية ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

في قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فوائد مهمة ذكرها الإمام ابن القيم [٤٧٢]، نذكر منها:

- ❖ **الفائدة الأولى:** الصراط المستقيم، هو صراط الله. وهو يخبر أن الصراط عليه سبحانه، ويخبر أنه سبحانه على الصراط المستقيم، وهذا في موضعين من القرآن: في هود والنحل، قال في هود: ﴿مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ هود: ٥٦، وقال في النحل: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىَ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ النحل: ٧٦، فهذا مَثلٌ ضَرَبهُ اللهُ للأصنام التي لَا تسمع ولا تنطق ولا تعقل، وهي كلّ على عابدها يحتاج الصنم إلى أن يحمله عابده، ويضَعه، ويُقِيمه، ويخدمه. فكيف يُسوُّونه في العبادة بالله الذي يأمر بالعدل والتوحيد. وهو قادر متكلم غني، وهو على صراط

---

٤٧٢ – راجع التفسير القيم، للإمام ابن القيم ج ٢٢/١، ٢٥، ٢٧. مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ.

مستقيم في قوله وفعله، فقوله صدق ورَشَد ونُصحٌ وهُدى، وفعله حكمة وعدل ورحمة ومصلحة. هذا أصح الأقوال في الآية.

❖ **الفائدة الثانية:** لما كان طالب الصراط المستقيم طالب أمر أكثر الناس ناكبون عنه، مُريدٌ لسلوكِ طريق مرافقه فيها غاية العزة، والنفوس مجبولة على وحشة التَّفرُّق، وعلى الأنس بالرفيق، نبَّه الله سبحانه على الرفيق في هذه الطريق، وأنهم مع الذين أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ وَالصَّالِحِينَ، وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقًا، فأضاف الصراط إلى الرفيق السالكين له. وهم الذين أنعم الله عليهم، ليزول عن الطالب للهداية وسلوك الصراط وحشة تَفَرُّدِه عن أهل زمانه وبني جنسه. وليعلم أن رفيقه في هذا الصراط هم الذين أنعم الله عليهم. فلا يكترث بمخالفة الناكبين عنه له. فإنهم هم الأقلّون قدرًا، وإن كانوا الأكثرين عددًا، كما قال بعض السلف: عليك بطريق الحق، ولا تستوحش لقلة السالكين. وإياك وطريق الباطل ولا تغتر بكثرة الهالكين. وكلما استوحشت في تفردك فانظر إلى الرفيق السابق، واحرص على اللحاق بهم. وغُضَّ الطرف عمن سواهم. فإنهم لن يُغنوا عنك من الله شيئًا. وإذا صاحوا بك في طريق سيرك، فلا تلتفت إليهم. فإنك متى التفت إليهم أخذوك وعاقوك.

❖ **الفائدة الثالثة:** ولما كان سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم أجلّ المطالب، ونَيْلُه أشرف المواهب: علّم الله عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن

يُقدِّموا بين يديه حمده والثناء عليه، وتمجيده ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم، فهاتان وسيلتان إلى مطلوبهم. توسُّلٌ إليه بأسمائه وصفاته. وتوسُّلٌ إليه بعبوديته. وهاتان الوسيلتان لَا يكاد يرد معهما الدعاء. ويؤيدهما الوسيلتان المذكورتان في حديثي الاسم الأعظم اللذين رواهما ابن حبان في صحيحه، والإمام أحمد والترمذي. أحدهما: حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: "سمع النبي صلّى الله عليه وسلّم رجلا يدعو، ويقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك الله الذي لَا إله إِلَّا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد. فقال: "والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى". قال الترمذي: حديث صحيح. فهذا توسل إلى الله بتوحيده، وشهادة الداعي له بالوحدانية. وثبوت صفاته المدلول عليها باسم "الصمد"، وهو كما قال ابن عباس: "العالم الذي كمُل علمه، القادر الذي كمُلَت قدرته". وفي رواية عنه: "هو السيد الذي قد كمُل فيه جميع أنواع السؤدد". وقال أبو وائل: "هو السيد الذي انتهى سؤدده". وقال سعيد بن جبير: "هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله وأعماله". وبنفي التمثيل والتشبيه عنه بقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ الإخلاص: ٤، وهذه ترجمة عقيدة أهل السنة والتوسل بالإيمان بذلك والشهادة به هو الاسم الأعظم.

وهذه فوائد ذكرها فضيلة الشيخ ابن عثيمين [٤٧٣]:

- **الفائدة الأولى:** لجوء الإنسان إلى الله عزّ وجلّ بعد استعانته به على العبادة أن يهديه الصراط المستقيم؛ لأنه لَا بد في العبادة من إخلاص يدل عليه قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}؛ ومن استعانة يتقوى بها على العبادة؛ يدل عليه قوله تعالى: {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}؛ ومن اتِّباع للشريعة؛ يدل عليه قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾؛ لأن {الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} هو الشريعة التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم.
- **الفائدة الثانية:** بلاغةُ القرآن، حيث حُذِف حرف الجرِّ من {اهْدِنَا}؛ والفائدة من ذلك: لأجل أن تتضمن طلب الهداية: التي هي هداية العلم، وهداية التوفيق؛ لأن الهداية تنقسم إلى قسمين: هداية علم وإرشاد؛ وهداية توفيق، وعمل؛ فالأولى، ليس فيها إِلَّا مجرد الدلالة؛ والله عز وجل قد هدى بهذا المعنى جميع الناس، كما في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ البقرة: ١٨٥؛ والثانية، فيها التوفيق للهدى، واتباع الشريعة، كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ البقرة: ٢؛ وهذه قد يُحْرَمُهَا بعض الناس، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ فصلت: ١٧.

---

٤٧٣ – راجع تفسير جزء عم، ابن عثيمين ص ٢٠، إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ– ٢٠٠٢م.

❖ **الفائدة الثالثة:** أن الصراط ينقسم إلى قسمين: مستقيم، ومعوج؛ فما كان موافقًا للحق فهو مستقيم، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ الأنعام: ١٥٣؛ وما كان مخالفًا فهو معوج.

لطائف في قوله تعالى

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾

ذكر التفصيل بعد الإجمال؛ لقوله تعالى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، وهذا مجمل؛ ثم فصله فقال سبحانه: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. والتفصيل بعد الإجمال فيه فائدة: حيث إن النفس إذا جاء المجمل تترقب، وتتشوق للتفصيل، والبيان؛ فإذا جاء التفصيل ورد على نفسٍ مستعدةٍ لقبولهِ متشوقة إليهِ. بلاغة القرآن، حيث جاء التعبير عن المغضوب عليهم باسم المفعول الدال على أن الغضب عليهم حاصل من الله تعالى، وبيان أن الذين أنعم الله عليهم على الصراط المستقيم، وإسناد النعمة بالهداية إلى الصراط لله وحده، وهو المنعِم بالهداية دون أن يُشرِك أحدًا في نعمته، فاقتضى اختصاصه بها أن يضاف إليه بوصف الإفراد.

نصائح للمسلمين

ليحذر كل مسلم من سلوك سبيل من غضب الله عليهم ولعنهم، كما يحذر المسلم من سلوك سبيل من ضلُّوا عن الحق ولم يهتدوا إليه. فيجب على كل مسلم أن يبتعد تمام البعد عن طُرُقِ اليهود والنصارى، لأنها طرق معوجة لَا توصِّل إِلَّا إلى النار، ويتبع سبيل المؤمنين الموصِّل إلى الجنة.

قال ابن تيمية: وَلَمَّا أَمَرَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ: أَنْ نَسْأَلَهُ فِي كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ يَهْدِيَنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، الْمُغَايِرِينَ لِلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلِلضَّالِّينَ، كَانَ ذَلِكَ مَا يُبَيِّنُ أَنَّ الْعَبْدَ يُخَافُ عَلَيْهِ أَنْ يَنْحَرِفَ إلَى هَذَيْنَ الطَّرِيقَيْنِ، وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حديث أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ"، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: اليَهُودَ، وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: "فَمَنْ؟" (٤٧٤).

---

٤٧٤. الحديث صحيح ورد متفقًا عليه من حديث أبي سعيد الخدري، رواه البخاري رقم ٣٤٥٦، ورواه مسلم رقم ٦-٢٦٦٦، ولفظه عند البخاري: "عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ"، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: اليَهُودَ، وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: "فَمَنْ؟".

أسباب الخروج عن الصراط المستقيم: إما الجهل؛ أو العناد؛ فمن خرج عنادًا هم المغضوب عليهم. وعلى رأسهم اليهود؛ ومن خرج جهلًا كل من لَا يعلم الحق، وعلى رأسهم النصارى؛ وهذا بالنسبة لحالهم قبل البعثة "أي النصارى"، أما بعد البعثة فقد علموا الحق، وخالفوه؛ فصاروا هم واليهود سواءً بسواء، كلهم مغضوب عليهم بعد أن ضلوا.

تناسب افتتاح سورة الفاتحة مع خاتمتها

تبدأ سورة الفاتحة بقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الفاتحة: ٢، وتنتهي بقوله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الفاتحة: ٧، نلاحظ أنه في الخاتمة هو استوفى أنواع العالمين، العالمين من هم؟ إما مُنعَمٌ عليهم، لقوله تعالى: "الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ"، أو مغضوب عليهم، لقوله تعالى: "غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ"، وهم الذين عرفوا الحق وحادوا عنه، أو الضالين، لقوله تعالى: "وَلَا الضَّالِّينَ"، وهم الذين ضلوا عن الحق وتاهوا في الباطل فاستحقوا غضب ربهم، وليس هناك صنف آخر، فهؤلاء هم العالَمون المكلَّفون، فلمَّا قال الله: {رَبِّ الْعَالَمِينَ}، ذكر من هم العالمين في آخر السورة، فصار هناك تناسب بين مُفتتح السورة وخاتمتها، فالمقصود من {الْعَالَمِينَ} الصنف الأول: {الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ}، و{المَغضُوبِ عَلَيهِمْ}، و{الضَّالِّينَ}، إذن هناك تناسب ظاهر بين مفتتح السورة وخاتمتها.

"العالمين" هم العقلاء المكلفون لأنه جمع مذكر سالم وجمع المذكر السالم الأصل فيه أن يكون للعاقل، إما علَمٌ عاقلٌ، أو صفةٌ عاقلٌ، و"العالمين" ملحقة بها، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٧، ولقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ الفرقان: ١.

إذن، العالمين هم المكلفون العقلاء، قسَّمهم هذا التقسيم، ووصف الخلق المكلَّف بالعالمين، يبين شمول الجن والإنس بالتكليف. انتهت السورة الكريمة ويُستحبُّ لمن فرغ منها أن يقول: "آمين". وكلمة "آمين"، ليست من الفاتحة، ولكن اسم فعل بمعنى: "استجب يا رب". وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المصلين أن يُؤَمِّنوا خلف الإمام، لأن الملائكة تُؤمِّن خلف الإمام، ودليله: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي الله عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا قَالَ الإِمَامُ: ﴿غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، فَقُولُوا: آمِينَ، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ المَلاَئِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" (٤٧٥). ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُؤمِّنُ بعد قراءة الفاتحة، ودليله: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي الله عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ، فَأَمِّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ المَلاَئِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ".

وَقَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "آمِينَ" (٤٧٦).

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال آمين يمُدُّ بها صوته، أي يمد العارض للسكون مدًا مشبعًا، ولا بُدَّ أن يعلم طالب العلم أن مدَّ البدل يُمد

---

٤٧٥ – متفق عليه، رواه البخاري، واللفظ له، رقم ٧٨٢، ورواه مسلم رقم ٧٦-٤١٠.

٤٧٦ – متفق عليه، رواه البخاري رقم ٧٨٠. ورواه مسلم رقم ٧٢-٤١٠.

حسب القراءة التي يَقرأ بها الإمام، فإن كان الإمام يقرأ لمن يُشبع مدَّ البدل كورش أشبع المد للبدل، وإن كان الإمام يقرأ لمن يُقصِر البدل كعاصم قصَر البدل، ودليل مدَّ الصوت للعارض للسكون، عَنْ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ رَضِي الله عَنْهُ، قَالَ: "سَمِعْتُ النبي صلى الله عليه وسلم، قَرَأَ {وَلَا الضَّالِّينَ}، فَقَالَ: "آمِينَ"، يَمُدُّ بِهَا صَوْتَهُ" [٤٧٧]. ويستحب أن يحرص المأمومون مع الإمام في التأمين، فيكون تأمينهم واحدًا، حيث سبق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمُدُّ صوته بالتأمين، وأن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يرجُّون المسجد بأصواتهم في التأمين خلفه.

وهنا ننبه على خطأ يقع فيه كثير من المصلين؛ وهو أنهم يسبقون الإمام بالتأمين، لَا ينتظرون تأمين الإمام حتى يؤمنوا معه، والسُّنَّةُ على توافق المأمومين للإمام في التأمين. ولا بأس بالدعاء بعد التأمين خلف الإمام، ودليله: عَنْ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ رَضِي الله عَنْهُ، قَالَ: "صَلَّيْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا كَبَّرَ رَفَعَ يَدَيْهِ أَسْفَلَ مِنْ أُذُنَيْهِ، فَلَمَّا قَرَأَ "صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ" قَالَ: "آمِينَ". فَسَمِعْتُهُ وَأَنَا

---

٤٧٧ – حديث صحيح، رواه أحمد في المسند رقم ١٩٠٤٧، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير حجر بن عنبس فقد أخرج له البخاري في: "القراءة خلف الإمام". قلت: رواه البخاري في القراءة خلف الإمام رقم ١٤٤. ورواه الدارقطني في سننه، رقم ١٢٦٧، وقَالَ أَبُو بَكْرٍ: هَذِهِ سُنَّةٌ تَفَرَّدَ بِهَا أَهْلُ الْكُوفَةِ، هَذَا صَحِيحٌ. ورواه الطبراني في المعجم الكبير رقم ٣٤.

خَلْفَهُ، قَالَ: فَسَمِعَ رَسُولِ اللَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ: "مَنْ صَاحِبُ الْكَلِمَةِ فِي الصَّلَاةِ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: أَنَا يَا رَسُولُ اللَّهِ، وَمَا أَرَدْتُ بِهَا بَأْسًا. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَقَدْ ابْتَدَرَهَا اثْنَا عَشَرَ مَلَكًا، فَمَا نَهْنَهَهَا شَيْءٌ دُونَ الْعَرْشِ" (٤٧٨).

٤٧٨ - حديث صحيح لغيره، رواه النسائي رقم ٩٣٢، في كتاب الافتتاح، باب: قَوْلُ الْمَأْمُومِ إِذَا عَطَسَ خَلْفَ الْإِمَامِ. وقال الألباني: صحيح لغيره دون قوله: "فَمَا نَهْنَهَهَا شَيْءٌ دُونَ الْعَرْشِ". قلت: وله شواهد كثيرة يتقوى بها، منها ما رواه مسلم من حديث أنس رقم ١٤٩ - ٦٠٠، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل قول الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا.

تجويد قراءة الفاتحة

لطيفة في التجويد:

بدايةً، يجب على الذي يطلب علم التجويد أن يعرف الوقف والابتداء وهذه مسألة غاية في الأهمية. قال الإمام السيوطي: الوقف ينقسم إلى أربعة أقسام: تامٌ مُختارٌ، وكافٍ جائزٌ، وحَسنٌ مَفهومٌ، وقبيحٌ متروكٌ.

❖ **فالتام**: هو الذي لَا يتعلق بشيء مما بعده، فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده. وأكثر ما يوجد عند رؤوس الآي غالبا كقوله: ﴿وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ البقرة: ٥، وقد يوجد في أثنائها كقوله: ﴿وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ النمل: ٣٤، هنا التمام لأنه انقضى كلام بلقيس ثم قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ النمل: ٣٤. وكذلك: ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ الفرقان: ٢٩، هنا التمام لأنه انقضى كلام الظالم أُبَيُّ بن خَلَف، ثم قال تعالى: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولا﴾ الفرقان: ٢٩. وقد يوجد بعدها كقوله: ﴿مُّصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِاللَّيْلِ (١٣٨)﴾ الصافات: ١٣٧-١٣٨، هنا التمام لأنه معطوف على المعنى أي بالصبح وبالليل. ومثله: ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ (٣٥)﴾ الزخرف: ٣٤-٣٥، رأس الآية: {يَتَّكِئُونَ}، و{وَزُخْرُفًا}، هو التمام لأنه معطوف على ما قبله. وآخر كل قصة، وما قبل أولها، وآخر كل سورة، وقبل ياء النداء، وفعل

الأمر، والقَسَم ولامُهُ دون القول، والشرط ما لم يتقدم جوابه: "كَانَ اللَّهُ" [٤٧٩]، "وما كان" [٤٨٠] و"ذلك" [٤٨١] و"لولا" [٤٨٢] غالبهن تامٌّ، ما لم يتقدَّمهن قسَمٌ [٤٨٣] أو قولٌ [٤٨٤] أو ما في معناه.

---

٤٧٩ – ورد قوله تعالى: {وَكَانَ اللَّهُ} في تسع وثلاثين موضعًا في القرآن الكريم، فوردت في واحد وعشرين موضعًا في سورة النساء، وموضع واحد في الكهف، وموضع واحد في الفرقان، وعشرة مواضع في الأحزاب، وسبعة مواضع في الفتح، وردت بقوله: {وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} في ستة مواضع، خمس منها في سورة النساء، أرقام (١٧)، (٩٢)، (١٠٤)، (١١١)، (١٧٠)، وموضع واحد في سورة الفتح رقم (٤)، ووردت بقوله: {وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا} في موضع واحد في سورة النساء آية رقم (٣٩)، ووردت بقوله: {وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا} في موضع واحد في سورة النساء آية رقم (٨٥)، ووردت بقوله: {وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} في عشرة مواضع: أربعة في سورة النساء أرقام (٩٦)، (٩٩)، (١٠٠)، (١٥٢) وموضع واحد في سورة الفرقان رقم (٧٠)، وأربعة في سورة الأحزاب (٥)، (٥٠)، (٥٩)، (٧٣)، وموضع واحد في سورة الفتح رقم (١٤)، ووردت بقوله: {وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا} في موضع واحد سورة النساء آية رقم (١٠٨)، ووردت بقوله: {وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا} في موضع واحد سورة النساء آية رقم (١٢٦)، ووردت بقوله: {وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا} في موضع واحد في سورة النساء آية رقم (١٣٠)، ووردت بقوله: {وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا} في موضع واحد في سورة النساء آية رقم (١٣١)، ووردت بقوله: { وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا} في موضع واحد في سورة النساء آية رقم (١٣٣)، ووردت بقوله: {وَكانَ اللَّهُ شاكِرًا عَلِيمًا} في موضع واحد في سورة النساء آية رقم (١٤٧)، ووردت بقوله: {وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا} في موضع واحد في سورة النساء آية رقم (١٤٨)، ووردت بقوله: {وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} في أربعة مواضع: موضعين في سورة النساء رقمي (١٥٨)، (١٦٥)، وموضعين في سورة الفتح رقمي (٧)، (١٩)، ووردت بقوله: {وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا} في موضع واحد في سورة الكهف آية رقم (٤٥)، ووردت بقوله: {وَكانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرًا} في موضعين: الأول في سورة الأحزاب آية رقم (٩)، والثاني في سورة الفتح آية رقم (٢٤)، ووردت بقوله: {كَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا} في

موضع واحد في سورة الأحزاب آية رقم (٢٥)، ووردت بقوله: {وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا} في موضعين، الأول في سورة الأحزاب آية رقم (٢٧)، والثاني في سورة الفتح آية رقم (٢١)، ووردت بقوله: {وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} في موضعين، الأول في سورة الأحزاب آية رقم (٤٠)، والثاني في سورة الفتح آية رقم (٢٦)، ووردت بقوله: {وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا} في موضع واحد في سورة الأحزاب آية رقم (٥١)، ووردت بقوله: {وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا} في موضع واحد في سورة الأحزاب آية رقم (٥٢).

٤٨٠ – ورد قوله تعالى: {وَمَا كَانَ}، ووردت كلمة {وَمَا كَانَ الله}، في خمسين موضعًا في القرآن الكريم، اثنان في البقرة في الآيتين (١٣٥)، (١٤٣)، وفي وستة مواضع في آل عمران الآيات (٦٧)، (٩٥)، (١٤٥)، (١٤٧)، (١٦١)، (١٧٩)، وموضع في سورة النساء رقم (٩٢)، وموضعين في الأنعام رقمي (١٣٦)، (١٦١)، وموضع في الأعراف رقم (٨٢)، وثلاثة مواضع في الأنفال، موضعين في الآية (٣٣)، وموضع في الآية (٣٥)، وثلاثة في التوبة، الآيات (١١٤)، (١١٥)، (١٢٢)، وثلاثة في يونس، الآيات (١٩)، (٣٧)، (١٠٠)، وموضعين في هود رقمي (٢٠)، (١١٧)، وموضع في الرعد آية رقم (٣٨)، وموضعين في إبراهيم رقمي (١١)، (٢٢)، وموضع في النحل رقم (١٢٣)، وموضع في الإسراء رقم (٢٠)، وموضع في الكهف رقم (٤٣)، وموضع في مريم رقم (٦٤)، وموضع في المؤمنون رقم (٩١)، وسبعة مواضع في الشعراء أرقام (٨)، (٦٧)، (١٠٣)، (١٢١)، (١٣٩)، (١٧٤)، (١٩٠)، وموضعين في القصص رقمي (٥٩)، (٨١)، وموضع في العنكبوت رقم (٤٠)، وموضعين في الأحزاب رقمي (٣٦)، (٥٣)، وموضع في سبأ رقم (٢١)، وموضع في فاطر رقم (٤٤)، وموضع في الصافات رقم (٣٠)، وموضعين في غافر رقمي (٢١)، (٧٨)، وموضعين في الشورى رقمي (٤٦)، (٥١).

٤٨١ – وردت كلمة {ذَلِكَ}، في مئتين وست وستين موضعًا في القرآن الكريم. ستة عشر موضعًا في البقرة، وثلاثة عشر في آل عمران، وأربعة عشر في النساء، وخمسة عشر في المائدة، وأربعة في الأنعام، وأربعة في الأعراف، وثلاثة في الأنفال، وعشرة في التوبة، وأربعة في يونس، وأربعة في هود، وسبعة في يوسف، واثنان في الرعد، وأربعة في إبراهيم، وثلاثة في الحجر، وتسعة في النحل، وستة في الإسراء، وخمسة في الكهف،

واثنان في مريم، واثنان في طه، وموضع واحد في الأنبياء، وعشرة في الحج، وأربعة في المؤمنون، وخمسة في النور، وأربعة في الفرقان، وثمانية في الشعراء، واثنان في النمل، وموضع واحد في القصص، وثلاثة في العنكبوت، وثمانية في الروم، وثلاثة في لقمان، واثنان في السجدة، وخمسة في الأحزاب، وأربعة في سبأ، وأربعة في فاطر، وثلاثة في ص، وسبعة في الزمر، واثنان في غافر، وثلاثة في فصلت، وأربعة في الشورى، واثنان في الزخرف، واثنان في الجاثية، وستة في محمد، وأربعة في الفتح، وسبعة في ق، واثنان في الذاريات، وموضع واحد في النجم، وموضع واحد في الواقعة، وثلاثة في الحشر، وموضع في الصف، وموضع في الجمعة، وموضعان في المنافقون، وثلاثة في التغابن، وموضعان في الطلاق، وموضع واحد في التحريم، وموضع واحد في القلم، وموضعان في المعارج، وموضع واحد في الجن، وموضع واحد في القيامة، وموضع واحد في الإنسان، وموضع واحد في النبأ، وموضعين في النازعات، وموضع واحد في المطففين، وموضع واحد في البروج، وموضع واحد في الفجر، وموضع واحد في البينة، وموضع واحد في العاديات.

٤٨٢ – ورد قوله تعالى: {وَلَوْلَا}، في ثلاث وعشرين موضعًا في القرآن الكريم، موضع واحد في البقرة آية رقم (٢٥١)، وموضعين في النساء رقمي (٨٣)، (١١٣)، وموضع في هود رقم (٩١)، وموضع في الإسراء (٧٤)، وموضع في الكهف (٣٩)، وخمسة مواضع في النور أرقام (١٠)، (١٤)، (١٦)، (٢٠)، (٢١)، وموضعين في العنكبوت رقمي (٤٧)، (٥٣)، وموضع في الصافات (٥٧)، وموضع في فصلت (٤٥)، وموضعين في الشورى رقمي (١٤)، (٢١)، وموضع في الزخرف (٣٣)، وموضع في الفتح (٢٥)، وموضع في الحشر (٣).

٤٨٣ – صنَّف الإمام ابن القيم مصنفًا أسماه "التبيان في أقسام القرآن"؛ ويُقصد بالقسَم تحقيق الخبر وتوكيده، حتى جعلوا قوله تعالى: {وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ} قسمًا، وإن كان فيه إخبار بشهادة، لأنه لما جاء توكيدًا للخبر سُمي قسمًا؛ قال الإمام السيوطي: وقد قيل: ما معنى القسَم منه تعالى؟ فإنه إن كان لأجل المؤمن، فالمؤمن مُصدِّق بمجرد الإخبار من غير قسمٍ، وإن كان لأجل الكافر فلا يُفيده! وأجيب بأن القرآن نزل بلغة العرب ومن عادتها القسَم إذا أرادات أن تؤكد أمرًا؛ وأجاب أبو القاسم القُشيري: بأن الله

❖ **والكافي**: منقطع في اللفظ مُتعلق في المعنى: فيَحسُن الوقف عليه، والابتداء بما بعده أيضًا نحو: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ النساء: ٢٣، هنا الوقف، ويُبدأ بما بعد ذلك، وهكذا كل رأس آية بعدها "لام كي"

ذكر القسَم لكمال الحجة وتأكيدها، وذلك أن الحُكم يُفصَّل باثنين: إما بالشهادة، وإما بالقسم؛ فذكر تعالى في كتابه النوعين حتى لَا يبقى لهم حجة فقال: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُو الْعِلْمِ}؛ وقال: {قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ}؛ وعن بعض الأعراب أنه لما سمع قوله تعالى: {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ} صرخ وقال: من ذا الذي أغضب الجليل حتى ألجأه إلى اليمين؟ ولَا يكون القسم إلَّا باسم معظم وقد أقسم الله تعالى بنفسه في القرآن في سبعة مواضع: الآية المذكورة بقوله: {قُلْ إِي وَرَبِّي}، {قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ}، {فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ}، {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}، {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ}، {فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ}، والباقي كله قسم بمخلوقاته كقوله تعالى: {وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ}، {وَالصَّافَّاتِ} {وَالشَّمْسَ} {وَاللَّيْلِ} {وَالضُّحَى} {فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ}؛ فإن قيل: كيف أقسم بالخلق وقد ورد النهي عن القسم بغير الله؟ قلنا أجيب عنه بأوجه: أحدها: أنه على حذف مضاف أي ورب التين ورب الشمس، وكذا الباقي. الثاني: إن العرب كانت تعظم هذه الأشياء وتقسم بها فنزل القرآن على ما يعرفون. الثالث: أن الأقسام إنما تكون بما يعظمه المقسم أو يجله وهو فوقه والله تعالى ليس شيء فوقه فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته لأنها تدل على بارئ وصانع. راجع الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي ج ٤/٥٣: ٥٥.

٤٨٤ – معنى القول محصلة معنى الجملة والسياق. قَالَ أَبُو بَكْر الأنباري، رحمه الله: معنى قوله عز وجل: {وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ (٣٠)} سورة محمد، أي فِي معنى القول، وفى مذهب القول، وأنشد للقتال، الكلابي: ولقد لحنت لكم لكيما تفهموا. ووحيت وحيا لَيْسَ بالمرتاب. راجع كتاب الأمالي، لأبى علي القالي، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية ١٣٤٤ هـ- ١٩٢٦م.

(٤٨٥)، و"إِلَّا، بمعنى لكن" (٤٨٦) و"إِنَّ الشديدة المكسورة" (٤٨٧)، والاستفهام (٤٨٨)، و"بل" (٤٨٩)، و"أَلَا" المخففة (٤٩٠)، و"السين" (٤٩١)،

---

٤٨٥ – معنى لام كي، أي اللام التي تعمل عمل كي، كما في قوله تعالى: {وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ}، للقراء فيها إسكان اللام وكسرها، وحُجَّة من قرأ بالسكون أنه جعلها لام الأمر فجزم بها الفعل، وأسكنها تخفيفا وإن كان الأصل فيها الكسر، والحُجَّة لمن كسر اللام، أنه جعلها لام كي فنصب بها الفعل، وتقدير الكلام، وآتيناه الإنجيل كي يحكم أهلُه بما أنزل الله فيه. وقراءة حمزة بكسر اللام وفتح الميم لتعمل اللام عمل كي، والباقون بسكون اللام والميم على الأمر.

٤٨٦ – كما ورد في سورة سبأ، قوله تعالى: {وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٥٩)} ومعناه: لكن هو في كِتَابٍ مُّبِينٍ. وقوله تعالى: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْواهُمْ}، أي مما يُسِرُّ به قومٌ، والنجوى الإسرار في تدبير الأمر، ويكون غالبا في الشر، {إِلَّا} بمعنى لكن، لأن المستثنى من غير جنس المستثنى منه، و{إِلَّا} استثناء منقطع يدل على أن النجوى التي يشترط في المتناجين، {مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ}، {وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ}، أي من يتصدق ويأمر بالمعروف ويُصلح بين الناس، لأجل أن تكون نجواه هذه {ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ}، لَا لحاجة في نفسهِ ولَا رياءٍ أو سمعةٍ {فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا}.

٤٨٧ – الحرف الشديد ضد الحرف الرخو، وإِنَّ المكسورة الهمزة، الشديدة النون، تدل على التوكيد، فإن وقف القارئ على ما قبلها فهو تامٌّ، ويَحسن الابتداء بها. قال الداني: يكفي الوقف قبل "إن" المكسورة، والابتداء دون القول، والقسم، ويَحسُن الابتداء بها في جميع القرآن. أ هـ. نحو: {وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا} أي لَا تدعُني يا نوح في شأن قومك فهذا الكلام يلوح بالخبر تلويحا، ويشعر بأنه قد حق عليهم العذاب فصار المقام مقام أن يتردد المخاطب في أنهم: هل صاروا محكوما عليهم بذلك أو لا؟ فقيل: {إنهم مغرقون} بالتأكيد، وكذا قوله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ} لما أمرهم بالتقوى وظهور ثمرتها والعقاب على تركها محله الآخرة تشوقت نفوسهم إلى وصف حال الساعة فقال: {إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ} بالتأكيد، ليقرر عليه الوجوب، وكذا قوله: {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي} فيه تحيير للمخاطب وتردد في أنه كيف لَا يُبرئُ نفسه وهي بريئة زكية ثبتت عصمتها وعدم مواقعتها

السوء فأكده بقوله: {إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ}، وقد يؤكد لقصد الترغيب نحو: {فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} أكد بأربع تأكيدات ترغيبا للعباد في التوبة. أ هـ. راجع كتاب "المكتفى في الوقف والابتدا"، للإمام الداني ج ٢١/١، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار عمار، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م. وكتاب: الإتقان في علوم القرآن، للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة: ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٤٨٨ - كلام العرب أن أدوات الاستفهام جزءُ من جملة الاستفهام، فقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ (٤٥)} سورة الفرقان، فدخلها معنى التَّعجُّب، والتقدير، ألم تعجب كيف مدَّ الظلِّ، فتعدت ب "إلى" كأنه يقول: "ألم تنظر"، ودخلت "إلى" بمعنى التعجب، وعُلِّق الفعل على جملة الاستفهام، فتكون جملة الاستفهام تامة، والوقف عليها وقف على كلام تام، ويُبدأ من بعد الوقف.

٤٨٩ - ورد قوله تعالى: {بَلَ}، في مائة وست وعشرين موضعًا، سبعة في البقرة، وثلاثة في آل عمران، واثنين في كل من المائدة، والأنعام، والأعراف، وموضع واحد في سورتي يونس، وهود، وموضعين في يوسف، وموضع في الرعد، وموضعين في الحجر، وموضعين في سور النحل، والكهف، وطه، واثني عشر موضعًا في الأنبياء، وستة مواضع في المؤمنون، وموضعين في النور، وثلاثة في الفرقان، واثنين في الشعراء، وثمانية في النمل، وموضعين في العنكبوت، وموضع واحد في الروم، وثلاثة في لقمان، وموضعين في السجدة، وخمسة مواضع في سبأ، وموضع واحد في فاطر، وموضع واحد في يس، وخمسة مواضع في الصافات، وأربعة في ص، وثلاثة في الزمر، وموضع واحد في غافر، وموضعين في الزخرف، وموضع واحد في الدخان، وموضعين في الأحقاف، وأربعة في الفتح، وموضع واحد في الحجرات، وثلاثة في ق، وموضع واحد في الذاريات، وموضعين في الطور، وموضعين في القمر، وموضع واحد في سور الواقعة، والملك، والقلم، وموضعين في المدثر، وثلاثة في القيامة، وموضع واحد في سور الانفطار، والمطففين، والانشقاق، وموضعين في البروج، وموضع واحد في سورتي الأعلى، والفجر.

و"سوف" للتهديد (٤٩٢)، و"نِعْمَ" (٤٩٣)، و"بئس" (٤٩٤)، و"كيلا" (٤٩٥)، ما لم يتقدمهن قولٌ أو قسَم.

---

٤٩٠ – تأتي {أَلَا} المُخفَّفةُ، بمعنى الأمر، والوعد الحق، لأن كلّ شيء يكون فإنما يكون بأمر الله، ويُكنَّى عن كل شيء بالأمر، فسميت الأشياء: أمورًا، لأن الأمر سببُها، كقول الله تعالى: {أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (٥٢)} سورة الشورى.

٤٩١ – حرف السين في اللغة العربية لَا يستخدم إِلَّا في الأحداث التي تحدث في المستقبل. والقرآن محفوظ بحفظ الله له، ومُتعبَّد به وبتلاوته، وسيظل محفوظًا حتى قيام الساعة. ومعنى ذلك أنه لَا يمكن تبديله أو تغييره أو إنكاره من أحد من المتعبدين به. بل سيظل يُتلى هكذا كما أنزل، وإنباء القرآن بأحداث مستقبلية لَا شك فيها ولَا ريب، فالسين توكيدية لما سيحدث في المستقبل، والأدلة في القرآن كثيرة منها قوله تعالى في أبي لهب: {سَيَصْلى نارًا ذاتَ لَهَبٍ (٣)} سورة المسد.

٤٩٢ – تأتي "سوف" في القرآن الكريم في غالبًا للتهديد والوعيد، وتأتي السين لاستعمالها في الوعد الحق، وقد تستعمل "سوف" في الوعد الحق، والسين في الوعيد، وليُعلم أنه ليس في القرآن تسويف البتَّة.

٤٩٣ – ورد قوله تعالى: {نَعَمْ} في أربعة مواضع: الأول: {فَهَلْ وَجَدْتُم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤)} سورة الأعراف، والثاني: {قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (١١٤)} سورة الأعراف، والثالث: {قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٢)} سورة الشعراء، والرابع: {قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ (١٨)} سورة الصافات. و"نعم" يُلفظُ بها في جواب الاستفهام. قال الزركشي: في الأعراف: {قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ}، والمختار الوقف على نعم، لأن ما بعدها ليس متعلقًا بها، ولَا بما قبلها، إذ ليس هو قول أهل النار، وقالوا نعم من قولهم. والثاني، والثالث في الأعراف، والشعراء: {قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ}، والرابع في الصافات: {قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ}، والمختار إِلَّا يُوقف على نعم في هذه المواضع، لتعلُّقها بما قبلها لاتصاله بالقول، وضابط ما يُختار الوقف عليه أن يقال: إن وقع بعدها ما اختير الوقف عليها، وإلا فلا؛ أو يقال: إن وقع بعدها واو لم يَجُز الوقف عليها، وإلا اختير، وأنت مخير في أيهما شئت". راجع كتاب البرهان في علوم

❖ **والحسَنُ:** هو الذي يحسن الوقف عليه، ولا يحسن الابتداء بما بعده [٤٩٦] نحو: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" [٤٩٧].

القرآن، للزركشي ج ٣٧٥/١، تحقيق: محمد إبراهيم أبو الفضل، دار المعرفة – بيروت، ١٣٩١هـ.

٤٩٤ – قوله تعالى: {بِئْس}، له أحكام، فاتفقت المصاحف على وصل {بِئْسَ مَا} في موضعين الأول فكتبت {بِئْسَمَا}، الموضع الأول: قوله تعالى: {بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا (٩٠)} سورة البقرة، والموضع الثاني: قوله تعالى {قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ (١٥٠)} سورة الأعراف؛ واختُلف بين القطع والوصل في موضع واحد هو قوله تعالى: {قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٩٣)} سورة البقرة، وباقي المواضع فاتفقوا على قطع {بِئْسَ} عن {مَا}، وهي قوله تعالى: {وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢)} سورة البقرة، وقوله تعالى: {فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (١٨٧)} سورة آل عمران، وفي سورة المائدة أربعة مواضع، هي قوله تعالى: {لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٢)}، وقوله تعالى: {لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (٦٣)}، وقوله تعالى: {لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩)}، وقوله تعالى: {لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ (٨٠)}. فكل ما كان مقطوعًا جاز الوقف عليه.

٤٩٥ – في رسم المصحف ورد قوله تعالى: {كَيْلَا}، متصلًا في ثلاث مواضع: الموضع الأول قوله تعالى: {لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ (١٥٣)} سورة آل عمران، والموضع الثاني، قوله تعالى: {لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ (٥٠)} سورة الأحزاب، والموضع الثالث، قوله تعالى: {لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ (٢٣)} سورة الحديد؛ وغير هذا تكتب منفصلًا؛ في قوله تعالى: {لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا (٧٠)} سورة النحل؛ وقوله تعالى: {كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ (٧)} سورة الحشر.

٤٩٦ – الوقف الحسن: سُمِّي بذلك لأنه في نفسه حسنٌ ومفيد، وهو الوقف على كلامٍ يؤدي معنًى صحيحًا، لشدة تعلقه بما بعده لفظًا ومعنًى؛ والوقف الحسن يكون على رؤوس الآيات: كقوله تعالى: {الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ (٣)} سورة الفاتحة. ويكون في وسط الآية: مثل الوقف على لفظ الجلالة من قوله تعالى: {الحَمْدُ للهِ} فهو وقف حسن، لكن الابتداء بما بعده لَا يَحسُنُ وعلى القارئ عودة ما قرأ ليوصله بما بعده،

❖ **والقبيح:** هو الذي لَا يُفهم منه المراد: كـ {الْحَمْدُ}، وأقبح منه الوقف على: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا﴾، ويبتدئ: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ}، لأن المعنى مستحيل بهذا الابتداء، ومن تعمَّده وقصد معناه فقد كفر.

ومثله في الوقف: {فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ}، ﴿فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ﴾.

وأقبح من هذا الوقف على المنفيّ دون حرف الإيجاب، نحو: {لَا إِلَهَ}، {إِلَّا اللهُ}، {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ}، {إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا}، فإن اضطر لأجل التنفس جازَ، ثم يرجع إلى ما قبله حتى يصِله بما بعده ولا حرج. انتهى [٤٩٨].

لأن (رَبِّ) صفة، والموصوف لفظ الجلالة {لِلهِ}، ولَا يمكن الفصل بين الصفة والموصوف. وعلى هذا كان حُكْمُ الوقف الحسن: أنَّه يَحْسُنُ الوقف عليه، والابتداء بما بعده فيه خلاف، حيث قال بعض العلماء: لَا يُستحبُّ الابتداء بما بعد الوقف الحسن في حالاتٍ عديدة كأن يكون ذلك صِفَةً لما قبله، كقوله تعالى: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ (٣)} سورة الفاتحة. قلت: وفي حديث أم سلمة الذي استشهدنا به في المتن دليل على البدء بما بعد الوقف الحسن هنا. واستحب العلماء عدم الوقف على رؤوس بعض الآيات كقوله تعالى: {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤)} سورة الماعون. فإن هذا الوقف مع كونه على رأس آية، يُتوهَّم بغير المعنى المراد قطعًا. قلت: والوقف هنا يُنبِّهُ المستمع للحكم الذي بعد الوقف على رأس الآي هنا.

٤٩٧ – في الآية الوقف على قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ}، وقف حسنٌ لأنها جملة تامة، ولَا يجوز للقارئ أن يبدأ بقوله تعالى: {رَبِّ الْعَالَمِينَ} لأن {رَبِّ الْعَالَمِينَ} صفة {لِلَّهِ}، ولَا يجوز فصل الصفة عن الموصوف، كما تقدم.

٤٩٨ – راجع كتاب الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، ج ١/٢٨٦–٢٨٧، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأُ الفاتحة آية آية، فيقف على رأس الآية، ودليله: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ، يَقْرَأُ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"، ثُمَّ يَقِفُ، "الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ"، ثُمَّ يَقِفُ، وَكَانَ يَقْرَؤُهَا: "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ" [٤٩٩].

قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الفاتحة: ١: [٥٠٠]

لَا خلاف بين القراء أن البسملة آية من الفاتحة، وكذلك لَا خلاف بينهم في تركها أول التوبة، واختلفوا في سور القرآن، فقرأ حمزة بترك البسملة بين السورتين في جميع القرآن، فوصل آخر السورة بأول السورة الثانية بدون بسملة. ولأبي عمرو، وابن عامر وورش: الوصل والسكت، وقرأ الباقون بالفصل بين السور بالبسملة في القرآن كله.

---

٤٩٩ – حديث صحيح، رواه الترمذي رقم ٢٩٢٧، في كتاب الصلاة، باب في فاتحة الكتاب. وصححه الألباني.

٥٠٠ – اختلف العلماء في البسملة، هل هي من القرآن، أم ليست من القرآن؟ فذهب بعضهم إلى أن البسملة آية في سورة الفاتحة فقط، وليست آية في بقية السور، وذهب آخرون إلى أن البسملة جزء من أول كل سورة عدا أول سورة التوبة؛ واتفقوا على أن الفاتحة سبع آيات، فالذين ذهبوا إلى أن البسملة آية في الفاتحة، أثبتوا البسملة آية في أول الفاتحة، وعدُّوا {صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)} آية، تتم بها السبع المثاني؛ والذين ذهبوا إلى أن البسملة ليست آية لَا من الفاتحة ولَا من غيرها من السور، عدُّوا {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} الآية الأولى في الفاتحة، وعدوا {صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} الآية السادسة، وعدُّوا {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} الآية السابعة.

والبسملة سُنَّةٌ في القراءة، ودليله قول الشاطبي:

وَبَسْمَلَ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ "بِ"سُنَّةٍ... "رِ"جَالٌ "نَمَوْهاَ "دِ"رْيَةً وَتَحَمُّلاَ

ودليل الوصل قول الشاطبي:

وَوَصْلُكَ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ "فَصَاحَةٌ... وَصِلْ وَاسْكُتَنْ "كُلٌّ "جَلاَيَاهُ "حَصَّلاَ

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الفاتحة: ٢: [٥٠١]

يحسن الوقف على قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ} لأنها جملة مفيدة، ولكن لَا يَحسُن البدءُ بقوله تعالى: {رَبِّ} لأنه لَا يحسنُ الابتداء بالصفة، لأن الموصوف {الله}، ولا يمكن الفصل بين الصفة والموصوف.

هاء لفظ الجلالة: {للهِ} مكسورة فإن ضَمَّ القارئُ الهاءَ لحن لحنًا جَليًا وهو حرامٌ، وباءُ {رَبِّ} مشدَّدةً مكسورة، فلا يَفتحُ القارئُ الباءَ، لأن هذا يخِلُّ المعنى، ويحرُمُ على القارئ فعلُ ذلك.

٥٠١ – في إعراب: {الْحَمْدُ لِلَّهِ}، قال النحاس: رُفِعَ بالابتداء على قول البصريين، وقال الكسائي: {الْحَمْدُ}، رُفِعَ بالضمير الذي في الصفة، والصفة اللام، جعل اللام بمنزلة الفعل. وقال الفراء: {الْحَمْدُ}، رُفِعَ بالمَحل وهو اللام. جعل اللام بمنزلة الاسم، لأنها لَا تقوم بنفسها، والكسائي يُسمِّي حروف الخفض صفات، والفراء يسمّيها مَحالّ، والبصريون يسمّونها ظروفًا. وقرأ ابن عيينة ورؤبة بن العجّاج: {الْحَمْدُ لِلَّهِ}، على المصدر؛ وهي لغة قيس والحارث بن سامة. والرفع أجود من جهة اللفظ والمعنى، فأما اللفظ: فلأنه اسمُ معرفةٍ خُبِّرتُ عنهُ. وإعراب قوله تعالى: {رَبِّ الْعَالَمِينَ}، {رَبِّ}: مخفوض على النعت لله. الْعالَمِينَ خفض بالإضافة وعلامة الخفض الياء لأنها من جنس الكسرة، والنون عند سيبويه كأنها عوض لما مُنع من الحركة؛ والتنوين والنون عند أبي العباس، عِوضٌ من التنوين؛ وعند أبي إسحاق، عِوضٌ من الحركة، وفتحت فرقا بينها وبين نون الاثنين، وقال الكسائي: يجوز {رَبِّ الْعالَمِينَ} كما تقول: الحمد لله ربّا وإلها أي على الحال، وقال أبو حاتم: النصب بمعنى أحمدُ اللهَ ربّ العالمين؛ وقال أبو إسحاق: يجوز النصب على النداء المضاف؛ وقال أبو الحسن بن كيسان: يبعد النصب على النداء المضاف، لأنه يصير كلامين، ولكن نصْبُه على المدح، ويجوز الرفع أي: هو ربُّ العالمين. راجع إعراب القرآن للنحاس، ج ١/١٧، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٢١هـ.

وفي قوله تعالى: {الْعَالَمِينَ} مَدٌّ بين العين واللام، لعدم التقاء الساكنين، وهذا الحكم يتوسط الكلمة، فيأتي حال الوصل والوقف، وحكمه جواز المد، فيكون مدًا طبيعيًا.

والوقف على الفاصلة – رؤوس الآي – سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ، فالوقف على قوله تعالى: {الْعَالَمِينَ}، وقف يُسمى عارضًا للسكون، وحُكمهُ عند حفص جواز القصر، والتوسط، والإشباع، والقصر حركتان، والتوسط أربع حركات، والإشباع ست حركات. ويجب في القراءة أن يضبط القارئ كل حُكم على نفس القاعدة التي أتى بها في أول حُكم قرأ به، فإن وقف على {الْعَالَمِينَ} بالقصرِ، قصَرَ كل الموقوف عليه على العارض للسكون، وهكذا في التوسط والإشباع، وكذا في كل حكم من أحكام القراءة سواء في المدود أو غيرها، ودليله: قول ابن الجزري في متن المقدمة: "وَاللَّفْظُ فِي نَظِيْرِهِ كَمِثْلِهِ".

ملاحظة: كثير من الأعاجم يقرؤون {الْحَمْدُ} بالهاء بدل الحاء، وهذا خلل شديد في القراءة، ويُعدُّ لحنًا جليًا، تحرُم القراءةُ به، وفي الكلمتين فرق ظاهرٌ، فقوله تعالى: {الْحَمْدُ}، معناه معروف لدى عامة الناس وخاصتهم، فالحمد فيه معنى الشكر، ومعنى المدح لله سبحانه وتعالى وحده. أما قول من يقول: "الْهَمْدُ"، أي: السكون والسكوت، يقال: "هَمَدَتْ أصْوَاتُهمْ" أي سكنَتْ. والهمُود: أي الموت، يقولون: أرضٌ هامدةٌ، أي لَا حياة فيها، ولا نبتٌ منها، ويُقصد بها الأرض لم يُصبها المَطَرُ.

قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الفاتحة: ٣: [٥٠٢]

حرف الراء حرف تكرير، والمراد بالتكرير: أن طرف اللسان لَا يستقر عند النطق به بل يرتعد، فيتذبذب الصوت ويمر في المخرج دون ضغط ولا شدة، وهو حرف قابل لزيادة الارتعاد، فلو ترك لازداد ارتعاد طرف اللسان به، فيجب الاحتراس من زيادة الارتعاد، بأن يترك القارئ طرف لسانه يرتعد ارتعادة واحدة خفيفة حين يُحاذي به أصول الثنايا، ثم يُلصقه بها حتى يمنع استمرار التكرير. وأوضح ما تكون هذه الصفة في الراء إذا كانت مشددة أو ساكنة، فيجب الحرص على عدم الزيادة في التكرير وخاصة عند الراء المشددة والساكنة، كقراءة الراء هنا في: {الرَّحمنِ الرَّحيمِ}.

---

٥٠٢ – في إعراب قوله تعالى: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، قال النحاس: يجوز الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ على المدح، ويجوز رفعِهمَا على إضمار مبتدأ، ويجوز رفع أحدِهما ونصب الآخر، ويجوز خفض الأول، ورفع الثاني، ونصبه.

قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ الفاتحة: ٤: [٥٠٣]

اخْتلف الْقُرَّاء فِي قَوْله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ من حيث إِثْبَات الْألف وحذفها، والجمهور على حذف الألف من {مَالِكِ} وأثبتوا الألف فقرأوا: {مَالِكِ}، فَقَرَأَ عَاصِم وَالْكسَائِيّ وهما اثنان من السبعة القراء بإثبات الألف هكذا: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ وهم الخمسة من السبعة القرَّاء: {مَلِكِ} بِحذف الألف، وَحُجَّة من قَرَأَ {مَالك} قَوْله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ آل عمران: ٢٦، وَلم يقل: "مَلِكَ الْمُلْكِ"، وقالوا: {مَالِكِ} أمدح من {مَلِكِ} لِأَنَّهُ يجمع الِاسْم وَالْفِعْل. وَحجَّة من قَرَأَ {مَلِكِ} قَولُه تعالى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ الناس: ٢، وَقَوله تعالى: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ الحشر: ٢٣، وَقد رويا جَمِيعًا عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، وكلا القراءتين متواترتان.

---

٥٠٣ – في إعراب قوله تعالى: {مَالِكِ}، قال النحاس: فيه من العربية خمسة وعشرون وجها: يقال {مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، على النعت، والرفع على إضمار مبتدأ، والنصب على المدح، وعلى النداء، وعلى الحال، وعلى النعت، وعلى قراءة من قرأ {رَبِّ الْعالَمِينَ} فهذه ستّة أوجه، وفي {مَالِكِ} مثلها، وفي {مَلِكِ}، مثلها، وفي "مَلِيكِ" مثلها. هذه أربعة وعشرون، والخامس والعشرون: رُوِيَ عن أبي حيوة شريح بن يزيد أنه قرأ {مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، وقد رُوِيَ عنه أنه قرأ {مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ}. قال أبو جعفر: جَمْعُ {مَالِكِ}: مُلّاكٌ، ومُلَّكٌ، وجمع {مَلِكِ}: أَمْلاكٌ، ومُلُوكٌ، وجمعُ "مَلَكَ": أَمْلُكٌ، ومُلُوكٌ، فهذا على قول من قال: "مَلَكَ"، لغة وليس بمُسكّنٍ من "مَلَكَ"، وجمع مَلِيكٍ: مُلَكَاءُ. وقوله: {يَوْمِ}: مخفوض بإضافة مالك إليه، وقوله تعالى: {الدِّينِ}: مخفوض بإضافة يوم إليه. وجمعُ يومٍ: أيّامٌ، والأصل: أيوامٌ أدغمت الواو في الياء ولَا يستعمل منه فعل. وزعم سيبويه أنه لو استعمل منه فعل لقيل: يمت. وجمع {الدِّينِ}، أديان وديون.

قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة: ٥ [٥٠٤]

قوله تعالى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الفاتحة: ٦ [٥٠٥]

قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ولَا الضَّالِّينَ﴾ الفاتحة: ٧ [٥٠٦].

---

٥٠٤ – في إعراب قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، قال النحاس: وسيبويه إيّا، والكاف موضع خفض، وعند الكوفيين إيّاكَ اسم بكمالها، وزعم الخليل رحمه الله، أنه اسم مُضمر. قال أبو العباس: هذا خطأ، لَا يُضاف المُضمر ولكنه مبهم مثل "كلّ"، أضيف إلى ما بعده. {نَعْبُدُ}، فِعل مستقبل، وهو مرفوع عند الخليل، وعند سيبويه، لمضارعته الأسماء، وقال الكسائي: الفعل المستقبل مرفوع بالزوائد التي في أوله، وقال الفراء: هو مرفوع بسلامته من الجوازم والنواصب. و{إِيَّاكَ}، منصوبٌ بنستعين، عطف جملة على جملة، وقرأ يحيى بن وثّاب، والأعمش {نِسْتَعِينُ}، بكسر النون، وهذه لغة تميم، وأسد، وقيس، وربيعة، فعل ذلك ليدلّ على أنه من استَعونَ يَستَعِينُ، والأصل في {نَسْتَعِينُ}، نستعون، قلبت حركة الواو على العين فلما انكسر ما قبل الواو صارت ياء، والمصدر استِعانَة، والأصل استِعْوانٌ، قلبت حركة الواو على العين فلما انفتح ما قبل الواو صارت ألفًا، ولَا يلتقي ساكنان، فحذفت الألف الثانية لأنها زائدة، وقيل الأولى، لأن الثانية لِمعنى، ولزمت الهاء عوضا.

٥٠٥ – في إعراب قوله تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}، قال النحاس: {اهْدِنَا}، دعاء وطلب في موضع جزم عند الفراء، ووقفٌ عند البصريين، ولذلك حُذفت الياء، والألف ألف وصل، لأنّ أول المستقبل مفتوح، وكَسْرتُها لأنه من يهدي، والنون والألف مفعول أول. و{الصِّرَاطَ} مفعول ثان. وجَمعُه في القليل أَصْرِطَةٌ، وفي الكثير صُرُطٌ؛ قال الأخفش: أهل الحجاز يُؤنثون الصِّرَاطَ، وقرأ ابن عباس: السِّرَاطَ، بالسين، وبعضُ قَيْسٍ يقولها بين الصاد والزاي؛ ولَا يجوز أن يُجعل زايًا، إلَّا أن تكون ساكنة؛ قال قطرب: إذا كان بعد السين في نفس الكلمة طاءٌ، أو قافٌ، أو خاءٌ، أو غينٌ، فلك أن تَقلبُها صادًا. و{الْمُسْتَقِيمَ}، نعتٌ {لِلْصِّرَاطَ}.

٥٠٦ – في إعراب قوله تعالى: {صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ولَا الضَّالِّينَ}، قال النحاس: {صِراطَ الَّذِينَ}، بدل. و{الَّذِينَ} في موضع خفض بالإضافة، وهو مبنيّ لئلا يُعرب الاسم من وسطه. {أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}، داخل في الصِّلة، والهاء، والميم، يعود على الذين. وفي {عَلَيْهِمْ} خمس لغات قرئ بها كلّها. قرأ ابن أبي إسحاق: {أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمُو} بضم الهاء وإثبات الواو، وهذا هو الأصل أن تُثبَت الواو كما تثبت الألف في التَّثنِية. وقرأ الحسن {أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمِي} بكسر الهاء وإثبات الياء، وكسر الهاء لأنه كرِهِ أن يجمع بين ياء وضمة، والهاء ليس بحاجز حصين، وأبدل من الواو ياءً لما كسر ما قبلها، وقرأ أهل المدينة: {عَلَيْهِمْ}، بكسر الهاء وإسكان الميم، وهي لغة أهل نجد، وقرأ حمزة: وأهل الكوفة {عَلَيْهُمْ} بضم الهاء وإسكان الميم، فحذفوا الواو لثُقلها؛ وإنّ المعنى لَا يُشكَل إذ كان يُقال في التثنية: عليهما، واللغة الخامسة: قرأ بها الأعرج: {عَلَيْهِمِ} بكسر الهاء والميم، وحكي لغتان شاذّتان، وهما: ضمّ الهاء والميم بغير واوٍ، وكسرهما بغير ياءٍ. وقال محمد بن يزيد: وهذا لَا يجوز لأنه مُستقبل، فإن قيل: فلمَ قيل: منه فضُمّت الهاء؟ فالجواب: أن النون في "منه" ساكنة. قال أبو العباس، وناسٌ من بني بكر بن وائل يقولون: "عليكِم" فيَكسرون الكاف كما يكسرون الهاء، لأنها مهموسة مثلها، وهي إضمارٌ كما أنّ الهاء إضمار، وهذا غلط فاحش، لأنها ليست مثلها في الخفاء. {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ}، خفضٌ على البدل من، {الَّذِينَ}، وإن شئت نعتًا. قال ابن كيسان: ويجوز أن يكون بَدلًا من الهاء والميم في {عَلَيْهِمْ}، وروى الخليل رحمه الله عن عبد الله بن كثير: {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ}، بالنصب، قال الأخفش: هو نصب على الحال، وإن شئت على الاستثناء؛ قال أبو العباس: هو استثناء ليس من الأول. قال الكوفيون: لَا يكون استثناء لأن بعده "وَلَا"، ولَا تزاد "لَا" في الاستثناء. قال أبو جعفر: وذا لَا يلزم لأن فيه معنى النفي، وقال: {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ}، ولم يقل: "المَغْضُوبِينَ"، لأنه لَا ضمير فيه. قال ابن كيسان: هو مُوحَّد في معنى جَمعٌ، وكذلك كل فعلٍ المفعول إذا لم يكن فيه خفض مرفوع، نحو المنظور إليهم، والمرغوب فيهم، و{الْمَغْضُوبِ}، بإضافة {غَيْرِ} إليه، و{عَلَيْهِمْ}، في موضع رفع، لأنه اسمُ ما لم يُسمَّ فاعله. {وَلَا}، زائدة عند البصريين، وبمعنى غير عند الكوفيين. و{الضَّالِّينَ}، عطف على {الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ}، والكوفيون يقولون: نسق – أي عطف – وسيبويه يقول: إشراك. والأصل في {الضّالين}: الضَّالِلِين،

قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، التاء مفتوحة، فيحرم على القارئ ضمُّها، لأن الضَّمَّ يؤدي إلى فساد المعنى، لأنه يُتوهم بضمها أن القارئ هو المنعِم عليهم.

قراءة: {الضَّالِّينَ}، جاء حرف المد الواقع قبل الساكن سكونًا لازمًا في الوقف والوصل، فتكون قراءته بإشباع المدِّ عند كل القراء ست حركات [٥٠٧]، وهنا

ثم أُدغمت اللام في اللام فاجتمع ساكنان، وجاز ذلك لأن في الألف مَدّة، والثاني مُدْغَم، إِلَّا أنّ أيّوب السّختياني: همز فقرأ {وَلَا الضَّالِّينَ}.

٥٠٧ – الإشباع عند حفص ست حركات، ويُراعى مقدار الإشباع عند كل قارئ، فمن كان إشباعه أربعة حركات أو خمس – كشعبة مثلًا – يُشبع هذا المدَّ كذلك، وهكذا، قال أبو عمرو الداني: اعْلَم أن الْهمزَة إذا كَانَت مَعَ حرف الْمَدّ واللين فِي كلمة وَاحِدَة، سَوَاءً توسطت، أو تطرفت، فَلَا خلاف بَينهم فِي تَمْكِين حرف الْمَدّ زِيَادَة، وَذَلِكَ نَحْو قَوْله عز وَجل: {أُوْلَئِكَ} و{شَاءَ اللهُ} و{الْمَلَائِكَةُ} و{يُضِيءُ} و{هَاؤم اقْرَؤُوا}، وَشبَهَهُ، فاذا كَانَت الْهمزَة أول كلمة وحرف الْمَدّ آخر كلمة أخرى فإنهم يَخْتَلِفُونَ فِي زِيَادَة التَّمْكِين لحرف الْمَدّ هُنَاكَ، فَابْن كثير وقالون بِخِلَاف عَنهُ وأبو شُعَيْب وَغَيره عَن اليزيدي، يُقصرون حرف الْمَدّ فَلَا يزيدونه تمكينًا على مَا فِيهِ من الْمَدّ الَّذِي لَا يُوصَل إليه إِلَّا بِهِ، وَذَلِكَ نَحْو قَوْله عز وَجل: {بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ (٤)} سورة البقرة، و{فِي آيَاتِنَا (٦٨)} سورة البقرة، و{يَا أَيُّهَا النَّاسُ (٢١)} سورة البقرة، و{هَؤُلَاءِ (٣١)} سورة البقرة، و{قَالُوا آمَنَّا (١٤)} سورة البقرة، وَشَبَهَهُ، وَهَؤُلَاء أقصر مدًا فِي الضَّرْب الأول الْمُتَّفق عَلَيْهِ، وَالْبَاقُونَ، يطوفون حرف الْمَدّ فِي ذَلِك زِيَادَةٍ وأطولهم مدًا فِي الضربين جَمِيعًا ورش وَحَمْزَة، ودونهما عَاصِم، ودونه ابْن عَامر وَالْكسَائِيّ، ودونهما أبو عَمْرو من طَرِيق أهل الْعرَاق، وقالون من طَرِيق أبي نشيط بِخِلَاف عَنهُ، وَهَذَا كُله على التَّقْرِيب من غير إفراطٍ، وإنما هُوَ على مِقْدَار مذاهبهم فِي التَّحْقِيق والحدر، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيق. راجع كتاب التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، ج ٣١/١، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ– ١٩٨٤م.

كان الساكن مدغمًا في غيره، وكذلك لو جاء غير مدغم في غيره نحو {آلآنَ}. ودليله من قول الشاطبي:

وَعَنْ كُلِّهِمْ بِالْمَدِّ مَا قَبْلَ سَاكِنٍ..........

والذي يسبق الإمام بالتأمين يُضيِّع عليه الأجر؛ "غفر له ما تقدم من ذنبه".

إذن عرفنا المواضع التي تُشرع فيها الاستعاذة، والمواضع التي تشرع فيها البسملة، والمواضع التي تشرع فيها "الحمد لله" (في أي وقت تقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ومتى تقول بسم الله، والحمد لله)، عرفنا هذا، ولكن في أي وقت تَقرأ الفاتحة؟

تُقرأ الفاتحة في وقتين فقط:

- في الصلاة؛ لأنه لَا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب، إِلَّا أن يكون في الصلاة الجهريَّة خلف الإمام.
- وعند الرُّقية: يضع المريض يده على مكان الألم ويقرأ الفاتحة.
- ومن المؤكد أيضا أنها تقرأ في القراءة في المصحف، بداية الختمة نبدأ بالفاتحة.

ومن قرأها في غير هذه المواضع كمن يقرأها عند خطوبة البنت أو في السوق أثناء البيع والشراء أو عند الانتهاء من الصلاة فهذه كلها لَا أصل لها من السُّنَّة وإنما بدعة ابتدعها الناس بغير دليل ولا برهان.

فوائد السورة

سورة الفاتحة على إيجازها قد احتوت على ما لم تحتوِ عليه سورة من سور القرآن:

١- تضمنت السورة الإيمان والعمل الصالح، الإيمان بالله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، واليوم الآخر ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، والملائكة والرسل والكتب ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ لما تقتضيه من إرسال الرسل والكتب.

٢- تضمنت أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، وتوحيد الألوهية ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وتوحيد الأسماءِ والصفاتِ داخلٌ فيما اشتملتْ عليه السورةُ الكريمةُ من الأسماءِ الحسنى، والصفاتِ العلى: الله، الرب، الرحمن، الرحيم، مالك ولذا فهي حقًا أم الكتاب.

٣- في هذه السورة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هذا إثبات لجميع أنواع المحامد لله جل وعلا، والحمد هو الثناء على الله جل وعلا بصفاته وأسمائه وأفعاله، سواء منها ما كان متعلقا بالخلق، أو متعلقا بذاته جل وعلا.

٤- وقوله جل وعلا: "رَبِّ الْعَالَمِينَ" هذا فيه إثبات صفة الربوبية لله، وأنه رب الخلائق أجمعين، والعالمون هم كل من سوى الله جل وعلا، فهو ربهم كما أنه إلههم، وهو المستحق للحمد.

٥- تضمنت السورة إثبات الجزاء على الأعمال في قوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وأن الجزاء يكون بالعدل لأن الدين معناه الجزاء بالعدل.

٦- وتضمنت إثبات القدر وأن العبد فاعل حقيقة خلافا للقدرية والجبرية.

٧- بل تضمنت الرد على جميع أهل البدع والضلال في قوله ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ لأنه معرفة الحق والعمل به وكل مبتدع وضال فهو مخالف لذلك.

٨- وتضمنت إخلاص الدين لله تعالى عبادة واستعانة في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

تناسب خاتمة الفاتحة مع فاتحة سورة البقرة

تنتهي سورة الفاتحة بذكر المنعَم عليهم والمغضوب عليهم والضالين ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الفاتحة: ٧. وسورة البقرة تبدأ بذكر هؤلاء أجمعين، تبدأ بذكر المتقين ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ البقرة: ٢. وهؤلاء منعَم عليهم؛ ثم تقول ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ البقرة: ٦، تجمع الكافرين من المغضوب عليهم والضالين وتذكر المنافقين ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ البقرة: ٨. إذن اتفقت خاتمة سورة الفاتحة مع افتتاح سورة البقرة.

ذكر في خواتيم الفاتحة أصناف الخلق المكلفين ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الفاتحة: ٧، وذكرهم في بداية البقرة.

المغضوب عليهم الذين عرفوا الحق وحادوا عنه والضالون لم يعلموا الحق وإنما ضلوا الطريق ويضربون مثلًا اليهود والنصارى، المغضوب عليهم منهم اليهود والنصارى. وفواتح البقرة تحدثت عن هذه الأصناف المتقين والكفار والمنافقين جمعت المغضوب عليهم والضالين يجمعهم الكفار.

فالحمد لله رب العالمين. خاتمة سورة الفاتحة هي مناسبة لكل ما ورد في السورة من أولها إلى آخرها، فمن لم يحمد الله تعالى فهو مغضوب عليه وضال ومن لم يؤمن بيوم الدين، وأن الله سبحانه وتعالى مالك يوم الدين وملكه ومن لم يخص الله تعالى بالعبادة والاستعانة ومن لم يهتد الى الصراط المستقيم فهم جميعا مغضوب عليهم وضالون.

وعلى كل حال هذه السورة عظيمة؛ ولا يمكن لي ولا لغيري أن يحيط بمعانيها العظيمة؛ لكن هذا قطرة من بحر؛ ومن أراد التوسع في ذلك فعليه بكتاب "مدارج السالكين" لابن القيم رحمه الله.

أخطاء شائعة

وأود في النهاية أن أنبه على بعض الأخطاء الشائعة بين الناس في قراءة سورة الفاتحة:

١- "اَلْحَمْدُ":

- هناك من لَا ينطق حرف الألف، ويختلس الحركة اختلاسا تظن أنه يقرأ: حمد بدون الألف واللام.
- الحمدو= إشباع الضم على الدال حتى يصبح واوا.
- الحمْ~د: مد الميم مدا شاذا قبل نطق الدال.
- إلحمد: نطق الهمزة مكسورة وليس مفتوحة.

٢- لله:

- لِلْ لاه: هناك من يقف على اللام الثانية وقفة غريبة.
- للآ ه: مد الألف الطبيعي بعد اللام الثانية مدا غير جائز.
- لله ي: إشباع الكسر بعد الهاء حتى يصبح ياءً، ومثلها الكاف في "مالك"، والصاد في" صراط."

٣- رَبِّ:

- تسكين الباء في كلمة رَبِّ الْعَالَمِينَ والصواب أنها مكسورة.

٤- العالمين:

- العآآآلمين: مد الألف الثانية مدا يخرجها من الطبيعي إلى ما هو أكثر من حركتين، وهو خطأ شائع ومنتشر بسبب التقليد لبعض أئمة المساجد. ومثلها في حروف العلة: الرحمان (ا)، الرحيم (ي)، مالك (ا)، يوم (و)، إياك (ي) وإياك (ا)، الصراط صراط (ا)، عليهم عليهم (ي)، غير (ي)، المغضوب (و).

٥- الرحمن:

- المبالغة في تكرير الراء في قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. والطريقة الصحيحة: نطق الراء مشددة، دون مبالغة في التكرير.
- ضم النون في كلمة الرحمن الرَّحْمَنِ والصواب أنها مكسورة.

٦- مالك:

- تسكين الكاف في مَالِكِ والميم في يَوْمِ، في ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ والصواب كسرهما.
- أو عدم إعطاء الكسرة حقها عند الكاف في قوله تعالى: مَالِكِ، وكذلك في الميم في قوله يَوْمِ. والطريقة الصحيحة: إعطاء الكسرة حقها، ومراعاتها عند النطق بها.

٧- إيَّاكَ، وإيَّاكَ:

- اياك: بدون تحقيق الهمزة.
- إيـ~ـاك: مد الياء مدا زائدا
- إياآك: مد الألف، وهو خطأ منتشر.
- إياكا: إشباع الفتح على الكاف حتى يصير ألفا.
- إياك: بدون تشديد الياء لحن جلي يخرج من المعنى، فتصبح العبادة متوجهة لغير الله. فتشديد الياء في الموضعين متعين: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وفي تخفيفهما قلب للمعنى، لو اعتقده الإنسان لكفر، فكلمة (إياك) بتخفيف الياء بمعنى (ضياء الشمس) فيصير كأنه يقول شمسك نعبد وهذا كفر. (من كتاب معجم المناهي اللفظية للشيخ بكر بن عبد الله أبي زيد)

٨- نَعْبُدُ:

- نعبد: فتح الباء عند العامة وهو خطأ شائع
- نعبدْ: اختلاس نطق الضم على الدال فتسمع القراءة على نحو: "إياك نعبدْ وإياك"، فيلزم تحقيق نطق الضم على الدال.
- تسكين الدال وقلقلتها في كلمة "نعبد"، والصواب ضمها.

٩- نَسْتَعِينُ:

- نستاعين: مد الفتح على التاء حتى يخيل للمستمع أن بعد التاء ألفا، ومثلها: التاء في "المستقيم"، والتاء في "أنعمت."

١٠- اِهْدِنَا:

- هدنا: اختلاس حركة الهمز عند القراءة بالابتداء.
- اهدنا: قلقلة الهاء الساكنة بحركة غريبة نحو الكسر.

١١- الصِّرَاطَ:

- السراط: كثير من الذين يقرؤونها يستبدلون الصاد سينا، وعند كثير من القراء يزيدون المد الطبيعي في الألف مدا زائدا.

١٢- المُسْتَقِيمَ

- تفخيم التاء من كلمة (المستقيم) ونطقها طاء، والمبالغة في تفخيم (القاف) في نفس الكلمة مع أنها مكسورة أي أدنى مراتب التفخيم، وليس بها إطباق (حرف منفتح).

١٣- الَّذِينَ أَنْعَمْتَ:

- الذينَنْعمت: نقل حركة الهمز وكأن على النون الأولى سكون، أو: إلغاء همزة أنعمت.

- أنعمت: كثير من الذين يقرؤونها لا يظهرون النون الساكنة بينما إظهارها واجب لوجود حرف العين بعدها.
- أنعمتُ: بضم التاء وهو لحن جلي. والصواب فتح التاء لأن المعنى يختلف.

١٤- **عَلَيْهِمْ غَيْرِ:**

- القراءة الصحيحة المتبعة هي عدم الوقف على "عليهم"، وإنما الوصل إذا قرأ برواية حفص، لأن الوقف لغير حفص، وعلماء القراءات والتجويد لَا يجيزون التنقل بين الروايات في القراءة الواحدة إِلَّا من باب التعليم.

١٥- **المَغْضُوبِ:**

- إبدال الضاد دالا في قوله تعالى (غير المغضوب) يقع فيه الكثير.
- إبدال الضاد ظاء في قوله (غير المغضوب) يقع فيه الكثير.
- المقضوب: نطق الغين نطقا هو أقرب لحرف القاف خاصة في بعض الأقاليم.
- المغظوب: نطق الضاد ظاءً أو زايًا وربما يجتمع مع ذلك نطق الغين قافًا فيصبح اللحن لحنا جليا.

١٦- الضآلِّين:

- عدم مد الألف من كلمة (الضآلين) والصواب مده مدًا لازمًا (مدًا مشبعًا).
- ومن الأخطاء المبالغة في تشديد اللام من نفس الكلمة (تعليق اللسان عند النطق باللام) والصواب نطقها كحرف مشدد عادي بسلاسة دون مبالغة أو تعليق للسان.
- ومن الناس من لَا ينطق التشديد نهائيا وينطقها لامًا مخففة ولا يمد الألف (خطئين).
- الظالين: نطق الضاد ظاءً، وهو مشهور عند العامة وحتى أئمة المساجد، وفي بعض الأقاليم لَا يفرقون بين الحرفين نطقا.
- الضال ين: السكت الزائد على اللام الشمسية عند الشروع في نطق الضاد، ومثلها اللام سكتا أو مدا.
- الضالين: مد العارض للسكون مدا مشبعا بسبب الانتهاء من قراءة الفاتحة، والصحيح، الالتزام بالقراءة والرواية، فلحفص القصر والتوسط والإشباع، فبأي الطرق الثلاثة قُرِئ المد العارض للسكون في "العالمين"، وجب التقيد بهذه الطريقة في "الرحيم"، "الدين"، "نستعين"، "المستقيم"، "الضالين".

من المهم جدا ضبط قراءة الفاتحة لأنها كما قلنا تقال في كل ركعة من الصلاة حتى لَا نقع في لحن جلي.

وهذا ما يمكنُ قولُه بين يدي هذه السورةِ الكريمةِ، سورةِ الفاتحة ونسألُ اللهَ سبحانَه وتعالى بأسمائِه الحُسنى، وصفاتهِ العُليا، أن يرزقَنَا حُسْنَ البيانِ، وحسنَ الفهمِ، وأنْ يجعلَ القرآنَ العظيمَ ربيعَ قلوبِنَا، ونورَ صدورِنَا، وجلاءَ أحزانِنا، وذهابَ همومِنا وغمومِنا.



إن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان وإن أصبت فمن فضل الله وحده.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله،

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

اللهم اجعل عملي خالصا لوجهك الكريم ولا تجعل لأحد شيئا منه سواك.

اللهم إني أعوذ بك من عمل فيه رضاك وألتمس فيه أحدًا سواك.

تم بحمد الله تعالى بتاريخ ١٤٣٠/٧/٨

الموافق ٢٠٠٩/٧/١

المصادر

اعتمدت في شرح الآيات على بعض كتب التفسير الموثوقة منها:

١- "**تفسير القرآن العظيم**" للإمام الجليل الحافظ بن كثير.

٢- "**التفسير الميسر**" إعداد نخبة من العلماء.

٣- "**في ظلال القرآن**" لسيد قطب.

٤- "**تفسير الجلالين**" لفضيلة الشيخ جلال الدين السيوطي

٥- "**لباب النقول في أسباب النزول**" لفضيلة الشيخ جلال الدين السيوطي.

٦- تفسير "**الجامع لأحكام القرآن**" للإمام القرطبي.

٧- "**المبين لما تضمن من السنة وأحكام الفرقان**" للإمام القرطبي.

٨- تفسير "**جامع البيان في تأويل القرآن**" للإمام الطبري.

٩- "**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**" لفضيلة الشيخ السعدي.

١٠- "**التفسير الوسيط للقرآن الكريم**" لفضيلة الشيخ محمد سيد طنطاوي.

١١- "**تفسير الشيخ العلامة محمد بن صالح بن العثيمين**".

١٢- "**معلومات فقهية عن سورة الفاتحة من شرح الشيخ خالد الصقعبي**".

١٣- من "**اللمسات البيانية**" للدكتور حسام النعيمي في سورة الفاتحة.

١٤- برنامج "**ورتل القرآن ترتيلًا**".

١٥- "**مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**" للإمام ابن قيم الجوزية.

ألقيت هذه المحاضرات على عدة منتديات منها:

- الجامعة العالمية للقراءات القرآنية والتجويد

www.quranuniversity.com

- معهد بدر التمام http://betek.info
- شبكة المسك الإسلامية النسائية www.almeske.net
- شبكة لآلئ الإسلام www.islampearls.com
- ملتقى خير الزاد http://khairelzad.com
- منتديات الحور العين www.hor3en.com
- منتديات زهور السنّة النسائية www.zohoralsunna.com
- ملتقى الرّحمة للأخوات alra7maakhawat.net
- منتديات طريق الحقيقة http://www.factway.net
- منتديات إشراقة نهضة http://eshraqa1.net



الفهرس





روى الترمذي في صحيحه عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةَ. وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطالِبِ الْعِلْمِ رِضًى بِمَا يَصْنَعُ. وإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ. وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ. وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنبِيَاءِ. وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍ وَافِرٍ]. صححه الألباني - سنن الترمذي ٢٦٨٢

كتب أخرى للمؤلفة

لماذا نحفظ القرآن؟

تفسير سورة الكهف

إلى من أدركت رمضان

إليكِ يا أختاه (مطوية)

الطريق إلى الجنة (مطوية)

الطبعة الأولى - الإصدار الأول